المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام - الرياض
قسم الدعوة والاحتساب
الدراسات العليا

أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في أفريقيا وطرق مواجهتها

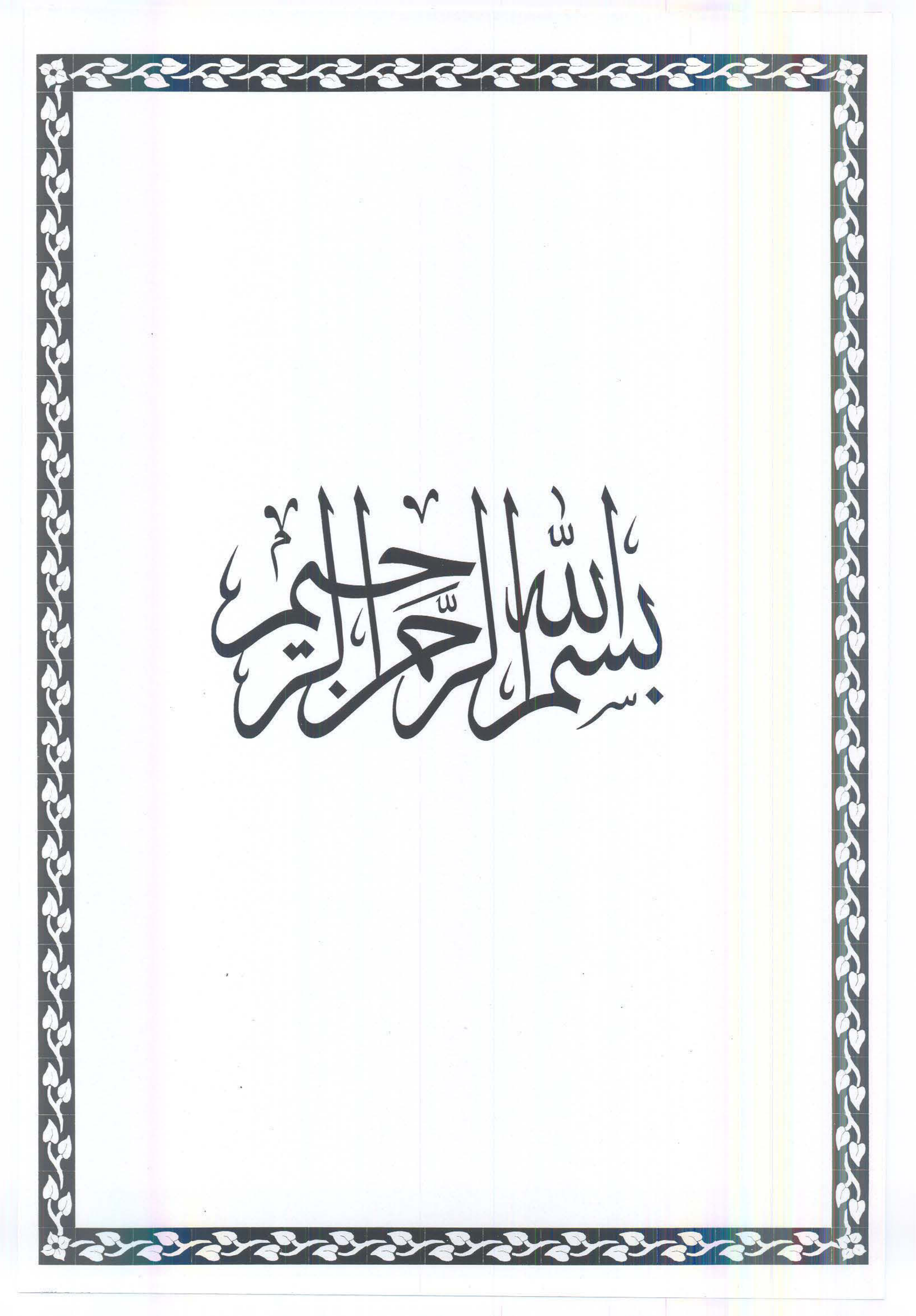
دراسة ميدانية على دولة كينيا في الفترة من عام (١٤١١ - ١٤٢٠هـ)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة والاحتساب

إعداد الطالب
نور الدين عوض الكريم إبراهيم بابكر

إشراف
الأستاذ الدكتور/ حسين محمد محمود عبدالمطلب
الأستاذ بقسم الدعوة والاحتساب

العام الجامعي
١٤٢٢ - ١٤٢٣هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٣].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦].

بسم الله الرحمن الرحيم

* المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألاّ إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله .

وبعـد :

فإن حركة التنصير حركة قديمة متجددة تلبس لكل عصر ثوبا ، فهي كالأفعى تغير جلدها حسب الظروف والمعطيات ويبقى السم كما هو ، وقد ظهرت الحركة التنصيرية في العصر الحديث ، وتبدت في وسائل وأساليب شتى ، وبقوة دفع وإمكانيات أكبر مما كان في الماضي .

ومن المعلوم أن الحركة التنصيرية في الوقت الراهن تعتبر من أكبر العوائق والتحديات التي تواجه الدعوة الإسلامية ، وانتشار الإسلام ، الأمر الذي يوجب على كليات الدعوة والمهتمين بتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة ، أن يكونوا على دراية تامة بالأساليب والوسائل التي تتبعها الحركات التنصيرية في حرب الإسلام والصد عنه .

ومن القارات التي ابتليت بالحركة التنصيرية ، وقبضت الصليبية العالمية عليها بمخالبها قارة أفريقيا ، تلك القارة الخضراء ، التي دخلها الإسلام في بواكير دعوته قبل أن يعم الجزيرة العربية ، وذلك من خلال هجرة المسلمين الأولى للحبشة ، فيها أول ملك دخل في الإسلام ، والتي جاءت تجري لدعوة الإسلام حبا وإيماناً فبادلها الإسلام بهذا الحب حضارة ما عرفتها في كل تاريخها ، وأقام دولاً ذات أدب

وعلم[١] ، وتخرج في غابات أفريقيا رجال فسروا القرآن الكريم ، وكتبوا المتون الكبيرة في علوم الإسلام المختلفة[٢] .

ومن يتأمل في واقع الدعوة في أفريقيا اليوم يشاهد واقعا مؤلما في العشرات من القبائل والملايين من الناس ممن كانوا يدينون بالتوحيد ولكنهم ضاعوا بسبب قوة الهجمة الكنسية الصليبية عليهم من ناحية ، وضعف جهود المسلمين من الناحية الأخرى .

إن أهداف المنصرين في أفريقيا تبدو لنا جلية واضحة من أقوال أقطابهم فهذا فيليب فونداسي - رئيس المكتب الخامس الفرنسي - (مصلحة التجسس الفرنسية) يقول: في مقدمة كتابه "الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء" إن هذا الإسلام يؤلف حاجزا أمام مدنيتنا المبنية كلها من مؤثرات مسيحية ومن مادية ديكارتية ... فإن الإسلام يهدد ثقافتنا في أفريقيا السوداء ... إلى أن يقول : وعلى الرغم من أن بعض النفوس المتسامحة تميل بطبيعتها وعن رضى منها إلى عدم تقدير هذا الخطر (الإسلام) حق قدره فإنه يبدو في الظروف الحالية للتطور الاجتماعي والسياسي لعالم البشر الأسود أنه من الضروري لفرنسا أن تقاوم الإسلام في هذا العالم أو أن تحاول على الأقل حصر انتشاره ، وأن يعامل وفق أضيق مبادئ الحياد الديني[٣] .

---

(١) قامت دول وممالك إسلامية كثيرة في أفريقيا ، وازدهرت فيها الحضارة الإسلامية العربية مثل مملكة مالي ، وكانم ، وصونغو ، وبرنو ، وغانا في غرب القارة ، انظر: كتاب إمبراطورية البرنو الإسلامية ، ص١٧ وما بعدها للدكتور إبراهيم طرخان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م ، كذلك انظر: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وصونغي ، الشيخ الأمين عوض الله ، دار المجمع العلمي بجدة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ومملكة العمانيين في زنجبار وسلطنة الزنج ومملكة كلوة ، وممباسا بشرق أفريقيا ، انظر: معالم الحضارة الإسلامية في شُرق أفريقيا ، تاج السر العرافي ، ص٨٣ ، دراسة نشرت في مجلة دراسات أفريقية صادرة عن المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، العدد٢ ،عام ١٤٠٦هـ .

(٢) من أمثال هؤلاء ، ابن منظور الأفريقي المتوفى ٧١١هـ ، والإمام الزيلعي المتوفى ٧٦٢هـ ، وعثمان دانفوديو المتوفى ١٢٣٢هـ ، وغيرهم .

(٣) انظر: هذه سبيلي ، ص٢٨٣ - ٢٨٤ ، د. مهدي رزق الله ، مقال بعنوان : أفريقيا والنصرانية ، العدد (٢) ، ١٣٩٩هـ ، صادرة عن المعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وقال في مناسبة أخرى "يوم لا يبقى اللسان العربي هو لغة التجارة في أفريقيا لا يبقى خطر من جهة الإسلام ، لأن مدارسه تصير قفرة"[١] .

وتتضح أهداف التنصير في أفريقيا أكثر من ذلك من كتابات الكثيرين من المنصرين ، ومثال ذلك قول القس ترمنجهام في كتابه "الكنيسة المسيحية بالسودان" حيث يقول : "إن الهدف الرئيس للكنيسة هو إيجاد كتلة مسيحية تقف في وجه الكتل الإسلامية الموجودة في الدول الأفريقية، إذا ما ادعت لنفسها حق السيطرة أو النفوذ في تلك الدول"[٢].

إذا كان هذا هو رأي أقطاب النصرانية في أفريقيا فعلينا أن نأخذه بجد أكثر خاصة عندما نسمع قول الطبيب الأمريكي بول هاريسون في كتابه "الطبيب في بلاد العرب" يقول: "ولقد وُجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى"[٣] فإذا كان هذا هو رأيهم في مهد الإسلام، فماذا عساه أن يكون حظ أفريقيا .

ويقول في هذا الدكتور عبدالرحمن السميط أمين عام لجنة مسلمي أفريقيا الكويتية : ولقد رأيت الكثير منهم كقبائل الغبراء ، والريندلي في كينيا، والفارمبا في زيمبابوي ، والتيمورين في مدغشقر وغيرهم كثير، وحتى أولئك الأفارقة الذين رضوا باتباع أديان أخرى لازالوا في معظمهم قريبين جداً في فطرتهم من الإسلام أكثر من الأديان الأخرى المستوردة إلى أفريقيا ، لأن فطرتهم لم تلوث بعد . ولقد ذكر أحد كبار ضباط الجيش الكيني وهو نصراني قضي فترة للتدريب في باكستان ورأى كيف يعيش الناس شهر رمضان المبارك وتأثر بذلك ، ذكر أن معظم المتنصرين الأفارقة أصبحوا نصارى بسبب التعليم والمدارس التي تشرف عليها الكنيسة وأن النصرانية ليست دين آبائه ولا أجداده ، ورغم أنه يذهب إلى

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٨٤ .

(٢) انظر: هذه سبيلي ، ص٢٨٦ ، د. مهدي رزق الله ، مقال بعنوان : أفريقيا والنصرانية ، العدد (٢) ، ١٣٩٩هـ ، صادرة عن المعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٨٦ .

الكنيسة كل أحد "حيث أصبح ذلك عادة أكثر منه عبادة" إلا أنه على يقين في قلبه أن المسجد أحق بالدخول والإسلام أحق بالاتباع"[١] .

ومن هذا يتضح أنه لو وجدت الكنيسة مقاومة كافية من المسلمين وفهما لمخططاتها بوجود بعض الدعاة الذين يعرفون وسائل المنصرين وأساليبهم ، ويبينون ذلك بطريقة مناسبة ويواجهونها بأسلوب فعّال لتحولت أفريقيا قاطبة إلى الإسلام بإذن الله .

ولما لهذا الموضوع من أهمية جاء اختياري لموضوع يسد ثغرة من ثغرات التنصير بعنوان: **(أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في أفريقيا وطرق مواجهتها)** دراسة ميدانية على دولة كينيا .

---

(١) رحلة خير في أفريقيا ، الدكتور عبدالرحمن السميط ، ص٣٢ ، طبع دار الفيصل ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

*** أهمية الموضوع :**

يكتسب هذا الموضوع أهميته من كونه يتعرض لعائق من أكبر عوائق انتشار الإسلام في العصر الحاضر ، ألا وهو النشاط التنصيري المحموم حول العالم الذي لا تكاد تخلو منه منطقة من مناطقه متسلحا بمختلف الأسلحة ، متبعا شتى أنواع الأساليب والوسائل .

كما أن الإجراءات الصارمة والمتشددة التي اتخذتها الكنائس ومن خلفها الاحتلال لمحو الآثار الإسلامية في منطقة (كينيا) كانت أشد ضراوة عما كان في غيرها من مناطق أفريقيا ، فعلى سبيل المثال يذكر القس فرانسيس خافير أحد العاملين في الحكومة البرتغالية التي احتلت المنطقة أنه زار مدينة ماليندي الكينية - ذات التاريخ الإسلامي العريق - وقابل الناس هناك حيث أخبروه أن ثلاثة مساجد فقط لا زالت مفتوحة في المدينة من أصل (١٧) مسجدا وحتى هذه المساجد الثلاثة تشكو من قلة المصلين[١]. كما قاموا ببناء قلعة يسوع المسيح في ممباسا لنشر النصرانية ، وقام فاسكودي[٢] جاما ببناء منارة في مدينة ماليندي[٣] .

إن التنصير والاحتلال يعدان وجهين لعملة واحدة ، يقول المنصر سونو : " اتجه المستعمرون إلى استعباد جسد الأفريقي ، أما المنصرون فقد استهدفوا روحه" أما الدكتور والتر دورني فقد كان اكثر صراحة حين قال: "كانت البعثات التبشيرية المسيحية جزءاً من قوى الاحتلال إلى حد كبير "[٤].

---

(١) رحلة خبر في أفريقيا ، ص٥٠٨ ، عبدالرحمن بن حمود السميط ، مطابع الفيصل ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

(٢) يعد فاسكودي جاما أبرز القادة البرتغاليين الذين قادوا حركة الاستعمار البرتغالية في القرن الخامس عشر حيث وصل بالدوران حول أفريقيا من الهند بعد أن مر بشرق أفريقيا وعاث فيها فسادًا . التقى الرحالة العربي ابن ماجد وعن طريق مساعدته استطاع الوصول إلى الهند ، وكان هدفه من هذه الجولة فتح أسواق تجارية جديدة للبرتغال وتطويق العالم الإسلامي ونشر النصرانية . انظر: (جلفار عبر التاريخ للباحث عبدالله الطابور ، نقلاً عن مجلة بيان الثقافة ، العدد ٣٨ الأحد ٣ رجب ١٤٢١هـ - أكتوبر ٢٠٠٠م صادرة عن مؤسسة البيان للطباعة والنشر .

(٣) مجلة البيان ، ص٩٤ ، العدد ٨٧ ، ذو القعدة ١٤١٥هـ .

(٤) السياسة والتنصير في شرق أفريقيا ، ص٥٠١ ، ٥٠٢ ، د. محمد بن سليمان الخضيري ، مقال بمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد ١٩ ، جمادى الأولى ١٤١٨هـ.

وفي ذلك كتب أحد أدباء كينيا يصف الحال التي أوصلتهم إليها مرحلة الاحتلال فقال: "جاءوا إلينا يحملون البندقية والإنجيل ، فأمطرونا بالرصاص ، ثم غمموا أعيننا ، ووضعوا أيدينا على المحاريث نقلب لهم الأرض ونزوعها ، وبعد عناء طويل فتحنا أعيننا لنجد بأيدينا الإنجيل وبأيديهم الأرض والثروة ، وكنا قد نسينا استعمال السلاح ، فنحن اليوم نقلب الإنجيل ونتقلب في المجاعة والتبعية"(١) .

وفي بداية النصف الثاني من القرن العشرين بعد إنشاء (المجلس الوطني في كينيا) واصلت حركة التنصير عملها وكثفت نشاطها بمزيد من نشر ترجمة الأناجيل والكتب الدينية الأخرى ، وفتحت كليات اللاهوت في (نيروبي) ، وفي (ليمورو) وفي (مجاكوس) ، وفي (تاناريفان) واسسوا محطة إذاعية في (كيجابي) ، وكذلك شهدت هذه الفترة ما يسمى بـ (حركات الإصلاح) المختلفة وإنشاء المنظمات والجمعيات التنصيرية المتنوعة ، ولما بدأ البث التلفزيوني عام ١٩٦٢م ، تضمنت برامجه بث النصرانية بشكل كبير ، وافتتحت إذاعة صوت كينيا التنصيرية عام ١٩٦٣م ، التي ما زالت تواصل إرسالها بجد ونشاط حتى الآن ، كما صاحب ذلك إنشاء عديد من الصحف لذات الغرض(٢) .

فمدينة ممباسا الكينية ذات التاريخ الإسلامي العريق ، هذه المدينة التي حكمها العرب المسلمون حتى عام ١٩٦٠م ، أي قبل عام الاستقلال بقليل ، فقدت كثيرا من طابعها الإسلامي منذ الاستقلال حتى الآن ، فقد انتشرت الكنائس كما انتشرت البارات وبدأت تختفي الأحرف العربية وأصبحت من أعلى المناطق في كينيا إصابة بالأمراض بسبب تشجيع الحكومة للسياحة .

وقد ضعف موقف المسلمين فيها بشكل ملحوظ مع العلم أن نسبتهم فيها كانت تبلغ أكثر من ٨٥٪ قبل عام ١٩٦٣م ، بينما انخفضت الآن عام ٢٠٠٠م ، إلى ٦٠٪ ، وتبعاً لذلك فقد انخفض عدد الطلاب المسلمين

---

(١) مجلة البيان ، ص٤ ، العدد ٥٥ ، ربيع الأول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
(٢) انظر: مجلة البيان ، ص٥٩ -٩٦ ، العدد ٨٧ ، ذو القعدة ١٤١٥هـ - إبريل ١٩٩٥م .

في المؤسسات التعليمية حيث إن نسبتهم بين طلبة المدارس تبلغ ٤٨٪ فقط أما نسبة المدرسين المسلمين في مدارس ممباسا الحكومية فهي أقل من ٩٪ فقط[١].

يضاف إلى ما سبق أن المنطقة تمتاز بالوجود الإسلامي البارز قبل دخول الاحتلال والتنصير إليها ، وقيام العديد من الممالك الإسلامية مثل مملكة كلوة[٢] وممباسا[٣].

* الإحساس بالمشكلة البحثية وأسباب اختيارها :

١ - بناء على ما سبق من بيانات لأهمية الموضوع وحيث إن التنصير في العالم الإسلامي ، وبما يشكله من خطورة يعد أقوى تيار من التيارات الفكرية التي تواجه الإسلام في عصره الحاضر؛ لذلك بدأ علماء المسلمين ودعاتهم في الانتباه لهذا الظاهرة الخطيرة ، – وإن كانت جاءت متأخرة بعض الشيء - ولكن كانت هناك جهود مقدرة مبذولة من بعض كتاب المسلمين لبيان حقيقة هذه الظاهرة وأهدافها نذكر منها الآتي :

فقد أكدت الدراسة التي أجراها الدكتوران مصطفى الخالدي ، وعمر فروخ ، والتي شملت عرضاً لجهود المبشرين الرامية لإخضاع الشرق للاحتلال الغربي ، أن المبشرين لم يكونوا سوئ طلائع لمطامع الاحتلال ، من خلال أهدافهم وبواعثهم وأساليبهم وحيلهم المختلفة ، وأن الإدارة

---

(١) انظر: رحلة خير في أفريقيا ، ص٣٠ ، عبدالرحمن السميط .
انظر: أوضاع المسلمين ومؤسساتهم ومدارسهم في ممباسا ، ص١ تقرير من إعداد الشيخ سراج الرحمن الندوي مدير كلية الدراسات الإسلامية ومعهد كسونى في ممباسا .

(٢) يقول صاحب جهينة الأخبار عن مدينة كلوة: أنها كانت قبل وصول البرتغاليين إلى شرق أفريقيا عاصمة لما جاورها من البلاد ، وكانت من المدن المشهورة في أيام حياتها ولا تماثلها يومئذ مدينة في أفريقيا في ضخامتها وبناءها وعدد سكانها . وهي تقع إلى الجنوب من دار السلام على مسافة ٢٢٠ ميلاً عن طريق البر . وزارها ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري وقال إن ملكها عربي اسمه أبو المواهب من عرب قبائل الحجاز. انظر جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ص ٥٨ ، ٦٠ سعيد المغيري ، طبع مطبعة البابي الحلبي بمصر .

(٣) ممباسا : مدينة إسلامية ذات تاريخ عريق وصفها ابن بطوطة في رحلته إليها في القرن الثامن الهجري بأنها جزيرة كبيرة تكثر فيها المساجد وأهلها أهل تقوى وصلاح وهم شافعية المذهب وبها سلطان . انظر: الرحلة لابن بطوطة ص٢٧٣ بدون ذكر سنة الطبع. واليوم تمثل مباسا ثاني أكبر مدينة في كينيا بعد العاصمة نيروبي ، وهي الميناء الأول لكينيا وبعض دول المنطقة مثل أوغندا وبورندي .

الأجنبية لما تمت لها السيطرة أصبحت في خدمة التبشير ، وحوت الدراسة وثائق هامة تبين خطورة التنصير على العالم الإسلامي[١] .

وأوضحت الدراسة التي أجراها الدكتور: إبراهيم عكاشـــة ، علـى انتهازية الإرساليات التنصيرية واستغلالها للفرص ، حيث كانت الأقليـات النصرانية داخل الدولة العثمانية تتمتع بامتيازات كبيرة ، فكان أن استغلتها الإرساليات فرصة لبداية نشاطها التنصيري ، كما اســتغلت الإرسـاليات الحماية الاحتلالية لها في مصر والشام والعراق والخليج ، وذلك من خلال مشروع إنجلترا التنصيري والذي كان يعرف بـ (مشروع بــلاد البحـر الأبيض المتوسط) ، كما احتالت الإرساليات بمسألة تجارة الرقيق واتخذتها في بادئ الأمر مدخلا إلى قلــوب الوثنييــن الأفارقــة لنشــر معتقداتــها الباطلة[٢].

كما أشارت الدراسة التي أجراها الدكتور/ عبدالعزيز بــن إبراهيـم العسكر إلى خطورة محاولات التنصير في الخليج العربي وآثاره الســيئة على المجتمع المسلم ، منبها ومستنفرا لأهل الخليج كافة حكومات وشعوب ودعاة ورجال أعمال للقيام بمسئوليتهم تجاه هذا الخطر الداهـم والمحـدق بأرض الإسلام[٣] .

ومما يبين خطورة التنصير على المسلمين في الوقت الراهن الدراسة التي أجراها الأستاذ عبدالرزاق دياربكري ، لمقررات مؤتمـر كلـورادو التنصيري الشهير المنعقد بأمريكا الشمالية في ١٥/١٠/١٩٧٨م ، والــذي جمع له مبلغ ألف مليــون دولار أمريكــي مــن أجـل وضــع الخطـط والاستراتيجيات لتنصير المسلمين[٤] .

٢ - قد كشفت إحدى الدراسات العلمية التي أعدها البــاحث حـول التنصير في منطقة جبال النوبا بالسودان ضرورة التعمــق والبحــث فــي

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٦م .
(٢) ملامح من النشاط التنصيري في الوطن العربي ، ط. جامعة الإمام محمد ، ١٤٠٧هـ .
(٣) التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج ، نشر مكتبة العبيكان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
(٤) تنصير المسلمين ، بحث في خطر استراتيجية طرحها مؤتمر كلورادو والتنصــير ، ط.دار النفائس ، الرياض ، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م .

أساليب التنصير لما تسببه من خطر كبير على الدعوة الإسلامية ، وذلك من خلال اطلاع الباحث على بعض الوثائق والنشرات التي وردت لقادة الكنائس في المنطقة من مجالس الكنائس المحلية والعالمية ، ومن خلال ما كان ينشر في الدوريات من كتابات لبعض الدعاة والمفكرين المسلمين المهتمين بهذه القضية . وكما أكد المنصرون أكثر من مرة من خلال مؤتمراتهم واجتماعاتهم أنهم يريدون قارة أفريقيا نصرانية كاملة بحلول عام ٢٠٠٠م .

٣ - الاهتمام الكنسي العالمي المتزايد بأفريقيا ونشاط حركة البابوية في الوقت الراهن وخاصة بعد سقوط الشيوعية محاولة منها لملء هذا الفراغ والوقوف أمام حركة الدعوة الإسلامية ، حيث زار البابا عام ١٩٨٠م ، كلاً من زائير والكنغو وكينيا ، بوركينافاسو ، ساحل العاج ، وفي عام ١٩٨٢م ، زار الجابون ، وغينيا الاستوائية ، وبنين ، وفي عام ١٩٨٥م زار توجو ، وساحل العاج ، والكاميرون ، وجمهورية أفريقيا الوسطى ، وزائير ، وكينيا ، وفي عام ١٩٨٨م ، زار كلاً من زيمبابوي ، وموزمبيق ، وبتسوانا ، وليسوتو ، وسوزايلاند ، وجنوب أفريقيا(١) .

وفي عام ١٩٩٠م زار دولة تنزانيا ، وافتتح بعض الكنائس والمشروعات التنصيرية ، وحضر احتفالات النصارى بمناسبة مرور مائة عام على دخول النصرانية تنزانيا ، كما قام في عام ١٩٩١م ، بزيارة إلى السنغال ، وجامبيا ، وغينيا ، وحتى هذا العام ١٩٩١م ، تعتبر هذه الزيارة هي الزيارة الثامنة للبابا لأفريقيا منذ توليه مقاليد الأمر في الفاتيكان ، وهي الزيارة الرابعة والخمسون للبابا على المستوى الدولي ، وكما جاء في البيان الصادر عن الفاتيكان حول هذه الزيارة "إن البابا بهذه الزيارة يكون قد أمضى خارج الفاتيكان ٣٧٦ يوما و١٩ ساعة و٤٠ دقيقة ويكون قد اجتاز مسافة تعادل ٢٠ جولة حول الكرة الأرضية . وذكرت إذاعة الفاتيكان في معرض حديثها عن هذه الزيارة أن البابا بهذه

(١) حسن بن مكي ، المشروع التنصير في السودان ، ١٣٤ ، مطبوعات المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ١٩٨٩م .

الزيارة قد زار مائة دولة في القارات الخمس منها ٣٨ دولة في أفريقيا فقط، وقالت الإذاعة إن البابا منذ تولية المقاليد البابوية في عام ١٩٧٩م ، وهو مفرغ جل وقته للأعمال الدينية وبخاصة للكنائس في أفريقيا وآسيا ، هذا بخلاف ما قام به من زيارات بعد ١٩٩١م[١] .

كما زار في عام ١٩٩٣م السودان ، وأوغندا ، وكينيا ، وزار مؤخراً كلاً من لبنان ، وألبانيا ، وجمهورية البوسنة والهرسك ، وفي ٢٣/ذي القعدة ١٤١٨هـ - مارس ١٩٩٨م قام بزيارة لنيجيريا استمرت لمدة يومين على أمل أن يحقق مطامع الكنيسة الكاثوليكية في نيجيريا على حد وصف الإذاعة البريطانية لهذه الزيارة .

٤ - ازدياد النشاط التنصيري في كينيا خلال فترة العشر سنوات الأخيرة بكثافة ، حيث شهدت البلاد تدفق المزيد من المنظمات والجمعيات التنصيرية عليها . وخلال هذه الفترة قام الفاتيكان في عام ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٣م ، بتعيين وكيل له في مدينة (هومابي) الواقعة على بحيرة فكتوريا ، حيث درسوا (استراتيجية) المنطقة وموقعها . ورأوا أنها صالحة للقيام بنشاطاتهم ، إذ يمكنهم استقبال الذين يأتون من: تنزانيا، وأوغندا ، وبورندي ، ورواندا ، بسهولة[٢] .

كذلك شهدت هذه الفترة تنفيذ بنود الاجتماع السري لزعماء النصارى في كينيا المنعقد في ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، والذي استطاع أحد المسلمين معرفة خباياه من خلال تسلله إلى قاعة الاجتماع ، والذي كان من أهم بنوده تبني الخطوط الجديدة في عملية التنصير ، بحيث تكفل ضمان تنصير المسلمين وذلك من خلال نشر الأناجيل داخل بيوتهم واستخدام اسم عيسى بدل يسوع عند مخاطبتهم ، ودراسة الإسلام ومذاهبه ، وفرقه للوقوف على نقاط الضعف والاختلاف والاستفادة منها ، ودراسة المنظمات الإسلامية ونشاطها ومصادر تمويلها ، ومساعدة المتنصرين الجدد ونحو ذلك[٣] .

---

(١) مجلة الدعوة ، ص١٥ ، العدد ١٣١ ، وتاريخ ١٤١٢/٨/٢٤هـ .
(٢) مجلة البيان ، ص٩٨ ، العدد (٨٧) ، ذو القعدة ١٤١٥هـ ، مقال بعنوان : (جهود المنصرين في كينيا – أضواء على الخطط القائمة لاستئصال المسلمين ، خلفان خميس إسماعيل .
(٣) المصدر نفسه ، ص٩٧ – ٩٨ .

٥ - عدم وجود دراسات عميقة وكافية في هذا المجال تتناول أفريقيا أو كينيا بالتحديد ؛ إذ إن الموجود لا يتعدى إشارات متفرقة لدراسة التنصير أو الغزو الفكري في بعض البلدان مثل التبشير في بلاد الشام ، والغزو الفكري في إندونيسيا والخليج ونحو ذلك مع حاجة المنطقة الملحة لهذه الدراسة .

٦ - اختفاء التنصير خلف مسميات وحيل شتى قد تخفى على البعض، مما يتطلب دراستها وكشفها ومواجهتها.

*** تحديد مصطلحات الدراسة :**

أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام .

أساليب : جاء في اللسان(١): الأسلوب لغة هو: الطريق الممتد والوجه والمذهب ، والأسلوب بالضم بمعنى الفن والجمع أساليب .

ولم أعثر لها على معنى في الاصطلاح ، والمقصود بها هنا الطرق التي يتبعها المنصرون للصد عن الإسلام .

المنصرون : جمع منصر على وزن مفعّل ، بمعنى فاعل ، أي الذي يدعو إلى النصرانية ، ويعمل على إدخال الآخرين في دين النصارى .

وجاء في المعاجم اللغوية "نصرَّه تنصيرا جعله نصرانياً"(٢) ، وهو منصرِّ ، إذن فالكلمة مشتقة من المصدر (تنصير) .

وجاء في الحديث النبوي : "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه"(٣) .

والتنصير في الاصطلاح : هو حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة ، بهدف إحكام

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (سلب) ، ج١ ، ص٤٧٣ ، دار صادر بيروت .
(٢) مختار الصحاح ، الرازي ، مادة (نصر) ص ٣٨١ دار البشائر ، ١٤١٧/١٩٩٧ .
(٣) رواه البخاري في كتاب الجنائز ، باب (٧٩) إذا أسلم الصبي فمات ، حديث ١٣٥٨ ، ج٣، مع الفتح ، ص٢١٩ ، دار الفكر .

السيطرة على هذه الشعوب[١] .

ومن المفاهيم الحديثة للتنصير: هو زحزحة أكبر قدر من المسلمين عن دينهم والتمسك به على ألا يكون من الضروري اعتناقهم المسيحية[٢].

والمقصود به في هذا البحث هو إدخال الآخرين في النصرانية بشتى الأساليب والوسائل .

الصد : جاء في القاموس في مادة صدد ، (صدَّ) عنه يصُد بضم الصاد ، (صُدودا) أعرض ، وصده عن الأمر منعه وصرفه عنه من باب ردَّ[٣] .

وقد جاء ذكر الصد في الكتاب الكريم بهذا المعنى في عدة مواضع نذكر منها قوله تعالى: ﴿ **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا** ﴾[٤] ، وقوله تعالى: ﴿ **ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾[٥] .

وفي اللسان ؛ الصد: الإعراض والصدوف[٦] ، ولم يعرفه الجرجاني في كتابه ، كما لم أعثر له على معنى اصطلاحي على حسب اطلاعي ، والمقصود به هنا المنع والرد .

الإسلام : الإسلام لغة : الاستسلام والانقياد[٧] .

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان ولمذاهب المعاصرة ، ص١٥٩ ، الصادرة عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، ط ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، وانظر: مذكرة التنصير في أفريقيا ، ص٦ ، محمد أحمد حقار ، محاضرة مقدمة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

(٢) التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله ، ص١٦ ، الدكتور علي النملة ، ط ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

(٣) مختار الصحاح : مادة (صدد) ص٢٣٥ ، مرجع سابق .

(٤) سورة النساء ، الآية : ١٦٧ .

(٥) سورة المائدة ، الآية : ٩١ .

(٦) لسان العرب ، لابن منظور الأفريقي المصري ، ج٣ ، ص٢٤٥ ، دار صادر ، بيروت .

(٧) المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٢٩٣ .

واصطلاحاً : هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا[١] .

وكذلك هو : الاستسلام لله والخضوع والانقياد له بالعمل[٢] .

والمقصود به هنا الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق ونظام حياة .

* التعريف بالمنطقة محل الدراسة :

وهي دولة كينيا التي تقع في وسط أفريقيا من الناحية الشرقية وعاصمتها نيروبي تحدها من الشمال إثيوبيا والسودان ، ومن الغرب أوغندا ، ومن الجنوب والجنوب الغربي تنزانيا ، ومن الشرق الصومال والمحيط الهندي ، يبلغ عدد سكانها حوالي ٢٨مليون نسمة ، نسبة المسلمين منهم تراوح ما بين ٣٥ - ٤٠٪ و٣٨٪ بروتستانت و٢٧٪ كاثوليك[٣] .

تبلغ مساحتها ٥٨٠٣٦٧ كيلو متر مربع ، وأهم مدنها نيروبي العاصمة ، ثم ممباسا وماليندي ، وناكورو. اللغة الرسمية هي الإنجليزية، واللغة الشائعة المستخدمة هي السواحلية[٤] .

يخترقها خط الاستواء ، أهم تضاريسها جبل كينيا وجبل كلمنجارو ، وبحيرة فكتوريا في الغرب ، ورودلف في الشمال ، مناخها حار رطب على الساحل ، صحراوي في المناطق الشمالية ، ومداري جاف في الوسط، غائم لطيف في المرتفعات أغلب السنة[٥] .

---

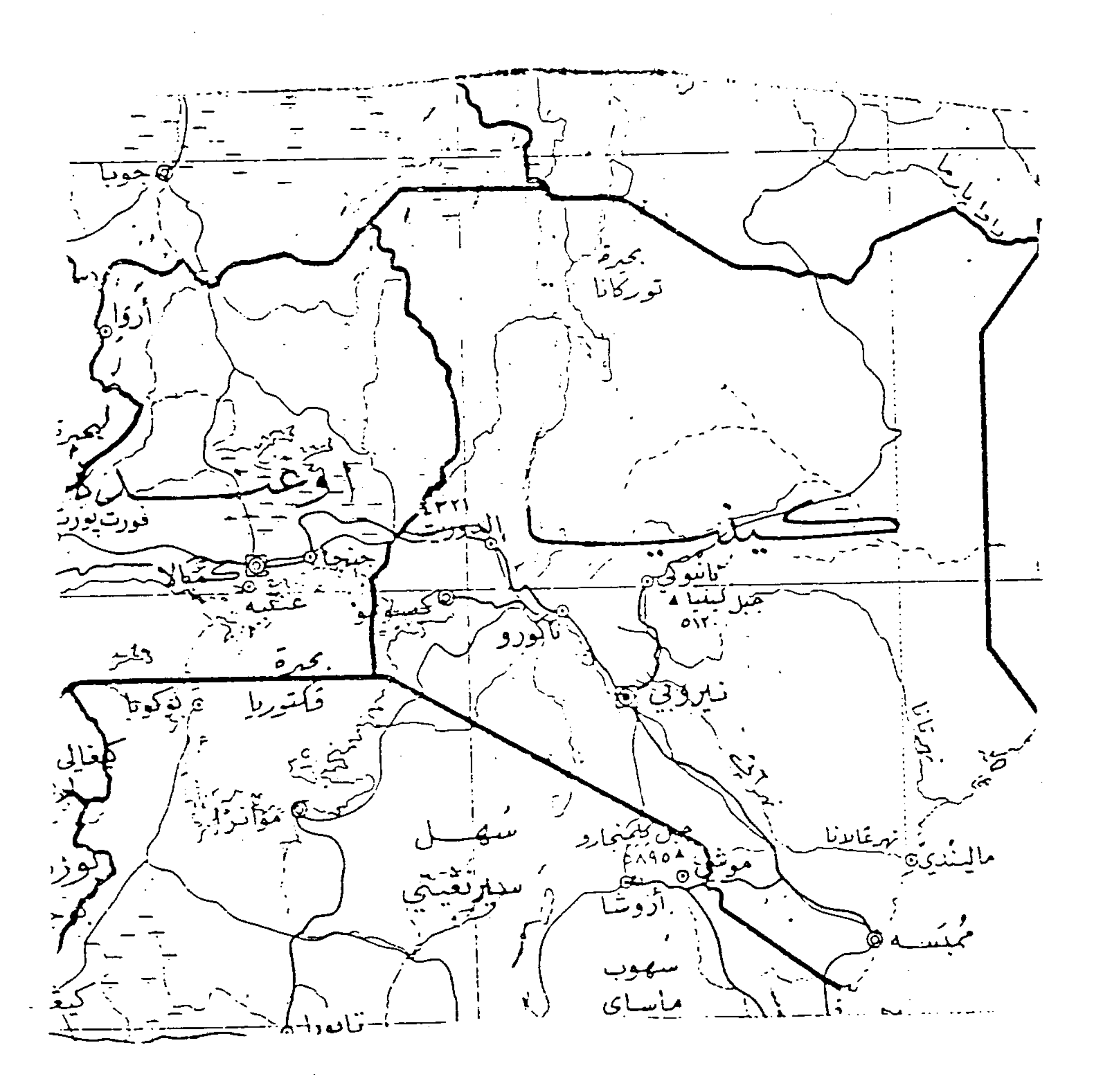
(١) الفتاوى لابن تيمية ج٧ ، كتاب الإيمان ، ص٦ ، ط ، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين .

(٢) لوامع الأنوار ، للسفاريني ، ص٤٢٩ ، ط٢ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م ، المكتب الإسلامي .

(٣) انظر رحلة خير في أفريقيا ، ص٧ ، د. السميط ، وكتاب المعلومات ، ص٥٥٩ ، وهذه الإحصائية فيها مبالغة في جانب عدد النصارى في البلاد حيث تذكر المصادر الإسلامية أن الوثنيين هم الأغلبية بما يقارب نسبة الـ ٥٠٪ . انظر: عبدالغفور البوسعيدي في مقابلة مع جريدة العالم الإسلامي عددها الأسبوعي ٦ - ١٤١٩/١٢هـ .

(٤) كتاب المعلومات ، ١٩٩٤/١٩٩٥ ، ص٥٥٩ ، مكتب الآفاق المتحدة ، الرياض .

(٥) المصدر نفسه ص٥٥٨ .



خريطة توضيحية لدولة كينيا

تمتاز كينيا منذ القدم بأنها ملتقى مجموعات وثقافات متنوعة ، فقد وصلت هناك مجموعات الكوشيت والبانتو قبل الميلاد . ثم ظهرت على شاطئها حضارة مركبة من البانتو والعرب العمانيين ، وتعرضت للغزو البرتغالي عام ١٥٤٨م ، ثم في عام ١٨٧٨م ، احتل البريطانيون الساحل ثم شمل الاحتلال البريطاني كل الأراضي الداخلية ، بما في ذلك أوغندا عام ١٨٩٥م ، وظلت البلاد تحت الاحتلال البريطاني حتى نالت استقلالها ، في ديسمبر من عام ١٩٦٣م(١) .

وجاء اختياري لدولة كينيا لتكون موضوعا لدراستي نظرا لموقعها المؤثر والحساس في منطقة شرق ووسط أفريقيا ، فهي مع اتصالها بالساحل في شرق القارة تمتد إلى الداخل في وسط القارة لتجاور خمس دول إفريقية هي الصومال ، وإثيوبيا ، والسودان ، وأوغندا ، وتنزانيا ، وتتصل من الغرب ببحيرة فكتوريا حيث منابع النيل ، كما لها اتصال بأفريقيا العربية شمال الصحراء عبر السودان ، مما جعل المنصرين يلقون بثقلهم فيها .

كذلك الاهتمام المتزايد للمنظمات الغربية والتنصيرية العالمية بهذه الدولة ، خاصة بعد النجاح الذي حققته حركة التنصير المكثفة في الستينات، وكذلك اعتبرت كينيا بمثابة الفاتيكان في أفريقيا وهي المسؤولة عن تصدير النصرانية لباقي الدول الأفريقية(٢) .

لهذه الاعتبارات حظيت كينيا برعاية خاصة ومركزة من قبل العالم النصراني ، واستبشروا خيرا بهذه النتائج ، ووثقوا أن تصبح نصرانية تماما مع طلوع فجر عام ٢٠٠٠م ، إن استمر الحال على هذا الوضع مما حدا بمجلس الكنائس العالمي أن يعقد مؤتمره الخامس في عاصمتها نيروبي عام ١٩٧٥م(٣) .

---

(١) انظر: كتاب المعلومات ، ص٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ط مكتب الآفاق المتحدة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
(٢) انظر: مجلة البيان ، ص٩٧ ، العدد (٨٧) ذو القعدة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
(٣) المصدر السابق ، ص٩٧ .

* الدراسات السابقة في الموضوع :

أولاً : الدراسات التنصيرية في العالم الإسلامي :

١ - الصراع الفكري في إندونيسيا وأثره في الدعوة الإسلامية :

رسالة ماجستير مقدمة في كلية الدعوة والإعلام ١٤١٠هـ ، من الباحث محمد إدريس عبدالصمد وتتكون الدراسة من تمهيد وثلاثة أبواب ، تناولت موضوع التنصير في مبحثها الأول من الفصل الأول من الباب الأول فقط ، فتحدثت عن حركة التنصير في إندونيسيا بإيجاز في فترة ما قبل الاستقلال ثم أثره بعده ، كذلك تحدثت الرسالة عن أساليب المنصرين في نشاطهم ومجالات عملهم ، أما أكثر الرسالة فكان يدور حول الغزو الفكري والأفكار المستوردة من علمانية وشيوعية ورأسمالية وديمقراطية وقومية وصهيونية ، وأثر هذه التيارات على الدعوة الإسلامية .

ثم في الباب الثالث : تحدث الباحث عن الفكر المنسوب للإسلام (كالشيعة ، والصوفية) وجهود الدعاة في مواجهة هذه الأفكار المنحرفة[١].

٢ - التنصير ووسائل الإعلام في إندونيسيا :

بحث مكمل لدرجة الماجستير مقدم في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة قدمها الباحث سهيري إلياس نور الدين ، والبحث يتكون من مقدمة وأربعة فصول تحدث الباحث في الفصل الأول عن التنصير في إندونيسيا ووسائله ، ثم تحدث في الفصل الثاني عن واقع الإعلام في إندونيسيا ، والفصل الثالث عن أثر التنصير على وسائل الإعلام وأهدافه وأشكاله المختلفة ، ثم الفصل الرابع تحدث عن موقف المسلمين من التنصير ، كما كشف الباحث عن خطط المنصرين للاستيلاء على وسائل الإعلام المختلفة مركزين على التلفاز كوسيلة فعالة ، وأنهم لما تم لهم ذلك استخدموه في أغراضهم التنصيرية الخبيثة ، مما كان له الأثر الكبير في زيادة نسبة المتنصرين في إندونيسيا زيادة كبيرة ، وتطرقت الدراسة إلى ذكر عدد من الإذاعات التنصيرية العالمية والتي لها فروع في

---

(١) بحث غير منشور .

معظم دول العالم فهي تناولت النشاط التنصيري من خلال وسائل الإعلام وأهملت الجوانب والوسائل الأخرى[١] .

٣ - التبشير في بلاد الشام :

وهي رسالة الماجستير المقدمة من الباحث عبدالرحمن الشهري عن (التنصير في بلاد الشام) في كلية الدعوة والإعلام ١٤٠٤هـ، حيث تناول الباحث تاريخ التنصير في المنطقة وعرض لأنشطة التنصير المعاصرة ، ولكنه اشتكى من عدم وجود المراجع والمصادر التي كتبت عن التنصير باللغة العربية وبيَّن افتقار المكتبة العربية لهذا النوع من المصنفات .

وتتألف الرسالة من خمسة فصول: الفصل الأول عن التبشير في لبنان ، وتطرق فيه للنشاط الكاثوليكي والأرثوذكسي والبروتستانتي ، والفصل الثاني: التبشير في سوريا ، الفصل الثالث: التبشير في الأردن ، وفي الفصل الرابع: التبشير في فلسطين ، وأخيراً الفصل الخامس: عن وسائل التنصير المستخدمة وهي: الطب والتعليم والمرأة، والاجتماعات، والإعلام ، وختمها بملحق للجداول والإحصاءات[٢] .

٤ - أصول التنصير في الخليج العربي :

وهي رسالة ماجستير للأمريكي كوني زيقلر ، والرسالة قدمت في جامعة برنستون الأمريكية عام ١٣٩٧هـ، وقد قام الباحث بجولة ميدانية في المنطقة تعرض فيها لنشاط البعثة العربية الأمريكية في الخليج التابعة للكنيسة الإصلاحية البروتستانتية (R.C.A) منذ عام ١٨٨٩م حتى انسحابها عام ١٩٧٣م الموافق ١٣٩٣هـ .

والرسالة جاءت في مقدمة وخمسة فصول تناول فيها نشاط البعثة في هذه المدة ، ففي الفصل الأول تحدث عن بداية نشاط البعثة ١٨٨٩ - ١٩١٤م ، وبين أن هدف البعثة بناء على خطتها الأصلية هو الدعوة إلى النصرانية في البلاد العربية باتخاذ عدة طرق ووسائل ، والفصل الثاني تحدث فيه عن نشاط البعثة في الفترة ١٩١٥ - ١٩٣٣م ، والفصل الثالث

(١) بحث غير منشور .
(٢) بحث غير منشور .

والرابع عن نشاط البعثة في فترة ما بعد البترول ١٩٣٣م - ١٩٧٣م ، ثم الفصل الخامس كان تقويما لنشاط البعثة في هذه المدة[١] .

ثانياً : دراسات تنصيرية في أفريقيا :

٥ - التبشير في القرن الأفريقي ومواجهته :

رسالة ماجستير مقدمة في كلية الشريعة بجامعة الإمام عام ١٤٠٢هـ من الباحث سيد أحمد حاج عبدالله والرسالة تتكون من تمهيد وثلاثة أبواب ، تحدث الباحث في الباب الأول عن الحملات التبشيرية للمنطقة وآثارها في القرن الأفريقي وخططهم من أجل العمل على توسيع رقعة التبشير وحجمه ، وفي الباب الثاني تحدث عن أساليب التبشير في مجالات السياسة والإدارة والتعليم ، ومجال العمل الاجتماعي ، وفي الباب الثالث تحدث عن مواجهة التنصير ، وتناول الباحث دور العلماء والدعاة في هذه المواجهة ، وكذلك دور المدرسة والمسجد ، ثم تطرق إلى جهود رابطة العالم الإسلامي ، والرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد في تنشيط هذه المواجهة ، ثم ختمها الباحث ببعض المقترحات لمعالجة المشكلة[٢].

٦ - التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل :

رسالة دكتوراه مقدمة في قسم التاريخ بجامعة القاهرة ١٩٧٨م قدمها الباحث د. إبراهيم عكاشة علي ، وهي دراسة تاريخية لفترة ما قبل الاستقلال (١٩٠٠ - ١٩٤٧م) تناول فيها النشاط التنصيري في إقليم جنوب السودان ودور المحتل في التنصير وفي دعم الكنائس ، وجاءت الرسالة في سبعة فصول تحدث معظمها عن خطط الاحتلال ودوره في نشر النصرانية في جنوب السودان ، ثم الفصل الأخير عن حركة التصدي الوطنية في تلك الفترة .

(١) بحث منشور باللغة العربية ترجمة مازن صلاح مطبقاني ، مكتبة ابن القيم ، المدينة المنورة ، ١٤١٠ - ١٩٩٠م .
(٢) بحث منشور ، دار العيرة للثقافة والنشر ، حدة ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

والرسالة عبارة عن سرد تاريخي لما كان يحدث أكثر من كونها تتعرض للحاضر ومعالجة مشكلة واقعية ، إذ اعتمد الباحث في مادته على الوثائق التاريخية[١] .

– ما توصلت إليه من الدراسات السابقة :

باستعراضنا للدراسات السابقة في الموضع نجد الفروق الآتية بينها وبين دراستي:

أولاً : دراستي تختص بدولة كينيا ، وهي تختلف عن تلك التي بحثت سابقا والتي تمثل الدراسة في مناطق متفرقة من العالم الإسلامي ، إذ إن بعض هذه الدراسات تناولت التنصير في مناطق مختلفة من حيث الظروف السائدة فيها مع المنطقة التي أبحث فيها .

ثانياً : دراستي تناولت التنصير من حيث كشف الأساليب المستخدمة والتي غالباً ما تتجدد بحسب الظروف والمعطيات ، ثم البحث في السبل الكفيلة بمواجهة هذه الأساليب ، بينما لم تكن هناك دراسة منفردة بهذا الجانب في دراسة من الدراسات السابقة وإن كان قد اتفقت معها في الإشارة إلى الأساليب والوسائل في سياق الدراسة العام لموضوع التنصير.

ثالثاً : دراستي تعتبر دراسة ميدانية عن أساليب التنصير في العصر الحاضر مع بعض الإشارات واللمحات لتاريخ التنصير في المنطقة وهي دراسة آمل أن تكون شاملة في مجالها ، بينما نجد أن بعض الدراسات السابقة ركزت على جوانب معينة : فالدراسة السادسة اقتصرت على الناحية التاريخية فقط .

والدراسة الأولى تحدثت عن الموضوع باعتباره أحد التيارات الفكرية الوافدة كالعلمانية والرأسمالية والشيوعية ، وكذلك نجد الدراسة الثانية تحدثت عن التنصير من خلال وسائل الإعلام فقط وأهملت الوسائل

---

(١) بحث منشور ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

والأساليب الأخرى ، وبعضها تناول مناطق عامة مما ينتج عنه تشتت الجهود وعدم التركيز وذلك كما في الدراسة الرابعة التي تناولت الخليج والجزيرة العربية .

وهذه الدراسات تعتبر جهودًا مقدرة وممتازة في مجالها ، وقد استرشد بها الباحث في دراسته لأساليب المنصرين المعاصرة في الصد عن الإسلام وكشفها والبحث في سبل مواجهتها ، والتي يأمل الباحث أن تضيف شيئا جديدا لسابقاتها من الدراسات التي أجريت تكملة لما لم يبحث، ولكي تضع الدعاة المسلمين أمام مسؤوليتهم تجاه دينهم وإخوانهم في العالم الإسلامي .

* مشكلة البحث :

بالنظر في واقع دولة كينيا ، ومن خلال متابعة الباحث لما يجري في المنطقة ولما ينشر ويكتب عنها في الجهات ذات الاهتمام بالدعوة الإسلامية تبين له أن هناك عاملا مهما كان له الأثر الكبير في إعاقة انتشار الإسلام في المنطقة ، وهو النشاط التنصيري المكثف الذي ألقى بثقله عليها .

وعليه فإن الباحث قد تمكن من تحديد مشكلة بحثه بأنها تهدف - إضافة إلى رصد تاريخ دخول النصرانية والإرساليات التبشيرية وموقفها من الإسلام والمسلمين في أفريقيا وكينيا بالذات - إلى تحقيق أمرين هما :

١ - الكشف عن أساليب النصارى التي يستخدمونها في الصد عن الإسلام وإعاقة حركة انتشاره في كينيا ، ومدى اهتمامهم بهذه الأساليب وحجم انتشارها في المدن الكينية الكبيرة .
٢ - البحث عن الأساليب والوسائل والطرق المناسبة لمواجهة النشاط التنصيري ومدى الاهتمام بها وحجم انتشارها رغبة في إفساح المجال للدعوة الإسلامية في المنطقة .

* تساؤلات البحث :

ولعل دراستي تجيب على التساؤلات الآتية من خلال شقيها النظري والعملي:

أولاً : الجزء النظري :

١ - متى دخلت النصرانية إلى أفريقيا وكيف تم ذلك؟
٢ - ما مدى استغلال المنصرين للمستعمرين في تحقيق أهدافهم؟
٣ - ما علاقة الإرساليات بالاحتلال في أفريقيا؟
٤ - ما موقف الإرساليات النصرانية من الوجود الإسلامي في المنطقة؟
٥ - ما موقف المسلمين تجاه الإرساليات التنصيرية؟

ثانياً : الجزء العملي :

٦ - ما أثر البعثات والزيارات البابوية في تنصير الأفارقة؟
٧ - ما مدى استغلال المنصرين للخدمات الطبية والعلاجية؟
٨ - ما أساليب المنصرين في إغراق المسلمين بمذاهب الانحلال والتفسخ؟
٩ - ما جهود المنصرين في محاربة اللغة العربية وإحياء اللهجات المحلية منعا لانتشار الإسلام؟
١٠- ما مدى استغلال المنصرين للظروف والكوارث الطبيعية وغير الطبيعية؟
١١-ما حجم نشاط المنصرين من خلال وسائل الإعلام ومؤسسات التعليم؟
١٢-ما الأساليب الأخرى التي يستخدمها النصارى في صد المسلمين عن دينهم؟
١٣-ما أبرز الجمعيات والإرساليات النصرانية العاملة في المنطقة وأساليبها؟
١٤-ما الجهود المبذولة من دعاة المسلمين ومن الهيئات والمنظمات الإسلامية العالمية والمحلية لمواجهة النشاط التنصيري في المنطقة؟
١٥-ما الخطط التي ينبغي على المسلمين اتباعها لكشف زيف وأباطيل الحركة التنصيرية في كينيا؟

* مجتمع الدراسة وعينته :

يتناول البحث الدراسة لأساليب المنصرين في دولة كينيا وطرق مواجهتها بحدودها المعروفة جغرافيا وسياسيا ، وهي المنطقة التي سبق التعريف بها في فقرة : التعريف بالمنطقة محل الدراسة .

وعليه يمكن تقسيم مجتمع الدراسة الذي شمله البحث إلى الفئات الآتية :

١ - الإنتاج التنصيري المسموع والمرئي والمكتوب الذي (يُستخدم في الصد عن الإسلام .

٢ - الأفراد الذين يقومون بهذه الجهود والذين يدعون لها ، والذين يشاركون فيها ، والذين يمهدون لها .

٣ - المؤسسات الإسلامية وإنتاجها والعاملون فيها ، والدعاة وإنتاجهم الذي يقومون به في سبيل مواجهة أساليب النصارى .

وتمت الدراسة في الفترة من (١٤١١هـ - ١٤٢٠هـ) الموافق (١٩٩١ - ٢٠٠٠م) وكان اختياري لهذه الفترة لأنها تمثل فترة خصبة في مجال العمل التنصيري في كينيا ، وشهدت تدفق المنظمات والجمعيات التنصيرية على البلاد بكثرة ، كما سبقت الإشارة إليه في الإحساس بالمشكلة البحثية .

وحيث إن مجتمع البحث يصعب حصره فقد استخدم الباحث أسلوب البحث بالعينة لصعوبة البحث الشامل .

* نوع البحث ومنهجه :

لما كان هذا البحث من البحوث الوصفية فإن أنسب المناهج له هو المنهج المسحي[١] ولما في منهج المسح من جهد علمي منظم للحصول على بيانات ومعلومات عن الظاهرة محل الدراسة حيث سعى الباحث عبر

---

(١) المسح واحد من المناهج الأساسية في البحوث الوصفية ، حيث يهتم بدراسة الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها في مجتمع معين بقصد تجميع الحقائق واستخلاص النتائج اللازمة لحل مشكلات هذا المجتمع ، انظر: أصول البحث العلمي ومناهجه ، ص٢٨٩ ، أحمد بدر ، ط٥، وكالة المطبوعات الكويتية .

جهد علمي منظم بذله للحصول على معلومات دقيقة وواضحة عن الأساليب التي استخدمها النصارى للصد عن الإسلام في كينيا وطرق مواجهتها في المدة من ١٤١١ - ١٤٢٠هـ ، وذلك من خلال الأساليب البحثية التالية :

١ - أسلوب مسح الجمهور :

وتم تطبيق هذا الأسلوب على العاملين في المؤسسات التنصيرية والدعوية ، ولتنفيذ هذا الأسلوب قام الباحث باستخدام أداة الاستبيان والمقابلة ، حيث تمت مقابلة بعض المسؤولين والعاملين في الجمعيات والهيئات الخيرية والدعوية ، والمراكز الإسلامية في المدن الكبيرة ، ومن لهم علاقة مع المنصرين بغية الحصول على معلومات منهم بالإضافة للمنصرين الذين أسلموا وكذلك استخدم الباحث الملاحظة العلمية المقننة لرصد كثير من أنشطة المنصرين وسلوكهم من خلال حضور الباحث ومتابعته لبعض أنشطتهم أثناء الزيارة الميدانية لكينيا .

٢ - أسلوب تحليل المضمون :

وتحليل المضمون كما عرفه بيرسلون : عبارة عن طريقة بحث يتم تطبيقها من أجل الوصول إلى وصف كمي هادف ومنظم لمستوى أسلوب الاتصال"[١] .

وعليه فإن الباحث طبق تحليل المضمون أو المحتوى على الإنتاج التنصيري المتمثل في المطبوعات والمنشورات والتقارير والوثائق من خلال الزيارة الميدانية للمنطقة ، وكذلك على إنتاج المؤسسات الإسلامية والدعوية وإنتاج الدعاة الذي يهدف إلى مواجهة النشاط التنصيري في كينيا.

كما أنني استخدمت المنهج التاريخي التحليلي لأنني درست تاريخ دخول النصرانية للمنطقة ، والأحداث التي تسبب في إيجادها الاحتلال لتحقيق أهدافه في المنطقة ولإنجاح خطته التنصيرية فيها .

---

(١) د. صالح بن حمد العساف ، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية ، ص٢٣٥ ، مكتبة العبيكان ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .

مصادر البحث ومراجعه :

يستقي هذا البحث معلوماته من مصادر ومراجع عدة، كانت موارد أصيلة لمادة البحث ، وقد قام الباحث بإجراء مسح شامل لما توفر له منها سواء كانت كتباً عربية ، أو أجنبية ، أو مقالات في الدوريات والمجلات والصحف ، أو نشرات ووثائق ، أو مصادر شفهية كما في المقابلة ، أو مكتوبة من خلال الاستبيان ، وقد استخدم الباحث الاستبيان والمقابلة للحصول على المعلومات التي لم تكن متوفرة في المصادر الأخرى ، إذ قام الباحث بإجراء عدد من المقابلات بهدف جمع المعلومات عن مادة البحث ، وقد كانت لدى الباحث أسئلة مكتوبة ومعدة سلفاً تلقى على المبحوث فيجيب عليها ويقوم الباحث بتسجيلها عبر جهاز للتسجيل . أو يدونها في دفتر كما كان يرغب بعض المبحوثين في ذلك .

كذلك قام الباحث بإجراء استبانة[1] شملت نوعين من الأسئلة : أسئلة مقيدة ؛ وهذه كانت تحتاج من المبحوث إلى إجابات محددة . وأخرى مفتوحة كان يجيب عليها المبحوث بحسب رأيه .

وقد تم اختيار عينات الدراسة على أساس علاقتهم بالعمل الدعوي والإسلامي سواء كانوا يقومون بذلك بجهودهم الفردية أو ممن ينتسبون إلى مؤسسات إسلامية ودعوية ، بالإضافة إلى المسئولين في مجال الشئون الدينية بالبلاد ومن لهم علاقة بالمنصرين ، والقساوسة الذين أسلموا .

ولتنفيذ ذلك قام الباحث بزيارات ميدانية وجولات في عدد من مناطق ومدن كينيا شملت مدن نيروبي ، وممباسا ، قاريسا وتاناريفا .

هذه هي مجمل المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث ، وقد أثبتها الباحث مفصلة في نهاية الصفحات بدءاً باسم المرجع والكتاب ، فصفحة المادة المستفادة ثم اسم المؤلف ، فالطبعة عدداً ، وداراً وسنة ، ومكاناً ، أما إن كانت مقابلة فيتم الإشارة إليها أيضاً باسم من تمت مقابلته

---

(١) والاستبانة هي وسيلة للحصول على إجابات عن عدد من الأسئلة المكتوبة في نموذج يعد لهذا الغرض ويقوم المجيب بملئه بنفسه ، انظر: سين وجيم عن البحث العلمي ، ص١٠٦ ، طلعت همام .

وصفته ، ومكان المقابلة ، والتاريخ . ويأتي ذكر اسم المرجع في نهاية الصفحة بعد ترقيم نهاية النص المنقول أو المتصرف فيه برقم متوافق مع المرجع ، كما تم إدخال النص المنقول حرفياً بين علامتي تنصيص "........" كما تم أيضاً وضع الكلمات الشارحة والموضحة في بعض المواطن بين قوسين أو شرطتين .

تقسم البحث :

جاء هذا البحث في بابين تسبقهما مقدمة وتعقبهما خاتمة .

المقدمة :

تناولت موضوع البحث ، وأهميته ، والإحساس بالمشكلة البحثية ، وأسباب اختيارها ، والتعريف بمصطلحات عنوان الدراسة وقيودها ، وأهم الدراسات السابقة في الموضوع ، وتساؤلات البحث ، ومنهج البحث ومصادره ومراجعة ، وتقسيم البحث ، والصعوبات التي واجهت الباحث في بحثه ، وفي الختام الشكر والعرفان .

الباب الأول :

وهو بمثابة القسم النظري من الدراسة ، وقد اشتمل على فصلين:

الفصل الأول : حول دخول الإسلام إلى أفريقيا وواقع الدعوة الإسلامية هناك، وفيه أربعة مباحث ، كان المبحث الأول منها عن التعريف بالمنطقة محل الدراسة ، والذي شمل التعريف بقارة أفريقيا ثم التعريف بدولة كينيا من حيث الموقع الجغرافي ، والظروف المناخية والطبيعية ، والتركيبة السكانية وما يتعلق بها من أنشطة اقتصادية ونحو ذلك . أما المبحث الثاني فكان عن دخول الإسلام إلى أفريقيا وانتشاره في ربوعها عبر قنواته المختلفة سواءً كان ذلك عن طريق الفتح الإسلامي، أو نشاط التجار والدعاة ، أو عبر الممالك والدول الإسلامية التي ظهرت في مختلف مناطق القارة ، وجاء المبحث الثالث حول دخول الإسلام إلى

كينيا والذي كان في غالبه عن طريق الهجرات العربية الإسلامية التي قصدت منطقة الساحل الأفريقي وشرق أفريقيا ، بينما جاء المبحث الرابع عن واقع الدعوة الإسلامية في كينيا وأحوال المسلمين هناك .

وجاء **الفصل الثاني** من الباب نفسه حول دخول النصرانية إلى أفريقيا وعلاقتها بالاحتلال ، وقد تضمن خمسة مباحث مسبوقة بتمهيد ، حيث تحدث المبحث الأول عن دخول النصرانية إلى أفريقيا عبر مراحلها التاريخية المختلفة ، وتحدث المبحث الثاني والثالث عن دخول النصرانية إلى كينيا وعلاقتها بالاحتلال عبر دعمه للإرساليات التنصيرية الأوروبية . بينما دار الحديث في المبحث الرابع حول موقف الإرساليات التنصيرية من الوجود الإسلامي في كينيا . أما المبحث الخامس فكان عن موقف المسلمين في كينيا تجاه المد التنصيري وجهودهم في مواجهة تلك الحملات التنصيرية الاستعمارية التي استهدفت عقيدتهم وبلادهم .

الباب الثاني :

وهذا الباب يمثل القسم العملي أو الدراسة الميدانية من البحث وجاء متضمناً لأربعة فصول على النحو التالي :

الفصل الأول :

وهو بعنوان : الإرساليات والجمعيات الكنسية العاملة وأساليبها وفيه ثلاثة مباحث ، تحدث المبحث الأول منها عن الإرساليات والجمعيات الكاثوليكية وأساليبها في التنصير بينما تحدث المبحث الثاني عن الإرساليات والجمعيات البروتستانتية وأساليب عملها ، أما المبحث الثالث فخصص للحديث عن نشاط المجلس الكنسي الوطني الكيني .

الفصل الثاني :

جاء هذا الفصل تحت عنوان (أساليب المنصرين المباشرة) ويحتوي على أربعة مباحث، المبحث الأول منها كان حول جهود القسس التنصيرية المباشرة في الأماكن العامة وداخل الكنائس ، أما المبحث الثاني فتحدث عن الحملات التنصيرية المدعومة من قبل المؤسسات ودورها في دعم

الوجود النصراني وتغذيته في كينيا ، كما تناول المبحث الثالث الرحلات والزيارات البابوية لأفريقيا وكشف أثرها المباشر في دعم الوجود النصراني هناك خاصة الكنيسة الكاثوليكية ، وأخيراً المبحث الرابع الذي أشار إلى بعض الأساليب الأخرى المتفرقة التي تمارسها بعض الكنائس والجهات التنصيرية .

الفصل الثالث :

يتكون هذا الفصل من ستة مباحث ، وكان يدور حول أساليب المنصرين غير المباشرة التي استخدمت في تنصير الكينيين ، والتي شملت الخدمات الطبية والعلاجية ، ونشر الانحلال والتفسخ والاختلاط ، ومحاربة اللغة العربية ، والإغاثة واستغلال الظروف والكوارث الطبيعية ، والسيطرة على وسائل الإعلام ومؤسسات التعليم وغير ذلك .

الفصل الرابع :

وهو الفصل الأخير في البحث ، وجاء الحديث فيه عن كيفية مواجهة أساليب المنصرين والجهود المبذولة في ذلك ، حيث تضمن أربعة مباحث تناولت جهود الهيئات والمنظمات الإسلامية الخارجية ، ثم ثانياً جهود المنظمات والهيئات والمؤسسات الإسلامية الداخلية ، ثم الجهود الفردية للعلماء والدعاة في مواجهة التنصير ، وأخيراً في المبحث الرابع دار الحديث حول الجهود المقترحة التي رأى الباحث ضرورة الأخذ بها استكمالاً للجهود المبذولة حالياً للوصول إلى نتيجة مرضية في مواجهة الجهود الضخمة التي يبذلها النصارى ومؤسساتهم .

ثم ختمت الدراسة بخاتمة تضمنت خلاصة نتائج البحث التي توصل إليها الباحث من دراسته . كما تم تزويد البحث بفهارس للمصادر والمراجع مرتبة حسب الترتيب الأبجدي لأسماء الكتب وعناوينها، إضافة إلى فهرس للأعلام والأماكن الواردة في الدراسة دون فهرس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية نظراً لقلة ورودها. وأضيف إلى ذلك فهرس لموضوعات البحث ، وذلك تيسيراً على القارئ لهذا البحث ولتمكينه من مطالعة صفحاته وجزئياته بسهولة ويسر .

الصعوبات التي واجهت البحث :

- لقد أدرك الباحث منذ البداية أن مهمته ليست سهلة ، وذلك لسعة ميدان النشاط التنصيري في أفريقيا عموماً وفي كينيا خصوصاً ، وتعدد أساليبه ووسائله وكثرة جنوده وأعوانه في الداخل والخارج ، وعظم إمكانياته المادية والمعنوية ، حيث تسنده حكومات كبرى كثيرة بكل قواها وهيئاتها ومنظماتها الدبلوماسية والكنسية ، وبأموالها الطائلة المتدفقة على عملائها في تلك الديار ، الأمر الذي جعل القيام بمثل هذه الدراسة مهمة في غاية الصعوبة .
- مع تنوع مصادر البحث ومراجعه التي كتبت عنه في المنطقة محل الدراسة إلا أنها كانت كلها باللغات الأجنبية واللهجات المحلية الأخرى مما زاد البحث صعوبة وتعقيداً نظراً لانعدام الكتابات باللغة العربية في المجال نفسه .
- كذلك خلو المكتبة العربية من أي دراسات وافية تتناول حاضر المسلمين في كينيا ودورهم الحضاري والثقافي في شرق أفريقيا .
- الزيارة العلمية التي قام بها الباحث إلى المنطقة ، صاحبتها عِدة عقبات ومشكلات ، بدءاً من طلب الحصول على تأشيرة الدخول الذي رفض أكثر من مرة عبر سفارة دولة كينيا في الرياض ثم عبر سفارتها في الخرطوم مما اضطر الباحث لطلبها عبر الوسطاء . هذا بالإضافة إلى التكاليف المادية الأخرى مثل تذاكر السفر والإقامة والإعاشة والنفقات المباشرة لجمع المادة العلمية التي تحملها الباحث جميعُها .
- اعتماد أكثر مادة البحث على الحركة الميدانية والزيارات والمقابلات والتنسيق مع بعض الأفراد الذين لهم مشاغلهم وارتباطاتهم .
- صعوبة المواصلات ووعورة الطرق والمسالك وانعدام الأمن في بعض مناطق الانتشار النصراني المكثف الأمر الذي لم يمكن البلحث من الوصول إليها .

- كل هذه العوائق والعقبات جعلت الباحث يجد عناء ومشقة في إجـــراء هذه الدراسة إلا أنه بتوفيق الله عز وجل استطاع أن ينجز بحثه الــذي يرجو له من الله تعالى القبول وأن يكون إضافة جديدة إلـــى المكتبـــة الإسلامية .

شكر وتقدير :

وبعد ، فالشكر لله تبارك وتعالى على توفيقه لإتمام هذا البحث ، والحمد لله سبحانه وتعالى خالق الأرض والسماوات ، والذي بنعمته تتم الصالحات ، ولما كان شكر المنعم عز وجل من أوجب الواجبات فإنه يتضاعف وتعظم ثمرته بشكر الناس ، كما قال ﷺ فيما رواه عنه أبو سعيد رضي الله عنه " إن اشكر الناس لله عز وجل أشكرهم للناس"(١) ، وقوله ﷺ "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"(٢) .

وامتثالاً لهذا التوجيه النبوي الكريم أتقدم بالشكر الجزيل للملكة العربية السعودية حكومة وشعباً وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود على ما يقومون به من جهد عظيم لخدمة الإسلام والمسلمين ، ونشر لعقيدته الصافية ودعوته الحقه في مختلف أنحاء المعمورة ، وقد أتاحت لي شخصيا هذه الدراسة فرصة للاطلاع على كثير من تلك الجهود المباركة خاصة في أفريقيا .

والشكر الجزيل كذلك لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ذلك الصرح الذي لا تغرب عنه الشمس ، فكلما تشرق الشمس في ركن من أركان الأرض تشرق معاهدها وكلياتها بنور العلم الساطع ، الذي يهدي إلى الطريق الحق . والشكر موصول للقائمين على أمرها وإدارتها فجزاهم الله خيراً . كما أزجي الشكر على القائمين على إدارة كلية الدعوة والإعلام ، وأخص بالشكر عميدها السابق فضيلة الأستاذ الدكتور/ حمد بن ناصر العمار وكيل الجامعة لخدمة المجتمع والتعليم المستمر حالياً ، وعميدها الحالي فضيلة الدكتور عبدالله الحمود ، ووكيل الكلية للدراسات العليا والبحث العلمي فضيلة الدكتور/ سليمان الحبس على ما بذلوه وما زالوا في سبيل خدمة العلم وطلابه ، فأتاحوا لنا المجال لمواصلة تعليمنا العالي على يد نخبة من الأساتذة الأجلاء فلهم كل التقدير والاحترام .

---

(١) مسند أحمد : ٥٨/٢ ، ٢٩٥ ، ٣٠٢ ، حـ٢١٢/٥ .
(٢) أبوداود : ٢٥٥/٣ ، أحمد ٢٥٨/٢ .

كما أخص بالشكر شيخي وأستاذي الجليل فضيلة الأستاذ الدكتور حسين محمد محمود عبدالمطلب الأستاذ بقسم الدعوة بالكلية والمشرف على هذه الرسالة ، الذي لم يألوا جهداً في مساعدتي وتقويمي ، وذلك من خلال توجيهاته القيمة التي أدت إلى ظهور هذا البحث في شكله الحالي ، والذي فتح لي بيته ومكتبه ، وقبل ذلك قلبه ، حيث كان يتابع ما يتم إنجازه من مباحث وفصول أولاً بأول الأمر الذي كان له أكبر الأثر في تشجيعي على إكمال هذه الرسالة في أقل من الوقت المطلوب . وقد لمست حرصه وتشجيعه هذا معي ومع زملائي الآخرين الذين يشرف عليهم ، فجزاه الله عنا خير الجزاء وبارك له في علمه وعمله وولده ، ونفع به إنه سميع مجيب .

والشكر أيضاً للقائمين على أمر المؤسسات الإسلامية المختلفة في كينيا ، لما قدموه من دعم وتشجيع للباحث أثناء الدراسة الميدانية لهذا البحث .

والشكر والدعاء لوالدي الكريمين ، سائلاً المولى عز وجل أن يجزيهم عني خير الجزاء ، وأن يحفظهما ويبارك لهما في أعمارهما .

والشكر أيضاً للمناقشين الكريمين الذين قبلا قراءة البحث ومناقشة الباحث وتقويمه فيما كتبه . وإنني لأمل أن أجد في نقد وتقويم أساتذتي الكرام لهذا العمل كثيراً مما يفيد البحث ويؤدي إلى تقويته وإنضاجه .

وفي الختام يبقى هذا الجهد كغيره من أعمال البشر التي يعتريها النقص والتقصير فما كان فيه من صواب فبتوفيق الله تعالى ، وما فيه من نقص وخطأ وزلات فمن نفسي ومن الشيطان ، وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحث

١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

الباب الأول

القسم النظري

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : دخول الإسلام إلى أفريقيا وواقع الدعوة الإسلامية هناك .

الفصل الثاني: دخول النصرانية إلى أفريقيا وعلاقتها بالاحتلال .

الفصل الثالث: الإرساليات والجمعيات الكنسية العاملة وأساليبها .

الفصل الأول

دخول الإسلام إلى أفريقيا وواقع الدعوة الإسلامية هناك

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : التعريف بالمنطقة محل الدراسة.

أ - التعريف بالقارة الأفريقية .

ب - التعريف بدولة كينيا .

المبحث الثاني : دخول الإسلام إلى أفريقيا .

المبحث الثالث : دخول الإسلام إلى كينيا .

المبحث الرابع : واقع الدعوة الإسلامية في كينيا .

المبحث الأول
التعريف بالمنطقة محل الدراسة

أ - التعريف بالقارة الأفريقية .

ب - التعريف بدولة كينيا .

المبحث الأول

التعريف بالمنطقة محل الدراسة

أ - التعريف بالقارة الأفريقية

منشأ اسم أفريقيا ومعناه :

تدعى أفريقيا بالعربية ، أفريقيا من كلمة " فرَقَ" التي تقابل معنى الكلمة اللاتينية (Separarit) . والرأي حول هذه التسمية يرتكز على أن هذا الجزء من العالم ينفصل عن أوربا وعن جزءٍ من آسيا بواسطة البحر الأبيض المتوسط(١) .

وهناك رأي آخر يرى بأن هذا الاسم مشتق من أفريقيوس ملك بلاد العرب السعيدة (اليمن) باعتباره أول من سكن تلك المنطقة بعد هزيمته من قبل الآشوريين وطرده من بلاده حيث عبر النيل على عجل واستقر في منطقة قرطاجة ، وكان العرب يطلقون اسم " أفرى" على سكان هذه المنطقة . والعرب كانوا يقصدون بأفريقيا منطقة قرطاج وضواحيها (أي تونس الحالية) ثم بعد ذلك تم تعميم الاسم على كل منطقة يتم اكتشافها إلى أن عمت القارة كلها بعد ذلك بهذا الاسم(٢) .

موقع أفريقيا وحدودها :

تقع أفريقيا وسط قارات العالم وتمتد من رأس الرجاء الصالح ومضيق ماجلان في الجنوب حتى شواطئ البحر الأبيض المتوسط شمالاً، وتمتد شرقاً ما بين البحر الأحمر والمحيط الهندي حتى جبال أطلس والمحيط الأطلسي غرباً . إذن فهي تنحصر بين درجتي عرض ٢١َ ر٣٧ْ

---

(١) وصف أفريقيا ، ص ٣٥ ، الحسن بن محمد الوازن (ليون الأفريقي) ، ترجمة عبدالرحمن حميدة ، نشر جامعة الإمام ١٣٩٩هـ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٥ .
انظر: تاريخ أفريقيا ، ص٥ ، شارل جوليان ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٦٨م .

شمالاً و ٣٥° جنوباً ، وتتصل بقارة آسيا من الشمال الشرقي عبر شبه جزيرة سيناء ، وبأوربا عبر مضيق جبل طارق .

المساحة والسكان :

تبلغ مساحة أفريقيا (٣٠) مليون كيلو متر مربع ، ويبلغ متوسط ارتفاعها عن سطح البحر ٥٨٠ مترا . وأقصى امتداد لها من الشمال إلى الجنوب يبلغ ٧٩٨٠ كيلو متر. وأقصى امتداد من الشرق إلى الغرب ٧٦٧٥ كيلو متر . وهي تعتبر ثاني القارات من حيث المساحة في العالم ، ويبلغ طول سواحلها ٢٥٦ر٣٠ كيلو متر . يبلغ عدد سكان القارة (٦٧٧) مليون نسمة بكثافة ٤ر٢٢ نسمة لكل كلم٢ ، يدينون بالإسلام والنصرانية والوثنية ، ويبلغ عدد اللغات التي يتحدثونها ما بين ٦٠٠ - ٨٠٠ لغة ولهجة محلية[١].

تضاريس أفريقيا :

تتميز القارة الأفريقية بأن معظمها يتكون من هضبة واسعة أو درع صلب قديم يمتد من جنوب سلاسل الأطلسي إلى سلاسل الكاب جنوباً ، ومن ساحل غانا في الغرب إلى الصومال في الشرق[٢] .

أهم مظاهر السطح :

يتسم سطح أفريقيا بالتناقضات الواضحة في مظهره ، ورغم أنها لا تتميز بوجود إلتواءات جبلية حديثة إلا في أقصى الشمال الغربي والجنوب، فإنها لا تخلو من بعض القمم المرتفعة والهضاب العالية مثل هضبة تبستي في الصحراء الكبرى التي ترتفع إلى ٣٧٠٠ متر ، كما ترتفع هضبة دارفور في جنوب غرب السودان إلى ٣٣٠٠ متر ، كما كان للنشاط البركاني في القارة دور في وجود بعض الكتل العالية ، ولعل في جبل

---

(١) كتاب المعلومات ، ص ٨١٩ ، مكتب الآفاق المتحدة ، ١٩٩٥/٩٤م ، ط ،، الرياض .
(٢) أفريقيا - دراسة شخصية الأقاليم ، ص ٢٥ ، محمد عبدالغني سعودي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة .

الكاميرون (٤٤٥٠) مترا ، مثالاً على ذلك ، حيث يمثل بركاناً مازال يتميز بالنشاط الحاضر ، وكذلك يزيد ارتفاع الصخور البركانية في أثيوبيا على ٥٠٠٠ متر . وإلى الجنوب من خط الاستواء توجد عدة كتل جبلية في شرق القارة يعلو كل منها على ٤٣٠٠ متر ، ومعظمها بركاني الأصل، ومنها جبل كلمنجارو الذي يعد أعلى قمة في أفريقيا حيث يصل إلى ٦٤٠٠ متر ، وكذلك تغطي الطفوح البركانية دراكنزبيرج في ليسوتو ويصل أقصى ارتفاع لها إلى ٣٨٠٠ متر(١) .

ونتيجة للصفة الهضبية هذه ، والتي تعتبر سمة مميزة لأفريقيا فإن سهولها الساحلية تبدو ضيقة وربما تكون هي القارة الوحيدة التي تنفرد بهذه الظاهرة(٢) .

ويتميز سطح أفريقيا بالأحواض الضخمة مثل منخفض الجوف في غرب الصحراء الكبرى وشمال موريتانيا والذي يصل منسوب الأجزاء الوسطى منه إلى أقل من ٢٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر ، وحوض تشاد وغيره . كما تسير الأنهار الرئيسية في القارة في الأحواض الكبرى ، ويميل التصريف نحو الاتجاه إلى مركز كل حوض . وتتمثل النظم النهرية الكبرى في القارة في أحواض النيل - وهو يعتبر أطول نهر في العالم ٦٠٠٠ كيلومتر - وحوض الكنغو والنيجر والزامبيزى والأورانج(٣) .

المناخ والأقاليم النباتية :

١ - المناخ :

يتأثر مناخ أفريقيا بموقعها الجغرافي تأثراً مباشراً ، وذلك نظراً لوقوعها بين المدارين (مدار الجدي ، ومدار السرطان) وتوسطها لخط

(١) جغرافية أفريقيا ، ص ٨٤ ، فتحي محمد أو عيانة ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٧م .
(٢) أفريقيا ، ص٢٧ ، عبدالغني سعودي ، مرجع سابق .
(٣) المصدر السابق ، ص ٨٦ ، ٩٠ .

الاستواء ، وكان لهذا أثره في تناظر الأقاليم المناخية والنباتية في شمال وجنوب القارة إلى حدٍ كبير(١) .

وكان لخلو القارة من سلاسل جبلية طولية أثر كبير في اتجاه التيارات الهوائية دون عوائق أمامها ، ولذلك كان التغيُّر المناخي تدريجياً من إقليم لآخر بصورة كبيرة ، بل إنه في بعض المناطق يكون من الصعب تحديد حدود الأنواع المناخية بدقة ، ومن ناحية أخرى أدى ارتفاع سطح أفريقيا الجنوبية التي تبدو على هيئة هضبة مرتفعة خاصة في الشرق والجنوب إلى اعتدال درجة الحرارة المحلية وكان ذلك السبب في الواقع وراء تفضيل البيض للسكن في هذه المناطق(٢) .

ويتأثر مناخ أفريقيا كذلك بالضغط الجوي وحركة الشمس الظاهرية وبالتيارات البحرية على السواحل الشرقية والغربية ؛ ففي غرب القارة يتمركز تيار كناري البارد ، وفي الساحل الجنوبي الغربي كذلك تيار أنجولا البارد . بينما نجد في الساحل الشرقي تيار موزمبيق الدافئ .

أما من حيث الحرارة فتعتبر أفريقيا أكثر القارات حرارة بكل المقاييس . فهي على سبيل المثال القارة الوحيدة التي لا يمر بها خط الحرارة المتساوي ١٠ْم ، وتسجل محطة كيب تاون في أقصى الجنوب متوسطاً لحرارة يوليو (الشتاء) قدره ١٤ْم . بينما تسجل الجزائر أقصى الشمال متوسطاً ليناير ١١ْم . وتصل درجة الحرارة أحياناً إلى ٥٨ْم ، كما في الصحراء الليبية . والمدى الحراري في أفريقيا عموماً يعتبر منخفضاً – وليس هناك ذبذبات في الحرارة مما يعطي جواً مناسباً للنبات حيث يضمن له نمواً طول السنة – فمثلاً نجده في الكنغو يصل إلى ٥ْم أو أقل(٣) .

أما الأمطار فهي عكس درجة الحرارة متذبذبة من عام إلى آخر ففي بعض الأعوام تأتي أمطار كثيرة تسبب الفيضانات المدمرة ، بينما تشهد

---

(١) انظر : أفريقيا ، ص ٣٠ ، عبدالغني سعودي ، مصدر سابق.
(٢) انظر: جغرافية أفريقيا ص٩٩ ، أبوعيانه ، مصدر سابق .
(٣) المصدر نفسة ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .

بعض الأعوام جفافاً قاتل . ولذلك تعتبر مشكلة التنمية الزراعية في أفريقيا هي مشكلة ضبط الماء ، أي الصرف والتحكم في الفيضانات حين يـــزداد المطر ، والتخزين حين تكون الأمطار معتدلة أو قليلة ، لمواجهة الســنين العجاف[١] .

فلذلك تتعدد الأقاليم المناخية في القارة بين مناخ صحراوي ومنـــاخ معتدل دافـء ، ومناخ مداري مطير ، ومناخ المرتفعات المعتدل الممطر .

٢ ـ الحياة النباتية في القارة :

يظهر أثر العامل المناخي واضحاً في النباتات الطبيعية في أفريقيـا ، ويتجلى هذا في أن النباتات الصحراوية تغطي نحو ٣٩% مـــن مســاحة القارة ، وذلك لغلبة الظروف الصحراوية[٢] ؛ وتحتل الحشائش والنباتـــات شبه الجافة ٤٠% ، بينما تمثل الغابات ٢١% من مساحة القارة[٣] . وتنقسم هذه الغابات إلى غابات مدارية مطيرة مخضرة طول العام وكثيفة يصـــل ارتفاعها إلى ٤٠ أو ٥٠ مترا ، منتشرة فـــي الإقليـــم الاســـتوائي وأهـــم أشجارها شجرة المهوجني والأبنوس- وهي مصدر هام للأخشاب الصلبة-، والقسم الآخر هو غابات المـــانجروف أو غابـــات المســـتنقعات ، وأهـــم أشجارها التك . أما النوع الثالث : وهو غابات المرتفعات وتغطي نحو ٢٥ مليون فدان معظمها في أثيوبيا ومرتفعات شـــرق أفريقيـــا كجبـــل كينيـــا وكلمنجارو ، وهي مصدر للأخشاب اللينة[٤] .

السلالات والشعوب الأفريقية :

تسكن أفريقيا عدة سلالات لعل أقدمها جميعاً هي تلك السلالات التـــي تعيش في مناطق منعزلة من القارة ، ممثلـــة فـــي الأقـــزام ؛ والبوشـــمن

(١) انظر: أفريقيا ، ص٣٢ ، ٣٣ ، محمد سعودي ، مرجع سابق .
(٢) تضم أفريقيا أكبر صحراء في العالم وهي الصحراء الكبرى .
(٣) المصدر السابق ، ص٤٥ .
(٤) المصدر السابق ، ص٤٧ ، ٤٨ .

والهتنتوت (الخويصان) ثم الزنوج ، ثم القوقازيون بشقيهم الحامي والسامي[١] . نذكرها بشيء من التفصيل على النحو التالي :-

الأقزام :

وهو كما يدل الاسم قصار القامة ، إذ لا يتجاوز عندهم الطول ١٣٠سنتيمتراً ، ويعيشون في داخل الغابة الاستوائية ، ومنطقة شمال غرب الكنغو ، وجنوب غرب أوغندا ، وغرب القارة . ويمتهنون الصيد والقنص وجمع الثمار[٢] .

البوشمن والهتنتوت :

وهم ما يعرف بشعب " الخويصان " وينحصر وجودهم في صحراء كلهارى ، وهم أطول قامة من الأقذام بشيء قليل . ويعيشون على الصيد ويفضلون العزلة على الاختلاط بالآخرين . أما الهتنتوت فهي مجموعة ارتبط اسمها بالبوشمن لشبههم الكبير بهم إلا أنهم يعيشون على رعي الأبقار[٣] .

الزنوج :

وهم أكبر مجموعات أفريقيا ويشكلون حوالي ٦٠ - ٧٠% من سكان القارة ، وثلاثة أرباع الجنس الزنجي في العالم وينقسمون إلى عدة مجموعات[٤] على النحو التالي :-

١ - الزنوج الحقيقيون أو السودانيون :

ويوجدون في أفريقيا الغربية فيما بين نهر السنغال والكاميرون ، وطول سواحل غينيا ، ويتميزون بالبشرة السوداء وطول القامة والشعر المفلفل والأنف الأفطس والشفاه الغليظة . كانت لهم ممالك قوية في القارة،

(١) انظر: جغرافية أفريقيا الإقليمية ، ص١١٧ ، جودة حسنين جودة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨١م .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٨ .
(٣) الجغرافيا الاجتماعية لأفريقيا ، ص ١٩ - ٢٠ ، انتوني سيرالي ، دار النهضة .
(٤) المصدر السابق ، ص١١٩ .

كالأشانتي في غانا ، واليوربا في نيجيريا . ويقوم اقتصادهم على الزراعة، ومن أشهر قبائلهم الماندنجو والهوسا[١] .

٢ - زنوج البانتو :

وهؤلاء تضمهم أسرة لغوية واحدة لها عدة لهجات تمتد من هضبة أفريقيا الوسطى والجنوبية في مساحة تعادل ثلث مساحة القارة . وأشهر قبائلهم الزولو ، وسواز ، والباجندا الذين يعيشون في أوغندا ، والكيكويو في كينيا[٢] .

٣ - الزنوج النيليون :

وهؤلاء يعيشون في جنوب السودان وأوغندا وكينيا وغرب أثيوبيا وتنزانيا ويحترفون الرعي ويمتازون بطول القامة ، ومن أشهر قبائلهم الشلك والنوير والدينكا في جنوب السودان ، والماساي في كينيا[٣] .

القوقازيون الحاميون :

وهؤلاء سكنوا شمال أفريقيا ، وقيل إنهم ينحدرون من الفلسطينيين الذين طردوا من بلادهم على يد الآشوريين فلجأوا إلى أفريقيا ولما وجدوها قطراً طيباً سكنوه ، وقيل إن أصلهم يعود إلى السبأيين سكان اليمن هاجروا إليها بعد هزيمتهم من الآشوريين ، وهم قوم طوال القامة بيض البشرة ، ومنهم المصريين وجماعات البربر في شمال أفريقيا ، وأكثر سكان أثيوبيا والصومال في شرقها[٤] .

القوقازيون الساميون :

وهم العرب الذين دخلوا أفريقيا مع الفتح الإسلامي واستقروا في مصر وشمال أفريقيا والسودان ، ويمثلون نسبة كبيرة من سكان القارة[٥].

---

(١) انظر أفريقيا ، ص٥١ ، ٥٢ ، محمد عبدالغني سعودي .
(٢) المصدر نفسه ، ص٥١ ، ٥٢ .
(٣) جغرافية أفريقيا الإقليمية ، ص ١٢٠ ، مرجع سابق .
(٤) وصف أفريقيا ، ص٤٣ ، ليون الأفريقي ، مرجع سابق .
(٥) جغرافية أفريقيا الأقليمية ، ص١٣٩ ، مرجع سابق .

الدين عند الأفريقيين :

يؤمن معظم الأفريقيين (غير المسلمين والنصارى) بوجـــود كـــائن أعلى يقترن دائماً بالسماوات . وهو خالق كل شيء ، ولكنه قليـــل الفـــائدة والأهمية في حياة الفرد . رغم أنه هناك قبائل تؤمن بوجود إله ذاتي يجيب الدعوات ويمنح الهبات - فإن معظم الأفريقيين يرون أن الكـــائن الأعلـــى بعيداً عنهم ولا يهتم بخلقه إلا قليلا - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - ومنـــه يأتي عدد من الآلهة الأقل شاناً وتقترن بالظواهر الطبيعية . والغالب فـــإن أهم وجه في الديانة الأفريقية هو الاعتماد بوجود قوىً خفية غامضة تســـير حياة البشر . وهذه القوى قد تحل في الكائنات البشرية ، أو الحيوانات ، أو الأشياء ، وقد تمنح الحياة قوة ، وتؤكد بقاءها في الأحفاد بالتزام الطقـــوس الدينية الصحيحة . كما يعتقد الأفارقة بأن أرواح الموتى لها القدرة على أن تجلب الحظ السعيد أو السيئ لأحفادهم في الحياة . فلذلك كان عليهم لزامـــاً استرضاء الأجداد وتكريمهم ، إما بتكريم رب الأسرة أو تكريم الزعيـــم . وهذا الاعتقاد كان السبب في أن بعض القبائل حين يموت زعيمـــها تقـــوم بقتل خدمه ونسائه حتى يقوموا بخدمة سيدهم في العالم الآخر . كما يعتقـــد الأفارقة كذلك في السحرة والعرافين وآلهة المطر ، ونحو ذلك(١) .

(١) انظر: الجغرافيا الاجتماعية لأفريقيا ، ص٢٣ ، ٢٤ ، انتوني سيرالي .

ب ـ التعريف بدولة كينيا

الموقع والمساحة :

تقع كينيا في شرق ووسط أفريقيا ، تحدها من الشمال أثيوبيا والسودان ، ومن الغرب أوغندا ، ومن الجنوب والجنوب الغربي تنزانيا ، ومن الشرق المحيط الهندي والصومال ، وقد اشتق اسم كينيا من جبل كينيا الذي يعتبر من أبرز معالم السطح في البلاد ، أما لفظ كينيا فمشتق من الكلمة البانتوية التي تعني النعامة . كذلك من أبرز معالم السطح في كينيا جبل كلمنجارو أعلى قمة في أفريقيا ونهر تانا. وتمتد أراضي كينيا داخل القارة الأفريقية حتى بحيرة فكتوريا وأوغندا ، بحيث تدخل في نطاقها الشواطئ الشمالية الشرقية لهذه البحيرة ، بالإضافة لاحتوائها لبحيرة رودلف بكاملها(١) .

وتنحصر أراضي كينيا بين خطي العرض ٨° شمالاً، و ٥° جنوباً، وبالتالي فهي تقع في عروض الإقليم الاستوائي أو المدار الممطر طول العام . وتبلغ مساحة كينيا (٥٨٣) ألف كيلو متر مربع ، بساحل طوله ٤٠٠ كيلو على المحيط الهندي(٢) .

المناخ والظروف الطبيعية :

رغم وقوع كينيا على خط الاستواء إلا أنه يتنوع فيها المناخ بسبب المرتفعات التي تقلل من درجات الحرارة وتتحكم في كميات المطر ، فنجد الأمطار تقل في الجزء الشمالي على حدود السودان والصومال إلى ٤٠سم، لذلك يمتد إليه إقليم شبه الصحراوي ، بينما نجدها تزداد في المناطق الساحلية المطلة على المحيط الهندي ، وكذلك في منطقة المرتفعات ، لذلك

---

(١) انظر: مستقبل كينيا واتحاد أفريقيا الشرقية ، ص٩ ، راشد البداري ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦١م .
انظر: داخل أفريقيا ، جـ٢ ص٢٠٠ ، جون جنتر ، مكتبة الأنجلو المصرية .
(٢) أفريقيا ، ص٣٢١ ، محمد عبدالغني سعودي مرجع سابق .

نجد المناخ حاراً رطباً في الساحل وشبه صحراوي في الشمال ، ومدارياً في الوسط ، وغائم لطيف في المرتفعات ، وتبعاً لتنوع المناخ تتنوع النباتات الطبيعية من شبه صحراوية في الشمال إلى الغابات وأشجار المانجو في الغرب ، ثم حشائش السافنا في وسط وجنوب البلاد(١) .

التاريخ :

تمتاز كينيا منذ القدم بأنها ملتقى مجموعات وثقافات متنوعة ، فقد وصلت إلى كينيا مجموعات الكيشوت في سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، والبانتو حوالي ٣٠٠ - ٤٠٠ قبل الميلاد ، وفي أوائل الألف الأولى للميلاد وصلت مجموعة نيولتيك الذين أسسوا حضارة ترو سيريكوا في الأراضي الغربية . كما ظهرت على شاطئ المحيط حضارة مركبة من العرب العمانيين والبانتو(٢) . وكثير من مدن كينيا الساحلية كانت معروفة للبشرية منذ مئات السنين .

ولما كانت كينيا تقع على المحيط الهندي ، فقد أصبحت بذلك مركزاً لتبادل التجارة البحرية منذ أمد بعيد . ولعل تاريخ المستوطنات العربية على طول ساحل كينيا يرجع إلى ثلاثة آلاف سنة ، وكانت التجارة تصل إلى هذه الشواطئ من أبعاد سحيقة كالصين والهند وغيرهما(٣) .

أما أول اتصال لكينيا بالأوربيين فيرجع إلى عام ١٤٩٨م ، عندما وصل الرحالة البرتغالي فاسكو دجاما إلى مدينة ماليندى على الساحل ، وبنى قلعة عيسى المسيح في ممباسا ، ولكن البرتغاليين اصطدموا بالأهالي وخربوا بعض المدن وأحرقوها واستباحوا الحرمات فيها ، حتى جاء العمانيون بقيادة عائلة المزروعي وحاصروهم لستة أشهر الأمر الذي اضطرهم للاستسلام وتم طردهم عام ١٦٢٧م ، واستولى العمانيون على قلعة المسيح(٤) .

(١) انظر: أفريقيا ، ص ٣٢١ ، عبدالغني سعودي .
(٢) كتاب المعلومات ١٩٩٨/٩٧م ، ص٦٥٣ ، مؤسسة الآفاق المتحدة ، طبع في الرياض .
(٣) انظر: داخل أفريقيا ، ج٢ ، ص٢٠٣ ، جون جنتر .
(٤) انظر: رحلة خير في أفريقيا ، ص٨ ، ٣١ ، عبدالرحمن السميط .

وفي عام ١٨٧٨م ، احتل البريطانيون الساحل الكيني ، ثم امتد هذا الاحتلال سنة ١٨٩٥م ، ليشمل كل الأراضي الكينية وأصبحت كينيا رسمياً مستعمرة بريطانية . وفي مارس ١٩٢٢م ، نظمت جمعية الكيكويو الوطنية مظاهرات ضخمة في غرب البلاد ضد الاستعمار ، ثم استمر ظهور المنظمات المناهضة للاحتلال وبدأ تنفيذ العصيان المدني والثورة المسلحة بقيادة شخصيات وطنية ممثلة في جومو كنياتا ، توم مبويا ، أودينفا ورونالد نغالا[١] . وفي عام ١٩٥٢م ، اعتقل جومو كنياتا ولم يطلق سراحه إلا في عام ١٩٦١م ، حيث قاد البلاد إلى الاستقلال في ديسمبر عام ١٩٦٣م ، وأصبح أول رئيس للبلاد ، حدثت في عهده في عام ١٩٦٦م ، أزمة سياسية أدت إلى انقسام حزب الاتحاد الوطني الأفريقي (الحزب الحاكم) إلى اتجاه يساري يقوده أو جينغا أو دينغا ، واتجاه لبرالي يقوده كنياتا بنفسه ، انتهت الأزمة بشكل مأساوي في عام ١٩٦٩م ، بمقتل مبويا فانتظمت في غرب البلاد مظاهرات معادية لجوموكنياتا . توفي كنياتا في أغسطس ١٩٧٨م ، وخلفه نائبه دانيال أرب موى في رئاسة البلاد والذي أعيد انتخابه في ديسمبر ١٩٩٢م ، ومازال رئيساً للبلاد[٢] .

السكان والقبائل :

يبلغ عدد سكان كينيا ٢٨ مليون نسمة حسب إحصاء ١٩٩٦م ، نسبة المسلمين منهم تتراوح بين ٣٥ - ٤٠% ، والبقية وثنيون ونصارى بين كاثوليك وبروتستانت . يتكلم السكان اللغة السواحلية بينما تعتبر اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية للدولة ، ويتركز معظم السكان في وسط البلاد وغربها ويتزايد السكان بمعدل كبير يصل إلى ٣٫٥ سنوياً . ولكنها انخفضت الآن إلى ٢٫٣ [٣] .

(١) كتاب المعلومات ، ص٦٥٤ ، مؤسسة الآفاق المتحدة .
(٢) المصدر نفسه ، ص٦٥٣، جغرافية أفريقيا ، فتحي أبو عيانة، ص٤٨٤.
(٣) المصدر نفسه ، ص٦٥٤ .

والمجموعات الرئيسية من السكان تنتمي لزنوج البانتو مثل الكيكويو، وهي تمثل أكبر القبائل في كينيا إذ تبلغ نسبتهم ٢٢% من السكان، ومنها الزعيم الوطني جومو كنياتا ، وهي التي قامت بحركة الماوماو ضد المحتلين الإنجليز ، وتتركز في نيروبي وجبل كينيا ، ثم تليها قبيلة اللوهايا ١٤% ، والكامابا ١١% أما الجماعات النيلية فأهمها الليو وتبلغ نسبتهم ١٣% ، من السكان أما الجماعات الحامية فمنها الناندي ، والجالا ، والبوران في الأقليم شبه الصحراوي في الشمال ، كما تشهر في كينيا قبائل الماساي التي تشتغل بالرعي(١) .

الاقتصاد في كينيا :

تعتمد كينيا اعتماداً كبيراً على الاقتصاد الزراعي ، إذ تمثل الزراعة ومنتجاتها العمود الفقري للاقتصاد وذلك بإنتاج المحاصيل النقدية المتمثلة في البن والشاي حيث تنتج كينيا ٥% ، من إنتاج القارة من البن وهو ما يساوي ٥ر١% من الإنتاج العالمي له . كذلك هي الدولة الأولى في القارة من حيث إنتاج الشاي ، وتمثل هذه النسبة ٣ر٤% من الإنتاج العالمي . ويعتبر الشاي والبن من أهم الصادرات الكينية بالإضافة إلى الصودا والأنناس والأسمنت . بينما تستورد البترول الخام والمكرر والحديد والمواد الصيدلية ، كما ينتج محلياً كلٌ من القطن والقمح والذرة والبطاطس والكسافا والفول السوداني ، وتستهلك محلياً ، ويعتبر إقليم المرتفعات الإقليم الزراعي الرئيسي في البلاد ، بالإضافة إلى إقليم نيانزا والإقليم الساحلي(٢) .

كما تمتلك كينيا ثروة حيوانية ضخمة تقدر بـ٠٠٠ر٨١٠ رأس من الجمال ، و١١ مليون رأس من الأبقار ، و ٥ر٥ مليون رأس من الأغنام بحسب إحصاء عام ١٩٩٣م . أما أشهر الصناعات فهي طحن الغلال

(١) انظر: أفريقيا ، ص٣٢١ - ٣٢٢ ، محمد عبدالغني سعودي .
وانظر: كتاب المعلومات ١٩٩٨/٩٧م ، ص٦٥٤ .
(٢) جغرافية أفريقيا ، ص٤٨٨ / ٤٨٩ ، فتحي أبو عيانة .

والسكر والبيرة والأسمنت والتبغ ، وتتصل كينيا بالعالم الخـــارجي عـــبر الخطوط الجوية الكينية ، وكذلك عبر البحر . كما توجـــد هيئـــة الإذاعـــة الكينية ووكالة أنباء وتلفاز كينيا . والعملة الرئيسية هي الشلن الكيني[١] .

أهم المدن :

١ - نيروبي : العاصمة ومركز تجاري وصناعي وسياحي هام - أكـــبر مدينة تجارية وصناعية في شرق أفريقيا - وتقع على ملتقى طـــرق وعلى الخط الحديدي الذي يربط كينيا بأوغندا ، تأسست فـــي عـــام ١٨٩٩م ، ويبلغ عدد سكانها أكثر من مليون ومائتي ألف نسمة .

٢ - ممباسا : ميناء ومركز تجاري وصناعي بعـــد نـــيروبي ، وتمتـــاز بمينائها الحديث ذي المرفأ الكبير المعروف بـــ "كليندى" وتتحكم فـــي معظم تجارة كينيا وأوغندا وشمال تنزانيا ، وبها أكبر معمل لتكريـــر البترول في شرق أفريقيا ، ومصانع الأسمنت والورق .

٣ - كيسومو : العاصمة الإدارية لإقليم نيانزا ، وبها بعض الصناعـــات مثل تعليب وتجميد الأسماك من بحيرة فكتوريا ، وورش لإصـــلاح السفن .

٤ - كذلك من المدن المهمة نـــاكورو - مـــاليندى - أســـيلو - وجـــير - غارسيني[٢] .

---

(١) انظر: كتاب المعلومات ٩٧/٩٨ ، ص٦٥٥ ، ٦٥٦ ، مكتب الآفاق المتحد الاستشاري .
(٢) انظر: أفريقيا ، ص ٣٢٤ ، عبدالغني سعودي .

المبحث الثاني
دخول الإسلام إلى أفريقيا

المبحث الثاني
دخول الإسلام إلى أفريقيا

توطئة :

قبل الحديث عن كيفية دخول الإسلام إلى أفريقيا يحسن بي أن أتحدث أولاً عن مدى علاقة أفريقيا بالجزيرة العربية وعمق تلك العلاقة التي كان لها الأثر الكبير فيما بعد على عملية انتشار الإسلام في أفريقيا.

إذ إنه كانت هناك علاقات وثيقة بين شرق أفريقيا والبلاد الأخرى التي تفصلها عنه مياه المحيط الهندي ، كالجزيرة العربية والهند وفارس . بل كان السفر عبر المحيط إلى هذه البلاد سهلاً ميسوراً ، وقد كان المعروف عن العرب أنهم أهل تجارة وكذلك بلاد فارس وبلاد الهند ، وكانت الجزيرة العربية معروفة لأهل أفريقيا كذلك ، وكثيراً ما يجد الناظر في مجتمع الجزيرة العربية أفراداً من أهل أفريقيا كالعبيد الذين كان منهم بلال الحبشي - ﷺ - وغيرهم من التجار الأحباش ، ومحاولة أبرهة الحبشي غزو مكة قبل الإسلام لهي دليل آخر على تلك العلاقة ، إذ كانت الامبراطورية الحبشية - مملكة أكسوم وقتها - تسيطر على اليمن في جنوب الجزيرة العربية .

يقول سبنسر ترمنجهام : أما العرب فكانت رحلاتهم إلى الساحل الأفريقي هي أقصر تلك الرحلات وأقربها ، وأكثرها سهولة ويسرا . وقد استوطن كثير منهم على الساحل وأدخلوا زراعة جوز الهند وقصب السكر التي لم تكن معروفة من قبل[١] .

وهناك أمور طبيعية سهلت الاتصال بين شرق أفريقيا وسواحلها وبين كثير من البلاد الأخرى ، وهذا العامل الطبيعي هو الرياح الموسمية

---

(١) الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٩ ، سبنسر ترمنجهام ، ترجمة محمد عاطف النواوي ، ط. مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٣م .

حيث كانت تهب في شهر ديسمبر متجهة نحو الشمال الشرقي ، بينما يتكرر هبوبها مرة أخرى في شهر إبريل متجهة نحو الجنوب الغربي ؛ فقد كانت هذه الرياح تحمل أهل الساحل الأفريقي في زنجبار إلى الهند ثم إلى ساحل جزيرة العرب في الجزء الجنوبي ومضيق عدن . والتجار المغامرون العرب يركبون سفنهم من الساحل في الشتاء فتوصلهم إلى ساحل القارة الأفريقية . وهكذا كانت الصلات مستمرة .

وتذكر بعض المصادر أن العرب عرفوا أفريقيا قبل الإسلام بعدة قرون ، حيث يذكر المؤرخ "بطليموس" أن العرب في النصف الثاني من القرن الأول للمسيح عليه السلام كانوا قد بدءوا يتجرون مع أفريقيا ، ويصلون بقوافلهم إلى حدود الموزمبيق[١] .

ولقد سجلت كتب المؤرخين كثيراً من الأخبار عن هجرات القبائل العربية إلى مشرق أفريقيا واستيطان العرب لعديد من الجهات الداخلية في القارة الأفريقية ، واحتوى القصص العربي صوراً عديدة لنشاط العرب في أفريقيا ، وحول النيل ومنابعه وبحيراته ، كما هو مشهور في القصة العربية المشهورة ، قصة سيف بن ذي يزن[٢] .

وبلغت هذه الهجرات أقصاها ما بين عام (١٥٠٠ - ٥٠٠) قبل الميلاد ، في عهد دولتي سبأ ومعين . فقد جاءت أفواج عربية من الجنوب تحمل مظاهر الحضارة السبئية الزاهرة ، وعلّموا المواطنين استعمال المعادن وأنظمة متقدمة في الري والزراعة ، وأنماطاً جديدة للنظام الجماعي وفن الكتابة . ونشر العرب لغتهم وثقافتهم على السكان الذين نزلوا بينهم واختلطوا بهم ؛ فغيروهم تغييراً كلياً[٣] ، وهكذا أصبحت تلك المرتفعات مركزاً لنشر تلك الحضارة العربية الراقية وحمل المعينيون

---

(١) انظر: حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في أفريقيا الشرقية ، ص٩ ، محمد أحمد مشهور الحداد ، طبع دار الفتح ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م .
(٢) جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، ص (ز) من المقدمة ، سعيد بن المغيري ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، ط . عيسى البابي الحلبي بدون ذكر سنة الطبع .
(٣) انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له ، ص ٢٧ ، محمد عبدالله النقيرة ، نشر دار المريخ - الرياض .

والسبئيون لواء التجارة في البحر الأحمر وتوغلوا في أفريقيا حتى وصلوا وادي النيل .

وعند بزوغ فجر الإسلام ودخوله إلى القارة الأفريقية مبكراً ، سلك عدة طرق أدت إلى انتشاره في تلك القارة ، وأهم هذه الطرق يمكن حصرها في الآتي :

أ - الفتوحات الإسلامية .

ب - الهجرات .

جـ- التجارة والدعاة .

د - الممالك والدول الإسلامية .

وسيأتي الحديث عن كل واحدة منها بشيءٍ من التفصيل بإذن الله .

أ - الفتوحات الإسلامية :

أولاً : فتح مصر وما جاورها :

جاءت البشارة بفتح مصر على لسان المصطفى ﷺ لأصحابه في أحاديث كثيرة وتبين فضل أهل مصر نذكر منها ما رواه أبوذر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : " إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحما"[١] . فإنه لما انتهى المسلمون من فتح الشام وانتهى عمرو بن العاص - رضي الله عنه - من فتح فلسطين استأذن الفاروق - رضي الله عنه - للسير إلى مصر فوافق الفاروق وعقد له على أربعة آلاف رجل ، ثم أمده بجيش بقيادة الزبير بن العوام -رضي الله عنه-[٢]، ومعه عمرو بن وهب الجمحي ، وبسر بن أرطأ وخارجة بن حذافة ، وحصل اللقاء عند باب أليون[٣] . ويذكر ابن عبدالحكم في ذلك أن أول موضع قوتل فيه عمرو بن العاص - رضي الله عنه - يقال له (الفَرْمَا) قاتله الروم

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط ، ج٨ ، ص٣٠٣ ، حديث رقم (٨٧٠١) ، من منشورات دار الحرمين للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م . وهو حديث صحيح .

(٢) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ص٢٨٨ ، المعروف بالخطط المقريزية ، أحمد بن علي المقريزي ، ط . دار صادر .

(٣) تاريخ خليفة بن الخياط ، ص١٤٢ ، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

قتالاً شديداً نحواً من شهر ثم فتح الله عليه . وكان بالإسكندرية أسقف القبط يقال له أبو بنيامين لما بلغه قدوم المسلمين إلى مصر كتب إلى القبط يعلمهم أنه لن تكون للروم دولة وأن ملكهم قد انقطع بمصر ويأمرهم بتلقي عمرو بن العاص -ﷺ- ، فقيل إن القبط الذين كانوا بالفَرمَا كانوا يومئذٍ أعواناً للمسلمين[١] .

ثم اتجه المسلمون إلى عين شمس بقيادة عبدالله بن حذافة السهمي -ﷺ- فحاصروها ، فلما طال الحصار وغلبهم عبدالله عقد أهلها صلحاً معه . بعدها أرسل عمر بن العاص -ﷺ- جيشاً إلى الإسكندرية حيث كان يقيم فيها المقوقس ، حاصر المسلمون المدينة ، وتم الصلح على أن يؤدي المقوقس الجزية ، واستخلف عليها عمرو بن العاص عبدالله بن حذافة السهمي ، وعاد إلى الفسطاط وبنى فيها المسجد (جامع عمرو بن العاص) [٢] .

تتابعت أحداث فتح مصر ، ودخلت المدن في دين الله أفواجاً . بل كان المصريون الأقباط خير عون للمسلمين في فتح بقية المدن وفي نشر الدعوة الإسلامية ، كما بشر بذلك المصطفى ﷺ في حديث أم سلمة - رضي الله عنها - قالت : إن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته فقال : " الله الله في قبط مصر فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعواناً في سبيل الله"[٣] .

ويقول في ذلك توماس آرنولد : كان فتح المسلمين لمصر عام ٢٠هـ ، الموافق (٦٤٠م) ، وقد دخل الناس في دين الله أفواجاً ، وذلك لما لاقوه من تسامح ومعاملة كريمة من قبل المسلمين في الوقت الذي كانوا فيه قد امتلؤا غيظاً وكرهاً للبيزنطيين وحكامهم الظلمة ، وما وجدوه منهم من

---

(١) فتوح مصر وأخبارها لابن عبدالحكم ، ص ٥٨ ، طبع مكتبة المثنى ببغداد - دون ذكر سنة الطبع .

(٢) انظر: فتوح البلدان ، ص٢١٨ ، ٢٢١ ، أبو الحسن البلاذري ، ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

(٣) رواه الطبراني ، قال الحافظ الهيثمي رجل هذا الحديث رجال الصحيح ، جـ٥ ، ص٢٤١، مرجع سابق .

معاملة سيئة واضطهاد كبير . وأن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- قائد جيش الفتح لم يضع يده على شيء من ممتلكات النصارى ولم يصادر حريتهم(١).

وفعلاً قد دخلا الناس في دين الله أفواجاً ، ودخل أهل مصر في الإسلام ، ولم تقبل مصر الإسلام فحسب بل انقادت للإسلام واتخذت اللغة العربية لغتها ونسيت ماضيها وحملت مصر لواء الإسلام إلى البلاد التي كانت بعدها ، فكانت نقطة الانطلاق إلى فتح شمال أفريقيا وما وراءها . فقد كانت الدعوة الإسلامية قبل دخول الإسلام إلى مصر محصورة في القارة الآسيوية ، لكن بعد الفتح دخلت الدعوة إلى قارة جديدة وهي أفريقيا، وليس هذا فحسب بل انتقلت منها إلى قارة ثالثة وهي القارة الأوربية من أسبانيا إلى جنوب فرنسا .

بعد ذلك أرسل عمرو بن العاص -رضي الله عنه- قوة إلى الصعيد بقيادة عبدالله بن سعد بن أبي سرح -رضي الله عنه- ففتحها ، وأرسل خارجة بن حذافة -رضي الله عنه- إلى الفيوم ففتحها وما حولها وصالح أهلها . وأرسل عمرو بن وهب الجمحي -رضي الله عنه- إلى دمياط وتنيس وتونة وما حولها فصالح أهل تلك الجهات ، وذهب عمرو بن العاص -رضي الله عنه- بنفسه إلى الغرب ففتح برقه وصالح أهلها ، وارسل عقبة بن نافع -رضي الله عنه- ففتح زويلة واتجه نحو بلاد النوبة - كما انطلق عمرو بن العاص إلى طرابلس ففتحها بعد حصر دام شهراً ، كما فتح سبراطة وشروس ، وانتهت هذه المرحلة بفت مصر وليبيا الحالية تقريباً ، وبهذا يكون انتشر الإسلام في جزءٍ كبيرٍ من القارة(٢) .

ثانياً : فتح شمال أفريقيا :

بدأ الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا منذ العصر الفاروقي في عام (٢٢هـ) ، حيث فتح عمرو بن العاص (برقه) صلحاً وضرب الجزية على

---

(١) في كتابة ، الدعوة إلى الإسلام ، ص١٢٣ ، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ، ط٣ ، ترجمة مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٣م .

(٢) انظر في ذلك : البلاذرى ، الصفحات ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

أهلها ، ثم سار إلى طرابلس ففتحها كذلك . وفي سنة ٢٣هـ كان المسلمون قد فتحوا جميع أراضي ليبيا[١] .

وفي عصر عثمان بن عفان -رضي الله عنه- عزل عمرو بن العاص وولي مكانه عبدالله بن سعد بن أبي السرح ولاية مصر فكان هو قائد الجيوش لفتح أفريقيا ، وكان حاكم تونس اسمه (جرجير) قد استرد طرابلس من أيدي المسلمين ، وفي عام ٢٧هـ ، خرج عبدالله بن سعد بن أبي السرح للقتال مع جرجير ولما علم جرجير بالخبر خرج إليهم في مائة ألف جندي من البربر والروم ، ، وفي رواية لخليفة بن خياط أن جيش جرجير كان ما عدده مائتي ألف رجل ، وكان المسلمون في عشرين ألف . وحصل اللقاء في (سُبَيْطلة) - سبعين ميلاً من القيروان - وفيها قتل جرجير ودخل المسلمون سبيطلة . وهذه الحملة التي حمل فيها عبدالله بن أبي السرح تسمى حملة العبادلة السبعة ، وهم : عبدالله بن أبي السرح ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن جعفر ، وعبدالله ابن عمر ، وعبدالله بن مسعود ، وعبدالله بن عمرو بن العاص . ثم بث السَّرايا في النواحي الجنوبية واضطر الروم والبربر إلى طلب الصلح فتم الصلح على مال كبير يدفع إلى المسلمين يقدر بثلاثمائة قنطار من الذهب ، ورجع الجيش إلى مصر بعد أن أقام عبدالله بن سعد في أفريقيا سنة وشهرين[٢].

عهد معاوية -رضي الله عنه- :

أعاد معاوية عمراً بن العاص والياً على مصر ؛ فكان عمرو يبعث السرايا إلى شمال أفريقيا لكنها لم تصل إلى درجة الجيش ، وفي عام ٤٤هـ توفى عمرو بن العاص . وفي عام ٤٥هـ ، جعل معاوية ولاية أفريقيا مستقلة وولاها معاوية بن خديج ، وخرج معاوية بن خديج إلى

---

(١) تقدم ذكر ذلك في أول هذا المبحث .

(٢) انظر: تاريخ خليفة بن خياط ص١٥٩ ، مرجع سابق .
: رحلاتي إلى الديار الإسلامية ، أفريقيا المسلمة ص٣٨/٣٩ ، محمد محمود الصواف، ط. دار القرآن الكريم ، بيروت - لبنان ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، جـ٥ ، ص١١٧ ، القلقشندي ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية .

شمال أفريقيا وبلغ خبر خروجه قيصر فأرسل إلى قرطاجنة جيشـــاً عــن طريق البحر فحصل اللقاء في جنوب القيروان - أسست فيه مدينة القيروان فيما بعد- يسمى الجم ، وانتصر المسلمون وفتح معاوية في هـــذه الحملـــة زيولة وبنزرت[١] .

بعد ذلك أسند معاوية قيادة الجيوش في شمال أفريقيا إلى عقبة بـــن نافع الفهري القرشي فغزاها في عشرة ألف جندي ومن أسلم من الــبربر ، فسار متنقلاً في شمال أفريقيا يفتح المدن والقرى ، ثم اتجـــه إلـــى مكـــان القيروان وشرع في بنائها فخططها وأقام بها ثلاث سنوات[٢] .

وفي سنة ٥٥هـــ ، عزل معاوية عقبة بن نافع عن قيـــادة الجيـــوش وصارت ولاية أفريقيا تابعة لمصر وولي عليها معاوية مسلمة بـــن مُخلـــد الأنصاري فعين مسلمة من قبله مولاه (أبا المهاجر دينار) قائداً للجيوش في شمال أفريقيا . وبذلك تكون ولاية مصر والمغرب جمعت لمسلمة بن مخلد وبقي عليها حتى وفاة معاوية -رضي الله عنه-[٣] .

قام أبو المهاجر بقتال كسيلة - أحد زعماء نصارى البربر - وكان قد جمع حوله جموعاً من قومه ومن بقايا الروم ، وحصل اللقاء عند (تلمسان) وهزمه أبو المهاجر وشتت أصحابه . ورغم أن المصادر لم تذكر حربـــاً عنيفة مع كسيلة وربما كان ذلك لأن أبا المهاجر دينار لجأ إلـــى السياســـة فأصبح يتألف كسيلة حتى أسلم وكسب جانبه . بعد ذلك غزا أبو المـــهاجر قرطاجنة وميلة سنة ٥٩هـــ ، فافتتحها[٤] .

---

(١) محمد الصواف ، ص٣٩ ، مرجع سابق .
(٢) انظر: فتوح البلدان ، ص٢٣٠ ، البلاذرى ، مرجع سابق .
- تاريخ خليفة بن خياط ، ص٢١٠ ، مرجع سابق .
(٣) البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، جـ١ ، ص٢١ ، ابن عِـــذاريْ المَراكشـــي ، تحقيق ومراجعة ج . س كولان و إ . ليفي برفنسال ، ط . دار الثقافة ، بيروت - لبنـــان . دون ذكر سنة الطبع .
-انظر: صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص١١٧ ، القلقشندي ، مرجع سابق .
(٤) فتح العرب للمغرب ، ص١٧٢ ، ١٧٣ ، حسن مؤنس ، نشر مكتبـــة الآداب بالجمـــاميز - مصر .

خلافة يزيد بن معاوية :

في سنة ٦٢هـ ، أعاد يزيد عقبة بن نافع والياً على شمال أفريقيا ، فبدأ ولايته بإعادة الناس إلى القيروان وعمرها ثم خلف عليها زهير بن قيس البلوي -ﷺ- وخرج على رأس عسكره غازياً في سبيل الله وكان يقاتل كلاً من جاء في سبيله حتى وصل (طنجة) عند مضيق جبل طارق في المغرب وحتى وصل المحيط الأطلسي وأدخل فرسه في الماء ولما بلغ الماء صدر الفرس قال قولته المشهورة : " اللهم أني أشهد أني قد بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت إلى البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحدً من دونك " . ثم عاد إلى القيروان ، وأذن لجيشه أن يعود قبله إلى القيروان وبقي هو في عدد قليل من رجاله ومعه كسيلة وأبو المهاجر دينار. فغدر به كسيلة وجمع قومه والروميين فحصل القتال قرب تهودا وكسر عقبة جَفْنَ سيفه وكذلك فعل المسلمون وابلوا بلاءً حسناً في القتال حتى استشهد عقبة وأبو المهاجر دينار ومن معهم من المسلمين(١) .

خلافة عبدالملك بن مروان :

في سنة ٦٩هـ ، ولى عبدالملك بن مروان زهير بن قيس البلوي على شمال أفريقيا ، وأمده بجيش كبير حشد له الخيل والأموال والرجال ووجوه العرب ، فسار إلى القيروان وهزم كسيلة ابن لمْزَم في هَمْس وقتله واستعاد القيروان . بعد ذلك عاد إلى برقة وترك حامية بالقيروان وأغار الروم على سواحل برقة ووافق ذلك قدوم زهير فاستنجد به المسلمون ودار القتال فقتل زهير بن قيس شهيداً واستشهد معه نفرٌ كبير من أشراف التابعين سنة ٧٦هـ(٢) .

وفي سنة ٧٨هـ ، أرسل عبدالملك بن مروان حسان ابن النعمان إلى شمال أفريقيا فبدأ يستعيد مدنها ، وحاصر قرطاجنة وهي قاعدة ملك

(١) البيان المُغرب ، انظر الصفحات ٢٢ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، مرجع سابق .
(٢) انظر: المصدر نفسه ، الصفحات ٣٠ ـ ٣٢ .
– فتح العرب للمغرب ، ص ٢١٨ ، مرجع سابق .

الروم بشمال أفريقيا وفتحها عنوة ثم اتجه إلى جبال أوراس ، وكان هناك تجمع بربري بقيادة الكاهنة فانهزم حسان وقتل عدد كبيرٌ من المسلمين ، وعاد حسان إلى طرابلس ينتظر المدد فجاءه المدد وحصل اللقاء مع الكاهنة مرة أخرى فقتلت وهزم جيشها . وهنا قضى حسان على قوة البربر والروم وعاد إلى القيروان سنة ٨٢هـ ، وفي هذه السنة تم استكمال فتح شمال أفريقيا[١] .

وبهذا يكون الإسلام قد انتشر في رقعة واسعة من أرض أفريقيا ألا وهي منطقة الشمال الأفريقي بأهميتها وعراقتها . ولكن المتتبع لأحداث فتح شمال أفريقيا يجد أن الفتح تأخر جداً على المسلمين في هذه المنطقة مقارنة بفتح مصر أو الشام إذ إن الأمر هنا لم يكن سهلاً ميسوراً فقد دامت فترة الفتح (٦١) سنة ، ومع هذا لم يتراجع المسلمون ولم ييأسوا وأظهر قادتهم بطولات نادرة وصبراً واستبسالاً في الجهاد وقتال الأعداء من أمثال عقبة بن نافع وأبي المهاجر دينار وزهير بن قيس البلوي وحسان بن النعمان وغيرهم حتى تم لهم الفتح .

ب - الهجرات :

١ - الهجرات إلى شرق أفريقيا :

هجرة الصحابة إلى الحبشة :

جاء عند ابن هشام : أنه لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فيها فرجاً مما أنتم فيه . فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ ، إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة . وفراراً إلى الله بدينهم . فكانت أول هجرة في الإسلام[٢] .

---

(١) البيان المغرب ، ص٣٤ - ٣٨ ، مرجع سابق . المَراكشي .
(٢) تهذيب سيرة ابن هشام ، ص٨١ ، ٨٢ ، عبدالسلام هارون ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

وفي السنة السادسة من الهجرة (٦٢٧) م ، أرسل رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي بشأن جعفر وأصحابه ومعه كتاب يدعوه فيه إلى الإسلام .

يقول الطبري(١) : فرد عليه النجاشي بخطاب جاء فيه :

" بسم الله الرحمن الرحيم - إلى محمد رسول الله ﷺ من النجاشي الأصحم بن أبجر . "سلام الله عليك يا نبي الله ورحمته وبركاته من الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني للإسلام ... فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك ، وأسلمت على يديه لله رب العالمين " .

وهكذا دخل الإسلام إلى الحبشة ومنطقة شرق أفريقيا ، واعتنقه ملكها النجاشي وبعض الأحباش ، ثم أخذ في الذيوع والانتشار ، حتى بعد عودة المهاجرين إلى المدينة وزاد انتشاره في الحبشة خاصة وفي شرق أفريقيا العامة بعد ذلك بسبب رحلات التجار المسلمين إلى هناك وهو ما سيأتي تفصيله إن شاء الله .

هجرات بني الحارث :

لمَّا اشتد الصراع بين فرقة القرامطة(٢) ، والخلافة العباسية في مطلع القرن الرابع الهجري ، وتعرضت قبيلة بني الحارث - التي كانت تقيم بساحل الخليج العربي على مقربة من جزائر البحرين - إلى اضطهاد حاكم الإحساء ، هاجرت جماعة كبيرة منهم في ثلاث سفن تحت قيادة سبعة إخوة سنة (٢٩٠ - ٢٩١هـ) . حيث هاجروا إلى شرق أفريقيا ونزلوا على ساحل الصومال وأسسوا مدينة مقديشيو ، وتحالفوا مع

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ص٦٥٢ ، ٦٥٣ ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٤ . دار المعارف بمصر ١٩٦١م .

(٢) القرامطة قوم من الخوارج خرجوا وقطعوا الدرب على الحاج وتظاهروا بمحاربة الفساد والظلم وادعوا الانتساب إلى العلويين وعاثوا في الأرض فساداً واقتطعوا جزءاً كبيراً من أرض الخلافة . انظر: البداية والنهاية لابن كثير جـ١١ ، ص٦١ ، رضا كحالة ، العالم الإسلامي ، جـ٢ ، ص٦٧ ، ط٢ ، الهاشمية - دمشق .

الصوماليين أهل البلاد . فصارت مقديشيو مملكة قوية ذات شوكة ونفوذ على عربان الساحل(١) .

وكان سكانها الأول شيعة زيدية أبو الخضوع لسلطان هؤلاء الوافدين من أهل السنة لاختلاف مذهبهم . ولكنهم عجزوا عن مقاومة خصومهم السنيين ، فتركوا لهم مقديشيو وانسحبوا من الساحل إلى داخل البلاد ، واختلطوا بسكان البلاد الأصليين ، وتطبعوا بعاداتهم وصاهروهم وامتزجوا بهم ، وتكونت من هذا المزيج أمة مكونة من عرب وزنوج متوسطة بين الأمتين ، سواءً من جهة العنصر والعقيدة ، أم من جهة البلاد التي احتلوها، إذ كانت تقع بين بلاد المسلمين في الشرق وبلاد الكفار الوثنيين في الغرب ؛ وكان لانسحابهم إلى الداخل أثر كبير في نشر الإسلام بين قبائل تلك المنطقة الذين اختلطوا بهم وصاهروهم(٢) .

ويبدو أن عرب الإحساء كانوا أنشط في نشر الإسلام بين سكان شرقي أفريقيا وأكثر تأثيراً فيهم ، بدليل أن المذهب السني هو السائد الآن هناك ، بالرغم من تعدد طوائف الشيعة التي هاجرت إلى هناك واستقرت . وأضحت زيلع في الشمال ومقديشيو في الجنوب أهم منفذين لتياري العروبة والإسلام في اختراق الصومال وتسربهما عبر مناطق القبائل من الشرق والجنوب إلى الحبشة ، وينتشر الآن المذهب الشافعي في الصومال ومعظم مناطق شرق أفريقيا .

هجرة الفرس الشيرازيين :

لم تتوقف هجرات المسلمين إلى شرقي أفريقيا على العنصر العربي وحده ، بل قد أسهمت العناصر المسلمة الأخرى كالفرس والهند فيها بنصيب وافر .

وتذكر الأخبار هجرة حسن بن علي الشيرازي ، حاكم شيراز بفارس مع أهله وكثيرين من رعيته ، وذلك فراراً من طفرل بك السلجوقي وجيشه

---

(١) انظر : انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له ، ص٨٧ ، ٨٨ ، محمد عبدالله النقيرة ، مرجع سابق .

(٢) انظر: الإسلام في شرق أفريقيا ، ص٣٧ ، اسبنسر ترمنجهام ، مرجع سابق .

الذي غزا شيراز ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ، وأن هجرتهم قد تمت في الفترة ما بين التاريخ السابق وبين ٤٩٣هـ/١١٠٠م . وهاجروا جميعاً في سبع سفن من جزيرة هرمز متجهين إلى شرق أفريقيا . وتذكر الأخبار أنهم تفرقوا في الساحل وأنشأوا عدة مستوطنات في المناطق التي نزلوا فيها في عدد من الجزر والمدن(١) .

ويذكر المغيري(٢) :أنه فيما ورد من أخبار مملكة كلوة الإسلامية ، أن حسن بن علي الشيرازي هاجر وأولاده من شيراز إلى أفريقية في القرن الثالث الهجري ، ولكنه رجح أن قدوم الشيرازيين الذي حدث في القرن الثالث لم يكن هجرة بل كانوا قواداً لجنود بني أمية أو بني العباس ، إذ من المشهور أن ملك بني أمية وبني العباس امتد إلى هذه المناطق الأفريقية ، وانتشر فيها الإسلام في أيامهم .

وكان حسن بن علي هذا عاقلاً حكيماً هماماً ، ولذا أسس في مدة وجيزة دولة قوية ، ومملكة إسلامية زاهرة استمرت حتى مجيء البرتغاليين ، واكتسب مودة الأهالي ، واختلط المسلمون بالزنج وصاهروهم فأخذ الإسلام ينتشر بينهم(٣) .

ويقول ترمنجهام : إنه نتيجة لانتشار حضارة البنادر الشيرازية في اتجاه الجنوب ، حل الحكام المسلمون تدريجياً محل الزنج فانتشرت الحضارة الإسلامية مما ساعد على انتشار الإسلام بعد ذلك من المدن إلى القرى في الداخل"(٤) .

٢ - الهجرات إلى غرب أفريقيا (السودان الغربي) :

تشمل منطقة غرب أفريقيا دول السنغال، والنيجر، ونيجيريا، وغانا ومالي وغيرها من مناطق السودان الغربي التي تأثرت بالثقافة الإسلامية

---

(١) انظر: انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ، ص٩٠ ، النقيرة ، مرجع سابق .
– الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٤٢ ، سبنسر ترمنجهام ، مرجع سابق .
(٢) جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، ص٥٨ ، ٦٠ ، سعيد بن علي المغيري ، مرجع سابق.
(٣) انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ، ص٩١ ، النقيرة ، مرجع سابق .
(٤) في كتابه الإسلامي في شرق أفريقيا ، ص٣٨ ، مرجع سابق .

وقامت فيها ممالك ودول إسلامية عظيمة . ولم يكن ذلك عن طريق الفتح وإنما كان عن طريق الهجرات والتجارة بين عرب وبربر شمال أفريقيا والمغرب .

هجرة البربر :

لما جاء الإسلام إلى المغرب تأثرت به القبائل البربرية جميعاً ومنها القبائل الصنهاجية في الصحراء ، وقد ورد أن أعداداً كبيرة منهم هاجرت إلى بلاد السودان الغربي منذ وقت مبكر ، والمعروف عن قبائل البربر أنها تشتهر بكثرة الظعن والترحال وتميل للهجرة من مكان لآخر عبر طرق الصحراء المختلفة ، وقد أخذت قبيلة صنهاجة ببطونها المختلفة - التي بدأت في ظل الإسلام تأخذ طريقها في مهاجرها إلى الحياة الحضرية بنظامها الإسلامي - تؤثر في النواحي التي تحتلها أو تتصل بها(١) .

ويذكر ابن خلدون : أن الملثمين كانوا في كل نهضة من نهضاتهم يقيمون ملكاً واسعاً يتجه عادة نحو بلاد السودان ، وأنهم أقاموا منذ وقت مبكر جسراً عبر الصحراء وصل السودان بالحضارة الإسلامية(٢) .

ويحاول بعض الباحثين النصارى تأويل هذه الهجرات على أنها خوف من المسلمين ورغبة في الاستقرار في مناطق بعيدة عن الدولة الإسلامية مفضلين ذلك على قبولهم الإسلام(٣) .

ولكن هذا الرأي تدحضه الوقائع التاريخية البارزة التي لا يستطيع حتى الأوربيين النصارى أنفسهم انكارها ، وهو من المعلوم أن قبائل البربر اعتنقت الإسلام بل وساهمت في نشره وليس أكبر دليل على ذلك من أحداث فتح الأندلس (البلد الأوربي النصراني) الذي كان أكثر أفراد

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الغولانيين ، في القرن الثاني عشر الهجري ، ص٧٧ ، حسن عيسى عبدالظاهر ، من منشورات إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٢) انظر: العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٦ ، في عدة مواضع ، لابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٨م .

(٣) انتشار الإسلام في السودان الغربي حتى الفتح المرابطي لغانة ، ص١٤٦ ، عبدالعزيز بن سعد الهويمل ، رسالة ماجستير غير منشورة - قسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام - كلية العلوم الاجتماعية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

الجيش الذي فتحه بل وقائدهم طارق بن زياد كانوا من البربر . وهذا أمر معلوم للجميع .

وقد أوردت بعض المصادر أن البربر الصنهاجيين أسهموا إسهاماً كبيراً في نشر الإسلام ، سواءً من قبل مملكة "أوْدَغَست[١]" الإسلامية أو من قبل القبائل الصنهاجية التي استقرت على حدود السودان الغربي أو داخله[٢] .

ويتضح مما أوردته كثير من المصادر أنه يوجد بمنطقة غرب أفريقيا عدد كثير من القبائل البربرية المهاجرة ، مما جعل وصف كثير من أقاليم وممالك السودان الغربي ومدنه بأنها تحتوي على جاليات إسلامية كبيرة ، لدرجة أن بعض المدن السودانية قد ناهز عدد المسلمين فيها العناصر المحلية ، الأمر الذي أدى إلى إنشاء مدن خاصة بالمسلمين من سكان المنطقة بالإضافة إلى القادمين إليهم من المغرب والصحراء ، وكانت هذه المدن تضاهي العواصم الأفريقية كما كانت هناك مدن داخل غانا لم يكن بوجد بها غير المسلمين إضافة إلى جهود المسلمين الزنوج وتحمسهم للدعوة الإسلامية مما أدى إلى تحول معظم بلاد السودان إلى الإسلام .

هجرة بني أمية :

لم تكن الهجرات إلى غرب أفريقية قاصرة على البربر وحدهم بل كانت هناك هجرات عربية مبكرة إلى تلك المناطق إذ يذكر البكري وصول جيش لبني أمية استقر في دولة غانا وحمل معه الإسلام[٣] .

---

(١) مدينة تقع في جنوب المغرب على المنحنى الأعلى لنهر النيجر وممر وملتقى طرق القوافل التي تربط الشمال والجنوب وتمثل نقطة الاتصال بين العنصر البربري والعنصر السوداني، انظر: إمبراطورية غانا الإسلامية للدكتور إبراهيم طرخان ، ص٢٩ ، ٤٢.

(٢) انظر: صورة الأرض ، ص ١٠٠ ، ١٠٢ ، ابن حوقل ، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت ١٩٧٩م.
انظر: انتشار الإسلام في السودان الغربي ، ص ١٤٦ ، عبدالعزيز الهويمل ، مرجع سبق ذكره .
– وصف أفريقيا ، ص٣٥٦ ، الحسن الوازن ، مرجع سابق .

(٣) انظر: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، ص ١٧٩ ، عبدالله بن عبدالعزيز البكري ، باريس ١٩١١م .

ولم يمض وقت طويل حتى كان الإسلام قد انتشر بين سكان غـــرب أفريقيا . ويذكر البكري أن بعاصمة دولة غانا ثلاثة عشر مســـجداً ، وأن وزراء الملك وتراجمته من المسلمين[١] .

بل إن الإسلام وصل إلى الجنوب فتعدى دولة غانا حيـــث إن ملـــك مالي قد اعتنق الإسلام مبكراً ، ولقب نتيجة لذلك بـــ "المسلماني"[٢] .

كما أن ملك التكرور قد اعتنق الإسلام كذلك وكان اسمه وارجـــابى بن رابيس ، وأقام على قومه شرائع الإسلام وحملهم عليها وتوفي وارجابى سنة ٤٣٢هـ[٣] .

جـ - التجارة :

١ - رحلات التجار المسلمين إلى شرق أفريقيا :

كما تقدم في بداية هذا المبحث أنه كانت للعرب قبل الإسلام صـــلات تجارية وثيقة مع شرقي أفريقيا ، واتصال مباشر مع الأفارقة عبر المحيـط الهندي والسواحل الشرقية لأفريقيا .

ولذلك فإنه بعد ظهور الإسلام وانتشاره في الجزيرة العربية وإيمـــان الناس به واتباعه أصبح التجار خير رسل لنشره في الآفاق المختلفة .

يقول سبنسر ترمنجهام: "وبالأحرى فإنه عندما اعتنق العرب الإسلام كانت لديهم الإمكانيات التي سهلت لهم نشر الدين الجديد عبر طريق البحر واستغلوا الطرق البحرية التي ساعدتهم في نشر الإسلام حتى جزر الـــهند الشرقية . كذلك أدى اتصالهم بالحاميين الرحل على ساحل البحر الأحمـــر والقرن الشرقي لأفريقيا إلى هدايتهم إلى الإسلام ، كما لا يمكن تجاهل مـــا أدى إليه تأثيرهم في قبائل البانتو عبر قرون من الاتصال الدائم المســـتمر من انتشار الإسلام بينهما"[٤].

---

(١) المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، ١٧٥ ، البكري .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص١٧٢ .
(٤) الإسلام في شرق أفريقيا ، ص٣٦ ، مرجع سابق .

ويذكر جوليان[١] : إن النفوذ العربي[٢] الذي أخضع شمال أفريقيا عن طريق الفتح ، امتد إلى الشرق عن طريق التجارة . وقد أنشأ قوم من المغامرين الذين جاءوا من بلاد العرب أو من بلاد فارس - من القرن السابع الميلادي إلى القرن الحادي عشر - سلسلة من الوكالات التجارية في ساحل شرق أفريقيا مثل مقديشو ، وماليندى ، وممباسا ، وبمبا ، وزنجبار ، وموزمبيق ، وكلوة وسفالة أ . هـ .

يقول توماس أرنولد: "وقد دفع الإسلام بتلك الحركة التجارية دفعاً قوياً ، وحمل التاجر المسلم مع سلعته إسلامه الذي هذب خلقه ، وصقله على الصدق والأمانة وعدم الغش ، مما جعله مثار إعجاب الناس في كل مكان . فكان التاجر المسلم يجمع بين نشر الدعوة وبيع سلعته ، كما أن طبيعة عمله جعلت اتصاله بجميع الناس مستمراً دون شك أو ارتياب . ولفت أنظار الناس إليه لكثرة وضوئه وصلاته في أوقات منتظمة"[٣] .

وباختلاف التجار المسلمين من العرب وغيرهم إلى تلك المراكز التجارية واختلاطهم بالسكان ، بل وإقامة بعض المسلمين بها ، بدأ الإسلام يظهر هناك ، ويتغلغل في سكان شرقي أفريقيا بمقدار ما يتغلغل هؤلاء ، ويستقر بمقدار ما يستقرون . خاصة وأنهم تزوجوا من أفريقيات لعدم وجود نساء معهم ، وأعطوا نسباً إلى طبقة الأشراف ذوى الدم العربي ، مما ساعد على انتشار الإسلام[٤] .

بل ذكرت بعض الأخبار أن ملك سفالة[٥] نشر الإسلام بين رعيته ، فاعتنقوه تأسياً به ، وفتح بلاده للتجار المسلمين قائلاً لهم : أنتم السبب في صلاح ديني ، وأنا اليوم فرح مسرور لما منَّ الله به عليَّ وعلى أهلي

---

(١) تاريخ أفريقيا ، ص٧٧ ، شارل جوليان ، مرجع سابق .
(٢) يقصد الكاتب بالنفوذ العربي - أي الفتح الإسلامي - وكثيراً ما يتحامل الغربيون على الإسلام فيصفونه بأنه دين العرب ويقرنون بينه وبين القومية العربية .
(٣) الدعوة إلى الإسلام ، ص٣٩١ ، توماس أرنولد ، مرجع سابق .
(٤) انظر: انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٦٤ ، النقيرة ، مرجع سابق .
(٥) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، جـ٥ ، ص٣٣٧ ، مدينة سفالة قاعدة مملكة الزنج ، تقع جنوب خط الاستواء وأهلها مسلمون .

ودولتي من الإسلام ... فأخبروا المسلمين أن يأتوا إلينا فإنا نحن قد صرنا إخواناً لهم مسلمين مثلهم(١) .

٢ - رحلات التجار إلى غرب أفريقيا :

تعد التجارة من أهم الوسائل التي دخل بها الإسلام إلى القارة الأفريقية بصفة عامة وإلى غربي أفريقيا بصفة خاصة . فقد بدأت طلائع التجار المسلمين تصل إلى غرب القارة منذ وقت مبكر بعد استقرارهم في الشمال الأفريقي .

إذ إنه في أقل من قرن من دخول الإسلام مصر ، كان الفتح الإسلامي قد شمل كل الأراضي الأفريقية شمال الصحراء ، وتوغل الفاتحون في ليبيا. في ذلك الوقت كانت في جنوب الصحراء ممالك وثنية مثل : غانا ، ومالي ، وسونغي ، وكانم ، وكانت بين شمال أفريقيا المسلم وجنوبها الوثني علاقات تجارية نشطة عن طريق القوافل العابرة للصحراء الكبرى . وعن طريق هذه العلاقات التجارية بدأت الدعوة الإسلامية تصل إلى شعوب جنوب الصحراء إلى أن بدأت الممالك في هذا الجزء من أفريقيا تتحول إلى الإسلام(٢) .

كما أن المعلومات التي تواترت عن سلع الممالك الأفريقية حفزت التجار المسلمين إلى تسيير القوافل التجارية ، القافلة تلو الأخرى إلى تلك المناطق للحصول على السلع التجارية الثمينة ، ومن ثمَّ وجدت شبكة من العلاقات التجارية المترابطة بين ممالك السودان الغربي والشمال الأفريقي يقوم على تنظيمها والإشراف عليها تجار مسلمون ، ومن هنا برزت أهمية التجارة كوسيلة من وسائل نشر الإسلام في الغرب الأفريقي ومناطق جنوب الصحراء، والدور العظيم الذي قام به التجار والذي تجاوز التبادل التجاري المجرد، حيث كان التجار دعاة إلى الإسلام في تجارتهم ، سواءً

---

(١) انظر: انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ، ص٦٩ ، النقيرة ، مرجع سابق .

(٢) مراحل وأساليب انتشار الإسلام والمسيحية في أفريقيا ، ص٤٦ ، محمد هاشم عوض ، مقال بمجلة دراسات إفريقية ، العدد ١٥ محرم ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، صادرة عن مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، بجامعة أفريقيا العالمية ، الخرطوم .

بالقيام بعملية الدعوة ذاتها ، أو بالمعاملة والاختلاط والتصاهر مع الآخرين مما أدى إلى جذب الوثنيين إلى الإسلام من خلال حسن التعامل والصدق والخلق الفاضل ، إضافة إلى المظهر الحسن . لذلك أدت التجارة من خلال نشاط التجار المبكر في الأقاليم الأفريقية إلى وصول الإسلام إلى تلك المناطق وانتشاره في مناطق حيوية كثيرة . وقد كان التجار يساهمون بذلك العمل طواعية وباختيار منهم لا تكلف فيه ولا تصنع مما يقوي صلة التاجر المسلم مباشرة بالمجتمع دون وسيط ، ومن ثم مارسوا عملاً تثقيفياً في أوساط هذه المجتمعات وساهموا في تحويلها إلى الإسلام بشكل كبير[١].

ونتيجة لذلك ، فقد أفردت مملكة غانا الوثنية في عاصمتها منطقة خاصة بها مسجد للتجار المغاربة ، وكثيراً ما يرد ذكر مراكز تجارية إسلامية خاصة مثل (كوغا) وقد أدت هذه الصلات إلى أن أعلن بعض الرؤساء الأفارقة إسلامهم منهم (وارجابي) حاكم التكرور على نهر السنغال[٢] .

يقول ابن حوقل عن التجارة في بلاد السودان :

"وحاجتهم -أي أهل غانا- إلى ملوك أودغست ماسة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام فإنه لاقوام لهم إلا به"[٣] .

وهذا يدل على أن الملح من أهم السلع التي ينقلها التجار المسلمون إلى غانا ويأخذون بدلها الذهب الذي تشتهر به مملكة غانا ، الأمر الذي شجع حركة التنقل والترحال للقوافل التجارية .

وحقيقة الأمر أن الإسلام بسماحته وملاءمته للفطرة الإنسانية قد وجد قبولاً بين الوثنيين في الجزء الغربي من القارة ، فبمجرد وصول التجار المسلمين إلى تلك المناطق وتعاملهم مع أبنائها بما تمليه عليهم التعاليم الإسلامية ، ونتيجة لما يتمتع به هؤلاء التجار من أخلاق إسلامية سامية

---

(١) انتشار الإسلام في السودان الغربي ، ص١٥٦ ، الهويمل ، مرجع سابق .
(٢) الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا ، ص٧٩ ، حسن عبدالظاهر ، مرجع سابق .
(٣) كتاب صورة الأرض ، ص ٩٨ ، مرجع سابق .

نجد أن الإسلام قد انتشر واعتنقه عددٌ كبير من السوننك وهم الطبقة الحاكمة في دولة غانا[١] .

د - الممالك الإسلامية :

أولاً : في شرق أفريقيا :

كون المسلمون الذين هاجروا إلى شرقي أفريقيا واستقروا فيها إمارات وممالك إسلامية على امتداد الساحل الشرقي وبالداخل أيضاً يحكمها مسلمون من العرب أو من الفرس أو الأفريقيين المسلمين . وكان لهذه الممالك دورها الكبير في نشر الإسلام وتثبيته في المنطقة وخاصة انتشاره إلى داخل أفريقيا بعد وجود الاستقرار وازدهار التجارة والمصاهرة مع الأفريقيين . وفيما يلي نذكر أهم هذه الممالك .

١ - أمارة لامو :

أنشأها أزد عمان بزعامة سعيد وسليمان أبناء عبدالجلندى عام ٦٩٥م، حول منطقة أرخبيل لامو وهي أقدم الإمارات الإسلامية ظهوراً في تلك المنطقة[٢] .

٢ ـ سلطنة مقديشيو :

أسسها سبعة إخوة هاجروا على رأس مجموعة من قبيلة الحارث التي كانت تقيم بالخليج العربي ، ونزلوا بساحل الصومال في أواخر القرن الثالث الهجري ، وأنشأوا مدينة "مقديشيو" سنة ٢٩٥هـ/٩٠٨م . وأصبحت مملكة قوية ذات شوكة ونفوذ ، حتى وصفها الرحالون بأنها مدينة الإسلام المشهورة في ذلك الصقع المترددة على ألسنة المسافرين كثيرة المساجد عظيمة العمران[٣] .

---

(١) مراكز الحضارة الإسلامية في السودان الغربي ، ص٦٩ ، عبدالعزيز العبيدي ، مقال بمجلة دراسات إفريقية ، عدد (٥) ، مرجع سابق .
(٢) انظر: بمجلة دراسات إفريقية ، ص٨٣ عدد ٢ شعبان ١٤٠٦/ ١٩٨٦م ، مرجع سابق.
(٣) انظر: انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ، ص١٨٢/١٨٣ ، النقيرة ، مرجع سابق .

٣ ـ سلطنة الزنج الإسلامية :

أسسها الفرس الشيرازيون ٩٧٥هـ / ١٤٩٧م ، بقيادة الحسن ابن علي الشيرازي وبنيه ، وعاصمتها كلوة التي جعلوا منها قاعدة ومركزاً كبيراً لنشر الثقافة الإسلامية بين القبائل الأفريقية في الساحل وداخله[١] . وتذكر الأخبار أن كلوة هذه في أيام مجدها وازدهارها كان بها ٣٦٠ مسجداً[٢] .

٤ ـ مملكة وفات (٦٥٠ ـ ٩٥٠هـ) : (أو أوفات) :

وهي أوسع الممالك التي قامت في الحبشة ، إذ يقول في ذلك المقريزي : "وطول مملكتها خمسة عشر يوماً في عرض عشرين يوماً كلها عامرة بالقرى متصلة والأسعار بها رخيصة ، وملك أوفات يحكم على الزيلع ، وغالب أهلها شافعية المذهب ويوجد فيهم بعض الأحناف ويتكلمون باللغة العربية ، وكذلك الحبشية"[٣] .

وقد أسس مملكة وفات الإسلامية مهاجرون من قريش ، قيل من بني عبدالدار ، وقيل من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب قدم أسلافهم من الحجاز واستوطنوا مدينة أوفات التي تنع غربي زيلع - وهي من أكبر مدن الحبشة - واشتهر قوم منهم بالصلاح والتقوى ، إلى أن كان منهم عمر الملقب بـ"ولشمع" أحد تجار أوفات الأقوياء ، فولاه "الحطّي"[٤] مدينة أوفات وأعمالها ، لما نبه شأنه ، فحكم بها مدة طويلة ، وشكرت سيرته ، وصارت له بها شوكة قوية ، وذلك في حدود سنة سبعمائة من سنى الهجرة وطالت مدته[٥] .

---

(١) انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ، ١٧٩ ، مرجع سابق .
مجلة دراسات إفريقية ، ص٨٤ ، مرجع سابق .
(٢) جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، ص٧٠ ، سعيد المغيري ، مرجع سابق .
(٣) الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، ص٦ ، ٧ ، أحمد بن علي المقريزي ، ط . مطبعة التأليف بمصر ، ١٨٩٥م .
(٤) الحطيّ : بلغة الأحباش معناه السلطان ، وهو ملكهم الأكبر الحاكم على جميع أقطارهم ، انظر : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ٣٢٣ .
(٥) المصدر السابق ص٩ .

ولقد كان لهذه الممالك والإمارات دور بارز في نشر الإسلام في ربوع أفريقيا ، إذ كانت معظم هذه الحكومات مسلمة تحكم طبقا لشريعة الإسلام ، وكان معظم حكامها يترسمون هدى الإسلام ويسترشدون بتعاليمه، وكان معظم أفراد رعيتهم المسلمون صورة مجسدة للمجتمع المسلم ، فكان هذا سبباً في تحول غير المسلمين إلى الإسلام ممن كانوا رعايا لتلك الدول أو كانوا يمرون عبرها للاتجار مع رعاياها .

ولقد اعتنت هذه السلطات بإنشاء المدارس الدينية لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم أصول الدين والشريعة واللغة العربية ، وكان بها القضاة والفقهاء والعلماء الذين كانوا يرحلون إليها من سائر أنحاء العالم الإسلامي(١) .

وقد شهد بذلك الرحالة والمؤرخون الذين كتبوا عن تلك الممالك أمثال المقريزي والقلقشندي وابن بطوطة وغيرهم . إذ يذكر المقريزي عن سعد الدين أبو البركات الذي تولى حكم مملكة أوفات في ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م ، أنه مضى على سيرة أخيه حق الدين في جهاد أمحرة الكفرة لكن بتؤدة وسياسة حسنة فكثرت عساكره وتعددت غاراته واتسعت مملكته(٢) . وقال أيضاً عن مظاهر تمسكه بأهداب الدين هو ورعيته : "فعندما التقى الجمعان توضأ هو وأصحابه وصلوا ركعتين فسأل الله تعالى النصر وهم يؤمنون على دعائه ثم ركب بمن معه وقاتلهم فهزمهم الله ونصره عليهم"(٣) .

ووصف جمال الدين محمد بن سعد الدين بأنه خير ملوك زمانه ، ديناً ومعرفة ، وقوة ، وشجاعة ، ومهابة وجهاداً في أعداء الله تعالى بحيث أنه ملك كثيراً من بلاد الحطى النصراني وأعماله ، وما زال مجاهداً في سبيل الله حتى كتب الله له الشهادة ، وكان يصحب الفقهاء وأهل الفقر من الصالحين وينشر العدل في أعماله حتى في أهله وولده(٤) .

---

(١) انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ، ص١٢٨ ، النقيرة ، مرجع سابق .
(٢) الإلمام المقريزي ، ص٩ ، مرجع سابق .
(٣) المصدر نفسه ، ص١٣ .
(٤) لمصدر نفسه ص ١٧ ، ١٨ .

ثانياً : الدول والممالك الإسلامية في غرب أفريقيا :

مملكة بَرْنُو أو الكانم :

قامت في السودان الأوسط حول منطقة تشاد - وهو جزء من إقليم غربي أفريقيا[١] ، وكان أول ظهورها في إقليم "كانم" يرجع إلى القرن الثامن الميلادي ثم نمت وتوسعت في القرنين التاسع والعاشر[٢] ، وامتد سلطانها إلى أراضي مالي وغانا في الغرب ، قال عنها أحد الغربيين : "كانت في القرون الوسطى أستاذة الحضارة الإسلامية في السودان وكانت تدين بالإسلام وتكتب بالعربية"[٣] . وقد قام مايات برنو - جمع ماي " اسم لملك البرنو" - بدور كبير في نشر الإسلام بين الأفارقة وبناء المساجد ، كما حدث في عهد الماي أوم الذي مات ودفن في مصر أثناء رحلته إلى الحج. وكذلك الماى دونمة والماي سالما وغيرهم"[٤] .

ممالك غانا ومالي وصونغي :

كان الفتح المرابطي لغانا سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م ، إيذاناً بقيام دولة غانا الإسلامية في تلك المنطقة[٥] . ثم بعد دولة غانا ظهرت دولة مالي الإسلامية[٦] . وظلت تحكم فتر طويلة من الزمن حتى استطاع ملوك صونغي إقامة دولة إسلامية أخرى ورثت دولة مالي السابقة وخضعت لها مناطق السودان الغربي . وكان لملوك هذه الدول جهود كبيرة في نشر الإسلام وبناء الحضارة الإسلامية وتشجيع العلماء وجلبهم من مختلف مناطق العالم الإسلامي . ومن هؤلاء الملوك منسا موسى ملك مالي (٧١٢ - ٧٣٨هـ) وأخوه منسا سليمان (٧٤٢ - ٧٩٢هـ) ، والسلطان الأسكيا

---

(١) إمبراطورية البرنو الإسلامية ، ص١٧ ، إبراهيم علي طرخان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ، ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م .

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٦ .

(٣) أفريقيا دراسة عامة وإقليمية ، ص٤٤ ، أحمد فليحة .

(٤) إمبراطورية البرنو ، ص٦٩ ، إبراهيم طرخان ، مرجع سابق .

(٥) مراكز الحضارة الإسلامية في السودان الغربي ، ص ٧٠ ، دراسات أفريقية ، عبدالعزيز العبيدي ، مرجع سابق .

(٦) قامت دولة مالي عام (٦٤٠)هـ ، وقد اتسعت حدودها اتساعاً كبيراً نحو الشرق ، حتى النيجر الأوسط ، كما اتسعت نحو الغرب حتى شملت معظم أراضي السنغال الحالية . أفريقيا ، ص ٤١ ، أحمد فليحة ، المرجع السابق .

الحاج محمد ملك صوغى (٨٩٨ - ٩٣٥هـ) ، وغيرهم من ملوك النيل المسلمين الذين رفعوا لواء الدعوة الإسلامية في تلك البقاع .

ولقد ازدهرت مدن الغرب الأفريقي في عهد هذه الدول ، وتحولت إلى مراكز إشعاع للحضارة الإسلامية وأقيمت فيها المساجد والمدارس والجامعات وغصت بأفواج العلماء والفقهاء والقضاة الذين خلفوا ثروة علمية عظيمة تتمثل في المؤلفات الكثيرة في العلوم الإسلامية المختلفة . ونافست هذه المراكز الحضارية - مثل تنبكتو وجنيّ - مثيلاتها في الشرق الإسلامي وفي بلاد المغرب العربي وارتبطت معها بعلاقات علمية قوية ، واستقبلت هذه المراكز وفود العلماء من مختلف البلاد الإسلامية(١) .

هذه لمحة مختصرة عن دخول الإسلام إلى قارة أفريقيا الخضراء . والمهم في ذلك أن الناظر والمتبصر في مراحل انتشار الإسلام ودخوله إلى أفريقيا يجد أن الإسلام قد سبق المسيحية في الدخول إلى القارة الأفريقية في معظم أقطارها أو في كلها باستثناء مصر والحبشة اللتين دخلتهما النصرانية في وقت مبكر أو بعض مناطق الشمال الأفريقي على الساحل التي تأثرت بالغزو الروماني . بل لم تعرف أفريقيا النصرانية إلا في عهد الاستعمار أو ما يسمى زوراً وبهتاناً بحركة الكشوف الجغرافية التي قامت بها أوربا مؤخراً مما سيأتي تفصيله - إن شاء الله - في الفصل القادم .

---

(١) مراكز الحضارة الإسلامية في السودان الغربي ، ص٧٠ ، عبدالعزيز العبيدي ، مرجع سابق .

المبحث الثالث

دخول الإسلام إلى كينيا

المبحث الثالث

دخول الإسلام إلى كينيا

سبقت الإشارة في المبحث السابق إلى ظاهرة الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا ومدى وجود علاقات حميمة بين سكان الساحل الشرقي لأفريقيا وعرب الجزيرة قبل الإسلام ، الأمر الذي مهد وأدى لازدياد تلك الهجرات بعد الإسلام ، ابتداءاً من هجرة الصحابة - رضي الله عنهم - إلى الحبشة وما تلاها بعد ذلك من هجرات أسهمت في نشر الإسلام على الساحل الأفريقي الذي يغطي الساحل الكيني جزءاً كبيراً منه، وبعدها إلى داخل القارة عن طريق التجار .

وفيما يلي نشير إلى أهم هذه الهجرات التي كان لها دور كبير في دخول الإسلام إلى كينيا .

هجرة سليمان وسعيد آل الجلندي :

كانت أول الهجرات العربية والإسلامية الجماعية إلى الساحل الكيني في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، إلى منطقة لامو على ساحل كينيا ، حيث هاجر الأخوان سليمان وسعيد أبناء عبدالجلندي - وهما من أزد عمان - أثر خلافهما مع الأمويين وهزيمتهما من قبل الحجاج بن يوسف ، إذ حملا ذراريهما ومن معهما من قومهما ولحقا ببلاد شرق أفريقيا[١] .

وهجرة آل الجلندي تدل على وجود عربي في المنطقة سابق لهذه الفترة الأمر الذي شجع هؤلاء إلى اللحاق بهم ، ويرجح المؤرخون أن آل الجلندي استقروا في منطقة أرخبيل لامو حيث نزلوا جزيرة باتا من الجزر الواقعة شمال شرق البلاد[٢] .

---

(١) انظر: الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ، ص٨٢ ، ٨٣ ، عمر سالم بابكور ، منشورات جامعة أم القرى ١٤١٧هـ .

(٢) الوطن الإسلامي كينيا ، ص ٣٣ ، سراج الرحمن الندوي ، مقال بمجلة التوعية الإسلامية عدد (١٠) ذي الحجة ١٤٠٣هـ .

وتذكر الأخبار أن عبدالملك بن مروان أرسل جماعة من أهل الشام استعمروا بعض المناطق على الساحل الكيني وغيرها مثل لامو وباتا ومالندى وممباسا وزنجبار وغيرها[١] .

لكن المراجع العربية لم تشر إلى تبعية تلك المناطق رسمياً للدولة الإسلامية . وعليه فإن الذي تؤكده الوثائق ومنها حوليات بيت أن مدينة بيت أوباتا مدينة عربية أسسها السوريون من قبل الخليفة عبدالملك بن مروان وخططوها على النهج العربي عام ٧٧هـ ، ووصلها سليمان وسعيد أبناء عبدالجلندي ووضعا فيها نظام الحكم والإدارة والأسس الكفيلة بنشر الأمن والاستقرار والرخاء ، وشيد هؤلاء المباني والقلاع والاستحكامات ومارسوا الزراعة وصيد الأسماك والحيوان ، ثم تطورت حياتهم بعد ذلك ، بعد أن عملوا بالتجارة التي أدت إلى ازدياد ثرواتهم بسرعة فائقة ، ولم تمض فترة طويلة حتى اندمجوا مع الوطنيين وتطورت قراهم في الساحل والداخل إلى مدن كبيرة زاهرة ، ولما كانت النساء العربيات قلة في شرق أفريقيا فقد بدأ المهاجرون العرب في الزواج من النساء الوطنيات والجواري ، مما أدى إلى زيادة عدد السكان[٢] .

وظلت أمارة بيت العربية منطقة هامة لنقل النفوذ العربي والإسلامي إلى الداخل خاصة بين القبائل الوثنية ، وهي منطقة في غاية الاتساع والكبر ولها علاقة ثقافية وتجارية واسعة مع مكة المكرمة والبلاد الأخرى، وهي تمثل إحدى جزر أرخبيل لامو وأهم جزر هذا الأرخبيل في كينيا اليوم.

كما سبق ذكره فإن هجرة آل الجلندي كانت أولى الهجرات الجماعية الكبيرة إلى المنطقة ، فقد شجع نجاحها هجرات عربية وإسلامية أخرى للحاق بساحل شرق أفريقيا . كما أنها تدل على وجود عربي سابق في المنطقة .

---

(١) انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ، ص٨٤ ، محمد عبدالله النقيرة ، مرجع سابق .
(٢) انظر: الإسلام والمسلمون في كينيا ، ص٨٦ ، بدر رشاد الروبي ، مقال بمجلة التضامن الإسلامي الجزء الأول - رجب/فبراير ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

فقد كشف النقاب عن هجرة إسلامية تمت إلى تلك المنطقة في عـام ٦٧هـ ، إذ ألقى الضوء عليها الأستاذ/ هتشنز عندما عثر على كتاب ألفه شيبو فرج بن حمد الباقري أحد شيوخ المنطقة ، وعنوانه "أخبار لامـو" ، تعرض فيه لأخبار هذه البلدة والهجرات الإسلامية التي وصلتها[١] . وتوجد لامو هذه على الساحل الكيني إلى الشمال من مدينة ممباسا ، وعلى بعـد ٦٢٥كيلو من العاصمة نيروبي وهي جزيرة تجمع عدة قرى .

ويتضح من ذلك أن دخول الإسلام إلى كينيا بدأ منذ فجـره الأول ، في القرن الأول الهجري ، وهبط إلى شواطئ القارة الأفريقية دون غزو أو عنف ، بل عن طريق التجارة والهجرة ، وتم التفاهم مع رؤساء القبائل بالحسنى ، وتبادل المنافع والتجارة ، وظل كل على طبعه ومعتقده دون إجبار على اعتناق رسالة القادمين والتقيد بأفكارهم ، مما شجع القبائل في شرق القارة على التعامل مع القادمين كناشرين وداعين للإسلام ونظمه الاجتماعية ، التي سرعان ما صادفت قبولاً لدى القبائل التي تعيش على الفطرة تبعاً لعادتها وبساطتها ، وتمشياً مع حاجات هذه القبائل وروحها القائمة على المساواة بين الناس مع القناعة .

هجرة الإخوة السبعة[٢] :

وتتابعت الهجرات بعد ذلك فجاءت هجرة الإخـوة السبعة الذين هاجروا من الإحساء عاصمة دولة القرامطة في الخليج العربي ، والذين أسسوا دولة قوية عام ٣٥١هـ/٩١٣م ، كانت عاصمتها مقديشيو . وامتد نفوذهم جنوباً حتى شمل معظم الأراضي الكينية - ممباسا - ومالندي - ولامو - حيث نشروا الإسلام على المذهب السني الشافعي حتى زوال نفوهم السياسي عام ٩٧٥م[٣] .

---

(١) انظر: الإسلام والمسلمون في كينيا ، ص ٨٦ ، بدر رشاد الدوبي ، مقال بمجلة التضامن الإسلامي ، الجزء الأول - رجب / فبراير ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

(٢) الإخوة السبعة هم من زعماء قبيلة بني الحارث العربية التي كانت تسكن في منطقة ساحل الخليج العربي وسبقت الإشارة إلى هجرتهم في المبحث السابق ص

(٣) انظر: تاريخ الأقليات الإسلامية في العالم ، جـ١ أفريقيا ، ص ٨٩ ، السر العراقي وغيثان بن جريس ، ص٢٠ ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

وفي القرن العاشر الميلادي وفد السادة آل الأهدل واستوطنوا لامو . ثم انتقلوا إلى الأصقاع الدانية والقاصية حتى بلغ بعضهم أوغندا ، وكان جل همهم نشر الإسلام حيثما حلوا وارتحلوا ثم تلاهم السادة آل جمل الليل باهرون الذين استوطنوا (باتا) ثم "ويتو" والقرى الداخلية[١] .

وآل جمل الليل هؤلاء أنشأوا فيما بعد مسجد الرياض بلامو ، إذ أنشأه حفيدهم الحبيب صالح بن علوي جمل الليل عام ١٣١٠هـ ، وبناه بالحجارة بعد أن كان مبنيا بالطين والخشب . وهذا المسجد يعتبر مركزاً للدراسات الإسلامية في كينيا ، كما أنه يحتل مركزاً عظيماً بين المساجد التاريخية ، ذلك لأنه أول مسجد قام بإيواء وإعاشة المبتعثين من مختلف جماعات شرق أفريقيا وغيرها من البلاد حيث كان يفد إليه الطلاب من عدة دول منها: بورندي وجزر القمر وموزمبيق والصومال علاوة على المناطق الداخلية من كينيا ذاتها[٢] .

كذلك جاء المشايخ آل العمودي واستوطنوا طاقة ومالندى . وكذلك آل باحسن ، وآل الحسيني ، ونزلوا مناطق متفرقة من كينيا والساحل الشرقي ويرجع إليهم الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في تقديم الإسلام وتنمية الثقافة والحضارة الإسلامية في تلك المناطق[٣] .

هجرة النبهانيين العرب :

بعد سقوط الدولة النبهانية في عمان سنة ٦٠١هـ/١٢٠٣م، هاجرت جماعات كبيرة منهم بزعامة الملك النبهاني سليمان بن سليمان بن مظفر إلى جزيرة باتا على الساحل الكيني ، فلما وصلوها وجدوا بها خليطاً من العرب والفرس كانوا قد سبقوهم للإقامة بها . لكن لما كان الملك النبهاني يتمتع بشخصية عظيمة استقبله العرب بحفاوة وتكريم. وكان أول ما فعله أن تزوج من ابنة حاكم الجزيرة السواحيلي والمسمى إسحاق ، والذي

---

(١) انظر: الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ، ص٨٨ ، ٨٩ ، عمر بابكور ، مرجع سابق .

(٢) مجلة الأزهر ، جـ٤ ، السنة ٦٥ ، ص٥١٤ ، ٥١٥ ، ربيع الآخر ١٤١٣هـ/أكتوبر ١٩٩٢م .

(٣) المصدر السابق ، ص٨٩ .

تنازل لابنته وصهره عن حكم الجزيرة ، فأسس الأسرة النبهانية التي تولت حكم شطر كبير من ساحل شرق أفريقيا في العام ٦٠١/١٢٠٣م ، واستمرت حتى القرن الثالث عشر الهجري . أي حتى خضوعها للسلطنة العربية في زنجبار(١) .

وقد ذكر حسن محمود في كتابة الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا أن الملك النبهاني ابن مظفر صاحب عمان استطاع أن يتزوج أميرة سواحيلية ابنة إسحاق حاكم باتا ؛ ثم ورث الملك وأصبح أميراً شرعياً ، ثم نقل بلاطه من عمان إلى شرق أفريقيا وتأسست الأسرة النبهانية في مدينة باتا . وقد قامت هذه الإمارة في ظلهم بدور بارز في تاريخ الإسلام في شرق أفريقيا(٢) .

فمن مدينة باتا انطلقت قبيلة بني نبهان وتمكنت من التوغل إلى الداخل الكيني منذ القرن السابع الهجري ، وقد بذل بنو نبهان جهوداً مضنية في نشر الإسلام واللغة العربية بين القبائل الوثنية ، كما أخضعوا مدناً عديدة على الساحل الكيني وفي الداخل يعتبر بعضها في العمق الأفريقي مثل : كيرمبا ، وكوامانا ، ومالندى ، وكويام ، وكيس مايو ، ويتولا ، وكيونقا ، فأصبحت بذلك مراكز هامة لنقل الحضارة والثقافة الإسلامية(٣) .

دور الشيرازيين :

وفي عام ٩٧٥م ، وصلت جماعات أخرى إلى الساحل وهم آل شيراز الفرس وتمكنوا من الاستيلاء على بلاد شرق أفريقيا كلها في سهولة ويسر ، وجعلوا من مدينة كلوة في تنزانيا عاصمة لهم(٤) ، وامتدت مملكتهم

---

(١) انظر: انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ومناهضة الغرب له ، ص١٣ ، النقيرة ، مرجع سابق.
- الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، ص٦١/٦٢ ، مطبعة الجبلاوي ١٩٧٥م، من منشورات معهد البحوث والدراسات العربية .

(٢) الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، جـ١ ، ص٤٣٨ حسن أحمد محمود ، ط. دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٣م .

(٣) انظر: تاريخ الأقليات الإسلامية في العالم ، جـ١ أفريقيا ، ص٩٥ ، مرجع سابق .

(٤) المصدر نفسه - أفريقيا ، ص٩١ ، ٩٣ .

من ساحل البنادر شمالاً ولامو في كينيا إلى سوفالا في روديسيا الحالية . وظلت قائمة حتى دخول البرتغال إلى هذا الساحل في عام ١٤٩٧م[١] .

وقد نشر الشيرازيون الإسلام في مناطق لم يصل إليها المسلمون من قبل ، وتوغلوا في الداخل كثيراً ونشروا الإسلام واللغة العربية بين سكانه. وقد أبقى الشيرازيون الفرس على كل النظم التي وضعها العرب في شرق أفريقيا ومع أنهم شيعة إلا أن المذهب الشافعي السني ظل هو السائد في كل البلاد ، ما عدا جهات محددة[٢] .

وبدأ الشيرازيون في تشييد المدن ، فأسسوا مدينة مالندي في كينيا بعد أن خربوا المدينة الأولى وأحرقوها ، وكان ذلك في عام ١٩٧٦م ، وهناك بعض الآثار والمقابر الفارسية والعربية وقطع الخزف التي عثر عليها تشير إلى الشيرازيين بمالندي في بداية تأسيسها ، وكذلك توجد في المدينة بعض الآثار الإسلامية التي ترمز شواهدها إلى قدم الإسلام في تلك الأجزاء[٣] .

استأنف الأمير علي بن حسن سيره جنوباً من مالندي حتى وصل إلى ممباسا (ميناء كينيا اليوم) فجعلها قاعدة ومركزاً للإشراف على الإمارات التي استولى عليها قبل وصوله إلى ممباسا ، وجعل بذلك مالندي إمارة تابعة لممباسا وكون حكومتها المركزية ومقرها في ممباسا . وهذا يؤيد ما ذكره صاحب تقويم البلدان عن مالندى حينما قال : "وسكنى ملكهم في مدينة ممباسا"[٤] .

وقد ازدهرت مالندى ازدهاراً عظيماً في عهد السلطان سليمان حسن العظيم سلطان كلوة (١١٦٠ - ١١٧٩م) ، وقد تطورت مدينة ممباسا هي الأخرى تطوراً عظيماً حتى أصبحت مدينة كبيرة وغنية إذ كانت تعتبر

---

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام ، ص ٢٧٨ ، توماس ، وآرنولد .
(٢) انظر: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص١٦٢ ، محمد بن أبي طالب الدمشقي ، بطربورغ ١٢٨١هـ/١٨٦٥م .
(٣) تاريخ الأقليات الإسلامية - أفريقيا ص٩٧ ، مرجع سابق .
(٤) انظر: تقويم البلدان ، ص١٥٢ ، أبو الفدا عماد الدين بن محمد بن عمر ت (٧٣٢هـ - ١٣٣٢م) ، باريس ١٨٤٠م .

أكبر مدن سلطنة كلوة الإسلامية وأكثرها منعة كما ذكر ذلك عنها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان[١] .

وبذلك أصبح المسلمون يتحكمون على طول الساحل ، حتى بلغوا جنوب أفريقيا وظلت لهم السيادة الكاملة عليه وعلى جزره وداخله ، لمدة تزيد على الخمسة قرون ، حيث تطورت المدن كما مر ذكره وبلغت شأوا عظيماً ، وشجع الحكام الأهالي على العمران وبناء المساجد والمدارس والبيمارستانات ودور العبادة ، كما انتشر الأمن وعم الرخاء والعدل بانتشار الإسلام . كما انتعشت التجارة ، وقام السلاطين بتأمين الطرق إلى الداخل ، وحماية السفن في المحيط الهندي لتأمين التجارة مع الشرق .

وجدد سلاطين كلوة الحملات الحربية إلى الداخل لنشر الإسلام بين قبائل البحيرات العظمى في كينيا وأفريقيا الوسطى وأوغندا . كما وصلت جيوش عديدة إلى أراضي رواندا وبورندي ونياسلاند وروديسيا وجنوب الحبشة وشرق الكنغو ، وفتحت أبواب التجارة في تلك الجهات حتى بلغت نياسا وتنجانيقا وفكتوريا[٢] .

ومن هذا يتضح أن سلاطين دولة الزنج الإسلامية في كلوة قد بذلوا جهوداً كبيراً في سبيل نشر الإسلام واللغة العربية في الداخل ، حيث تمكنوا من التوغل إلى مناطق داخلية بعيدة وأقاموا علاقات تجارية مع القبائل الأفريقية في الداخل .

ويعتبر ازدهار حركة التبادل التجاري مع الداخل من العوامل التي ساعدت على نشر الإسلام في كينيا . كما كانت من العوامل التي عملت على ازدهار وتطور الحركة العلمية فيها واشتهرت مدن ممباسا ومالندى وكلوة بمكانتها العلمية كمراكز كبرى للثقافة الإسلامية في تلك البقعة . وقد عنى حكام الساحل بجانب الاهتمام الكبير بالحركة الثقافية والفكرية ، عنوا عناية كبيرة بنشر الإسلام بين القبائل الإفريقية التي لم يصلها الإسلام ،

---

(١) انظر: معجم البلدان ، جـ٨ ، ص١٨٣ ، بيروت ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م .

(٢) انظر: الأقليات الإسلامية في العالم ، جـ١ أفريقيا ، ص٩٨ ، السر العراقي وغيثان جريس ، مرجع سابق .

من ساحل البنادر شمالاً ولامو في كينيا إلى سوفالا في روديسيا الحاليــة . وظلت قائمة حتى دخول البرتغال إلى هذا الساحل في عام ١٤٩٧م[١] .

وقد نشر الشيرازيون الإسلام في مناطق لم يصل إليها المسلمون من قبل ، وتوغلوا في الداخل كثيراً ونشروا الإسلام واللغة العربية بين سكانه. وقد أبقى الشيرازيون الفرس على كل النظم التي وضعها العرب في شرق أفريقيا ومع أنهم شيعة إلا أن المذهب الشافعي السني ظل هو السائد في كل البلاد ، ما عدا جهات محددة[٢] .

وبدأ الشيرازيون في تشييد المدن ، فأسسوا مدينة مالندي في كينيــا بعد أن خربوا المدينة الأولى وأحرقوها ، وكان ذلك فـــي عـــام ١٩٧٦م ، وهناك بعض الآثار والمقابر الفارسية والعربية وقطع الخزف التي عـــثر عليها تشير إلى الشيرازيين بمالندي في بداية تأسيسها ، وكذلك توجد فـــي المدينة بعض الآثار الإسلامية التي ترمز شواهدها إلى قدم الإسلام في تلك الأجزاء[٣] .

استأنف الأمير علي بن خسن سيره جنوباً من مالندي حتـــى وصـــل إلى ممباسا (ميناء كينيا اليوم) فجعلها قاعدة ومركـــزاً للإشـــراف علـــى الإمارات التي استولى عليها قبل وصوله إلى ممباسا ، وجعل بذلك مالندي إمارة تابعة لممباسا وكون حكومتها المركزية ومقرها في ممباسا . وهـــذا يؤيد ما ذكره صاحب تقويم البلدان عن مالندى حينما قال : "وسكنى ملكـهم في مدينة ممباسا"[٤] .

وقد ازدهرت مالندى ازدهاراً عظيماً في عهد السلطان سليمان حسن العظيم سلطان كلوة (١١٦٠ ـ ١١٧٩م) ، وقد تطورت مدينة ممباسا هـــي الأخرى تطوراً عظيماً حتى أصبحت مدينة كبيرة وغنية إذ كـــانت تعتـــبر

---

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام ، ص ٢٧٨ ، توماس ، وآرنولد .

(٢) انظر: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص١٦٢ ، محمد بن أبي طـــالب الدمشـــقي ، بطربورغ ١٢٨١هـ/١٨٦٥م .

(٣) تاريخ الأقليات الإسلامية - أفريقيا ص٩٧ ، مرجع سابق .

(٤) انظر: تقويم البلدان ، ص١٥٢ ، أبو الفدا عماد الدين بن محمد بن عمـــر ت (٧٣٢هـــ - ١٣٣٢م) ، باريس ١٨٤٠م .

وخاصة قبائل الداخل الوثنية ، مثلما عنوا عناية تامة بشتى نواحي الحياة الأخرى - الاقتصادية والاجتماعية والدينية -. فأصبحت تلك البلاد إسلامية خالصة بفضل هذه الجهود - بعد فضل الله سبحانه وتعالى - وبدأت حملات ثقافية تأخذ مكانها بين شبه الجزيرة العربية وشرقي أفريقيا ، واشتملت بالطابع الديني ، وأرسلت البعثات إلى الدول العربية الإسلامية، وعاد أبناء تلك البلاد لتعليم الإسلام وقواعده إلى شعوبهم، وبرزت مدن إسلامية مثل : لامو ، ومالندى ، وممباسا وتانجا ، فأصبحت مراكز إشعاع للدعوة الإسلامية ، وكان من الطبيعي أن ينتقل الإسلام إلى الداخل . وظهرت مراكز تجارية مثل كيتوتو ، وساباى ، وممياس في داخل كينيا ، واتخذ العرب والسواحليون منها مراكز استقرار في الداخل[١] .

كذلك وصل الإسلام إلى كينيا عن طريق آخر ، حيث كانت القبائل الصومالية دعامته ، فانتقل الإسلام عن طريقهم إلى شمال كينيا ، فانتشر ين القبائل التي تعيش في منطقة الشمال ، الذي صاحب امتداد نفوذ دولة آل بوسعيد إلى داخل شرق أفريقيا ، وعندما فرض الاستعمار البريطاني والألماني سيطرتهما على هذه المنطقة عرقلا سريان الدعوة الإسلامية ، وشجعا البعثات التنصيرية ، وكان طبيعياً أن يقاوم المسلمون نفوذ الاستعمار والتنصير ، فشبت الثورات في كينيا ، كان منها ثورة ويتو (Witu) في سنة ١٨٩٠م ، وثورة المازوري (Mazuri) في سنة ١٨٩٥م ، وانتشرت الثورات في ساحل كينيا[٢] .

ومن الجماعات التي أسهمت أيضاً في نشر الإسلام في كينيا ، قبائل البانتو والجالا التي اعتنقت الإسلام منذ وقت مبكر ، حيث قامت بدور كبير في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية ، خاصة قبائل الماساى ، كما قامت بدور نضالي كبير ضد المستعمرين الأوربيين ، وقاوموا حركات التنصير. وغالبية هذه القبائل المسلمة على المذهب الشافعي ، وينتشرون في القطاع الساحلي من مدن باتا ، ولامو ، ومالندى ، ومدينة نيروبي في

(١) الأقليات الإسلامية ، ص٩٣ ، سيد عبدالمجيد بكر .
(٢) المصدر نفسه ص٩٣ .

الداخل وما حولها كما ينتشرون في القطاع الكيني المجاور للصومال وأوجادين . وبالإضافة إلى العرب والفرس توجد جالية هندية وباكستانية مسلمة في كينيا ، وإن كان هؤلاء جاء قدومهم متأخراً نسبياً عن الجماعات الأخرى . ومازال الإسلام ينتشر بين الجماعات الأفريقية مثل البانتو ، وبين النيليين الحاميين ، وبين العناصر الصومالية في شرقي كينيا(١) .

لقد حملت الهجرات العربية التي وفدت إلى ساحل شرق أفريقيا والساحل الكيني خاصة بذور الحضارة الإسلامية التي انفردت عن سائر الحضارات القديمة والحديثة بخلوها من نظام الطبقات والعنصرية البغيض أو الحاجز اللوني المشين ، بل تنزهت عن شرور الحضارات التي تنادي بتقسيم البشرية إلى أجناس يعلو بعضها فوق بعض طبقات ، والتي وضعت الحاجز اللوني الذي لا يسمح للرجل الأبيض بأن يندمج مع قرينه صاحب البشرة السوداء . وكان لترفع الحضارة الإسلامية ولسموها في هذا المضمار ، والتي حملت الهجرات العربية بذورها إلى أفريقيا كان لها أكبر الأثر في انتشار الإسلام بين العديد من الشعوب والدول والقبائل الأفريقية.

ولا شك أن العرب المسلمين الذين هاجروا إلى كينيا قد ارتبطوا بالسكان الأصليين وصاهروهم، وتركوا تأثيرات حضارية وسلالية ودينية لازالت حية إلى يومنا هذا ، وقد كشفت الحفريات التي أقيمت في منطقة الساحل عن الصور الرائعة التي كانت عليها تلك المدن والمستوطنات ، ويؤكد ذلك وجود مستوطنة غنية في ماندا بالقرب من لامو شمال شرق البلاد(٢) .

يقول سبنسر ترمنجهام في ذلك : فانتشار الإسلام في كينيا وأفريقيا إذن جاء نتيجة رحلات كانت التجارة أو الاستيطان هدفها الأساسي ، إذ لم يكن للإسلام مبشرون يسيرون في البلاد - إلا ما ندر - ومع ذلك فقد تغلغل بالمخالطة إلى نفوس الأهالي والسكان من الوطنيين وأصبحنا نرى

(١) الأقليات الإسلامية ، ص٩٣ ، ٩٤ ، سيد عبدالمجيد بكر ، مرجع سابق .
(٢) انظر: الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ، ص٦١ ، عمر بابكور ، مرجع سابق.

أمثلة من الورع والتقوى التي لا تقوم إلا في نفوس شربت الدين في طفولتها ، وروعته تكمن في أنه لم يتخذ وسيطا إلى نفوس الأفارقة . ولم يجعل لنفسه داعية إلى أفئدتهم ، بل خاطب بنفسه أهل الفطرة ودخل قلوبهم، ولم يلجأ إلى التغيير العنيف حتى لا ينفر الأهالي منه ، فقد كان حكيما حليما في أنه تعايش مع العادات ، وترك من يريد من الأفارقة يحتفظون بما يشاءون من عادات(١) .

وقد نشرت إحدى الصحف الكينية في ١٩٨٨/٨/٣م ، مقالاً نسبت فيه إلى رئيس قرية "واسينى" في كينيا السيد / حميد جمعة إنه يعتقد بأن أصل تاريخ جزيرة "واقومبا" يرجع إلى عام ١٠٠٠م ، وقد حكم المنطقة في فترة من الفترات الحاكم "مواتا شامبى " ، الذي شجع سكان الجزيرة على تقبل الدين الإسلامي من التجار العرب الذين أتوا من الجزيرة العربية، وهناك دلائل تشير إلى استخدام سكان الجزيرة لأدوات منزلية عربية حيث اكتشف وجود الخزف والعملات العربية القديمة(٢) .

والذي ينظر إلى كلام ترمنجهام سابق الذكر يجده يبين عظمة الإسلام وشمول رسالته وعالميتها وملاءمتها للبشر بمختلف ألوانهم وألسنتهم ، وأنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، فسرعان ما يتعرف المرء على الإسلام تخالط بشاشته القلب وتطمئن إليه النفس فتتقبله بكل انشراح ، ذلك أنه لم يكن دين كهنوت ، ولا تعقيد ، بل توجيهات ربانية واضحة . وإن هؤلاء القوم الذين انتقل عبرهم الإسلام إلى الأفارقة لم يكونوا دعاة متخصصين لنشر العقيدة ، ولم تكن وراءهم جهة تدعمهم ، أو تسندهم بالمال والعتاد ، مقارنة بجيوش المنصرين التي تجوب البلاد طولاً وعرضاً لنشر ملتهم وعقيدتهم تدعمهم الإمكانيات الضخمة والدول والمنظمات والهيئات الكبيرة العالمية منها والإقليمية . وأن الإسلام لو وجد أقل الإمكانيات والإخلاص والاجتهاد من دعاة متخصصين ومسلمين

---

(١) الإسلام في شرق أفريقيا ، ص٢٠ ، مرجع سابق .
(٢) الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا، ص٦٣، عمر سالم بابكور، مرجع سابق.

ملتزمين تعاليمه لما بقي في أرض أفريقيا أحدٌ على غير دين الإسلام ، فهذا التشجيع البسيط من حاكم الجزيرة ، جزيرة "واقومبا" أدى لأن يعتنق أهلها الإسلام ، فكيف لو قام حكام المسلمين اليوم بالدور نفسه في التشجيع على نشر الإسلام والتزام تعاليمه لكانت السيادة والغلبة للمسلمين بإذن الله.

ويذكر المؤرخون أن أهل الساحل الشرقي لأفريقيا تطلعوا إلى عون الدول الإسلامية ضد الغزو البرتغالي المتكرر على شواطئ البلاد، فأرسلوا رسالة سرية إلى إمام عمان يشرحون له فيها أحوالهم السيئة ، وما يعانونه من غزو المسيحيين النصارى من الأوربيين ويطلبون منه أن يمد لهم العون ليتحرروا ويحموا أرضهم وتراثهم وكان طبيعياً أن يستجيب إمام عمان[١] .

ووقع على المذكرة التي أرسلت إلى العمانيين عدد من مشايخ ممباسا في ذلك الحين . فكان أن استجاب الإمام اليعربي سيف بن سلطان لدعوة المسلمين هناك ، وقام بمطاردة الأسطول البرتغالي في مياه المحيط الهندي فجرد عليهم حملة في زنجبار سنة ١٦٥٥م ، وأنجد أهل ممباسا في سنة ١٦٦٠م ، واستمرت معركة التحرير حتى سقوط قلعة المسيح في ممباسا سنة ١٦٩٨م[٢] .

وفي سنة ١٧٤٠م ، استطاع الإمام أحمد بن سعيد أن يحرر المسلمين في شرق أفريقيا نهائياً . وكان هذا التحرير من الكابوس الذي جثم على صدر المسلمين نحو قرنين من الزمان كان نذيراً بانطلاقة عظيمة للنفوذ الإسلامي . فقد عاودت الحركة الإسلامية نشاطها ، وبدأ المسلمون يعوضون ما فاتهم تحقيقه في السنوات الماضية ، وبدأ الإسلام يتوغل

(١) التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، ص٣٢ ، سيد أحمد يحيى ، نشر دار العمير للثقافة والنشر جدة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٢) الدور العماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق أفريقيا ، ص ٢١ ، عبدالرحمن أحمد عثمان ، مقال بمجلة دراسات أفريقيا ، العدد ١٤ ، رمضان ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، مرجع سابق .

توغلاً حقيقياً إلى الداخل ، وبدأ الدعاة ينشرون الإسلام في موزمبيق وسفالة ، ونفذ الإسلام إلى نياسالاند[١] .

وبعد اختفاء الخطر البرتغالي تعمق المسلمون في توغلهم الداخلي ، فنفذوا إلى هضبة البحيرات ودخلوا أوغندا ، دخلها تجار زنجبار سنة ١٨٢٥م ، ودخل الإسلام كينيا وتنجانيقا . وفي خلال القرن الثامن عشر أنشئت المساجد في القرى الواقعة على طول الطريق التجارية الموصلة إلى بحيرات نياسا وتنجانيقا ، وأدرك التسرب الإسلامي حدود الكنغو ، ويذكر هتشنز أنه لا تكاد تخلوا قرية في قلب هذه المنطقة من مسجد للمسلمين[٢] .

وقد زار ابن بطوطة ممباسا سنة ١٣٠٠م ، ودهش مما كانت عليه هذه المدن من تنظيم ومن حالة الرخاء السائدة في تلك المناطق ، ووصف الشوارع المنظمة التي رآها ، ومنازل العرب المبنية هناك من الحجارة ذات النوافذ الخشبية المزينة بالنقوش المحفورة ، كما كانت للمنازل حدائق غناء ، ويذكر أنه شاهد في كل مدينة رآها وزارها من مدن الساحل الأفريقي الشرقي مسجداً مزيناً بنقوش[٣] .

ويذكر سبنسر ترمنجهام عن ابن بطوطة عند زيارته للساحل الشرقي لأفريقيا سنة ١٣٢٩م ، ووصفه لممباسا بأن أهلها شافعيون يتصفون بالورع بدليل أنهم أقاموا المساجد[٤] .

كما شهد نفس الشهادة دوراتي بربوسا ، وهو رحالة زار ممباسا ومالندى وبمبا وزنجبار . وأيضاً تحدث البرتغاليون الذين استقروا بعد ذلك في هذه الجهات عن مظاهر تلك الحضارة الزاهرة . ويعلق كوبلاند (Qupland) على هذا قائلاً : إننا يجب ألا نندهش لما يذكره هؤلاء الرحالة من مظاهر الحضارة التي نقلها العرب لشرق أفريقيا فإن العرب كانوا في

---

(١) الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، جـ١ ، ص٤٧٩ ، أحمد محمود .
(٢) المصدر نفسه ، ص٤٧٩ .
(٣) مهذب رحلة ابن بطوطة ، ص٢٠٠ ، تهذيب أحمد العوامري ومحمد جاد المولى ، طبعة بولاق .
(٤) الإسلام في شرق أفريقيا ، ص٤١ ، مرجع سابق .

ذلك الوقت حملة لواء الحضارة ، وحتى القرن الثالث عشر الميلادي تفوق تلك التي في أكسفورد أو التي في أي مدينة مسيحية أخرى[١] .

وهذا أكبر دليل - شهادة الأجنبي - على تلك الحضـــارة الإســلامية الراقية التي أوجدها الإسلام في تلك المنطقة ، وعلى تلك الآثار العظيمـــة التي لا تزال واضحة إلى اليوم ، حيث ازدهرت التجارة والزراعة وعـــم الرخاء وظهرت اللغة السواحيلية نتيجة لاختلاط اللغة العربية بلهجات قبائل البانتو .

(١) الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ، ص١١٢ ، عمر ســالم بــابكور ، مرجــع سابق.

المبحث الرابع
واقع الدعوة الإسلامية في كينيا

المبحث الرابع
واقع الدعوة الإسلامية في كينيا

أحوال مسلمي كينيا في الوقت الراهن :

التوزيع الجغرافي والتركيبة العرقية :

بالنظر إلى التقسيم الجغرافي لأماكن وجود المسلمين في كينيا وأصولهم العرقية نجدهم ينقسمون إلى أربعة أقسام :-

القسم الأول :

ويضم الأكثرية من المسلمين وتتركز في القطاع الساحلي الشرقي ، وبخاصة ممباسا - الميناء البحري الشهير على المحيط الهندي - ومالندى ، ولامو ، وقانجا ، وكِلِيفى ، وتاكونجى وغيرها . ومعظم السكان في هذه المنطقة جاءوا من شبه الجزيرة العربية مناطق مسقط وعمان وحضرموت واليمن إضافة إلى مصر .

القسم الثاني :

وسط كينيا ، ويشمل نيروبي وجزءاً من ليزى ونيوكى ، حيث يمثل الأفارقة المسلمون أكبر الكتل السكانية المسلمة في البلاد .

القسم الثالث :

في مناطق الشمال والشمال الشرقي ، وهي منطقة تغلب عليها العناصر الصومالية والأرومية .

القسم الرابع :

يوجد في نيانزا بالقرب من بحيرة فكتوريا وأوغندا وتمثله نسبة صغيرة من المسلمين حيث يعيش بعض السواحيليين والصوماليين في المدن الصغيرة والمراكز التجارية ، أما سكان بلدة مومبا في شمال نيانزا على الطريق الرئيسي من أوغندا إلى الساحل غالبيتهم مسلمون (سواحيليون وصوماليون ونوبيون) ، ويمكن القول بأن مومبا ووانجا من

أهم المراكز الإسلامية في المنطقة يضاف إلى ذلك المجموعات ذات الأصول الباكستانية والهندية والفارسية، الذين يبلغ عددهم قرابة الـ ١٠%، أو أقل بقليل من مجموع السكان المسلمين في البلاد(١) .

الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في كينيا :

يعاني المجتمع الإسلامي في كينيا نقصاً في الأموال والإمكانيات والقدرات الاقتصادية ويواجه كثيراً من المشكلات مثل الأمية والفقر والمجاعة والبطالة . ويخيم البؤس وتردي الخدمات على أكثر مناطق المسلمين وقراهم . هذا باستثناء بعض رجال الأعمال المسلمين من العرب أو الهنود وهم عدد محدود وكذلك دورهم في الدعوة أيضاً . وفي مقابل ذلك تقدم البعثات التنصيرية الأدوية والأغذية والمصحات المتنقلة ، وينشط ذلك في مناطق المسلمين ، وهذا الوضع يجعل المؤسسات الإسلامية لا تقوى على مواجهة حركة التنصير ، ولولا فضل الله ثم تمكن العقيدة الإسلامية من نفوس المسلمين في كينيا لتحقق لتلك الجهات المشبوهة ما تريد ، وهو هدم الإسلام(٢) .

لذا فالمسلمون يسعون إلى تأسيس بيت مال إسلامي خاص بهم من أجل تعزيز قدراتهم المالية بوجه عام ، كذلك اقترح بعض المفكرين المسلمين هناك ، أن تقوم المؤسسات والمنظمات الإسلامية التي تجمع الزكاة بإقامة مركز يتم من خلاله توزيع الأموال على المحتاجين(٣) .

وفيما يتعلق بالوضع الاجتماعي فإن المسلمين مستقرون في المراكز الحضرية ، وتدور تجمعاتهم وفق قومياتهم وجالياتهم ، ويلاحظ أن معدل الطلاق مرتفع في أوساط المسلمين مقارنة بغير المسلمين ، ويرى العديد

---

(١) انظر: تاريخ الأقليات الإسلامية في العالم ، جـ١، أفريقيا، ص١٠٠، السر العراقي، وغيثان بن جريس ، مرجع سابق .
- الإسلام والمسلمون في كينيا ، مجدى بن محمد عيسى ، مقال بمجلة الشقائق ص ٢٥ ، العدد ٢٤ ، جمادى الثانية ١٤٢٠هـ/١٠/٩/١٩٩٩م .

(٢) المرجع السابق ، أفريقيا ، ص١٠١ .

(٣) انظر : مجلة الشقائق ، ص٢٥ ، العدد ٢٤ ، مرجع سابق .

من المهتمين بالشأن الإسلامي في هذا دليلاً على تفكك الأسر الأفريقية المسلمة ، وللمسلمين محاكم أحوال شخصية خاصة بهم يرأسها قاض مسلم(١) .

الأحوال التعليمية والثقافية في كينيا :

أما من الناحية التعليمية فإن المسلمين الكينيين - وخصوصاً سكان ممباسا -متوسطوا التعليم بسبب تدني مستوى الدخل فيضطر الآباء إلى دفع أبنائهم إلى سوق العمل لا إلى مقاعد الدراسة ، هذا على الرغم من أن التعليم الابتدائي مجاناً في كينيا .

وأمام هذا الوضع الخطير ، قامت جمعيات إسلامية وأفراد خيِّرون بإنشاء عدد من المدارس الإسلامية الخاصة في كافة أنحاء البلاد ومن هذه المدارس المنتشرة في كينيا ، معهد كسوني الإسلامي الثانوي في ممباسا ، ويلتحق المتخرجون منه بالكليات في الجامعات الإسلامية في البلاد العربية وغيرها ، ويدرس فيه المنهج السعودي للمرحلة الثانوية في المعاهد العلمية، وهو أحد المشاريع التعليمية للمؤسسة الإسلامية في نيروبي . كذلك يوجد معهد ومركز الفلاح الإسلامي في مدينة أسيولو ، ومدرسة الفلاح في ممباسا وقاريسا ، ومعهد ميتشاكوس الإسلامي ، ومدرسة النور الإسلامية ، ومدرسة ومركز النجاح الإسلامي في وجير ، والمدرسة الإسلامية في كِبرا بنيروبي ، ومدرسة مكارم الأخلاق في مالندى ، وهذه كلها مدارس متوسطة إعدادية .

كذلك هناك دار التربية الاجتماعية للأيتام المسلمين في قاريسا ، ومركز التوحيد الإسلامي ممباسا ، والمركز الإسلامي في ناكورو ، وغيرها من المدارس الابتدائية التي توجد في كثير من القرى والمدن إما في عمارات مستقلة أو غرف بجانب المساجد ، وفي بعض القرى يتعلم

---

(١) انظر : مجلة الشقائق ، ص٢٥ ، العدد ٢٤ ، مرجع سابق .

التلاميذ تحت الأشجار هذا بالإضافة إلى معهد النساء المسلمات والكلية الإسلامية في ممباسا .

وهناك مشروع تعليمي بارز هو " مجمع التعليم الإسلامي في نيروبي " يضم مدرستين ومعهداً دينياً ثانوياً ، ومدرسة للبنات وجامعة ومعهداً لإعداد الدعاة في ممباسا وعيادة طبية .

ومنذ عام ١٩٧٣م ، بدأت جمعية مسلمي كينيا الخيرية مشروعاً لدعم المدارس القرآنية ، ورفع كفاءة العملية التعليمية بتحسين مستوى معيشة المعلمين ، وتحسين الرعاية الصحية للتلاميذ ، وتطوير المناهج الدراسية ، كل هذا لكي تنهض هذه المدارس بدور رئيسي في تحسين الأوضاع التعليمية والاجتماعية والاقتصادية لمجتمع المسلمين(١) .

ورغم أن مسلمي كينيا يرغبون في اكتساب علوم الغرب وتقنياته إلا أنهم يتورعون عن مجاراة الغرب في أخلاقياته وممارساته . ويؤكد التربويون المسلمون في كينيا على أن المقررات الدراسية في مدارس ومعاهد التعليم الإسلامي يجب أن تجمع بين القيم الروحية والمعرفة العلمية والتطبيقية للعلوم الحديثة المتغيرة بسرعة ويشجع التربويون المسلمون على تبني الاتجاهات والطرائق الحديثة في التعليم حيث يتم استخدام "الدراما" و "الراديو" و "التلفزيون" و "أشرطة الكاسيت" في التدريس .

كما أن هناك بعض المكتبات المشهورة منها مكتبة الشيخ عبدالله في نيروبي ، ومكتبة المؤسسة الإسلامية في نيروبي أيضاً ، ومكتبة سيف بن سالم في ممباسا ، إضافة إلى بعض المكتبات الخاصة التي يملكها أفراد من المسلمين في ممباسا .

ويحاول مسلمو كينيا التعبير عن بعض تطلعاتهم ، وذلك بإصدار بعض الصحف والمجلات التي تعبر عن واقعهم الثقافي والحضاري ، مثل جريدة الرسالة ، الصادرة عن جمعية الشبان المسلمين ، ومجلة "الإسلام" الصادرة عن المؤسسة الإسلامية في نيروبي .

---

(١) انظر: مجلة الشقائق ، ص٢٦ ، مرجع سابق .

الأوضاع السياسية في كينيا :

رغم أن العناصر العربية في كينيا والتي تمثـــل العمـــود الفقـــري للتركيبة الإسلامية في البلاد ما زال بعضها بدرجة عاليـــة مـــن الـــثراء والوفرة المادية إلا أنهم فقدوا مراكزهم القيادية في المجتمع الكيني ، وقـــل تأثيرهم على المجموعات الأفريقية الأخرى ، وخرجت السلطات السياسـية والتنفيذية من أيديهم ، وأصبحوا مقادين مأمورين بعد أن كانوا سادة البلـــد وحكامه ، ويلاحظ عليهم الانزواء والابتعاد عن الأحداث أو حتى محاولـــة التدخل لتعديل مسارها أو اتجاهها[١] .

ومنذ عام ١٩٦٣م ، شغل غير المسلمين معظـــم المنـــاصب العليـــا المرموقة في الهيئات الحكومية المختلفة ، إلا أن عام ١٩٨٣م ، شهد دخول وزير مسلم في مجلس الوزراء ، وازداد عددهم بذلك ، وفي الوقت الراهن يوجد هناك وزير في مكتب رئيس الدولة وأربعة مســـاعدي وزيـــر مـــن المسلمين ، وهو رقم لا يتناسب مع عدد المسلمين في البلد ، وبالإضافة إلى ذلك فإن ١٤% فقط من إجمالي عدد النواب في البرلمان الكيني هـــم مـــن المسلمين ، وعلى الرغم من وجود بعض المسلمين في منـــاصب رفيعـــة أخرى إلا أن عددهم مازال ضئيلاً .

ويلاحظ أيضا أن المجتمع الإسلامي في كينيا يفتقر إلى زعيم سياسي ينهض بشؤون المسلمين ويسعى لتوحيدهم وتوجيههم ، وقد حاول قـــاضي القضاة ورئيس المجلس الأعلى لمسلمي كينيا الاضطـــلاع بهمـــة قيـــادة

---

(١) يعزو بعض المراقبين هذا الموقف على أنه ردة فعل طبيعية للمذبحة التـــي راح ضحيتـــها الآلاف من العرب المسلمين في زنجبار عندما قام الرئيـــس الســـابق جوليـــوس نـــايريرى بالتخلص منهم تحت شعار الأعداء البيض ، انظر: مجلة الأزهـــر ، جـــ٩ ، ص١٠٢٧ ، رمضان ١٤١١هـ ، ومن المعلوم أن نايريري كان نصرانياً متعصباً واضح العداء للإسلام والمسلمين ، حيث اجتاحت جيوشه في بداية السبعينات دولة أوغندا للإطاحة بحكم الرئيـــس المسلم عيدي أمين لكي يفسح المجال للنصارى ، وللأسف حينما هلك هذا الطاغية مؤخـــراً ٢١ أكتوبر ١٩٩٩م ، قالت عنه بعض الصحف العربية إنه يوصف بـ "المعلـــم" وزعيـــم تنزانيا الكبير ومؤسسها ، وأنه وهب حياته من أجل قضايا عدم الانحيـــاز والكفـــاح ضـــد الامبرياليه بينما لم تذكر شيئاً عن فعلته الشنعاء تلك أو غيرها . انظر: جريـــدة الريـــاض ، العدد ١١٤٤٢/١٣ رجب ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩/١٠/٢٢م ، وجريدة عكاظ بالتاريخ نفسه.

المسلمين هناك ، إلا أن المسلمين اعترضوا على ذلك ، وفيما يتعلق بالمجلس الأعلى فإن بعض أعضاء المجتمع الإسلامي الكيني يرون أن رئاسة المجلس الأعلى لا يمكن اعتبارها رئاسة للمسلمين وذلك لأن الجمعيات ذات العضوية هي التي تشارك في عمليات انتخابات قادة المجلس(١) .

ويحاول المسلمون هناك التعبير عن توجهاتهم وطموحاتهم من خلال الأحزاب السياسية ، فمنذ أوائل عام ١٩٩٢م ، قام بعض المثقفين المسلمين في كينيا بتأسيس حزب جديد هو "حزب كينيا الإسلامي" وعزموا على خوض أول انتخابات متعددة الأحزاب والتي أجريت علم ١٩٩٢م ، إلا أن السلطات منعت تسجيله بدعوى أنه حزب قائم على أساس ديني الأمر الذي يتناقض مع المبادئ العلمانية التي تقوم على أساسها الدولة ودستورها ، وما زال الحزب يناضل من أجل إتاحة الفرصة له وتسجيله ، وثمة حزب آخر أنشئ مؤخراً هو حزب "مسلمو أفريقيا المتحدون" وبالإضافة إلى الأحزاب السياسية فهناك "الاتحاد الوطني لمسلمي كينيا" وهو أكبر تنظيم إسلامي في البلاد(٢) .

وخلاصة القول أن المسلمين في كينيا ليس لهم تنظيم واحد يستوعبهم، ولا قائد موحد يجمعهم ، وهذا مما يحد من تأثيرهم السياسي .

موضوع الدعوة في كينيا :

رغم أن كينيا تعتبر ملتقى لمجموعات ثقافية متنوعة منذ القدم، حيث وصلتها مجموعات (الكوشيت(٣)) في سنة ٢٠٠٠ ق.م ، و (البانتو(٤)) حوالي ٣٠٠ - ٤٠٠ ق.م ، وفي أوائل القرن الميلادي وصلت مجموعة نيولتيك الذين أسسوا حضارة تروسيريكو ، إلا أن الإسلام يعتبر أول

---

(١) انظر: الشقائق ، ص ٢٥ ، مرجع سابق .
(٢) المصدر نفسه .
(٣،٤) الكوشيت والبانتو تمثل أكبر القبائل والمجموعات الأفريقية التي تسكن أفريقيا وما يزال حتى اليوم توجد منهم مجموعات كبيرة في كينيا وخاصة البانتو .

الديانات السماوية التي وطئت قدمها كينيا ، وتكونت نتيجة لذلك الحضارة الإسلامية العظيمة على الساحل الأفريقي المركبة من العرب والبانتو والتي امتد تأثيرها إلى اليوم، والتي سبق الحديث عنها في المبحث السابق حول دخول الإسلام إلى كينيا .

وتميزت حركة انتشار الإسلام والدعوة إليه في كينيا منذ دخوله إليها بالازدهار تارة وبالانكماش تارة أخرى ، فهي بين مد وجزر دائماً ، وقد كانت الحضارة الإسلامية مزدهرة إبان فترة الحكم الإسلامي للمنطقة وشهدت الدعوة الإسلامية نمواً وتوسعاً كبيراً شمل مناطق كثيرة من القارة، ثم ضعفت الدعوة أيام الغزو البرتغالي للمنطقة بقيادة فاسكود جاما وتم تدمير وحرق المساجد والمدن الإسلامية مثل ممباسا ومالندى . ثم ازدهرت مرة أخرى بعد طرد البرتغاليين على أيدي آل المزروعي وآل بوسعيد العمانيين ، وفي فترة حكم الأسرة البوسعيدية هذه وفي عام ١٨٨٢م ، بلغت الدولة الإسلامية في المنطقة أوج عظمتها وازدهارها ، إذ شجع آل بوسعيد الهجرات الإسلامية إلى المنطقة ، كما شجعوا التعليم الإسلامي ، وأنشئوا علاقات وثيقة وجيدة بشبه الجزيرة العربية .

ثم انكمشت مرة أخرى حين مجيء الغزو الأوربي بأشكاله الاستعمارية المختلفة في أواخر القرن التاسع عشر ، حيث شهدت هذه الفترة دخول النصرانية إلى البلاد بكثافة ، وتدهورت أحوال المسلمين إلى أن تشكل الواقع الحالي لمسلمي كينيا فأصبحت نسبتهم الآن ما بين ٣٥ ـ ٤٠% من جملة سكان البلاد وتضاءل بالتالي (دورهم السياسي والاجتماعي والثقافي ، وقل تأثيرهم الاقتصادي بعد أن كانوا هم أصحاب التجارة في المنطقة والمسيطرون عليها . وذاب الكثيرون منهم في فترة الاستعمار هذه في المجتمع الكيني ونسي بعضهم لغتهم وجذورهم ولم يبق لهم من الإسلام إلا الاسم وملامح البشرة التي هي خليط من العربية والأفريقية . وقد انعكس ذلك على الجيل الجديد من أبناء العرب وبناتهم إذ فقدوا إلى حد كبير لغتهم والمؤسف أيضاً أن هؤلاء نسوا أيضاً تاريخهم ونسوا أن أجدادهم كانوا إلى عهد قريب هم حكام المنطقة وساداتها .

والإسلام الذي ينتشر بين مسلمي كينيا اليوم هو الإسلام السني في غالبه ، إذ يشكل المسلمون السنة ٩٩% من جملة المسلمين ، بينما توجد بعض الفرق الصوفية ، وقليل من الأفكار الشاذة الأخرى مثل الشيعة الإسماعيلية والتي تنتشر خاصة بين المسلمين من أصول هندية وباكستانية وطائفة الأحمدية التي لها نشاط واسع في أفريقيا إلا أن نشاطها في كينيا محدود جداً .

القائمون بالدعوة في كينيا ومظاهر الصحوة :

المسلمون في كينيا واعون وعياً جيداً للمخططات اليهودية والتنصيرية التي تهدف إلى إيقاف المد الإسلامي في البلاد وفي منطقة شرق أفريقيا عموماً ، وهم عموماً متمسكون بعقيدتهم وحريصون على أداء شعائر الإسلام ، ويلاحظ تزايد أعداد الفتيات اللواتي يرتدين الحجاب ، ولعل المظهر الأهم للصحوة الإسلامية هناك هو التوسع في إقامة المدارس والمعاهد الدينية بالجهود الذاتية ، خاصة وأن القدر المتاح من الحرية الدينية في كينيا يكاد لا يوجد في غيرها من البلاد الأفريقية المجاورة ، ففي الظاهر هناك حرية دينية للجميع ، وبعد الاستقلال فتحت الدولة المجال لإنشاء المدارس الإسلامية الخاصة في القرى والمدن التي تكثر فيها نسبة المسلمين ، وأعطتهم بعض التسهيلات ، مثل السماح بتدريس الدين الإسلامي واللغة العربية كمواد اختيارية في المدارس الحكومية على أن يتكفل المسلمون أنفسهم بالنفقات اللازمة لذلك ، ومنحتهم بعض الأراضي لإقامة المشاريع الإسلامية عليها ، وفي هذا الجانب يلقى باللائمة على المسلمين أنفسهم وفي تقاعسهم عن نشر دينهم والدعوة إليه مع أن منهم عدد لا بأس به من أصحاب الأموال وأغنياء يمكنهم أن يسهموا إسهاماً كبيراً في نشر الدعوة لو أنفقوا في سبيل الله بسخاء .

لذلك يعاني المسلمون في كينيا الآن من شح الإمكانيات المادية ، وقلة الدعم المادي والمعنوي الذي يتلقونه من بعض الجهات والهيئات

الإسلامية الأمر الذي جعل استفادتهم من تلك التسهيلات ضئيلة جداً . فهناك نقص حاد في مدرسي العلوم الإسلامية واللغة العربية لتدريس أبناء المسلمين حتى في المدارس الابتدائية ، إضافة إلى عدم المقدرة المالية التي تسمح لهم بالإنفاق على أبنائهم في المدارس الحكومية والجامعات ، هذا بالمقارنة مع الإمكانيات التنصيرية الضخمة التي تحيط بهم من كل مكان.

وأمام هذا التحدي الخطير ظهرت عدة جهود تبذل ومحاولات لمواجهته من قبل المسلمين الكينيين ، بعضها جهود فردية ، وبعضها عن طريق دعم إخوانهم من العالم الإسلامي لهم ، فكانت نتيجة ذلك أن ظهرت عدة جمعيات إسلامية تدعو إلى الإسلام وتدافع عنه ، وتعمل كل جمعية بحسب وسعها وطاقتها في إنشاء المدارس والمعاهد الدينية والمساجد وحلقات القرآن الكريم ومساعدة الفقراء والأيتام ، وبلغ عدد هذه الجمعيات أكثر من خمسين جمعية تنضوي تحت لواء المجلس الأعلى لمسلمي كينيا ، ومهمته تولي الأمور التنسيقية بين هذه الجمعيات والإشراف على النشاط الإسلامي، وهو يقوم بدور همزة الوصل بين هذه الجمعيات وبين الحكومة الكينية[١] .

أما أبرز هذه الجمعيات الإسلامية ، فهي : جمعية الشبان المسلمين ، الجمعية الإسلامية الصومالية ، الجمعية الخيرية الإسلامية ، الاتحاد الوطني لمسلمي كينيا ، الجماعة الإسلامية - وهي فرع للجماعة الإسلامية في باكستان والهند - بيد أن أكبر هذه الجمعيات وأنشطها هي " المؤسسة الإسلامية " التي أنشئت عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، بجهود بعض الرجال المؤمنين الغيورين على الدين[٢] . ولها نشاط دعوى بارز يتمثل في الآتي:–

---

(١) انظر: عبدالغفور البوسعيدي ، رئيس المجلس الأعلى لمسلمي كينيا ، في مقابلة معه في جريدة العالم الإسلامي ، ص١٢ ، بتاريخ ٦ - ١٢ ذو القعدة ١٤١٩هـ ، الموافق ٢٢ - ٢٨ فبراير ١٩٩٩م .
وانظر: مجلة الأمة القطرية ، ص٢٣ ، عدد محرم ١٤٠٣هـ .

(٢) انظر: مقال بمجلة التضامن الإسلامي ، ص٨٨ ، بدر رشاد الدوبى ، الصادرة عن وزارة الحج ، سنة ٤٥ ، جـ١ ، رجب ١٤١٠هـ/ فبراير ١٩٩٠م .

١ - طبع ونشر الكتب الإسلامية باللغات المحلية وخصوصاً السواحيلية كان منها إصدار أكثر من ثلاث طبعات لترجمة معاني القرآن الكريم.

٢ - الدعوة إلى الإسلام عبر المحاضرات والندوات والبرامج الإذاعية التي تبث بعدة لغات محلية وأجنبية .

٣ - إنشاء عدد من المدارس لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم قواعد ترتيله .

٤ - إقامة عدد من المراكز الإسلامية ومراكز التأهيل المهني في العديد من المدن الكينية .

كذلك من الجمعيات التي لها نشاط بارز (جمعيات الشبان المسلمين) والتي تركز على العمل وسط الشباب والطلاب الجامعيين بصورة خاصة ، ومساعدة الفقراء منهم على تحمل نفقات الدراسة ، كما تعمل على إمداد المدارس الحكومية والكليات بالمدرسين للعلوم الإسلامية واللغة العربية والمساهمة في دفع رواتبهم ومكافآتهم ، إضافة إلى رعاية الأيتام وبعض المدارس القرآنية في مناطق مختلفة من البلاد .

إضافة إلى الجمعيات المحلية هناك منظمات ومؤسسات دعوية إقليمية ، لها نشاط بارز ، ومكثف في الدعوة ، والإغاثة داخل كينيا ، من أبرزها الهيئات الإسلامية بالمملكة العربية السعودية مثل دار الإفتاء ، ورابطة العالم الإسلامي ، والندوة العالمية للشباب الإسلامي ، وهيئة الإغاثة الإسلامية ، وقد أشاد الدكتور عبدالغفور البوسعيدي رئيس المجلس الإسلامي في كينيا بدور هذه المؤسسات في خدمة الدعوة الإسلامية هناك[١].

أيضاً هناك جهود بارزة للأزهر الشريف تتمثل في ابتعاث الدعاة والمدرسين ونشر الكتاب الإسلامي ، كما للجنة مسلمي أفريقيا الكويتية ذات الدور الذي يتضمن أعمالاً إغاثية كبيرة ، والإسهام في بناء

---

(١) جاء ذلك في مقابلة معه بصحيفة العالم الإسلامي ، عدد الإثنين ٦ - ١٢ ذو القعدة ١٤١٩هـ ، مرجع سابق .

المساجد، وكفالة الدعاة ، ورعاية الأيتام ، ودعم المدارس والمعاهد ، والرعاية الصحية .

المدعوون في كينيا :

يمثل المدعوون في كينيا عدة فئات وديانات فهناك النصارى وهناك الوثنيون ، وهناك المسلمون ممن يحتاجون إلى توعية وتعليم وإعادة تأهيل حتى يصبحوا مسلمين فاعلين .

أما النصارى وهم أغلب قبائل البانتو والكيكويو ذات الأصول الأفريقية ، وهؤلاء تم تنصيرهم أثناء تعرضهم للهجمة التنصيرية القوية المصاحبة للاستعمار والتي غيرت عقيدتهم وغيرت مفهومهم نحو الإسلام والمسلمين وشحنوا من قبل الكنيسة بالأفكار المعادية للإسلام وكراهيته التي تعمقت في نفوسهم ، وهؤلاء يحتاجون إلى من يصحح لهم تلك المفاهيم المغلوطة عن الإسلام في أذهانهم - مثل ربطة بالعنصرية والاسترقاق والتخلف واستعباد الأفارقة ونحو ذلك - ثم دعوتهم بعد ذلك ، وقد حدثت استجابات كثيرة للإسلام من قبل هؤلاء من خلال الجهود الدعوية لبعض الجهات ، فإن بعضهم رغم اعتناقهم للنصرانية إلا أنهم قد يكونون غير مقتنعين بها ، وربما لأنهم لم تصلهم رسالة الإسلام من قبل دعاته ، أو قد تكون أصولهم إسلامية ولكنهم تنصروا بسبب التعليم الذي تشرف عليه الكنائس .

وفي كينيا كثيرون من النصارى اليوم يشعرون أنهم أقرب إلى الإسلام من دينهم النصراني ، ويذكر الدكتور عبدالرحمن السميط في هذا ، أن أحد كبار ضباط الجيش الكيني بعد أن قضى فترة تدريبيه في باكستان ورأى كيف يعيش المسلمون هناك شهر رمضان المبارك الأمر الذي أثر عليه تأثيراً مباشراً فقال[١]: إن معظم المسيحيين الأفارقة أصبحوا نصارى بسبب التعليم والمدارس التي تشرف عليها الكنيسة وأن المسيحية ليست

---

(١) رحلة خير في أفريقيا ، ص٣٢ ، مرجع سابق .

دين آبائه ولا أجداده ، ورغم أنه يذهب للكنيسة كل أحد - حيث أصبح ذلك عادة أكثر منه عبادة - إلا أنه على يقين في قلبه بأن المسجد أحق بالدخول، والإسلام أحق بالاتباع . أ . هـ .

أما الفئة الثالثة: وهم الوثنيون وهؤلاء هم الأكثرية من حيث العدد إذ يمثلون نصف سكان البلاد تقريباً(١) . وهم باقون على فطرتهم ، ولم تتلوث بعد أفكارهم وأذهانهم بالمفهوم الغربي للإسلام وأكاذيب المستعمرين عنه ، أو بالفكر الكنسي الذي يشوه لهم صورة الإسلام ويكرهه إلى نفوسهم ، وربما كان بعضهم له صلات وعلاقات مع المسلمين ، فهم يحتاجون فقط من يقدم لهم دعوة الإسلام ويبين لهم أحكامه ويعلمهم أمور دينهم وعبادتهم فسرعان ما يستجيبون ويتم تقبلهم للإسلام .

ومثال ذلك قبائل الغرياما الوثنية التي تجد فيها أسماء مثل أحمد ومحمد وسعيد وعلي ، وبعضهم يصوم رمضان أو يبتعد عن الموبقات خلال أيام الشهر ، وهم عموماً قريبون جداً من الإسلام ، ويرجع ذلك إلى أن مبارك المزروعي أمير ممباسا - من المهاجرين العرب وهو من أصل عماني - استعان بأجداد قبيلة الغرياما في قتال البرتغاليين فاختلط أفراد القبيلة بالمقاتلين المسلمين ، وتأثروا بهم ، وأحبوا الإسلام ، ولكن لم تكن المدة طويلة حتى يتعرفوا على الإسلام أكثر ويمارسوه على الوجه الصحيح ، ولم يجدوا دعاة حتى الوقت الحالي ليشرحوا لهم مبادئ الإسلام، وفي إحدى القرى التي أسس فيها دعاة لجنة مسلمي أفريقيا مسجداً اجتمع حولهم الأهالي محتفلين فرحاً بقدومهم يحملون المصابيح المضاءة ، وحينما تحدث معهم دعاة اللجنة أوضحوا لهم أنهم على استعداد لتقبل الإسلام ، ويرغبون في ذلك(٢) .

وفي قرية أخرى تدعى "لوسانغاني " حينما شرعت اللجنة في بناء مسجد لمسلمي القرية الذين يعتبرون قلة مقارنة بباقي أهل القرية غير

---

(١) ذكر ذلك الدكتور البوسعيدي رئيس المجلس الأعلى لمسلمي كينيا - جريدة العالم الإسلامي ٦ - ١٢ / ١٤١٩هـ ، مرجع سابق .

(٢) انظر: رحلة خير في أفريقيا ، ص٢١ ، عبدالرحمن السميط ، مرجع سابق .

المسلمين ، فإذا بمعظم أهل القرية يعلنون إسلامهم ، وما ذلك إلا لأنهم باقون على فطرتهم ولم يشعروا بأن هناك تعارضاً بين ما هم عليه من فطرة فطرهم الله عليها وبين الدين الإسلامي[١] .

وهناك أمثلة كثيرة مشابهة فقط تحتاج لتحرك المسلمين في مجال نشر الدعوة .

الأساليب الدعوية في كينيا :

تعتمد الدعوة الإسلامية في كينيا على أساليب مختلفة أبرزها الآتي:-

١ - حلقات المساجد :

وهو أسلوب منتشر في كثير من مناطق البلاد ويعتمد فيه على إلقاء الدروس أثناء هذه الحلقات وإلقاء الخطب والمواعظ والإرشادات العامة في التوجيه والتربية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي طريقة فعالة ومؤثرة لأنها محدودة التكاليف بحيث إنها لا تحتاج إلى إمكانات مادية ضخمة فغالباً ما يكون المشايخ الذين يقومون بتلك الأعمال لا ينتظرون راتباً شهرياً بل أكثرهم متطوعون والمجال مفتوح لمن أراد أن يخطب أو يوجه أو يدرس .

٢ - المناظرة :

وهي من الأساليب الشائعة والمنتشرة ويلاحظها المرء خاصة في العاصمة نيروبي حيث تجرى هذه المناظرات بين المسلمين والنصارى في الحدائق والشوارع العامة ، وغالباً ما يقوم بهذه المناظرات علماء من المسلمين خرجوا من النصرانية بعد أن بلغوا مراتب عالية في سلم الكنيسة، ويقوم هؤلاء العلماء بإحضار نسخ من القرآن الكريم والإنجيل معاً في مكان المناظرة ويجمعون النصوص المؤيدة للقرآن والتي وردت في الإنجيل ، ويقابلونها بالآيات القرآنية التي تذكر نفس المعاني ، وغالباً ما

(١) انظر: رحلة خير في أفريقيا ، عبدالرحمن السميط ، مرجع سابق .

تتركز المناظرة حول نبي الله عيسى –عليه السلام– وأمه مريم وبعثة نبينا محمد ﷺ .

وتأتي أهمية هذه الطريقة وفائدتها في كونها تعطي فرصة لعامة النصارى كي يتعرفوا على الدين الإسلامي وحقيقته السمحة ، كما تعطيهم فكرة صحيحة عن قضايا إسلامية هامة لا يتمكنون من سماعها في غير هذا المكان ، وبعيداً عن أكاذيب الكنيسة التي تخفي عنهم كثيراً من حقائق الإسلام بل وتخوفهم منها ، وغالباً ما تنتهي هذه المناظرة بإعلان عدد من النصارى إسلامهم بعد اقتناعهم بالحجة والدليل .

وهناك أساليب ووسائل أخرى للدعوة في كينيا أتيحت مؤخراً مثل السماح بتدريس مواد التربية الإسلامية والعلوم العربية في المدارس الحكومية للدولة، وهذه الطريقة لوا استغلت الاستغلال الأمثل ستوفر على المسلمين هناك كثيراً من الجهد والعناء وستكون ثمارها أكثر لأن الطالب المسلم يتسلح بالمعرفة الإسلامية والعربية وفي الوقت نفسه تتاح له فرصة تعلم العلوم العصرية مثل الرياضيات والعلوم والصناعات اليدوية بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية لغة الدولة الرسمية والمستخدمة في دواوين الحكومة، الأمر الذي يؤمن له وضعاً وظيفياً واجتماعياً أفضل مما يؤدي إلى رفع المستوى العام للمسلمين وتقريبهم من مناطق صنع القرار وأجهزة الحكم المختلفة في الدولة .

وعموماً الحديث عن الدعوة الإسلامية في كينيا وواقعها كما يقولون حديث ذو شجون ، ويحتاج إلى رسالة منفصلة لوحدها لكي تلم بجميع جوانبه ، ولكن هذه مقتطفات من الواقع كان لابد من الإشارة إليها حتى تتضح الصورة أكثر مقارنة بجهود النصارى في البلاد .

الفصل الثاني
دخول النصرانية إلى أفريقيا
وعلاقتها بالاحتلال

ويشتمل على تمهيد وخمسة مباحث:

تمهيد :

المبحث الأول : دخول النصرانية إلى أفريقيا .

المبحث الثاني : دخول النصرانية إلى كينيا .

المبحث الثالث : علاقة الإرساليات التنصيرية بالاحتلال في كينيا .

المبحث الرابع : موقف الإرساليات النصرانية من الوجود الإسلامي في كينيا .

المبحث الخامس : موقف المسلمين في كينيا تجاه المد التنصيري ، وجهودهم في مواجهة ذلك .

تمهيد :

الصراع بين الخير والشر وبين الإسلام وأعدائه موجود منذ ظهور الإسلام نفسه ، فبعد أن صدع رسولنا الكريم ﷺ بكلمة لا إله إلا الله في بواكير الدعوة واجهته صنوف وألوان من العداوات ، وصبر على أعدائه من المشركين واليهود حتى جاءه نصر الله . ومازال عداء اليهود والنصارى لهذا الدين مستمراً إلى يومنا هذا ، بل إلى أن تقوم الساعة ، يقول المولى عز وجل في محكم كتابه : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾(٢) .

وتعددت وسائل هؤلاء في معاداتهم للإسلام واستمر مسلسلها طوال فترة الدعوة ، فتخنس حينما تكون للمسلمين قوة ، وتشرئب حينما يضعفون أو تظهر بوادر فتنة وخلاف بينهم ، حتى جاءت الحملات الصليبية في القرن الحادي عشر الميلادي لتحارب المسلمين بأكثر من مليون جندي حاقد ، وبعد أن أنهكت الحروب الصليبية الأمة الإسلامية وجيوشها ، عند ذلك هوى العالم في الظلام حينما انحسرت حضارة الإسلام لفترة مؤقتة وضعفت قوته وتشتت دوله ، وكان من بين تلك البلاد التي أصابها الضعف أفريقيا ، التي ظل الإسلام منذ دخوله إليها يؤدي ويقوم بدوره الحضاري فيها ، وفي معظم أقطارها خاصة الشرقية والغربية والشمالية قرابة سبعة قرون من الزمان .

وبعد اكتشاف العالم الجديد وعصر النهضة الأوربية ، ظهرت حضارة أوربية جديدة كان أثر الإسلام فيها واضحاً في جميع أوجه حياتها، وما نقلته أوروبا من علوم وفنون وآداب عن المسلمين كان لها الأثر الكبير في قيام ممالك أوروبية جديدة في شمالها ووسطها بالإضافة إلى إنجلترا وفرنسا وإسبانيا .

---

(١) سورة البقرة ، آية (١٢٠) .
(٢) سورة البقرة ، آية (٢١٧) .

وما إن أقبل القرن التاسع عشر الميلادي حتى نشطت حركة الاستعمار[١] ، وشملت معظم أنحاء العالم الإسلامي ومنها القارة الأفريقية المسلمة ، وكان فاسكودى جاما البرتغالي قد وضع خطته لتطويق العالم الإسلامي وسد المنافذ عليه بالتفافه حول أفريقيا عبر مضيق ماجلان والمحيط الهندي حتى وطئت أقدامه ساحل شرق أفريقيا، وتبع البرتغاليين في ذلك الإنجليز والألمان والفرنسيون فتقاسموا المنطقة بين نفوذهم ، وفعل فعلتهم كذلك الإيطاليون في ليبيا والصومال ، وحشد هؤلاء المستعمرون الجدد جيوشاً من المبشرين النصارى استخدمهم الاستعمار في تلك المناطق من أفريقيا ، والمتتبع لحركة النشاط التنصيري الذي مارسه المنصرون الغربيون في أفريقيا يجده يعتمد بشكل واضح على جهود بعض قناصل ومبعوثي الدول الغربية ، بل كان بعض هؤلاء القناصل يشارك مشاركة مباشرة في عمليات التنصير بينما يتستر تحت مسمى وظيفته الرسمية ، وهذا ما يتضح - إن شاء الله - من خلال مباحث هذا الفصل .

(١) يفضل البعض استخدام كلمة (احتلال) بدلاً عن (استعمار) وذلك لمخالفة واقعها للاستعمال اللغوي الصحيح ، ولكن يبدو أن المفهوم الذي ترسخ في الأذهان لكلمة استعمار هو بمعنى الاحتلال وحكم الأجنبي لأراضي المسلمين بالقوة .

المبحث الأول
دخول النصرانية إلى أفريقيا

المبحث الأول
دخول النصرانية إلى أفريقيا

إن المتتبع لدخول النصرانية إلى أفريقيا يلاحظ أن ذلك تم في مرحلتين ، كان أولهما دخول النصرانية إلى بعض المناطق في أفريقيا عبر دعاتها ، وشملت تلك المرحلة مصر وساحل الشمال الأفريقي والحبشة وبلاد النوبة في شمال السودان ، وهذه المرحلة انتهى أثرها بالفتح الإسلامي لهذه البلاد وعادت كلها بلاد إسلامية عدا الحبشة .

أما المرحلة الثانية فكانت مع بدايات الاستعمار الأوروبي للقارة وتمكنها بواسطته . وهذه المرحلة شملت مناطق غربي القارة ووسطها وشرقيها ، وعليه سيستعرض الباحث في هذا المبحث - إن شاء الله تعالى - دخول النصرانية إلى أفريقيا من خلال هاتين المرحلتين :-

أ - المرحلة الأولى :

بواكير النشاط الكنسي في أفريقيا :

انتشرت النصرانية في قرونها الأولى في ثلاثة أقطار أفريقية هي مصر والشمال الأفريقي منطقة الشريط الساحلي والحبشة وظهرت بعد ذلك بضع ممالك مسيحية في الإقليم المتاخم للحبشة (أثيوبيا) وهي الممالك النوبية التي دخلتها النصرانية متأخرة بعض الشيء مقارنة بمصر وأثيوبيا، وقد ظلت شعوب تلك الأقاليم تلتف حول تنظيم كنسي واحد إلى أن جاء العرب إلى مصر في القرن السابع الميلادي حاملين إليها رسالة الإسلام ، ولما كان النفوذ المسيحي النصراني لم يتغلغل في العمق الأفريقي فقد حل الإسلام محل النصرانية في تلك الأقاليم الساحلية بسهولة ولم تبق إلا الكنيسة القبطية محصورة في مصر كما بقية الكنيسة الحبشية معزولة عن العالم الخارجي بينما اختفت النصرانية عن ممالك النوبة والشمال

الأفريقي تماماً لأنها لم تتعمق في القارة الأفريقية ولم يحاول دعاتها التوغل في أراضيها(١) .

وفيما يلي نلقي نظرة سريعة على دخول النصرانية في أهـم هـذه الأقطار :

أولاً : مصر :

دخلت النصرانية مصر حوالي منتصف القرن الأول الميلادي ، على يد القديس مرقس الإنجيلي الذي بنى أول كنيسة مصرية في الإسـكندرية ، ورسَّم إينيانوس أسقفاً لها ، واجتذبت النصرانية عدداً من يهود الإسـكندرية وغيرهم من سكان البلاد من اليونانيين والمصريين ، وحوالي نهاية القـرن الثاني زاد عدد النصارى زيادة تتطلب إنشاء ثلاث أسقفيات في الإسكندرية والوجهين القبلي والبحري ، ولكن هذا الدين الجديد في مصر واجه حركـة المدرسة الفلسفية الوثنية التي وقفت ضده ونشطت في جمع الكتب الفلسـفية وتأليفها لصرف الناس عنه(٢) .

ثم بدأ الأباطرة يحسون بالخطرة الذي يهدد الدولة الرومانية والمتمثل في هذا الدين الجديد ، فأصدر الإمبراطور "ساويرس" مرسوماً سنة ٢٠٢م، يحرم فيه على رعاياه الدخول في الديانة المسيحية أو الديـن اليـهودي(٣). ومع هذا لقيت النصرانية في مصر بيئة صالحة للنمو والانتشـار ، لأنـها تعبيراً قوياً لنزعة قومية ضد الرومان بدليل تمسـك المصرييـن بلغتـهم القبطية التي غدت فيما بعد لغة الكنيسة ، فضلاً عن التنظيم الكنسي الـذي انفردت به الكنيسة المرقسية منذ نشأتها وخاصة فـي ترتيـب الوظـائف الكهنوتية والدينية وهي الأسقفية والقسيسية والشماسية ، علاوة على انتشار الديرية والرهبنة، وظهور مدرسة اللاهوت بالإسكندرية التي انبرت للـرد

(١) انظر: التنصير والتغلغل الاستعماري في أفريقيا ، ص١٢٥ ، مركز البحـوث والدراسـات الأفريقية ، من إصدارات جامعة أفريقيا العالمية ، الخرطوم .
(٢) انظر: تاريخ الأمة القبطية وكنيستها ، ص٥٨ - ٥٩ ، تادرس شنودة .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٤ .

على مدارس الفلسفة اليونانية الوثنية ، ومن هذه المدرسة اللاهوتية قاد المنصرون الأوائل البعثات التنصيرية إلى البلاد المجاورة(١) .

تعرض المسيحيون في مصر إلى سلسلة من الاضطهادات الدينية على عهد الإمبراطور (سيوس سنة ٢٥٠م) ، ثم في عهد فالريان (٢٥٣ - ٢٦٠م) ، وأقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م) ، الذي كان أشدهم عنفاً في محاولة القضاء على المسيحية وأنصارها لما في الدين الجديد من تهديد للوحدة الوثنية الإمبراطورية ، وفي عهد أقلديانوس خاصة هجر المصريون المسيحيون مساكنهم واتجه بعضهم إلى منطقة طيبة الممتدة من الأقصر الحالية إلى أسوان ، وهي المنطقة التي لم يستطع الرومان إتمام السيطرة عليها ، بسبب الحركات البليمية(٢) المعادية لهم منذ القرن الثالث الميلادي ، واتجهت جماعات أخرى من المهاجرين المصريين إلى الصحراء الغربية ، فضلاً عمن اتجه منهم إلى منطقة النوبة السفلي والوسطى ، واستقروا في جزر النيل وبين ثنايا التلال والصخور على جانبي النيل ، حيث مارسوا عبادتهم الجديدة في اطمئنان بعيداً عن ضغط الرومان(٣) .

ثم في أيام قسطنطين الأكبر (٣١٣ - ٣٣٧) الذي أظهر ميله للمسيحية عقب إحراز النصر على منافسة وخصمه مكسنتيوس أصبحت الكنيسة تتمتع بحماية السلطات المدنية رغم أن الإمبراطور نفسه لم يعتنق النصرانية رسمياً ولم يسمح بتعميده إلا في آخر أيام حياته وهو على فراش الموت عام ٣٣٧م ، إلا أنه بذل كل ما في وسعه وكل ما لديه من سلطة ونفوذ في خدمة الديانة التي جاءت له بالظفر في أرجاء إيطاليا ، ووجد الأقباط في مصر متنفساً فجاهروا بدينهم ، ومارسوا عبادتهم في غير ضغط أو إكراه ، وحولوا بعض الهياكل الوثنية إلى كنائس(٤) .

---

(١) الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ، ص٤٥ ، مصطفى مسعد ، ط . مكتبة الأنجلو المصرية القاهر ١٩٦٠م .

(٢) الحركات البليمية هي الحركات التي تقودها قبائل البجاة القاطنة منطقة غربي البحر الأحمر وجنوب أسوان ، وكانوا يعرفوا (بالبليميين) ، انظر: انتشار الإسلام بين قبائل البجاة ، ص١٨ ، بحث غير منشور ، ربيع الحاج .

(٣) الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ، ص٤٦ ، مصطفى مسعد .

(٤) المصدر نفسه ، ص٤٧ - ٤٨ .

ولم تنقض فترة قرن من الزمان حتى وقع الاضطهاد مــرة أخــرى على النصارى الأقباط في مصر بسبب الخلاف الذي نشأ بين النصــارى حول طبيعة المسيح وانتصر الرأي البابوي القائل بأن للمسيح طبيعتيــن(١) وفق مقررات مجمع خلقدونية عام ٤٥١م ، وانحاز إليه الإمبراطور ، وتـم تكفير رجال الدين في كل من مصر والشام واشتدت معارضة المصرييــن لمقررات خلقدونية ، فعملت الدولة على تجريد حملات حربية لقمع حركتهم واستمر الاضطهاد بالمصريين حتى الفتح الإسلامي لمصر(٢) .

ثانياً : الحبشــة :

تنصرت الدولة الأثيوبية في القرن الرابع الميلادي وارتبطت كنيستها بالكنيسة القبطية المرقسية بالإسكندرية منذ نشأتها حتى انفصالها عنها فــي العام ١٩٥٨م ، حيث دخلتها النصرانية علــى المذهــب الأرثوزوكســي اليعقوبي في مصر والإمبراطورية البيزنطية الشرقية ، والكنيسة الأثيوبيــة تتمتع بمركز مرموق في المجتمع ولها مكانة مقدسة في قلوب الأفــراد ، وكان الأحباش يشدون الرحال للحج إلى بيت المقدس وتكونت منهم علــى مر الزمان جالية حبشية مستقرة هناك(٣) .

وحول كيفية دخول النصرانية إلى الحبشة ومن أدخلها ، فهناك عــدة روايات ومذاهب شتى ، إلا أن أكثر الروايــات شــيوعاً فــي المصــادر التاريخية ، هي أن أخوين سوريين ، كانا مسافرين ضمن جماعة في البحر الأحمر ، فغرقت سفينتهم ، بينما تمكن الأخوان من النجاة فأخذا إلى الملـك في أكسوم . وفي رواية المؤرخ الروماني "روفينــوس" أن فيلســوفاً مــن

---

(١) أي طبيعة بشرية وأخرى إلهية بخلاف مذهب الكنيسة المرقسية القائل بالطبيعــة البشــرية فقط، وكانت قرارات هذا المجمع هي السبب في انفصال الكنيسة المصرية عــن الكنــائس الأوربية ، ويقال لأصحاب المذهب المصري القائل بالطبيعة الواحدة يعاقبــة نسـبة إلــى يعقوب البرادعي أبرز دعاة هذا المذهب ، انظر: محاضرات في النصرانية لأبــي زهــرة، ص١٤٠ - ١٤١ ، ط دار الفكر العربي - القاهرة .

(٢) الإسلام والنوبة ، ص٤٨ ، ٤٩ ، مصطفى مسعد ، مرجع سابق .

(٣) انظر: الأحباش بين مأرب وأكسوم ، ص٤٠ ، ٤٥ ، ممتاز العارف ، منشــورات المكتبــة العصرية - بيروت ، صيدا .

صور قام برحلة بحرية للاستجمام في البحر الأحمر مصطحباً معه غلامين من أقربائه ، وعندما رست سفينتهم في إحدى الموانى داهمهم القراصنة فاغتالوا جميع من السفينة ونهبوها . أما الغلامان فقد نجيا من الموت وأخذا إلى ملك الحبشة ، ولدى وصولهما مثلاً أمامه فأعجب بهما فعين أحدهما وهو "أيديسيوس" خادماً له ، والآخر الذي ترسم فيه الذكاء يدعى "فرمنتيوس" فقد تم تعيينه أحد أمناء الملك وناظر خزينته . وبمرور الوقت قوي نفوذ "فرمنتيوس" الذي أصبح وصياً على ابن الملك "عيذانا" الذي كان صغيراً حين توليه الملك بعد وفاة أبيه . وفي هذه الفترة عمل "فرمنتيوس" بدهاء ومكر لزرع بذور الدين الجديد بين أفراد الحاشية المالكة مما جعل الملك عيذانا يعلن النصرانية ديناً له وأخذ الناس يسيرون تدريجياً على دين ملوكهم وما أن انقضى القرن الرابع الميلادي حتى انتشرت النصرانية في البلاد[١].

ثالثاً : السودان وبلاد النوبة :

دخلت النصرانية إلى السودان في وقت مبكر جداً ، قبل أن تحرف تعاليمها وتطمس مبادئها التي تبشر بنبوة خاتم المرسلين نبينا محمد ﷺ ، وكانت النصرانية إذ ذاك صاحبة الزمام والمطلوب اتباعها شرعاً قبل البعثة المحمدية فكان هدف تلاميذ المسيح عليه السلام هو الدعوة إلى توحيد الله الخالص ، فعرفت النصرانية طريقها إلى السودان عبر الجهود الفردية ، ومن قبل بعض دعاة النصرانية .

وتذكر المصادر قصة أول سوداني تنصر وهو وزير مالية مملكة مروى الذي كان يدين باليهودية ثم ذهب حاجاً إلى القدس ، وهناك اتصل بالنصارى ونال المعمودية ، ثم رجع إلى بلاده حيث أصبح أول سوداني يعتنق النصرانية وكان ذلك في سنة ٣٧م[٢] .

---

(١) الأحباش بين مأرب وأكسوم ، ص٤٢ ، ٤٥ ، ممتاز العارف ، مرجع سابق .

(٢) انظر : تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ، ص ٤٠ ، جونتانى فانتينى ، الخرطوم ـ ١٩٧٨م .

كما صاحب تلك الفترة دخول عدد من النصارى الأقباط إلى بلاد النوبة فارين بدينهم من مصر بعد أن تعرضوا للاضطهاد من قبل الحكام الرومانيين - كما مر ذكره- واستقر هؤلاء النصارى الجدد في جزر النيل وبين ثنايا التلال على جانبي النيل واختلطوا بالنوبيين بعد أن وجدوا الحرية في ممارسة عبادتهم ، فكانت نتيجة تلك المخالطة وتأثيرها على النوبة أن اعتنق بعضهم الديانة النصرانية ولكن لم يكن ذلك على نطاق واسع .

أما إعلان الديانة النصرانية بصفة رسمية في الممالك النوبية لم يتم إلا في سنة ٥٨٠م ، وأصبحت بذلك الممالك السودانية الثلاث نوباتيا ، والمقرة ، وعلوة كلها تدين بالنصرانية .

وكان دخول النصرانية إلى هذه الممالك في النصف الأخير من القرن السادس الميلادي ، أثر الصراع المذهبي على طبيعة المسيح الذي ساد تلك الفترة وانقسام الوحدة النصرانية ، بعد اعتناق الإمبراطورية الرومانية للنصرانية ، وجعلها الديانة الرسمية للدولة فقد كان الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) على مذهب الكنيسة الملكاني[١] القائل بأن للمسيح طبيعتين ، فأراد أن يدخل القبائل الوثنية القاطنة على أطراف الإمبراطورية الرومانية في حظيرة الدولة ، ولهذا سعى لاجتذاب النوبة للنصرانية ليتسنى له السيطرة على وادي النيل الأوسط[٢] .

ففطن القائمون على أمر الكنيسة المرقسية "الأرثوزوكسية" - وهم أصحاب المذهب اليعقوبي القائل بالطبيعة الواحدة للمسيح - لمراد الامبراطور ، فاستعانوا بزوجته الإمبراطورة "ثيودورا" التي كانت تخالفه في المذهب وتدين بمذهب الكنيسة المرقسية ، فسارعت إلى إرسال "لونجينوس" إلى بلاد النوبة ، ويقال إن "جوليان" عرض عليها مشروعاً تنصيرياً لبلاد النوبة ، فسرت به ووعدته بالمساعدة وأخبرت زوجها بما

---

(١) المذهب الملكاني هو مذهب الكنيسة الرومانية القائل بأن للمسيح طبيعتين بشرية وإلهية وسموا بالملكانيين لأنهم انحاز إليهم الملك أو الإمبراطور وهي تسمية عبرية ، وكان ذلك قبل انفصال الكنيسة الشرقية عن الغربية ، محاضرات في النصرانية ، ص ١٤٠ ، مرجع سابق .

(٢) الإسلام والنوبة ، ص٥٦ ، مصطفى مسعد .

عزمت عليه ، فساءه أن يكون "جوليان" على رأس هذه البعثة لأنه من الحزب المعادي لمقررات خلقدونية ولهذا عزم أن يرسل سفارة إمبراطورية خاصة تحمل هدايا لملك النوباتيين وخطاباً لحاكم طيبة البيزنطي ، فعلمت زوجه بذلك فحررت رسالة إلى حاكم طيبة تأمره فيها بحجر سفارة زوجها حتى تصل سفارتها هي إلى بلاد النوبة قبل سفارة زوجها وهددته بالقتل إن لم يفعل ، فنفذ أمرها وحجز سفارة زوجها مبرراً فعله لرئيس بعثة الإمبراطور بعدم وجود وسائل النقل ورواد الطريق وطلب منه الانتظار حتى يقوم بتدبير الدواب والمرشدين الخبراء بمسالك الصحراء(١) .

وأصدرت ثيودورا أمراً بتعيين القس "لونجينوس" اسقفاً لبلاد نوباتيا سنة ٥٦٦م ، وهي مملكة النوبة التي تقع شمال (المقرة) (٢) .

أما مملكة المقرة فقد اعتنق ملوكها النصرانية على المذهب الملكاني، حيث وصلت إليها سفارة الإمبراطور جستنيان ، عن طريق درب الأربعين الصحراوي(٣) .

وفي سنة ٥٧٨م ، بعث ملك علوة رسالة إلى ملك نوباتيا يعلن فيها رغبته في الدخول في النصارنية ، ورجاه أن يسمح للأسقف "لونجينوس" بالسفر إلى مملكته لتعميده ورعاياه وفي هذا الوقت كان "لونجينوس" قد رحل إلى الإسكندرية وبعد رجوعه من مصر سنة ٥٨٠م ، وجد رسالة ثانية تنتظره من ملك علوة ، وسافر إلى علوة عبر طريق شاق وعمد ملكها وبالتالي دخلت آخر ممالك النوبة السودانية في الديانة النصرانية(٤).

ولكن إذا نظرنا إلى أي حد تأثر النوبيون بالنصرانية نجد أن ذلك لم يكن على نطاق واسع كما لم يكن عن فهم واقتناع بل شمل اعتناق النصرانية الملوك وكبار طبقات الشعب وربما كان ذلك خوفاً من أباطرة

---

(١) الإسلام والنوبة ، ص٥٧ ، ٥٨ ، ، مصطفى مسعد ، وانظر: تاريخ وحضارات السودان ، ص٩٦ ، ١١٨ ، الشاطر بصيلي عبدالجليل ، الهيئة المصرية العام للكتاب ١٩٧٢م .

(٢) الإسلام والنوبة ، ص٥٩ ، مصطفى مسعد .

(٣) الشاطر بصيلي ، ص٩٦ ، ١١٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص٦١ .

الرومان خاصة إذا علمنا أن الإمبراطور الروماني أراد أن يخضع تلك المناطق لمملكته وتأمين حدودها الجنوبية من ناحية مصر ، فلذلك كانت مبادرة بعض ملوك النوبة لاعتناق النصرانية كدليل طاعة وتبعية لأباطرة الرومان لا دليل اقتناع بالنصرانية كما فعل ذلك ملك علوة حين أرسل إلى ملك نوباتيا مبدياً رغبته في الدخول في النصرانية مطالباً بإرسال القس لتعميده هو ورعاياه ، وقبله أرسل ملك نوباتيا إلى الإمبراطور الروماني لكي يبعث له المبشرين لنشر تعاليم الإنجيل في بلاده .

ومن هذا يتضح لنا أن ملوك النوبة تظاهروا باعتناق النصرانية خوفاً من ملوك الرومان ، وعلاوة على هذا ، فإن النصرانية التي دخلت السودان واعتنقها ملوك النوبة هي النصرانية التي غلبت عليها وثنية الرومان ، لذا لم يكن الفرق كبيراً بين ما كان سائداً في البلاد قبل دخول النصرانية وبعد دخولها .

ومنذ ذلك العهد وبنهاية القرن السادس الميلادي انتشرت النصرانية في بلاد النوبة ، ولكن من حسن حظ النوبة أنها لم تستمر على هذا الانحراف عن دين الله فترة طويلة من الزمان إذ إن الله سبحانه وتعالى قد بعث في هذا الوقت محمداً بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام مبشراً ونذيراً إلى البشرية جمعاء قاصيها ودانيها ، بالرسالة الخاتمة التي حمل رايتها أصحابه من بعده ليعيدوا الناس إلى الدعوة الحقة الصحيحة في مصر بقيادة عمرو بن العاص -رضي الله عنه- فانقطعت صلات النوبة بمصادرهم الروحية في الإسكندرية وغيرها فضعف التأثير النصراني في البلاد ، ومن هناك هبت رياح الإسلام على النوبة فبعد إسلام مصر أصبحت بلاد النوبة مسلمة بعد حين وما جاورها من الديار .

ب - المرحلة الثانية لدخول النصرانية إلى أفريقيا :

وهذه المرحلة لانتشار النصرانية في أفريقيا هي التي ارتبطت بما يسمى بحركة الكشوف الجغرافية وما تلاها من حملات عسكرية استيطانية

أوروبية ، وبلغت قمتها في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين مع تمكن الاستعمار من دول أفريقيا شرقها وغربها ووسطها وهو ما يقصد به أفريقيا جنوب الصحراء كما سيأتي تفصيله .

وفي هذه المرحلة كان التنصير أداة من أدوات الاحتلال التي استخدمها لإذلال الشعوب واسترقاقها ، ومن أجل هذا كان التنسيق التام بين الحكومات الاستعمارية ، والهيئات الكنسية حيث تتقدم الكنيسة برجالها من الرهبان والأطباء تحمل الدواء والغذاء لتمهد الأرض وتهيئ الناس لاستقبال جنود الاحتلال حتى إذا تمكن المستعمرون من إخضاع الشعوب المغلوبة على أمرها إلى سلطانهم ، شرعوا في استخدام كل الوسائل وتسخير جميع الطاقات لخدمة الكنيسة وإطلاق يدها لبناء الكنائس والمدارس والمستشفيات ومحاضن الأطفال وغير ذلك من الأعمال والمشروعات التي ظاهرها الخير ، ويأتي كل ذلك في إطار التنصير ، وتوجيه الحياة وجهة غربية ، وجر شعوبها إلى التبعية الذليلة ، للسياسات الاستعمارية الأوروبية .

ويقول في هذا المنصر الفرنسي لافيجيرى : "إن فرنسا حارسة المسيحية في أفريقيا ، وإن عليها ليست فقط استغلال الثروات ، وإقامة السلطة على العبودية ، والقضاء على المنهزمين ، بل تعمل على إنشاء شعب حر ومسيحي من المغرب إلى الأقصى وحتى مصر وإحياء بقايا أمة مسيحية قد انقرضت"(١) .

النصرانية في غرب أفريقيا :

وصول البرتغاليين إلى الكنغو :

تعتبر البرتغال هي أولى الدول الأوربية التي بدأت الاستعمار في أفريقيا وكان الهدف من وصول البرتغاليين إلى غرب أفريقيا ظاهره نشر الديانة المسيحية والحضارة الأوربية - كما يقولون - ومواصلة حمل هذه

(١) انظر: التنصير والتغلغل الاستعماري في أفريقيا ، ص١٩٠ ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، صادر عن جامعة أفريقيا العالمية .

الرسالة شرقاً حتى مملكة الحبشة المسيحية وإقامة حلف مع " القديس يوحنا" - وهو لقب لملك الحبشة . وبذلك يتكون محيط مسيحي هائل عبر القارة يمتد من الغرب إلى الشرق . فكان السبيل إلى ذلك هو خداع الزعماء الأفريقيين ومهادنتهم والتودد إليهم ، الأمر الذي اقتنع به كثير من الزعماء أملاً في تلقي النصرانية والخبرة والثقافة التي وعدتهم بها البرتغال. فبدأ المنصرون يفدون إلى تلك الدول بكثرة ، ولكن سرعان ما تحول البرتغاليون بعد تمكنهم إلى تجار رقيق ومستعمرين تحت غطاء دعاواهم عن التفاني في خدمة الإنسانية ، وهكذا كان التنصير هو الرائد لخدمة المستعمرين والممهد لهم(١) .

وتمكنت البرتغال من بسط سيطرتها في أفريقيا على كل من أنجولا وموزمبيق وغينيا، وتعتبر المستعمرات البرتغالية في أفريقيا أقدم المستعمرات الأوربية على الإطلاق إذ يرجع تاريخها إلى خمسة قرون من الزمان، الأمر الذي يدل على تغلغل الروح الاستعمارية في دماء البرتغاليين ويغطي البرتغاليون على فظائعهم التي ارتكبوها في أفريقيا بأنهم كانوا رسل إنسانية حيث، إنهم قاموا بنشر الديانة المسيحية والحضارة الإنسانية(٢) .

وشكل أعضاء البعثات التنصيرية في أنجولا جمعية رئيسية للتنصير في العاصمة لواندا سنة ١٦٠٠م ، حيث استطاعت هذه الجمعية في فترة وجيزة السيطرة على مظاهر الحياة في العاصمة وأنشأت المدارس والكنائس(٣) .

النصرانية في شرق ووسط أفريقيا :

بدأ ظهور النصرانية في شرق أفريقيا ولأول مرة مع الغزو الاستعماري الذي بدأته أوربا لأفريقيا ، وكان في مقدمة أولئك البرتغاليون

---

(١) انظر: الاستعمار البرتغالي في أفريقيا ، ص٤٠ ، جيمس دفني ، ترجمة الدسوقي حسين ، ط . مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٣م .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٧ ، ٢٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٥٤ .

أثناء دورانهم حول أفريقيا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر للميلاد ، ووصول فاسكودى جاما إلى ساحل شرق أفريقيا عام ١٤٩٨م ، حيث أخذ النشاط التنصيري فرصة كبيرة للانتشار من خلال مغامرات البرتغاليين والأسبان ، وقد سبقت الإشارة إلى دور البرتغاليين في التنصير في غرب أفريقيا .

وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ظهرت بواعث جديدة للاستعمار كانت بمثابة عوامل مساعدة لجهود التنصير مثل استعمار المزيد من البلدان ، والتوسع التجاري لاستغلال مصادر القارة الأفريقية من جهة، وتصريف منتجات المصانع الغربية من جهة أخرى .

وكانت هذه الحركات الاستعمارية الجديدة من قبل أمم أخرى غير البرتغاليين تمثلت في المحاولات البريطانية والفرنسية والألمانية والإيطالية لاستعمار القارة ، وخلال تلك التحركات الاستعمارية جاء الدور الأخير للتنصير ، وأخذت جماعات من المنصرين الأوربيين تتسابق إلى الاحتلال الروحي للأفارقة ، وتتخذ لها مناطق نفوذ ، ولم يكن الطريق ذلولاً أمام تلك البعثات التنصيرية إذ واجهتهم العديد من الصعاب تمثلت في الأمراض الفتاكة والحروب القبلية ، فحتى عام ١٨٤٠م ، لم يكن للبعثات التنصيرية على السواحل الأفريقية إلا مركزان أحدهما في الغرب على مقربة من سيراليون والآخر في الشرق على مصب نهر الزامبيزى . غير أن ظهور بعض المستجدات كان عوناً للإرساليات على تجاوز تلك العقبات ، منها رحلة لفنجستون التي رفعت الستار لأول مرة عن أفريقيا الوسطى ، ثم رحلة ستانلي في الكنغو وتوغله إلى منطقة البحيرات الكبرى ، وهي الرحلة التي تعد نهاية الكشوفات الجغرافية حيث إنه بعد رحلة لفنجستون وستانلي أصبحت كل منافذ أفريقيا الرئيسية مفتوحة أمام البعثات التنصيرية الأوربية(١) .

وقد مثلت حركة تحرير الرق وقيام الثورة الصناعية في أوروبا نقلة جديدة في أسلوب التنصير في شرق ووسط أفريقيا ، ودخلت إنجلترا

(١) انظر: التنصير والتغلغل الاستعماري في أفريقيا ، ص١٢٦ ، مرجع سابق .

وأمريكا بمذهبهما البروتستاني وكنائسها الحديثة التي بدأت تنافس روما والبابوية في استقطاب المنصرين الجدد رغم تغيير الأسلوب حيث استعانت كنائس إنجلترا بطبقة (الكيرول) الجديدة وهي طبقة مهجنة ثقافياً ومكونة من الأرقاء المحررين في إنجلترا وأمريكا ، ورغم الأسلوب المرن المنفتح الذي اتخذه المنصر القس جون لويس كرايف[١] موفد الكنيسة الأسقفية الإنجليزية في شرق أفريقيا حين استفاد من أخطاء البرتغاليين ودعى إلى مهادنة المسلمين وكسب ود زعمائهم ، واتجه نحو الداخل حيث القبائل الوثنية إلا أن حركة التنصير لم تحرز نجاحاً وسط المسلمين لكنها استطاعت بسبب دهاء كرايف وحلفائه لفنجستون وستانلي في شرق ووسط أفريقيا من بذر بذور النصرانية وسط القبائل الوثنية في كينيا وأوغندا وبعض مناطق شرق ووسط أفريقيا ، كما أن إرسالية الكنيسة التبشيرية التي ينتمي إليها كرايف ، ثم إرسالية الجامعات لوسط أفريقيا ، والجمعية الجغرافية التي ينتمي إليها لفنجستون وستانلي كلها قامت بمجهود ضخم في سبيل دراسة البيئة الاجتماعية والطبيعية إضافة لدراسة اللغات واللهجات المحلية والديانات التقليدية الأفريقية بجانب الدراسة الإثنية والانتزبولوجية للقبائل الأفريقية المختلفة في المنطقة . كل ذلك قدم خدمة ممتازة للجهود التنصيرية الحديثة وهيأت المناخ المناسب لغرس النصرانية بأسلوب "علمي" حديث يختلف عن كل الأساليب السابقة - كما سيأتي تفصيله إن شاء الله - في الفصول القادمة[٢] .

وفي هذه الفترة نشط المنصرون الأوربيون والأمريكيون لمد عملهم إلى كل صقع في القارة الأفريقية منطلقين من سواحلها الشرقية ، ولم يكد القرن التاسع عشر ينقضي حتى أخذ المستعمرون يتقاسمون البلاد الأفريقية

---

(١) هو منأشهر المنصرين الألمان ولد في قرية "درين نجن" في ١١ يناير ١٨١٠م ، وهو ابن لأحد المزارعين ومارس الزراعة ، وفي دراسته أظهر نبوغا وتفوقا ، أخذ بمذهب الشك الفلسفي ولما هدأت تفاعلاته العقلية ، قرر تكريس حياته لخدمة البعثات التنصيرية فالتحق بجمعية التنصير الكنسي الإنجليزية ، انظر: الإسلام والتحدي التنصيري ، ص١٢١، عمر بابكور، مرجع سابق .

(٢) انظر: التنصير والتغلغل الاستعماري في أفريقيا ، ص١٣٦ ، مرجع سابق .

على أثر مؤتمر برلين عام ١٨٨٥م ، الذي تعهدت فيه الدول الأوروبية المشتركة فيه على حماية إرساليات التنصير(١) .

ومن جهة أخرى كانت البعثات التنصيرية ذات فائدة كبيرة للمستعمرين فبالإضافة إلى عمل رجالها في التنصير ، كانوا يقدمون معلومات سياسية واقتصادية عن البلاد التي يزورونها خدمت المستعمر وسهلت مهمته في كثير من الأحيان . فقد امتلأت كتاباتهم بالحديث عن الثروات الطبيعية في القارة وخصوبة أراضيها وصلاحيتها لكثير من الحاصلات التي تحتاجها مصانع بلادهم . أما المعلومات العسكرية فقد كان لها نصيب كبير في تقاريرهم وكانت بالتالي عوناً للدول الغربية في رسم سياساتها في القارة الأفريقية ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره المنصر لويس كرايف في تقاريره عن انتشار الأسلحة الأمريكية بين القبائل الأفريقية معبراً عن استيائه من ذلك ، ومن خطورته ، الأمر الذي جعل الولايات المتحدة وبريطانيا يضعان شروطاً دقيقة في مبيعاتهم من الأسلحة لسلطان زنجبار خوفاً من وقوعها في أيدي القبائل الأفريقية .

ومن هنا يمكن القول بأن التنصير هو أداة من أدوات الاستعمار ظهرت بوضوح فيما يسمى بحركة الكشوف الجغرافية وانتهت بالاستعمار الأوروبي الذي استهدف سد المتطلبات الرأسمالية لتطويرها على حساب مصادر الثروات في الدول الأفريقية ، وقد استعانت هذه الدول بجماعات المنصرين المدعومة من الجمعيات الإرسالية التنصيرية ، ولهذا لم يكن غريباً أن تسارع هذه الدول إلى مساعدة الجمعيات التنصيرية على بناء الكنائس وفتح المدارس وتأسيس المستشفيات وشق الطرق .

بل إن التنافس الاستعماري والسياسي في أفريقيا جعل من كل دولة تحمي منصريها ، وكل إرسالية تنصيرية تناصر دولتها الأمر الذي أخرج التنصير من إطاره الديني والروحي إلى إطار سياسي استعماري بحت ، فعندما نشبت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م ، عاملت كل دولة في مستعمراتها منصري الدول الأخرى المعادية لها معاملة المحاربين ، فكأن

---

(١) انظر: السياسة والتنصير في شرق أفريقيا ، ص٤٩٨ ، محمد الخضيري، مرجع سابق.

هؤلاء المنصرون يتعرضون إلى الأسر والاعتقال والطرد والترحيل من البلد ، وكانت إنجلترا وفرنسا حريصتين على استئصال المنصرين الألمان في البلاد التي كانتا تسيطران عليها ، ولما انتهت الحرب العالمية الأولى لم تسمح الحكومة الإنجليزية لأي منصر غير إنجليزي أن يدخل مناطق نفوذها إلا إذا حصل على إذن بذلك وفعل هذا أيضاً البلجيكيون في الكنغو، ولما احتلت إيطاليا الكاثوليكية الحبشة عام ١٩٣٦م ، اضطرت الإرساليات البروتستانتية إلى مغادرة البلاد كلها[١] .

التكامل بين السياسة والتنصير :

إن المتتبع للعوامل التي كانت تربط الاستعمار بالتنصير والتكامل بينهما يجد أن هذا الارتباط لم يكن خافياً على كثير من المطلعين والمتابعين لأهداف الاستعمار والتنصير من الغيورين على دينهم وثقافتهم ، الذين استفزتهم أنشطة المنصرين في البلاد الإسلامية عموماً وفي أفريقيا خصوصاً ، والمطلع على كتابات بعض أولئك المنصرين ومن ساعدهم من المستشرقين والمستغربين يجد ذلك الدور التنصيري الواضح للاستعمار الغربي .

يقول المنصر سونو "اتجه المستعمرون إلى استعباد جسد الأفريقي ، أما المنصرون فقد استهدفوا روحه"[٢] .

أما الدكتور والتر رودني فقد كان أكثر صراحة وأدق تفصيلا عندما قال " ... كانت البعثات التبشيرية "التنصيرية" جزءاً من قوى الاستعمار إلى حد كبير مثلها في ذلك مثل المكتشفين والتجار والجنود ، وربما يكون هناك مجال للمجادلة حول ما إذا كانت البعثات التبشرية في مستعمرة ما هي قوى الاستعمار الأخرى أم أن العكس هو الصحيح ، ولكن ليس هناك

(١) انظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص٢٢٤ ، مصطفى الخالدي وفروخ ، من منشورات المكتبة العصرية - بيروت - صيدا ١٩٨٢م .

(٢) انظر: السياسة والتنصير في شرق أفريقيا ، ص ٥٠٢ ، محمد بن سليمان الخضيري ، مرجع سابق .

شك في حقيقة أن البعثات التبشيرية كانت أدوات الاستعمار من الناحية العملية ، وقد كان جونستون المغامر الامبريالي يكره البعثات التبشيرية لكنه قال في الثناء عليها " كل موقع لبعثة تبشيرية هو تدريب على الاستعمار "[١] .

وقد اختصر سيموند مهمة الأوربيين في القارة السمراء بالاستشهاد بقول فريزبيه : " ... عندما كان الزنوج يملكون الأرض جاء الرجل الأبيض وفي يده الإنجيل ولكن بعد أن مرت عقود قليلة أصبحت الأرض للبيض والإنجيل في يد الزنجي[٢] .

ومن خلال هذا الارتباط المباشر بين التنصير والاستعمار يمكن أن نخلص إلى نتيجة مفادها أن المنصرين المنتشرين في أفريقيا بحجة نشر الدين النصراني بين الأمم الوثنية كان وراءهم جهات دينية وعلمانية تمولهم بالمال والخبرات لكن بعضها لم يكن هدفه الأساسي نشر الدين بل قد لا ترد مسألة الدين أصلاً من ضمن اهتماماته ، ولكن لأجل اسباب أخرى بعيدة عن الدين سياسية واقتصادية متدثرة بردائه ، والشاهد على ذلك ، أننا نجد كثيراً من تلك الدول التي تتبنى نشر الديانة النصرانية في أفريقيا أو في أي بلد آخر خارج حدودها ، علمانية في داخلها وفي نظامها. ففرنسا الدولة العلمانية المعروفة في بلادها ، كانت ولم تزل من أكبر المدافعين عن رجال الدين في الخارج ، وصاحبة نشاط تنصيري كبير . فالكاثوليك المتدينون هم خصومها في الداخل ، لكنهم أصدقاؤها في المستعمرات الفرنسية ، لأنهم استطاعوا مساعدتها على حكم هذه المستعمرات باسم الدين . أما إيطاليا فقد وقفت موقف المعادي من الكنيسة وقصرت نشاطات البابا في الفاتيكان فقط ؛ لكنها اعتمدت في تنفيذ سياستها الخارجية في مستعمراتها ، وخاصة في أفريقيا ، على جهود المنصرين ، وكذلك الحال بالنسبة لبريطانيا وأمريكيا .

(١) السياسة والتنصير في شرق أفريقيا ، ص ٥٠٢ ، مصدر سابق .
(٢) المصدر نفسه ص ٥٠٢ .

وهذا يؤكد مدى ارتباط دخول النصرانية إلى أفريقيا بالاحتلال الأجنبي ، وأنهما وجهان لعملة واحدة ، حيث إن معظم مناطق أفريقيا لم تعرف النصرانية إلا مع المستعمر .

وختاماً يمكن القول بأن فترة الاحتلال في أفريقيا التي امتدت لما يزيد من نحو قرن من الزمان قد اتسمت بظاهرتين نوجزهما في الآتي :

الظاهرة الأولى :

فتح المجال للحركات التنصيرية على التغلغل في المناطق التي لم ينتشر فيها الإسلام وتشجيع أبناء المسلمين في المناطق الإسلامية على الانخراط في المدارس الحديثة التي تقوم أساساً على مناهج غربية ، ولا تهتم بالمعارف الإسلامية مع سعيها الدائب لتهميش المؤسسات القرآنية والإسلامية عامة ، وكان التركيز في التعليم المدني الحديث على السعي لفصل أبناء المسلمين عن تراثهم في المدارس أولاً ، وفي تحويل لغات المسلمين التي كانت تكتب بالحرف العربي إلى الحرف اللاتيني ثانياً ، وكانت نتيجة ذلك نشوء طبقة مثقفة في كثير من أقطار أفريقيا تدين بالنصرانية وهي على قلتها فاعلة لامتلاكها للوسائل العصرية في الهيمنة على أجهزة الحكم وهياكل كل المجتمع الثقافية والاقتصادية ، وكانت النتيجة في أوساط المسلمين كثرة جاهلة رفضت دخول أبنائها في مدارس المستعمرين ، ومن دخل منهم فيها خرج منها وهو غريب من وجوه كثيرة عن موروثه الإسلامي ، ولكن روح المقاومة للمستعمر حفظت للمسلمين دينهم في معظم الأحوال ، إذ كان سلاح الدين من أقوى الأسلحة لمجابهة مخططات المستعمرين في مجال التربية وحياة الناس الاجتماعية والثقافية ، فلم يفلح المستعمرون رغم جهودهم المتصلة لصرف الناس عن منابع حضارتهم ، وإحلال حضارة المستعمر محلها .

الظاهرة الثانية :

هي نجاح المستعمر في شق معظم المجتمعات الأفريقية في معظم الأحوال بين جنوب مسيحي أو ما يشبهه ، وشمال مسلم مع تفاوت النسبة العددية بين هؤلاء وأولئك ، والأمر الثاني إيجاد طبقة من النصارى

والمسلمين تشربت أفكار الغرب واغتربت عن أصول مجتمعها التقليدي مسلماً كان ذلك المجتمع أم غير مسلم ، وعندما تم الاستقلال لمعظم هذه الدول كانت هذه الطبقة هي التي ورثت المستعمر كطبقة حاكمة وكانت بالتالي في مجملها أكثر حرصاً على ما تركه الاستعمار من نظم ومخططات من الاستعمار ذاته ، ومن البديهي أن روح المقاومة التي كانت مستمرة في مواجهة الدخيل ومخططاته وتحفظ على الناس بعض معالم مجتمعهم الموروث ، من البديهي والطبيعي أن تفتر بعد جلاء المستعمرين، ولعله من المفارقات أن كثيراً مما حاوله المستعمرون وفشلوا في تنفيذه من مخططات لخوفهم من الاصطدام بالشعور الوطني ، قد تم تنفيذه على أيدي خلفائهم من الحكام الوطنيين الذين وقف معظمهم بحكم تكوينهم الثقافي دون انتقال مرحلة الاستقلال من مجرد تحرر سياسي إلى تحرر ثقافي وحضاري . بل تمادى بعضهم في توجهه العلماني فكان أنكى على الإسلام والمسلمين من عدوهم المستعمر الأصيل ، ورغم أن عدداً كبيراً من الأقطار الأفريقية ذات الأغلبية المسلمة قد وجدت نفسها وهي محكومة برؤساء نصارى في عهد الاستقلال ، وكانت نتيجة ذلك أن الصراع قد احتدم داخل معظم هذه المجتمعات بين توجهات الحاكمين العلمانية وبين توجهات الجماهير المتطلعة إلى التعبير عن شخصيتها الإسلامية مما أفرز ما هو معلوم من حركات التطرف التي عجزت عن اختراق السياج الرسمي المضروب على المعترك السياسي فتحولت إلى حركات سرية أو علنية مناهضة للأنظمة القائمة .

المبحث الثاني
دخول النصرانية إلى كينيا

المبحث الثاني
دخول النصرانية إلى كينيا

الحديث عن النشاط التنصيري في كينيا ودخول النصرانيــــة إليــها يرتبط ارتباطاً تاماً بالاستعمار والاحتلال الأوربي لأفريقيا بصورة عامـة ، وباحتلال منطقة شرق أفريقيا بوجه خاص ، وذلك لأن التنصير جـــزء لا يتجزأ عن الاستعمار ، حيث كان رجال التنصـــير هـم عيـون الدولــة الاستعمارية والممهدون لها ، ثم كان الاستعمار بعد ذلك هو الحارس الوفي للكنائس في تلك البلدان المستعمرة والداعم الرئيسي لها .

ولقد صرح بذلك اللورد بلفور - صاحب وعد بلفور الشهير - رئيس الشرف في مؤتمر أدنبره التنصيري سـنة ١٩١٠م ، عندمـا قـال : " إن المبشرين هم ساعد لكل الحكومات في أمور هامة ولولاهم لتعذر عليـها أن تقاوم كثيراً من العقبات ، وعلى هذا فنحن بحاجة إلى لجنة دائمة يناط بـها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين"(١) .

ولذلك لم يكن التنصير بصورته الحالية قديماً في أفريقيا ، وإنما جاء مع القوة الاستعمارية بصفة عامة ، فالقارة الأفريقيـــة لـم تشـهد عمـلاً تنصيرياً قبل القرن التاسع عشر ، حيـث التنظيـم الدقيـق للإرسـاليات والامكانيات الضخمة ، والخطط العملية والمستقبلية للجمعيات التنصيريــة الوافدة . هذا باستثناء محاولات البرتغاليين في القـــرن الخـامس عشـر والسادس عشر ، وهي أيضاً محاولات ارتبطت بالتوسع الاستعماري فـي القارة ، ومحاربة الإسلام ، إلا أنها لم تكن مدروسة مما أدى إلى فشـلها . وفي ثنايا هذا المبحث سيتطرق الباحث لدراسة دخول النصرانية إلى كينيـا من خلال تناوله لتلك المحاولات .

---

(١) انظر: الغارة على العالم الإسلامي ، ص٤٨ ، أ . ل . شاتليه ، الـدار السـعودية للنشـر والتوزيع ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

أ - المحاولات الأولى للغزو النصراني البرتغالي :

كما سبق القول فإن أول دين سماوي عرفته كينيا هو الإسلام ، وظل الإسلام هو السائد والمسيطر على أوجه الحياة ما يقارب السبعة قرون من الزمان حتى جاءت محاولات البرتغاليين ومغامراتهم التي بدأوها بزعامة الأمير هنري الملاح بالطوفان حول القارة الأفريقية ناشرين عقيدتهم في تلك البلاد .

وبعد ذلك أخذت البعثات البرتغالية تنتشر على طول السواحل الأفريقية معتمدين على قوة الأسطول البرتغالي حيث ظهر . فاسكودي جاما على مسرح الأحداث في شرق أفريقيا عام ١٤٩٧م ، ممثلاً للاستعمار البرتغالي النصراني ، ووصل دي جاما إلى ساحل كينيا لتنفيذ المخطط الاستعماري الصليبي الذي كان يهدف إلى تطويق العالم الإسلامي عبر السيطرة على مياه المحيط الهندي واحتلال أرض المسلمين والسيطرة على تجارتها[١] .

قام فاسكو دي جاما عند وصوله إلى كينيا بأعمال عنف وقتل للبشر وحرق ونهب للمدن والقرى والمساجد ، إذ أحرق البرتغاليون النصارى مدينة ممباسا ثلاث مرات وقتلوا في كل مرة المئات إن لم يكن الآلاف من أهلها ، واستباحوا الحرمات فيها ، وبنوا فيها قلعة عيسى المسيح ، وهي قلعة كبيرة جداً وحصينة تطل على المحيط الهندي مجهزة بالمدافع والمخارج الضرورية عند الطوارئ ، والقلعة بنيت على شكل إنسان مُلقى على ظهره يزعمون أنه جسد المسيح لذلك نسبت إليه في شخصه ، وهي الآن تمثل متحفاً وطنياً ينتابه الزوار والسياح الذين يفدون إلى مدينة ممباسا، وقد زرتها أثناء وجودي في ممباسا خلال رحلتي العلمية إلى هناك، ووجدت كثيراً من الآثار بالقلعة تنسب للهنود والبرتغاليين كذباً ، وهي في حقيقتها آثار عربية واضحة ، وأخبرني بعض الإخوة أن جزءاً

---

(١) انظر: الإرساليات المسيحية والمسلمين في شرق أفريقيا ، ص٥٢ ، محمود عبدالرحمن الشيخ ، مجلة دراسات أفريقية ، العدد الخامس ربيع أول ١٤١٠هـ ، أكتوبر ١٩٨٩م ، صادرة عن المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم .

من هذه الآثار مازال موجوداً في بعض الدول العربية ، وما يدل على ذلك أن أبواب القلعة نفسها صنعها العرب ويظهر ذلك من خلال النقوش العربية ووجود بعض الآيات القرآنية التي نقشت عليها .

كانت بالقلعة كنيسة كبيرة دمرها العرب المسلمون حينما استولوا على القلعة ، وبنوا مكانها مسجداً وسكناً للجنود ولما تحولت القلعة إلى متحف وطني أزيلت المساكن والمسجد . والآن تنتشر في ممباسا الكنائس كما تنتشر الحانات بعد أن فقدت الكثير من طابعها الإسلامي .

ثم بعد ذلك دخلوا مدينة مالندى - المدينة الساحلية الجميلة - التي رحبت بهم ولم يبد ملكها أية مقاومة حتى بعد احتلالهم للمنطقة واستيلائهم على طرق التجارة وتحكمهم في الجمارك . والذي يظهر أن البرتغاليين أحرقوا مساجد المدينة ودمروها حين دخولهم إليها . فقد ذكر القس فرانسيس خافير ، أحد العاملين في الحكومة البرتغالية ، أنه زار المدينة عام ١٥٤٢م ، وقابل الناس هناك حيث أخبروه أن ثلاثة مساجد فقط هي التي مازالت مفتوحة في المدينة من مجموع سبعة عشر مسجداً كانت قائمة، وحتى هذه المساجد الثلاثة تشكو من قلة المصلين(١) .

من ناحية أخرى واصل البرتغاليون تكثيف نشاطهم الديني في مناطق شمال كينيا حيث يكثر المسلمون ، وذلك حين أنشأ أتباع القديس أوغسطين ديراً في ممباسا ، جعلوه مركزاً لهم لمد نشاطهم التنصيري إلى مدن الساحل الأخرى ، مثل "فازا" و "باتر" و "لامو" . وبالرغم من أن بعض المنصرين أمثال فريمان جرانفيل ، يورد : أن تلك الجهود أدت إلى تعميد ستمائة شخص ، منهم ملك "مبيا" في عام ١٥٩٩م ، وإلى حضور حوالي سبعين شخصاً لاحتفالات الأسبوع المقدس في فازا في عام ١٦٢٤م، إلا أنه لم يوضح إن كان أولئك المتنصرون مسلمين أم غير ذلك. والذي يترجح أن قلة قليلة جداً من أولئك المتنصرين الجدد ربما كانوا من المسلمين ، وحتى تلك القلة التي تنصرت يبدو أنها فعلت ذلك إما خوفاً أو

---

(١) رحلة خير في أفريقيا ، ص٣٠ ، عبدالرحمن السميط ، مرجع سابق .

موالاة للبرتغاليين . إن العداء الشديد بين السكان المسلمين والإدارة البرتغالية والذي بلغ ذروته في ثورة يوسف بن الحسن ملك ممباسا الذي رجع إلى الإسلام بعد أن أرسله البرتغاليون صغيراً إلى جوا وربوه على النصرانية ثم نصبوه على ممباسا عام ١٦٣٠م ، يقف دليلاً على فشل البرتغاليين في نشر النصرانية وسط سكان كينيا المسلمين(١) .

وقد كان وجود المستعمرات البرتغالية في أفريقيا المدعومة من قبل رجال الدين الكاثوليك ، اللبنة الأولى لمحاولات إرساء أسس الديانة النصرانية هناك . إلا أن المنصرين الذين قدموا في تلك الفترة ووجهوا بعدم تعاون ومقاومة من المسلمين وخصوصاً التجار منهم الذين كان لهم موقف عداء واضح من المنصرين ، الأمر الذي أدى إلى فشل هذه الجهود وعدم نجاحها . وربما يعزى ذلك إلى أن عدد المستعمرات البرتغالية كان محدوداً ، وكانت المحطات الإرسالية التي أقامها المنصرون معزولة وغير دائمة وتفتقر إلى الدعم المالي اللازم لنشاطها . بالإضافة إلى أن الحكم البرتغالي الذي امتد نحو قرنين من الزمان في تلك المنطقة لم يكن مستقرا وواجه مقاومة عنيفة من المسلمين في تلك البلاد ، تمثلت في حركات المقاومة والثورات العديدة حتى استطاع المسلمون بالتعاون مع حكام عمان طردهم نهائياً من كينيا ومنطقة الساحل الشرقي بأكملها . وقد أدى ذلك إلى الحد من قدرة البرتغاليين على التوغل في داخل القارة ، وكانت النتيجة الحتمية لهذه العوامل هي ضعف المؤثرات الأوروبية وخاصة البرتغالية منها . وبالتالي لم تترسخ المفاهيم النصرانية خلال تلك الفترة في المجتمع الأفريقي ،وكان تأثيرها في مجال السياسة والثقافة والدين محدودًا .

ب-الانتشار النصراني عبر الشركات والقناصل في القرن التاسع عشر:

تعتبر البداية الفعلية للتنصير في كينيا عندما دخل المنصر الدكتور لويس كرايف لأول مرة منطقة شرق أفريقيا بعد طرده من بلاد الحبشة

---

(١) انظر: الإرساليات المسيحية والمسلمون في شرق أفريقيا ، ص٥٣ ، محمود الشيخ ، مرجع سابق .

عام ١٨٤٤م ، فهبط ميناء ممباسا الكيني ثم تبعه آخرون من المنصريـــــن فأخذوا يطوفون بعرض البلاد وطولها ، فاتسعت أعمالهم على الشــــواطئ منذ ذلك الوقت(١) .

وهذه هي البداية الفعلية للتنصير هناك . ومنذ أن وطئـــت أقدامـــهم المناطق الساحلية كانوا جنوداً لدولهم ، وأن الدول كانت تقدم إليهم كل مـــا يحتاجون إليه من مساعدات وإرشادات ، ويؤكد ذلك قول السير "بارســـي خيروار" حاكم أفريقية الشرقية الإنجليزيـــة فـــي المؤتمـــر الـــذي أقامـــه المنصرون على ظهر الباخرة "غالف" في البحر الأحمر أنه يجـــب علـــى الحكومة والمبشرين أن يشتركوا في العمل ضد الإسلامي(٢) .

وهكذا يظهر لنا أن التنصير منذ بداياته الأولى كان قوة اســـتعمارية موجهة تريد تغيير الديانة الرسمية للأفريقيين وهي الإسلام ، وتريد تغـــير التقاليد والثقافة الإسلامية التي تأصلت في المجتمع الأفريقي وفي المجتمـــع الكيني على وجه الخصوص عبر دعاة الإسلام وتجاره الذين كانوا رســـل هداية وعلم نقلوها إلى تلك البقاع .

ثم بدأ النفوذ الاستعماري البريطاني في البلاد يزداد بصفة مســـتمرة مستتراً خلف شركة أفريقيا الشرقية البريطانية ، التي بـــدأت العمـــل فـــي المنطقة بجانب شركة أفريقيا الشرقية الألمانية . وتوجت أعمـــال شـــركة أفريقيا الشرقية البريطانية بتوقيع معاهدة مع سلطان زنجبـــار - صـــاحب السلطة الشرعية في منطقة شرقي أفريقيا - تعطيها الحق في إدارة أملاكـــه والتصرف فيها ، وكان توقيع تلك المعاهدة في عام ١٨٨٧م ، وبموجبـــها تدفع الشركة للسلطان ما نسبته ٢٠% من الأرباح سنوياً(٣) .

وهذه هي ملاحظة دائمة في الاستعمار البريطـــاني حيـــث كـــانت بريطانيا في كثير من الأحيان تسعى قبل التدخل العســـكري المباشـــر لأن تمهد للسيطرة الاستعمارية بواسطة جهات خاصـــة كـــالأفراد والقنـــاصل

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي ، ص٢٥٣ ، علي الشيخ أبوبكـــر ، ط دار أمية للنشر والتوزيع ، الرياض - ١٤٠٥هـ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٢٥٣ .
(٣) الأقليات الإسلامية في أفريقيا ، جـ٢ ، ص٨٩ ، سيد عبدالمجيد بكر ، مرجع سابق .

والشركات والجمعيات التنصيرية والاستيطان حتى يكون ذلك مبرراً لها بعد ذلك لفرض سيطرتها السياسية بحجة الدفاع عن هذه المصالح ، ولا شك أن هؤلاء المستوطنين والمنصرين والتجار كانوا يعملون كل في ميدانه لإيجاد مجموعات استعمارية تكون لها مؤسسات إدارية وقضائية مرتبطة بالوطن الأم ، وهذا يدل على تعدد أهداف الاستعمار المختلفة في شتى المجالات .

كما تعللت بريطانيا كذلك في فرض سيطرتها على تلك البلاد بمحاربة تجارة الرقيق التي حشدت لها الرأي العام الأوروبي وظهرت جمعيات إلغاء الرق ، وكان في مقدمتها الجمعيات التنصيرية مثل جمعية لندن التنصيرية ، وجمعية التنصير الكنسي .

وعندما نقول إن بريطانيا كانت تتعلل بمحاربة تجارة الرقيق فإن هذا القول في محله ، ووراء هذه الحركة ما وراءها من الأجندة الخفية . وتؤكد ذلك الكاتبة الألمانية أميلى روث التي عايشت أحداث تلك الفترة وشهدتها في شرق أفريقيا حيث تقول : "الكلام عن الزق والرقيق من أشد المواضيع حساسية وأكثرها مدعاة لاختلاف الرأي هذه الأيام ... والغريب في الأمر هو الجهل السائد بين الناس حول الموضوع ، فالكثيرون من المتحمسين له يجهلون عناصره الرئيسية ، بل حتى أولئك المشتغلين بالموضوع فإنهم يتجاهلون دوماً حقيقة واقعة ناصعة وهي أن إثارة موضوع الرقيق وإظهاره للوجود لم يكن سببه العواطف الإنسانية عند الفرد الأوربي فحسب ، بل كان للعوامل والألاعيب السياسية أثر كبير في بعث الأمر والتهويل به ... "(١) .

وتقول في موضع آخر: (لقد لخص لي أحد الإنكليز الذين عملوا لفترة طويلة في أفريقيا الشرقية وعلموا عن كثب حقائق الأشياء ، لخص لي حركة مقاومة الرقيق بمظاهرها المختلفة بأنها مجرد "دجل")(٢) .

---

(١) مذكرات أميرة عربية ، ص٢٤٧ ، بقلم أميلي روث ، أصلا سالمة بن السيد سعيد سلطان مسقط وزنجبار ، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسي – دار الكتب الوطنية المجمع الثقافي – أبو ظبي .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤٨ .

وبعد أن ذكرت بعض القصص والوقائع عن معاملة الأوربيين السيئة للرقيق الذين يملكونهم والتي تنم عن عدم إنسانية ومناقضة وواضحة لشعاراتهم المرفوعة ، تقول: "فلا غرابة - وبعد هذه الحوادث وأشباه لها أستطيع أن أرويها أن ينظر العرب إلى زوارهم - المتحضرين - بعين الريبة والسخط ... وأن يعتقدوا أن غرض الأوروبيين من الحملات ضد الرقيق هو القضاء عليهم شعباً ووطناً وديناً"(١) .

أما هذه الجمعيات التنصيرية التي سعت وراء ذلك فقد كانت تهدف من تحرير العبيد إلى إدخالهم في النصرانية والاستفادة منهم في الكادر التنصيري مستقبلاً ، ولذلك لا نستغرب حين نرى جمعية التنصير الكنسي تؤسس لها بعثة في مدينة ممباسا ، وكتب "برايس" عام ١٨٥٠م ، للحكومة البريطانية : أن أول خطوة تم اتخاذها نحو خلق مستعمرة للعبيد الأفارقة المحررين هو شراء ارض بالقرب من ممباسا ، وتم توقيع العقد من قبل الممثل لبعثة الكنيسة وبالطبع هذا عمل ضخم ونحتاج فيه إلى المساعدات لأن هذا يفتح عصراً جديداً في بعثة شرق أفريقيا " ونتيجة لذلك جاءت موافقة مجلس العموم البريطاني عام ١٨٥٥م ، على تخصيص مبلغ (٥٠٠٠) خمسة آلاف جنيه لتمويل وتجهيز حملة بقيادة المنصر لفنجستون، ولما كان لفنجستون عضواً في جمعية لندن التنصيرية فقد تم تعيينه في عام ١٨٥٦م في منصب القنصل البريطاني لساحل شرق أفريقيا(٢) .

ومن هذا يتضح أن جمعية الكنيسة التنصيرية التي أسست في لندن سنة ١٧٩٩م ، باسم جمعية الإرساليات إلى أفريقيا والشرق ، هي أول الهيئات البروتستانتية الإنجليزية التي بدأت نشاطها في كينيا ووسط أفريقيا، فأنشأت أول مركز تنصيري لها في "راباى" بالقرب من ممباسا عام ١٨٤٤م ، بعد وصول المنصر كرايف المزود بخطاب توصية من وزير

---

(١) مذكرات أميرة عربية ، ص٢٥٠/٢٥١ ، بقلم أميلي روث ، أصلا سالمة بن السيد سعيد سلطان مسقط وزنجبار ، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسي - دار الكتب الوطنية المجمع الثقافي - أبو ظبي .

(٢) انظر: الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ، ص٣٦٨ ، عمر سالم بابكور ، مرجع سابق .

خارجية بريطانيا إلى سلطان زنجبار ، السيد سعيد بن سلطان ، والذي من جانبه رحب بهذا المنصر وأعطاه خطابات توصية إلى ولاته بالساحل الشرقي ، يدعوهم إلى تقديم المساعدة إلى "هذا الرجل الطيب الذي جاء يدعو إلى الله" - على حد تعبير السلطان المغلوب على أمره - فما كان من الولاة إلا السمع والطاعة وتقديم كل ما يمكن لهذا الأوربي القادم إلى بلاد المسلمين ، الأمر الذي ترتب عليه أن يستعين كرايف بقاضي "لامو" المسلم في ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة السواحيلية ، ونزل كرايف بقبيلة "وانيكا" الوثنية - فيما وراء ممباسا - والتي كانت تدين بالولاء لسلطان زنجبار[١] .

إن اهتمام وزير خارجية بريطانيا ببعثة المنصر كرايف وبدوره الذي سيقوم به يؤكد لنا مدى اهتمام الدول الاستعمارية بالمنصرين كأداة مساعدة لهم في عملهم ، ومن جهة أخرى يؤكد لنا اهتمام السلطان سعيد بهذا المبعوث المزود بخطاب توصية من وزير الخارجية البريطاني مدى تغلغل نفوذ تلك الدول في أفريقيا والذي سبق مرحلة الاستعمار الرسمي ، والأمر الذي يدعو للدهشة هو تقديم المساعدة من بعض شيوخ القبائل المسلمين لهؤلاء المنصرين مع علمهم بما جاءوا من أجله فهل يكون ذلك عن جهل بالدين أم عن خوف وموالاه للأوروبيين . وكذلك ينطبق الحال على موقف السلطان سعيد .

اتخذ كرايف وزميلاه اللذان لحقا به بعد ذلك وهما :

- المنصر "ريبمان" ، والمنصر "ايرهارد" - من "رابای" قاعدة للتوغل داخل القارة لإقامة مراكز للتنصير بها ، وعملوا على دراسة اللغات الأفريقية ، ووضعوا معاجم للسواحيلية والنياسا والوانيكا كل ذلك لمحاربة الإسلام ونشر النصرانية . كما أرسلت جمعية الكنيسة التنصيرية

---

(١) انظر: انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ومناهضة الغرب له ، ص٣٤٥ ، محمد عبدالله النقيرة ، مرجع سابق .

ستة منصرين ألمان آخرين سنة ١٨٥١م ، إلى مركز "رابـــاى" بصحبـــة كرايف عند عودته إلى ممباسا[١] .

ولما زار "بارتل فرير" زنجبار سنة ١٨٧٣م ، أوعز إلـــى جمعيـــة الكنيسة التنصيرية فأنشأت مستعمرة للرقيق المحررين في السهل الســاحلي المقابل لممباسا ، أطلق عليها "فريرتاون" نسبة إلى بارتل فرير . وبـــدأت تلك المستعمرة أعمالها تحت إشراف المنصر برايس منذ ١٨٧٥م ، وراح منصروها يشجعون العبيد على الهروب من ساداتهم والاحتماء بالمستعمرة التي كانت ترحب بهم وتمنحهم حماية الجمعية ثم تنصرهم وتهيئهم للعمـــل في مزارع الأوروبيين . كما كانت تستقبل الأرقاء المصادرين من تجـــار القوافل العربية على أيدي البحارة الإنجليز ، فتعلن تحررهم على الفور ثـــم تنصرهم وتدربهم على العمل اليدوي ، ثم ترسلهم بعد ذلك للمســـتعمرات البريطانية . واستمرت الجمعية في زيادة نشاطها حتى امتد إلـــى داخـــل أوغندا[٢] .

وفي ختام جولته التنصيرية في أفريقيا وقبل عودته إلى بلاده ذكـــر كرايف أنه كان يرغب شخصياً في القيام بعملية مسح شاملة لجميع منـــاطق شرق أفريقيا ابتداء من ممباسا حتى المستعمرات البرتغالية في موزمبيـــق، وقد ذكر أنه يعرف جيداً المناطق الممتدة من ممباسا حتى زنجبار لكنـــه لا يعرف المناطق الأخرى الممتدة من زنجبار حتى رأس دلقادو "موزمبيـــق الحالية " حيث يتركز حكم العرب . وقد نبه كرايف على أهميـــة العمـــل التنصيري في هذه المناطق حيث قال : " إنه من المهم أن يحصل أصدقـــاء البعثات التنصيرية الذين يطوقون القارة الأفريقية بالمراكز التنصيرية مـــن أجل جعل هذه القارة الكبيرة تحت حكم الصليب على بعض المعلومات عن بقية الأجزاء غير المكتشفة من ساحل شرق أفريقيا ليكونـــوا علـــى علـــم ودراية بالطرق المختلفة التي يستطيع من خلالها رسل الصليب الوصـــول إلى مركز القارة الأفريقية ، وهذا العمل سيمكن البعثات التنصيريـــة مـــن

(١) انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ، ص٣٤٥/٣٤٦ ، النقيرة .
(٢) المصدر السابق ، ص٣٤٦ .

الوصول إلى قبائل وسط القارة عن طريق البحار والأنهار من الشرق والغرب والشمال"(١) .

إن المتتبع لرحلة كرايف في أفريقيا بدءاً بأثيوبيا ومروراً بشرق أفريقيا - كينيا وزنجبار وغيرها - يتضح له أن الرجل كان حريصاً جداً على نشر الديانة النصرانية ليس في شرق أفريقيا فحسب بل كان يطمح إلى نشرها في كافة أرجاء أفريقيا وخاصة في المناطق ذات الموقع الاستراتيجي ، وذلك بغرض الانطلاق منها للانتشار في مناطق أخرى داخل القارة .

كذلك الحفاوة والاستقبال التي وجدهما كرايف عند قدومه للمنطقة وتلك المساعدات التي لقيها من قناصل الدول الغربية المعتمدين لدى سلطان زنجبار لتؤكد مدى الارتباط الكبير بين الاستعمار وبين دخول النصرانية إلى المنطقة ، إذ مكنته تلك المساعدات من الوصول إلى مناطق لم يكن له أن يصلها بمفرده ، وهذا الاستقبال يؤكد أيضاً اهتمام قناصل الدول الغربية بريطانيا وأمريكا ببعثه والغرض الذي جاء من أجله ، فها هو القنصل البريطاني في زنجبار "همرتون" يستقبله استقبالاً حاراً ويقدمه إلى السلطان سعيد سلطان الساحل ومسقط ، كما ساعده عندما مرض مرضاً شديداً حتى شفي . كما رحب به القنصل الأمريكي "ووترز" الذي بلغ من تكريمه له أن أسكنه في منزله قبل أن يقيم كرايف لنفسه مسكناً خاصاً . وقد كان كرايف ممتناً لهؤلاء القناصل الذين ساعدوه حيث وصف القنصل الأمريكي بأنه صديق حميم متحمس للبعثة ، مما دفعه لإبداء رغبته لكرايف بأن يبقى في زنجبار ليقوم بمهمة الوعظ يوم الأحد لمجموعة من الأوربيين الذين كانوا يقيمون في زنجبار بالإضافة إلى مجموعة من الهنود الذين يبلغ عددهم حوالي سبعمائة شخص ، كما رغب إليه القنصل الأمريكي بأن ينشئ مدارس لتعليم المواطنين من العرب والسواحليين ، وإعداد الكتب الدينية بلغات تلك البلاد لتكون أساساً للبعثات التنصيرية في

---

(١) السياسة والتنصير في شرق أفريقيا ، ص٥٢٨، محمد الخضيري ، مرجع سابق .

المستقبل ، ورغم أن كرايف اعتذر عن هذه المهمات رغم علمه بأهميتها وبالفرصة السانحة من وجود ذلك الحماس من قبل القنصل الأمريكي ، لكن كرايف كان مهتماً بتأسيس بعثة تنصيرية وسط قبائل جالا التي تمتد ما بين أثيوبيا وكينيا والصومال ، وكان كرايف يرى أنه إذا لم يستطع جمع هؤلاء السكان تحت مظلة الكنيسة النصرانية فإنهم سيتحولون إلى الإسلام والذي كان ينتشر انتشاراً كبيراً في بلاد الساحل الأفريقي ، وهو ما دعا كرايف إلى العمل الجاد والسريع لنشر النصرانية في هذه البلاد(١) .

ثم تلى ذلك دخول عدد من الإرساليات إلى المنطقة وبدأت تمارس نشاطها التنصيري وسط الأهالي ، كان منها :

١ - إرسالية الجامعات إلى وسط أفريقيا :

كان مقر هذه الإرسالية في زنجبار ، وقد تأسست على يد المنصر ديفيد لفنجستون في عام ١٨٥٦م ،بعد مناشدته لجامعتي اكسفورد وكامبردج البريطانية . كانت هذه البعثة تعمل في منطقة تسمى نهر شاير أو حاضرة الأراضي المرتفعة ، تحت إدارة الأسقف ماكينزى ، ونتيجة لعدم ملائمة المناخ للأوربيين مات ماكينزى ومعظم العاملين معه في السنة الأولى . وعندما جاء خليفته الأسقف توزر (Tozer. W.G) عام ١٨٦٣م ، قرر إيقاف العمل التنصيري في هذه المنطقة لبعض الوقت ، والعمل على جعل زنجبار قاعدته للعمل التنصيري في الداخل نظراً لتوسط موقعها قبالة الساحل ، وقد استقبل توزر بحفاوة من قبل القنصل البريطاني الكولونيل "بليفر" وأقام بضعة أيام في ضيافته وسهل له مهمته كعادة غيره من قناصل الدول الغربية اقتناعاً منهم بدعوة المنصرين وخدمة لمصالح بلادهم(٢) .

كانت إرسالية الجامعات من أكثر الإرساليات التنصيرية تأثيراً لاتخاذها خطاً مختلفاً وحيوياً عما قامت به الإرساليات والجمعيات

(١) انظر: السياسة والتنصير في شرق أفريقيا ، ص٥٢٩ ، ٥٣٠ ، محمد الخضيري ، مرجع سابق .

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٠٨ .

التنصيرية الأخرى . كانت طريقة العمل التي سلكتها الإرساليات العادية تهدف إلى التحويل المباشر إلى النصرانية عن طريق تعليم الناس وتدريب الأطفال بعض المهن من خلال ربطهم بأنشطة المنصرين ، بينما كانت إرسالية الجامعات تهدف إلى تأسيس كنيسة أفريقية تكون أنشطتها في النهاية قائمة على أيدي الوطنيين الأفارقة ، وذلك لأن القساوسة والمنصرين الأوروبيين لا يستطيعون البقاء في هذه القارة بصفة دائمة لعدم مناسبة المناخ والتقاليد الاجتماعية لهم .

٢ - إرسالية أراضي أفريقيا الداخلية :

وهي من الإرساليات البروتستانتية وكان لها نشاط كبير في كينيا وشرق أفريقيا خاصة على يد المنصر جون بويس الذي قضى خمسين عاماً في خدمة المد التنصيري في كينيا ثم غادر بعدها إلى جنوب السودان(١) .

٣ - إرساليات روح القدس :

بجانب الإرساليات الإنجليزية في المنطقة كانت هناك إرساليات فرنسية على المذهب الكاثوليكي بدأت نشاطها هناك ، كان من ضمنها روح القدس أو إرسالية الآباء السود كما كانت تسمى أحياناً . أسسها الدكتور أماند مانيونيت عام ١٨٦٠م ، وكانت تعرف محلياً في زنجبار بالبعثة الفرنسية لأنها كانت تعمل تحت إشراف القنصل الفرنسي ، وحصلت الجمعية على موافقة السلطان ماجد بن سعيد سلطان زنجبار للعمل في أراضيه حيث تشمل منطقة شرق أفريقيا بأسرها وذلك في مجال علاج المرضى ومساعدة الفقراء وتعليم أبنائهم . وتمكنت هذه الإرسالية بدعم من القنصل الفرنسي من توسيع نشاطاتها في عام ١٨٨٠م ، حتى

(١) المشروع التنصيري في السودان ، ص٦٤ ، حسن مكي ، من منشورات المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم - ١٤١١هـ/١٩٩١م .

شملت مناطق كثيرة من شرق القارة ، حيث امتد نفوذهـــا إلـــى منطقـــة كلمنجارو في كينيا والشمال الشرقي من تنزانيا ، وفي عام ١٨٩٦م ، بلـــغ مجموع القرى التي أنشأتها هذه الإرسالية اثنين وخمسين قرية نصرانية(١).

٤ - جمعية تدريب الأصدقاء :

أنشئت هذه الجمعية في جزيرة بمبا إحدى الجـــزر الواقعـــة علـــى الساحل الكيني وهي من الجمعيات التنصيرية التي كان لـــها أثـــر كبـــير وخطير في شرق أفريقيا بعامة وفي كينيا بصفة خاصة . كان قـــائد هـــذه البعثة ثيودور بورت الذي وصل إلى بمبا في عام ١٨٩٧م(٢) .

هذه لمحة مختصرة عن دخول النصرانية إلى كينيا ، وهـــي فـــترة شملت توسعاً نصرانياً كبيراً في القارة الأفريقية إبـــان عـــهد الاســـتعمار الأوربي لأفريقيا في القرنين التاســـع عشـــر ومطلـــع القـــرن العشـــرين الميلاديين، والمتتبع لدخول النصرانية في كينيا يجدها قد لاقت نجاحاً كبيراً بسبب نفوذ الدول الاستعمارية والقناصل الأوروبيين ، إذ كان لهذا العـــامل الأثر الكبير في التمكين لهذه البعثات من الانتشار خاصة وســـط القبـــائل الوثنية بينما لاقت صعوبة في نشر عقيدتها وسط المسلمين .

(١) انظر: السياسة والتنصير في شرق أفريقيا ، ص٥١٠ - ٥١٢ ، محمد الخضيري ، مرجـــع سابق .
(٢) المصدر نفسه ص٥١٣ .

المبحث الثالث

علاقة الإرساليات التنصيرية بالاحتلال في كينيا

المبحث الثالث

علاقة الإرساليات التنصيرية بالاحتلال في كينيا

جاء احتلال بريطانيا رسمياً لكينيا عقب توقيعها معاهدة مع ألمانيا لاقتسام شرقي أفريقيا في سنة ١٨٨٨م ، وقام هذا الاحتلال على أنقاض تمزيق دولة آل بوسعيد الإسلامية . فأخذت ألمانيا القسم الجنوبي وهي تتجانيقا "تنزانيا حاليا" وأخذت بريطانيا كينيا والقسم الأكبر من الصومال . وحددت مناطق النفوذ بين الاستعمار الألماني والبريطاني وامتد الخط الفاصل بينهما في شمال نهر بنجاني على ساحل المحيط الهندي إلى بلدة شيراتى على بحيرة فكتوريا[١] .

وهكذا دخل الاستعمار البريطاني إلى كينيا واصبح المتحكم بمجريات الأمور وكل صغيرة وكبيرة بعد أن مهد لذلك بإرسال البعثات التنصيرية والكشفية والشركات والقناصل حيث كانت بمثابة طلائع الاستعمار إلى تلك البلاد ، وقد رأينا في المبحث السابق مدى الحفاوة والتكريم التي يستقبل بها القناصل رجال البعثات عندما يصلون إلى المنطقة . ولكي تتبين لنا حقيقة العلاقة أكثر بين الإرساليات والاحتلال ، نذكر نظرة المنصر ماكدونالد التي تلقي الضوء على تلك العلاقة عندما يقول " يجب تسوية الخلافات بين الكنيسة من ناحية والسياسة الاستعمارية البريطانية من ناحية أخرى ، وأنه مطلوب مسيحية استعمارية ، ومسيحية تجارية ومطلوب أيضاً استعمار مسيحي ، وعقيدة اقتصادية ، وأن سجل عمل البعثات التنصيرية في أي جزء من أجزاء الإمبراطورية يشابه أي سجل لأي عمل إداري ولا يمكن لأحد أن يعبر برأي عن التساؤلات الاستعمارية ما لم يحط بجهود الكنيسة لنشر المدنية"[٢] .

---

(١) انظر: استعمار القارة الأفريقية واستغلالها ، ص٢٠٦ ، زاهر رياض ، ط . دار المعرفة ١٩٦٦م .

(٢) الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ، ص٣٧٦ ، عمر سالم بابكور ، مرجع سابق.

وفيما يلي نسلط مزيداً من الضوء على تلك العلاقة وبيان دور الاستعمار في دعم العمل التنصيري ومدى استفادة كل منهما من الآخر في إطار سياسة تبادل المنافع والعون لصالح كل منهما .

التنصير والاستعمار وسياسة تبادل المنافع :

في عام ١٨٩٢م ، وقعت الدول الأوربية على قانون بروكسل الذي ألزمت بموجبه أنفسها على ضرورة إلغاء تجارة الرقيق ، الأمر الذي جعل البعثات التنصيرية في ممباسا وغيرها من مناطق كينيا تبدو أكثر ثقة بحماية الحكومة لها بعد هذه الاتفاقية ، إذ كانت تلك الإرساليات تقيم المرافق لإيواء الرقيق المحررين بهدف تنصيرهم ، وقد تم بالفعل دعم الحكومة البريطانية للبعثات التنصيرية ، وذلك حين بدأت بعثة الكنيسة التنصيرية في العمل على التنصير بين المسلمين في ممباسا ، حيث تم اقتحام المدينة تحت حماية بريطانيا ، كما تم إرسال ثلاث سيدات من إنجلترا بصفة خاصة للقيام بالتنصير بين السيدات المسلمات في المدينة(١).

أدت هذه العملية إلى إثارة غضب العرب المسلمين في ممباسا وأعربوا عن رفضهم لقيام البعثة بنشاط تنصيري يعتبر ضد الإسلام والمسلمين ، وقد بات واضحاً أن البعثة لا تستطيع أن تفعل شيئاً إلا بدعم وحماية السلطات البريطانية الاستعمارية وبدأ شعور بالكراهية من العرب ضد الأوروبيين ، وذلك بسبب غزو بعثة الكنيسة لممباسا ، وفي عام ١٨٩٦م ، ازداد الشعور حماسة الأمر الذي اصبح ينذر بوقوع اشتباكات بين الجانبين . وفي تلك السنة تحولت مسؤولية الإدارة عن المنطقة من الشركة البريطانية لشرق أفريقيا إلى الحكومة الإنجليزية نفسها وأصبحت المنطقة تعرف باسم محمية شرق أفريقيا (٢) .

---

(١) الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ، ص٣٧٦ ، عمر بابكور ، مرجع سابق .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٧٦/٣٧٧ .

والكنيسة ما كان لها أن تصل إلى هذه المرحلة بحيث تباشر عملها وسط المسلمين إلا بعد أن أفسدت علاقة المسلمين بالحكومة ووطدت علاقتها معها على حساب المسلمين .

فقد كان الاستعمار البريطاني بعد استقراره في كينيا عمل على مهادنة المسلمين وبدأ يستعين بهم في إدارة أمور البلاد ، فعين منهم حكام الأقاليم والولاة وكذلك القضاة وجباة الضرائب ، فما كان من الكنيسة إلا أن ثارت على تلك الأوضاع رافضة لوجود أي نفوذ للمسلمين في الحكم ، وعقد المنصرون مؤتمراً كنسيا في سنة ١٣١٨هـ/١٨٩٠م ، كان من ضمن قراراته إلزام الحكومات الاستعمارية في المنطقة على الحد من نفوذ المسلمين في الحكم[١] .

وهذه القرارات مشابهة تماماً للاقتراحات التي قدمت في مؤتمر أدبزة التبشيري العالمي الذي عقد في اسكوتلندة عام ١٣٣٨هـ/١٩١٠م ، حيث طرح المنصر القسيس "جاير دينر" على أعضاء المؤتمر البالغ عددهم ١٥٩ مندوباً ، مجموعة من التوصيات ليتم تبنيها من خلال المؤتمر ، والتي تشمل عدة اقتراحات لإعاقة ووقف المد الإسلامي في مناطق المسلمين من جهة وإحلال النصارنية محل الإسلام من جهة أخرى . فقد كان القسيس "جاير دينر" يرى أن الحكومات الاستعمارية وعلى الأخص الحكومة الإنجليزية مقصرة في مساعدة الإرساليات التنصيرية ضد المد الإسلامي في منطقة شرق أفريقيا ، ومن أجل ذلك يجب عمل الآتي[٢] :

- يجب على أعضاء هذا المؤتمر أن يقوموا بتقديم مذكرة احتجاج رسمي إلى الحكومة الإنجليزية بخصوص سياستها تجاه الإسلام في شرق أفريقيا .
- يجب على أعضاء هذا المؤتمر أن يبلغوا مناشدتهم إلى الكنيسة لتقف على ما يحدث في شرق أفريقيا .

(١) انظر: الأقليات الإسلامية في أفريقيا ، جـ٢ ، ص٩٧ ، سيد عبدالمجيد بكر ، مرجع سابق .
(٢) انظر: التنصير حقيقته وطرق مواجهته ، ص٣٣ ، ٥٧ ، حسين محمد محمود عبدالمطلب، مطابع دار الهلال بأسيوط - مصر - ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

- يجب على كل حكومة مسيحية أن تجعل كل الشعب المسيحي يشعر أن الأشخاص ذوي التعليم للديانة المسيحية ذووا قدر عظيم في المناصب والحكم في كل الفروع .
- يجب على كل حكومة مسيحية أن لا تعتبر الديانة المسيحية كواحدة من كثير من الديانات الأخرى ، بل تعتبرها الديانة الوحيدة التي تتميز بأنها الأسمى .
- يجب على كل حكومة مسيحية أن تحتل بالقوة كل قاعدة أو مركز استراتيجي من الجزء الإسلامي في شرق أفريقيا لتخضعه للمراقبة ، وهذا يتطلب التعاون الوثيق في الساحل الشرقي الذي طالما تقنا إليه في الغرب .
- يجب على أعضاء هذا المؤتمر ، أن يحملوا وجهة النظر هذه بطريقة جادة ومحددة أمام الحكومات الثلاث الإنجليزية والفرنسية والألمانية المهتمة بإدارة شرق أفريقيا . أ . هـ .

وهكذا نجحت الكنيسة في إبعاد نفوذ المسلمين وتقليص سلطتهم وبالمقابل أطلقت أيدي المنصرين للعمل بكل حرية ونشاط في ظل الدعم الاستعماري لها ، بل قامت السلطات الاستعمارية تحت ضغط الكنائس بمصادرة معظم أراضي المسلمين وجعلها ممتلكات للدولة ، كما حدت من نشاطهم التجاري الأمر الذي وضعهم في موقف اقتصادي سيئ وتدهورت حالتهم المادية . لذلك نجد أن بعثة الكنيسة كان لها دور كبير في حركة الاستعمار كما قامت هي بالاستفادة من سلطاته فيما بعد وبمعنى آخر أن الكنيسة التنصيرية والمستعمر تبادلا العون والمنفعة لصالح كل منهما .

وفي عام ١٨٩٦م ، أصبحت محمية شرق أفريقيا تحت مسؤولية القنصل العام البريطاني في زنجبار ، وكان لإضافة كينيا والساحل الشرقي الأفريقي للإدارة البريطانية أن أصبح وضع عمل الإرساليات والبعثات البروتستانتية في مكان آمن ومستقر في كل المنطقة ، حيث أصبح بإمكانهم قيادة الحملة الإعلانية ضد الرقيق بنجاح ، وعن طريق محطاتهم في المحميات البريطانية تستطيع بعثاتهم الانتشار في مناطق كثيرة في

الأراضي العالية مع وجود الحماية الكاملة من الإنجليز. وفي عام ١٨٩٧م، بدأت الحكومة الإنجليزية بإنشاء خط للسكك الحديدية بين كينيا وأوغندا مما أدى إلى سرعة وسهولة الانتشار النصراني من جانب البعثات بجانب المهام الأخرى(١) .

وقد ألقت الحكومة البريطانية بكل ثقلها لحساب البعثات والإرساليات التنصيرية ، وذلك نظراً لأهمية تلك البعثات في الخطط الاستعمارية ولما تقدمه من خدمة مباشرة لحكوماتها ، وقد عبر عن تلك الأهمية حاكم مستعمرة شرق أفريقيا "إليوت" Eliot بقوله : "إن فتح محطة جديدة للبعثة يظهر لي بصفة عامة بأنه امتداد للنفوذ الأوربي ، كما توجد مقاطعات في شرق أفريقيا مثل ، تيتا والجزء الأدنى من نهر تانا ، لم يكن النفوذ الأوروبي في ذلك الوقت ممثلاً إلا بالمنصرين فقط ، وذلك ابلغ دلالة على أن رجال التنصير كانوا بمثابة المقدمة لقوى الاستعمار ، كما يوجد تقدم كبير في مناطق أخرى نظراً لوقوعها تحت سيطرة الحكومة والموظفين التابعين للبعثات والإرساليات"(٢) ، وقد استغل المنصرون أراضي التاج البريطاني بموجب قوانين محلية ، تم إصدارها في كينيا عام ١٩٠١م ، لضمان مطالبة دائمة بالأرض الممنوحة مجاناً من الأفريقيين ، ولقد سمحت القوانيين المحلية بنزع ملكية الأرض في كينيا لصالح الرجل الأبيض وإقامته ، وتمكنت البعثات بسهولة من الحصول على شهادات بامتلاك الأرض من الحاكم العام . وكان هناك تسابق من البعثات للحصول على العديد من الضيعات في الأراضي الجبلية الممتازة وادعوا أنها أراضٍ للبعثة وبموجب قانون عام ١٩٠١م ، فإن الأراضي التي تشمل القرى والمستوطنات الجديدة يمكن أن يسمح بنزع الملكية فيها ، وقد تم إصدار القرار لينساب مع أغراض المنصرين والبعثات في التحكم بالأرض

---

(١) انظر: الأقليات الإسلامية في أفريقيا ، جـ٢ ، ص٩٧/٩٨ ، سيد عبدالمجيد ، مرجع سابق .

(2)Cherel. NE . E Liot: The East Africa Protect orate London 1955 P . 241 .

الأفريقية ، وبالتالي أصبح من السهل الضغط على الأفريقيين لكي يصبحوا نصارى مقابل السماح لهم بالإقامة واستغلال الأرض التي أصبحت ملكاً للبعثات[١] .

لقد بينت التجارب في كينيا وفي أفريقيا عموماً أن التنصير يعمل مخلب قط شرس للاستعمار ، بل التنصير والاستعمار وجها لعملة واحدة يستفيد كل منهما من الآخر ويتقوى به وينفذ عبره سياسته وخططه المرسومة .

ويؤكد ذلك قول أحد الزعماء الأفارقة وهو الرئيس السابق لجمهورية زامبيا - كينيت كاوندا - فعندما كان كاوندا يكافح ضد الاستعمار الإنجليزي لبلاده ، بعث بخطاب إلى رئيس الإرسالية نقل فيه ما كتبه برنارد شو في كتابه "رجل القدر" يقول فيه : " عندما يريد الرجل الإنجليزي سوقاً جديدة لبضائعه الفاسدة التي ينتجها في مانشستر فإنه يرسل "مبشراً" لتعليم الأهالي بشارة السلام ، ويقتل الأهالي المبشر ، فيهب الإنجليزي إلى حمل السلاح دفاعاً عن المسيحية ويحارب من أجلها ، ثم يستولي على السوق كمكافأة من السماء ! إذا كنت تنوي خدمة الحكومة البريطانية بالطريقة التي وضعها شو ، فلقد أتيت في الوقت غير المناسب ، لم يقتل أجدادنا أحد الأوروبيين في المحمية وسوف تتأكد من أننا لن نقتل أي أوروبي "مبشراً" كان أو غير مبشر لأسباب سياسية"[٢] .

وفي عام ١٩٦٠م ، كانت لندن مسرحاً لمؤتمر جامع للطلبة الأفارقة في غرب أوروبا والولايات المتحدة ، وكان خطاب شانجو ماكيو الذي مثل اتحاد طلبة شرق ووسط أفريقيا في المملكة المتحدة من أكثر الخطب حماسة ، ومما جاء فيه : " إن كل أمة في العالم قد ضحكت علينا فعلا . لقد سخرت منا الأمم صغيرها وكبيرها ، كنا موضع احتقار ، وتعرضنا لكل نوع من الإساءة والإذلال وسوء المعاملة الوحشية مما يطلق عليه اسم

---

(١) الإسلام والتحدي التنصيري ، ص٣٧٩ ، عمر بابكور ، مرجع سابق .
(٢) انظر: حقائق ووثائق - دراسة ميدانية عن حركات التنصير في العالم الإسلامي ، ص٩٤ ، عبدالودود شلبي ، ط . الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٩/١٩٨٩م .

العالم المسيحي المتمدن . لقد أدرنا خدنا الآخر ، ولكن هذا لم يكن قط موضع تقدير . إن الأرباح من العبيد الأفريقيين بنت قصوراً وكنائس ومدناً، إننا جميعاً عبيد لأن الملايين من شعوبنا ما زالت تتألم من إذلال السيطرة السياسية والاقتصادية والروحية"(١) .

وهذه هي عين الحقيقة المرة التي ذاقتها الشعوب الأفريقية على يد المنصرين وأعوانهم ، فما تزال في حلوق الأفارقة غصة من تجارة الرقيق، وما زالت ذكرياتها عالقة بأذهانهم وهم يسترجعون تاريخ القرن التاسع عشر حينما كانت سفن الرجل الأبيض تتنافس في تصدير الرقيق الأفريقي الرخيص ، وقبل إجراءات الشحن يتم تعميد العبيد الأفريقيين بإضفاء أسماء أوربية عليهم دلالة على الامتنان والإنسانية وتعبيراً عن مشاعر الحب الكنسية لهؤلاء البؤساء .

وقد أعطى ج . كابرال للطلبة في هذا المؤتمر بياناً عن النشاطات الإرسالية في ممتلكات البرتغال الأفريقية : " ليست هناك أية مدارس ، أو على الأصح توجد بعض مدارس تحت سيطرة الكنيسة الكاثوليكية ... هل تعلمون ماذا تدرس!؟ ليس حب الرب! ولكن حب البرتغال . إن كل "المبشرين" الكاثوليك وإن لم يسموا موظفين رسميين فإنهم يعدون موظفين في الخدمة الخاصة للمصالح الوطنية البرتغالية"(٢) .

وحين اعتلى المنصة لويس دالميدا من الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ليلقي بياناً عن الأحوال في أنجولا ، قال : "كثيراً ما تكون الحالة أنه بدلاً من أن يحضر الأطفال الأفريقيين دراستهم ، أن يؤخذوا للعمل في الضيعات أو مزارع الإرسالية دون أن يعرفوا أي شيء عن القراءة والكتابة ... واسمحوا لي أن أنقل حرفياً فقرة من مقالة حديثة لرئيس أساقفة لورنزوماركس ، ظهرت في مجلة " البرتغال في أفريقيا" العدد الصادر في مايو ١٩٦٠م ، تقول المقالة : إن ما يأمل المبشرون تحقيقه من تعليم

(١) حقائق ووثائق عن حركات التنصير ، ص٥٩ ، عبدالودود شلبي ، مرجع سابق .
(٢) المصدر نفسه ، ص٥٩ .

وتهذيب الشباب الوطني ، هو أن يحتفظ بكنيسة موزمبيق باستمرار إلى جانب البرتغال ... إن النشاط الإرسالي يمنح البرتغال فخراً في المنظمات العالمية السامية ويكون سنداً قوياً للسيادة البرتغالية"(١) .

وهذا ما يؤكده أيضاً أحد الكتاب والأدباء الكينيين حين وصف الحال التي أوصلتهم إليها القوى الكنسية ومن خلفها الاستعمار فقال : "جاءوا إلينا يحملون البندقية والإنجيل ، فأمطرونا بالرصاص ثم غمموا أعيننا ووضعوا أيدينا على المحاريث لنقلب لهم الأرض ونزرعها ، وبعد عناء طويل فتحنا أعيننا لنجد بأيدينا الإنجيل وبأيديهم الأرض والثروة ، وكنا قد نسينا استعمال السلاح ، فنحن اليوم نقلب الإنجيل ونتقلب في المجاعة والتبعية"(٢) .

فما أصدقه من وصف! وما أصدقها من مقولة! فهذه هي حقاً الحالة السيئة والواقع المرير الذي خلفته قوى التنصير والاستعمار في البلدان التي ابتليت بها ، فكان أن تستر الاستعمار خلف الكنائس وخلف الدافع الديني لاحتلال أفريقيا وتحقيق أغراضه الاستعمارية بعد أن مهد له التنصير وليس أدل على ذلك مما ذكره الكاتب الكيني ووصفه لتلك الحال التي تؤكد مراراً العلاقة الوطيدة بين الإرساليات التنصيرية والاحتلال في كينيا ، إذ إن الاستعمار وما صاحبه من احتلال بقوة السلاح والنار ، وما تبعه من شركات ، استهدف إنسان كينيا واستنزف خيراته ، واستولى على أرضه وأورثه التبعية للتوجه الأوروبي ، بينما الإرساليات وجيوش المنصرين استهدفت عقله وروحه وثقافته حيث عمدت إلى قهره وقطعت طريقه إلى الإسلام والثقافة العربية فأورثته خواءً روحياً وفراغاً ثقافيا .

إن هذا التعاون والارتباط الوثيق بين الحكومة الاستعمارية البريطانية وحركات التنصير في كينيا يقوم على اعتراف الحكومة الاستعمارية نفسها وأقطاب التنصير والاستعمار بقيمة العمل الذي تم

(١) حقائق ووثائق ، ص٩٦ ، عبدالودود شلبي ، مرجع سابق .
(٢) مجلة البيان ، العدد ٥٥ ، ص٤ ، ربيع أول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

إنجازه وتنجزه البعثات التنصيرية . سواء كان في مجال تثبيت ثقافة المستعمر ، أو التعليم أو غيره من الخدمات الجليلة التي تؤديها الكنيسة لصالح الاستعمار .

وقد أكد المنصر دى لاس أوليرى ذلك الاعتراف بقوله : "إن النفوذ الغربي هو أيضاً مسؤول عن وجود "المبشرين المسيحيين" ، وقال جيمس باركس : "إن مصالح المبشرين الدينية قبل الحرب العالمية الأولى كانت تجد عوناً كبيراً في وجود القناصل الأوربيين الذين كانوا يؤمنون لها قدراً كبيراً من الهيبة السياسية"(١) .

ونتيجة لهذا التعاون الكبير بين الكنيسة والمستعمر ، أخطأت الكنيسة قراءة تطور أوضاع أفريقيا بعد الحرب العالمية ، إذ ظنت أن الاحتلال الأوربي سيخلد في أفريقيا إلى الأبد ، وكانت تظن أن الأفريقيين المثقفين خريجي المدارس الكنسية سيرضون بحكم الاحتلال لفترة طويلة على الأقل .. لذلك بدلاً من أن تسهم الكنيسة في تغذية حركات التحرير بالمدد الروحي والفكري ، شغلت نفسها بالتمكين للحكم الأجنبي ، وإطالة بقائه ، بل أدانت حركات التحرير . وقد أصيب القساوسة السود بالذهول والحيرة إزاء موقف الكنيسة الكاثوليكية من الصراع في جنوب أفريقيا ومناداتها بنبذ العنف في التصدي لنظام التفرقة العنصرية .

ويحفظ الأفارقة للبابا جون الثالث عشر موقفه في عام ١٩٦٥م ، عندما رفض أن يقابل وفداً يمثل حرك تحرير أنجولا ، وفي عام ١٩٧٠م ، وبعد ضغوط وافق البابا على مقابلة قادة حركات تحرير أنجولا وموزمبيق وغينيا بيساو باعتبارهم نصارى وكاثوليك لا بصفتهم قادة لحركات سياسية تحريرية ، وكانوا في نظر الإعلام الكنسي مجرد عصاة خارجين على السلطة الشرعية(٢) .

---

(١) الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ، ص٣٨٢ ، عمر سالم بابكور ، مرجع سابق.

(٢) انظر: المشروع التنصيري في السودان ، ص٨٣٣ ، حسن مكي ، مرجع سابق .

ونتيجة لهذه الممارسات الخاطئة من قبل الكنيسة المتمثلة في المواقف الكنسية الموالية للاستعمار والمعادية للشعور الوطني في الدول الأفريقية ومحاولة فرض النموذج الغربي على الأفارقة وعدم ظهور أي توجهات من الفاتيكان ترضي تطلعات قادة الكنائس الأفريقية حول قضايا التحرير، ظهر نوع من خيبة الأمل والعداء من بعض القادة الأفارقة تجاه الكنيسة ، بل كاد بعضهم أن يرتد إلى وثنيته ، ومن ذلك قول الرئيس الموزمبيقي (سامورا ميشيل) في عام ١٩٧٧م : "لقد قررنا وضع حد نهائي لكل المعتقدات الدينية ، كما منعنا تلقين الأطفال ، وكذلك الكبار مبادئ المسيحية في العطلات العامة"(١) .

ومن نتائج تلك الممارسات الخاطئة للكنيسة ظهور حالة إدانة واسعة للنصرانية والتنصير والمنصرين من قبل الأفارقة ، خاصة بعد اكتشاف الخديعة التي مورست عليهم والعلاقة الوثيقة بين التنصير والاستعمار .

ومن ذلك قول أحد الأفارقة النصارى : "إن ما تدعيه النصرانية من معاملة الناس بالحسنى أمر لا معنى له ، لأن النصرانية نفسها قد ثبت عملياً أنها دين مشاغب ، فكل ملة تهاجم الأخرى . إن المنصرين مدينون بأكبر خداع حماسي لجذب الناس إلى العمل الإرسالي ... إنهم وكلاء لسوء العمل الخارجي ... إنهم كانوا ذئاباً في جلود نعاج ... إن النصرانية كانت جزءاً من خداع أفريقيا"(٢) .

كما أن القرار النهائي الذي أصدره المؤتمر الخامس لتوحيد أفريقيا ، الذي عقد في مانشستر سنة ١٩٤٥م ، وتقدم به مندوبو أفريقيا ، قد نص دون مواربة على : "أن المسيحية التي انتظمت في أفريقيا الغربية تتمثل في استغلال سكان غربي أفريقيا سياسياً واقتصادياً لحساب الدول الكبرى الغربية"(٣) .

---

(١) المشروع التنصيري في السودان ، ص١٣٢ ، حسن مكي ، مرجع سابق .
(٢) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، ص١٣٤ ، أحمد عبدالوهاب ، مرجع سابق .
(٣) أساليب المنصرين ووسائلهم ، ص٨١ ، بحث غير منشور ، إعداد الدكتور مهدي رزق الله أحمد ، جامعة الملك سعود .

ويقول الكاتب الزنجي الأمريكي جيمس بلدفن في كتاباته "لن نبالغ إذا قلنا إن من يريد أن يكون ذا خلق متين فعليه أن يبتعد تماماً عن تعاليم الكنيسة وعما حرمته ، فإن الكنيسة تمثل جميع الجرائم وجميع أنواع النفاق"[١] .

ويصور آسان سك باكورة البدايات الناتجة عند الاستعمار البرتغالي والأسباني ، في كتابه : "الجغرافيا - الاستعمار - الثقافة" فيقول: "كان من اليسير تبرير القسوة والوحشية اللتين مارسهما البيض واللتين اقتضتهما ضرورة تحضير المتوحشين ونشر الحضارة بينهم ، وذلك بنقل العقيدة المسيحية إليهم ، ولذا فقد تبع المبشرون الغزاة الفاتحين"[٢] .

ومن هذا يظهر بوضوح أن التنصير عمل استعماري . وحين أدانه الأفارقة ، لم يجد نفر من المنصرين - غير المكابرين - سوى التسليم بتلك الإدانة ، فقالوا: "إن المنصر مهما اعتقد أن هدفه مختلف عن المكتشف والمستوطن والوكيل التجاري والموظف الإداري فإن الأفريقي رأى فيهم جميعاً مشروعاً مشتركاً واحداً ، ولم يكن الأفريقي مخطئاً تماماً في تقديره ... فالمسيحية وقد طبع عليها الاستعمار طابعه ، أصبحت في موقف شديد الحرج"[٣] .

كما ظهرت محاولات لأفرقة المسيحية كردة فعل لمحاولة الكنيسة طمس الهوية الأفريقية واستبدالها بالثقافة الغربية ، وكان ذلك ظاهراً في محاولة رئيس أساقفة ، لوساكا عاصمة زامبيا "عما ونيل ميلينجو" الذي استدعاه الفاتيكان لروما لغسل دماغه ، ولكنه ثبت على دينه الجديد فأعلن الفاتيكان أنه أصبح مرتداً ، وقد عبر ميلينجو عن ذلك في كتاب له قائلاً: "إن محاولة إقناعي بأن سلامة عقيدتي المسيحية لا تتم إلا بتبني الحضارة والثقافة الأوربية هي بمثابة إكراهي على تغيير شخصيتي بالقوة ، وإذا

---

(١) أساليب المنصرين ووسائلهم ، ص٨١ ، بحث غير منشور ، إعداد الدكتور مهدي رزق الله أحمد ، جامعة الملك سعود .
(٢) المصدر نفسه ، ص٨١ .
(٣) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، ص١٣٤ ، أحمد عبدالوهاب ، مرجع سابق .

جاز أن الله قد أخطأ بأن خلقني أفريقيا - تعالى الله عما يقولون - فإن ذلك لم يتضح لي"[١] .

وهكذا كان الاحتلال الكنسي النصراني للعقلية الأفريقية اشد من الاحتلال العسكري إذ إن الأول استفاد من الأخير واستعمله في تحقيق أهدافه ، وما زالت أفريقيا تعاني منه حتى اليوم ، فقد كان الهدف الاستعماري ظاهراً في سلوك الإرساليات التنصيرية ، ولو كان هدفها دينياً محضاً لطبقت تلك المبادئ التي جاءوا يدعون الناس إليها - كما يزعمون - وهم أبعد ما يكونون عنها .

(١) المشروع التنصيري في السودان ، ص١٣٢ ، مرجع سابق .

المبحث الرابع
موقف الإرساليات النصرانية
من الوجود الإسلامي في كينيا

المبحث الرابع
موقف الإرساليات النصرانية من الوجود الإسلامي في كينيا

تقدم في المبحث الثاني من هذا الفصل أن دخول النصرانية إلى كينيا عن طريق الاستعمار ، أعقبه دخول مجموعة من الإرساليات والبعثات التنصيرية ، التي استغلت وجود الحماية المتوفرة لها من حكومات الاحتلال ، فشرعت منذ الوهلة الأولى في تنفيذ مخططاتها لضرب الإسلام ومحاربة وجوده .

وفي هذا المبحث سنتناول هذا الدور بشيء من التفصيل - إن شاء الله تعالى - فنقول :

عندما وضع رجال التنصير أيديهم على بلاد المشرق ، كانت بلاد المسلمين أول ما أحكموا سيطرتهم عليها ، وذلك ليحققوا أكثر من غرض :

أولاً : استغلال تلك البلاد أرضاً وبشراً لامتصاص خيراتها ، وتسخير الأيدي العاملة فيها لمصلحتهم .

ثانياً : محاربة العقيدة الإسلامية وإجلاؤها من قلوب المسلمين ومحاولة تنفيذ ما عجزت عنه الحروب الصليبية من قبل وذلك لما يعلم المنصرون من خطر هذا الدين على مخططاتهم التنصيرية التي رسموها على أساس قتل معاني الإنسانية في الأوطان ، حتى تموت مشاعر الناس هناك ، ويضيع وجودهم ، فلا يحاول أحد أن يخرج من هذا الحصار المضروب عليه ولا أن يثور في وجه المنصرين ، الأمر الذي لا يصبر عليه المسلم الغيور الذي يستظل براية التوحيد ، ويهتف كل يوم عدة مرات بـ لا إله إلا الله ، مما يبعث في نفسه العزة والكرامة .

لذلك منذ أن استقر البرتغاليون في شرق أفريقيا في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وما صاحبه من غزو نصراني كنسي ،

عملوا بكل الوسائل جاهدين للقضاء على الإسلام وحضارته وتنصير المسلمين ، إذ كان موقفهم يتسم بالعداء الواضح منطلقين من خلفية تاريخية ترجع إلى أيام الحروب الصليبية وفترة حكم المسلمين للأندلس بل إن الدارس والمتدبر لكتاب الله ، والمتتبع للواقع التاريخي لعلاقات المسلمين بغيرهم من أهل الكتاب ، يجد حاله من العداء الطويل ، والكيد الناصب ، والحرب الدائبة التي لم تفتر على مدار التاريخ ، من جانب التحالف النصراني اليهودي . وقد أكدت ذلك عدة نصوص من كتاب الله ، منها قوله تعالى: ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾[١] ، وقوله تعالى: ﴿ **ود كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردوكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق** ﴾[٢] ، وعليه فإنه لا يستغرب من هذه الكنائس والإرساليات في أفريقيا أن تسلك مع مسلمي أفريقيا مسلك العداوة والرغبة في الاستئصال امتداداً لذات المنهج القديم .

لذا كان من أكبر همهم تأسيس الكنائس والإرساليات حيث أسس "سان فرنسوا" أول طائفة دينية أخذت على عاتقها نشر العقيدة الكاثوليكية وأنشأ لها مراكز دينية على الساحل . كما أسس "سان دومنيك" طائفة ثانية واتخذ لها مركزاً في موزمبيق ، ثم أعقبتها طائفة "الأوجستان" التي اتخذت من ممباسا مركزاً لها ، ثم طائفة "الآباء اليسوعيين" وهي طائفة ذات انتشار واسع على مستوى العالم ، وكان لها جهود كبيرة في النفوذ النصراني إلى داخل القارة ، إذ استطاع الأب "جونسانق دي سلفيرا" أن ينشئ عدداً من المراكز داخل مملكة "مونوموتوبا" - زيمبا بوى حالياً - واستطاع أن ينصر الشخص الحاكم ووالدته وبعض أفراد حاشيته ولكن سرعان ما ارتد الحاكم وقتل من أغراه بالتنصير ، بل وقتل كل الذين تنصروا[٣] .

---

(١) سورة البقرة آية (١٢٠) .
(٢) سورة البقرة آية (١٠٩) .
(٣) وثائق تاريخية وجغرافيا عن أفريقيا الشرقية ، ص٢٧٣ ، ٢٧٤ ، جيان ، مرجع سابق.

أما مدينة ممباسا المدينة الإسلامية العريقة ذات التاريخ العريق دخلها النصارى بالقوة فهدموا وأحرقوا ، بل تعرضت المدينة للحرق ثلاث مرات، ودمرت المساجد وقتل مئات المسلمين فيها ، وعيث فيها فسادا ، فبعد أن وطد النصارى البرتغاليون سيطرتهم عليها بنو فيها ما يسمى بـ "قلعة عيسى المسيح" وهي قلعة حصينة جداً بناها النصارى ليتحكموا في طرق التجارة براً وبحراً في المدينة ، وبالتالي تضيق الخناق على المسلمين ومضايقتهم في مصادر رزقهم لكي يضطروهم إلى الدخول في الدين الجديد ، أو ينفضوا عن المدينة فيتم لهم إفراغها من المسلمين ، وكانت هذه القلعة مزودة بعشرات المدافع الكبيرة وغرف البارود ، كما كانت تضم سكن الجنود والضباط وكنيسة كبيرة وبئر للماء وغيرها . وقد شهدت هذه القلعة عشرات المذابح التي جرت للمسلمين كما شهدت اغتصاب المئات من بنات المسلمين على أيدي النصارى البرتغاليين . بينما توالت عليها طوائف المنصرين وبنوا فيها كثيراً من الكنائس حتى فقدت الكثير من طابعها الإسلامي[١] .

وامتداداً لتلك المواقف المعادية للإسلام والمسلمين فقد اتضح حالياً أن هناك بعض الجهات الكنسية الغربية تنوي إنفاق بعض ملايين من الدولارات على إحدى الكنائس في مدخل مدينة ممباسا يدَّعون أنها كانت تأوي العبيد الذين يتم تحريرهم من تجار العبيد المسلمين[٢] . فهذا الأسلوب الخبيث وغيره من الأساليب النصرانية الكنسية إنما يأتي في إطار سعي الكنيسة الحثيث لتشويه صورة الإسلام والمسلمين ، وغرس الحقد والكراهية في نفوس الأفارقة تجاه كل ما هو إسلامي وعربي .

ومن أفعال البرتغاليين الرامية إلى استئصال الإسلام من شرق أفريقيا بصفة عامة ، ومن كينيا بصفة خاصة ، والسعي لطبع المنطقة بالصبغة النصرانية ، عمدوا إلى أخذ يوسف بن الحسن بن أحمد - ابن حاكم مالندى - وأرسلوه إلى (جوا) وعهدوا بتربيته إلى طائفة الأوغسطين

(١) انظر: رحلة خير في أفريقيا ، ص٨ ، ٩ ، السميط ، مرجع سابق .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩ .

الذين نصروه وسموه بـ (دون جيرونيمو) وسلموه السلطة في ممباسا بعد أن قتلوا أباه . ولكن - بحمد الله - خاب ظنهم فسرعان ما عاد هذا الأمير إلى الإسلام مرة أخرى ونكل بالمنصرين(١) .

لقد اعتبر المنصرون وجماعات الإرساليات التنصيرية الإسلام ديناً أجنبياً عن القارة الأفريقية ، واعتبروا الأفريقيين وثنيين يجب على حملة الكتاب المقدس من أوروبا أن يسوقوهم إلى حظيرة الإيمان بالمسيحية طبقاً لتعاليم ومذاهب الكنائس الأوربية ، لذا نشطت الإرساليات والبعثات ، في جذب الأهالي إلى النصرانية ليصبحوا مسيحيين ، وقد نجحوا في تنصير بعض منهم ، خاصة في إقليم ومنطقة بوسوجا ، وكان للمجاعة التي تعرض لها الإقليم أثر كبير في نمو الكنيسة حيث تم استخدام المحطات الرئيسية للإرساليات كمراكز لتوزيع الطعام على الناس ، وقد انتدب للقيام بهذه المهمة فريق كبير من المنصرين ، وقبل توزيع الطعام يعقد فريق المنصرين صلوات دينية قصيرة مع من يحضر لاستلام الطعام ، حيث تكون هناك فرصة ذهبية للتأثير وعرض الأفكار النصرانية ، وهذا من المحتمل أن يكون قد ساعد على إيجاد الشعور عند العامة بأن الإله الذي يتحدث عنه المنصرون هو الذي جعل من الممكن لهم أن يظلوا أحياء ... وأن الإله الجديد قد نجح فيما فشل فيه الإله القديم ، وكنتيجة لذلك بدأ العديد من الأهالي في الإقليم في تأسيس علاقة مع الإله الجديد والاهتمام به(٢) .

وطبعاً فإن الإله الجديد الذي يتحدث عنه النصارى هو يسوع المسيح الذي يريدون من الأفارقة أن يؤمنوا به . ولا يذكر النصارى بالطبع للأفريقيين أن عيسى عليه السلام نبي من أنبياء الله فحسب - بل هم يعتبرونه إلهاً. وهي خطة محكمة لإقناع الأفارقة بالدخول في النصرانية .

لقد كانت أهداف الإرساليات التنصيرية في كينيا تجاه الوجود الإسلامي هناك تسير في اتجاهين متوازيين :

---

(١) انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ، ص٣٤٣ ، النقيرة ، مرجع سابق .
(٢) انظر : الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ، ص٢٥٢ ، ٢٥٣ ، عمر بابكور ، مرجع سابق .

الاتجاه الأول : هو التنصير المكشوف في المناطق التي يغلب عليها السكان الوثنيون وأشباههم ، لإقامة سياج نصراني متين يمنع تقدم الدعوة الإسلامية في أوساطهم .

أما الاتجاه الآخر : فهو محاربة الإسلام والمسلمين في المناطق التي يغلب عليها السكان المسلمون . وقد اتخذ الاتجاه الثاني وسائل متعددة من الحرب المعلنة ضد المسلمين ، وخاصة التجار منهم - لأن بحركتهم وتجوالهم في البلاد ينتشر الإسلام - إلى التشكيك في الإسلام ، إلى نشر الأكاذيب حوله وإلصاق التهم المختلفة به .

وبالتالي فقد أعلنت الإرساليات التنصيرية والجمعيات الكنسية عداوتها الواضحة للإسلام ، واعتبرته العدو الأول الذي يمنع تقدمها النصراني في أفريقيا ، وفي ذلك يقول فيليب فونداسي ، رئيس جهاز مصلحة التجسس الفرنسية المعروف بالمكتب الخامس ، في مقدمة كتابه الاستعمار في أفريقيا السوداء : "إن الإسلام يؤلف حاجزاً أمام مدنيتنا المبنية كلها من مؤثرات مسيحية ومن مادية ديكارتية ... فإن الإسلام يهدد ثقافتنا الأوروبية في أفريقيا السوداء بالقضاء عليها ... ولئن كان بيننا وبين السود هوة ، ظهر من المعقول استناداً إلى الدراسات الحديثة للنفسية السوداء وللحضارات السوداء ، أنه بالإمكان ردمها ، إلى أن الإسلام يجعل الهوة قائمة لا تردم أبدا ، وعلى الرغم من أن بعض النفوس المتسامحة تميل بطبيعتها وعن رضىً منها إلى عدم تقدير هذا الخطر (الإسلام) حق قدره فإنه يبدو للظروف الحالية للتطور الاجتماعي والسياسي لعالم البشر الأسود ، أنه من الضروري لفرنسا أن تقاوم الإسلام في هذا العالم ، وأن تنهج سياسة عدائية للإسلام ... أو تحاول على الأقل حصر انتشاره وأن يعامل وفق أضيق مبادئ الحياد الديني[١] .

---

(١) انظر: أفريقيا والنصرانية ، مهدي رزق الله ، مقال بمجلة هذه سبيلي ، عدد ٢ ، ص٢٨٣، صادرة عن المعهد العالي للدعوة الإسلامية ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

إن حديث فيليب فونداسى يؤكد لنا الاتجاه الثاني الذي سلكته الإرساليات التنصيرية تجاه الإسلام ، وهو العداء الشديد له ، ومحاربته بشتى السبل والوسائل التي يجدر بنا أن نذكر بعضها فيما يلي :

١ ـ الخبث والمكر :

حينما استقر الاستعمار البريطاني في كينيا بدأ يستعين بالمسلمين في إدارة شؤون البلاد ـ وقد كان هذا هو دأب بريطانيا في مستعمراتها في أفريقيا ـ ذلك لأن المسلمين العرب والأفارقة يمثلون قادة المقاومة ضد الاستعمار ، كما كانوا أكثر العناصر الأفريقية تقدماً ، وقد كان الهدف من هذه الخطوة هدف خبيث ماكر يهدف منه الاستعمار ومن خلفه الكنائس إلى القضاء على روح المقاومة أولاً ، وثانياً : إلصاق تهمة التعاون مع الاستعمار بالمسلمين ضد الأفارقة ، وذلك لإثارة روح الكراهية بين أبناء الشعوب الأفريقية والعناصر المسلمة في البلاد ، وجلب سخط الوثنيين على المسلمين ، وهكذا استطاعت الكنيسة والاستعمار صناعة ارث تاريخي سيئ ترجمته أحداث زنجبار المؤلمة ضد العرب المسلمين(١) . والتي سبقت الإشارة إليها في المبحث الرابع من الفصل الأول .

وما زال المسلمون في كينيا وفي قطاعات أفريقية أخرى يعانون من جراء هذا الإرث التاريخي .

٢ ـ إلصاق تهمة تجارة الرق بالمسلمين :

استغلت الإرساليات التنصيرية تجارة الرقيق كسلاح ضد المسلمين في كينيا لتشويه العلاقة بين السكان ذوي الأصول الأفريقية والعرب بصفة خاصة والمسلمين بعامة . والمقصود من ذلك كله إثارة الحقد والكراهية ضد الإسلام وعرقلة انتشار دعوته ، ولجأت الإرساليات والبعثات

---

(١) انظر : الأقليات المسلمة في أفريقيا ، جـ٢ ، ص٢٠ ، سيد عبدالمجيد بكر ، مرجع سابق.

التنصيرية إلى تشويه الحقائق ، وتزييف التاريخ ، ودعمها الاستعمار الأوروبي في ذلك ، فاستخدمت مختلف الأساليب لإلصاق أبشع التهم بالمسلمين ، كان منها :

أ ـ استغلال المناهج الدراسية :

لقد استغلت الإرساليات سيطرتها على نظم التعليم في أفريقيا ، فضخمت تجارة المسلمين بالرقيق ، وغفلت متعمدة عما فعله الأوربيون . مع أن الذي حدث من التجار المسلمين والعرب لم يكن إلا حالات فردية ، وكان المسلمون يعاملون رقيقهم معاملة كريمة قادتهم إلى الإسلام ، بل تبوأ كثير منهم ـ أي السود ـ مناصب كبيرة في البلاد العربية والإسلامية كما هو معروف في التاريخ الإسلامي . وهذا عكس ما كانت تفعله أوروبا التي كانت تتاجر بالرقيق الأفريقي تجارة منظمة حصلت منها على ملايين الدولارات ، ونقلت من خلالها الملايين من العبيد إلى أمريكا وأوروبا مع أبشع المعاملة التي لا يتصورها عقل ، وما زال الزنوج الأفارقة في أمريكا يعانون من التفرقة العنصرية والعقد النفسية بسبب كونهم سود .

ففي المنهج الدراسي في جمهورية ملاوي الذي يدرسه جميع الطلاب، وضعت الإرساليات صورة لسفينة عليها مئات العبيد الذين قيدت أيديهم وأرجلهم ، وكتب عليها سفينة من سفن تجار العبيد المسلمين الذين ينقلون العبيد من ملاوي إلى بلاد العرب . يقول الدكتور السميط : "هذا الرسم نفسه رأيته في متحف كلية الأطباء والجراحين الملكية البريطانية في أدنبرة وكتب عليها اسم السفينة البريطانية واسم الشركة المالكة لها في مدينة ليفربول وكتب تحتها أنها تنقل العبيد من غرب أفريقيا إلى أمريكا . ولكن رجال الإرساليات والكنائس في أفريقيا قاموا بتزوير الصورة ليزرعوا الحقد والكراهية في نفوس الأفارقة ضد الإسلام والمسلمين"(١) .

---

(١) رحلة خير في أفريقيا ، ص١٢ ، ١٣ ، مرجع سابق .

ب - استخدام المعارض والصور :

ومنها ما فعلوه في ممباسا إذ توجد كنيسة على مدخل المدينة خصصوها كمعلم بارز للزوار يدعون أنها كانت تأوي العبيد الذين يتم تحريرهم من تجار العبيد المسلمين(١) .

ويذكر مشهور الحداد عما ألفه المنصرون في كتبهم لتشويه صورة العربي المسلم عند الأفارقة مما جاء في كتاب الجمعية التبشيرية المسيحية بكينيا (الساحل بين ١٨٤٤ - ١٩٤٤م)، أنهم وصموا العرب والإسلام بما يترفع عنه اللسان من بشاعته ، كذلك ما قامت به الجمعيات والهيئات المسيحية من إعداد لفيلم سينمائي أسموه "غرب زنجبار" "West of Zanzibar" ويقصدون به مدينة ممباسا التي أسموها بالمدينة المحمدية ، وقد اختلق هذا الفيلم من المفتريات ما جعل من العرب وقسوتهم في معاملة الرقيق أمة وحشية يقرها في ذلك دينها الإسلامي(٢) .

ومنها صور متحف دار السلام بزنجبار - تلك الدولة التي كانت تشع بنور الإسلام والمعرفة في أفريقيا لعدة قرون - وصور كنيسة العاصمة بزنجبار ، التي تعتبر اليوم من المعالم السياحية التي لابد للسائح من زيارتها ليأخذ جرعة ضد العرب حيث يشرح له المرافق السياحي دور الكنيسة في محاربة الرق ، وأن هذه الكنيسة أقيمت مكان سوق الرقيق الأفريقي . بينما تحول قصر السلطان المسلم برغش بن سعيد - ويسمى اليوم قصر العجائب - إلى متحف يزخر بالصور التي لفقتها الإرساليات وتسيء إلى المسلمين(٣) .

ولكن الأمر المدهش الذي يدعو للعجب هو تحامل أولئك المنصرين ورجال الإرساليات أمثال لفنجستون على المسلمين ، وينسوا دور أوروبا في أفريقيا ، حيث تذكر المصادر أنه وجد في إحصاء عام ١٩٧٠م ، في أمريكا وحدها ٢٢ مليوناً من الزنوج ، وفي البرازيل أكثر من ٣٠ مليونا ،

(١) رحلة خير في أفريقيا ، ص ٩ ، مرجع سابق .
(٢) حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في شرق أفريقيا ، ص١٣٥ ، مشهور الجلال ، مرجع سابق .
(٣) كشف القارة الأفريقية ، ص٢٣٢ ، زاهر رياض ، مرجع سابق .

وفي جزر الهند الغربية ودول البحر الكاريبي ٢٦ مليونا ، فمن أين جاء هؤلاء؟ . إن لم يكن هم نتاج الرقيق الأفريقي الذي نقلته سفن أوربا إلى تلك البلاد[١] .

وحول تزييف الكنيسة والإرساليات للحقائق وإلصاق التهم بالمسلمين، يقول أحد الكتاب الغربيين وهو جاك وديس في كتابه (Africa The Roots of Revolt) "إن الشعوب الأفريقية التي ظلت قروناً طويلة تتجرع كأس المرارة حتى الثمالة لن تقبل هذا التزييف لحقائق التاريخ . بل إننا لو نحينا جانباً تلك الأيام الرهيبة من الرق والعبودية التي سلبت القارة الأفريقية ستين مليوناً من الأرواح ، وستين مليوناً من الأجسام ، وستين مليوناً من المواهب ، ومن ثم أعاقت وشوهت النمو الطبيعي للقارة ... فإن الخمس وسبعين سنة الأخيرة وهي الفترة التي خضعت فيها أفريقيا لدول أوروبا كانت مملوءة بعمليات القتل ..."[٢] .

فكلام هذا الكتاب يمثل أكبر دليل على فظاعة أوربا وكنائسها واستعبادها للملايين من أهل أفريقيا ، وهي شهادة رجل منهم ، " وشهد شاهد من أهلها " . ويذكر الكاتب : أن أفريقيا لن تقبل هذا التزييف لحقائق التاريخ ، ولكنها للأسف قد قبلته تحت الضغط السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وضغط الآلة الإعلامية الغربية المكثف ، وأخيراً من خلال بذل الأموال ، وأعمال الكنائس والإرساليات الخدمية والمنصرون المحترفون .

وكان آخر صور وأشكال هذا الضغط الذي مازالت تمارسه دوائر الاستعمار والصليبية العالمية تهديد الولايات المتحدة الأمريكية بمقاطعة المؤتمر العالمي لمناهضة العنصرية والتمييز الذي ترعاه هيئة الأمم المتحدة والمنعقد بمدينة ديربان بجمهورية جنوب أفريقيا في مطلع شهر سبتمبر ٢٠٠١م ، إذا تضمنت قائمة جدول أعماله بنوداً حول دفع تعويضات عن حقبتي الرق والاستعمار وربط الصهيونية بالعنصرية .

---

(١) انظر: الاستعمار البرتغالي في أفريقيا ، ص٦٢/٦٣ ، جيمس دفى ، مرجع سابق .
(٢) حقائق تاريخية ، ص١٣٦ ، مشهور الحداد ، مرجع سابق .

وكانت منظمة مراقبة حقوق الإنسان الدولية إضافة إلى بعض الدول الأفريقية والأمريكان السود طالبوا بمناقشة موضوع دفع تعويضات عن مرحلة العبودية التي مارستها أمريكا ودول أوربا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . إلا أن الإدارة الأمريكية رفضت هذا الطرح تماماً، وجاء على لسان المتحدثة باسم وزارة خارجيتها برندا جرينبرج عن مسودة جدول أعمال المؤتمر "اقترحت بعض الوفود في جنيف لغة غير مقبولة في العديد من الفقرات ... لابد من القيام بعمل لحذف اللغة غير المتوازنة والمثيرة حول الشرق الأوسط والعبودية والتعويضات ... "(١) .

وقد انسحبت أمريكا بالفعل من هذا المؤتمر بعد ثلاثة أيام من بدء انعقاده احتجاجاً على تلك البنود والفقرات التي تصف إسرائيل بالعنصرية وتطالب بتعويضات عن فترة الرق والعبودية والاستعمار التي تعرضت لها عدد من البلدان الأفريقية(٢) .

٣ - الوقوف ضد التجار المسلمين :

كان للتجار المسلمين في كينيا وفي منطقة الساحل الأفريقي الشرقي بأكملها دور كبير في نشر عقيدة التوحيد بين الأفارقة ، إذ كان للتجار صلات قوية وجيدة بكل الناس ، وكان الأمراء والحكام في المنطقة يرحبون بهم ترحيباً عظيماً ، وكانوا يساعدونهم على تصريف ما معهم من البضائع وشراء ما يحتاجونه منهم ، وكانت هذه الصداقات تنقلب إلى دعوة إلى الإسلام ، وغالباً تكلل بالنجاح الكبير فيعتنق الأمير الإسلام ، وتتبعه حاشيته، ثم تتأسى به الرعية. وكان الإسلام أيضاً ينتقل من خلال التعامل المباشر بين التاجر المسلم والأفريقي حتى ولو لم يقصد التاجر دعوته مباشرة ، وإنما كان الأفريقي يتلمس حسن ذلك الدين من خلال تعامل

---

(١) انظر: صحيفة الشرق الأوسط العدد (٨٢٧٨) السبت ١٤٢٢/٥/٧/ ٢٠٠١/٧/٢٨م ، وعدد الأحد (٨٢٧٩) كذلك صحيفة اليوم العدد (١٠٢٧٠) السبت ١٤٢٢/٥/٧هـ .

(٢) صحيفة الحياة ، العدد (١٤٠٥١) الثلاثاء ١٤٢٢/٦/١٦هت الموافق ٢٠٠١/٩/٤م .

التاجر الذي يدين به ، ومن خلال مخالطته ، فتلامس بشاسته قلب ذلك الأفريقي الذي ما زال على فطرته فيعتنقه ، كما سبق تفصيل ذلك في الفصل الأول حول دخول الإسلام إلى أفريقيا .

وكانت نتيجة لهذه الحركة التجارية التي صاحبها نشر للعقيدة الإسلامية من قبل التجار ، أن رأت الإرساليات في التجار المسلمين عدواً لدوداً يجب التخلص منه بكل الوسائل ، وأنه يجب إبعاد التجار المسلمين عن الأفارقة ، حتى تفسح المجال لنشر باطلها فسعت إلى ذلك سعياً حثيثاً . فقد استطاعت القوى الكنسية بالتعاون مع الإدارة الاستعمارية قطع الطريق البحري المار من ساحل كينيا إلى البلاد الإسلامية وحرمان المسلمين من أهم مصادر الثروة التي ظلوا يملكونها ويتحكمون فيها عبر العصور حتى برز منهم أمهر البحارة أمثال ابن ماجد وغيره ، حيث عمدت تلك القوى إلى الاستيلاء على الجزر والمواقع المتحكمة في ساحل شرق أفريقيا(١) .

كذلك ركزت الإرساليات والبعثات التنصيرية وخاصة البروتستانتية منها على الدخول في النشاط الزراعي خاصة حول محطات الإرساليات لتدريب المنصرين ، والاستفادة من المتنصرين الجدد من جهة والوقوف ضد التجار والمزارعين العرب من جهة أخرى ، ومنافستهم في هذا المجال إذ إنهم برزوا فيه وحققوا نجاحاً كبيراً في مجال زراعة القرنفل والفواكه وقصب السكر والشاي وجوز الهند(٢) .

وعندما وجدت البعثات التنصيرية أن الإسلام يتقدم بصورة جيدة في المنطقة أمام بطء تقدم النصرانية لجأت إلى الأساليب الخفية أو التي يمكن أن ترغب الأفارقة في النصرانية - حسب رأيهم - وذلك عبر تقديم الخدمات الصحية والتعليمية في محاولة أخرى للتخلص من الوجود الإسلامي . فكتب أحد أعضاء هذه البعثات قائلاً : " واعتقد أننا سوف نحقق الفوز في هذا المضمار لأنه عندما توجد الكنيسة مع مدارسها

---

(١) الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ، ص٢٢٦ ، بابكور ، مرجع سابق .
(٢) الإسلام في شرق أفريقيا ، ص٣٥ ، سبنسر ترمنجهام ، مرجع سابق .

والصيدلية والمستشفى وغيرها فإنه لا يمضي وقت طويل حتى يدرك أهل المدينة أن هناك من يهتم بهم كثيراً وهي تعاليم المسيحية وليس الإسلام[١].

هذه لمحة مختصرة عن موقف الإرساليات التنصيرية من الإسلام والمسلمين في كينيا ، والتي تبين لنا أن عداء النصارى للإسلام لن يتوقف مهما تبدلت الأمور فهم أعداؤنا في كينيا وفي أي مكان ، بل هم أعداؤنا إلى أن تقوم الساعة . فهم يحاربون الإسلام علناً تارة ، ويحاربونه بوسائل الخبث والمكر وإلصاق التهم والأكاذيب تارة أخرى .

ورغم أن الإرساليات التنصيرية حينما دخلت المنطقة مع الاستعمار، وبعضها دخل قبله ، وممهداً له ، وجدت أن الإسلام قد أحدث تغيراً كبيراً في المنطقة ، وأنشأ حضارة عرفت الزراعة والتجارة والاستقرار ، والحياة المدنية المزدهرة المتطورة ، بل كان للإسلام دور كبير في الرقي بالأفارقة وتعليمهم ، ومع ذلك لم تعترف له بهذا الفضل ، ولم يرضوا عن هذا رغم أنهم وصفوا أنفسهم كذباً بأنهم رسل إنسانية جاءوا لتقديم الحضارة والمدنية للإنسان الأفريقي ، وإنما ذهبت الإرساليات لتصف الإسلام بأبشع الأوصاف ووصفت تجّارَه ودعاته بالنخاسة الذين ساقوا الأفارقة بالسياط ، ولكنه الحقد الأعمى ، وصدق الله عز وجل إذ يقول فيهم : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾[٢] .

---

(١) الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ، ص٢٤٩ ، عمر بابكور ، مرجع سابق.
(٢) سورة البقرة آية (١٢٠) .

المبحث الخامس
موقف المسلمين في كينيا تجاه المد التنصيري وجهودهم في مواجهة ذلك

المبحث الخامس
موقف المسلمين في كينيا تجاه المد التنصيري وجهودهم في مواجهة ذلك

تبين لنا في المبحث السابق أن الإرساليات والبعثات التنصيرية وقفت موقف العداء من الإسلام والمسلمين في كينيا ، وسعت بكل جهدها وقوتها لتدميره وأبعاده عن المنطقة ، وفي المقابل لم يقف المسلمون هناك موقف المتفرج ، بل سعوا للدفاع عن عقيدتهم وكيانهم ، وعملوا على مواجهة زحف الكنائس التنصيري بما استطاعوا . رغم الضعف الذي قد أصابهم جراء الهجمة الاستعمارية الصليبية على بلادهم .

وفي هذا المبحث نتناول تلك الجهود بشيء من التفصيل - إن شاء الله تعالى - .

الهجمة الصليبية الأولى في القرن الخامس عشر:

كان ظهور البرتغاليين في شرق أفريقيا وسواحل كينيا في القرن الخامس عشر الميلادي ، بداية صراع دموي عنيف بين المسلمين وأولئك الغزاة الصليبيين ، استمر أكثر من قرنين ، ولم يكن البرتغاليون يريدون الاستقرار السلمي ، إنما كانت أغراضهم صليبية واضحة ، هي القضاء على الإسلام ، والحصول على أكبر قدر من موارد المنطقة وخاصة الذهب في منطقة سفالة على حدود الموزمبيق ، إضافة إلى السيطرة على المحيط الهندي ، وطرد المسلمين من البحر ، والقضاء على احتكارهم للتجارة في المحيط بعامة وتجارة الذهب بخاصة[١] .

وقد اختارت البرتغال رجالاً أعدوا لهذا الغرض ، وكان المؤرخون البرتغاليون يعترفون بذلك ، إذ يقول أحدهم : كان للبرتغال ضباط يتصفون

(١) انظر: الإسلام والثقافة العربية في شرق أفريقيا ، ص٤٧٧ ، حسن أحمد محمود .

بالقسوة والطمع ، والحكمة والتعقل في نظرهم كلمات جوفاء ، أعماهم حب الربح ، بعيدون من الشعور بالعدالة " . ويكفي أن يقال إنه لم تنج مدينة من المدن الكينية المزدهرة من عبثهم وطغيانهم فقد أحرقت مدينة ممباسا خمس مرات ودمروا مدينة "كِلْوَا" وطردوا أهلها المسلمين ، ودمروا مساجد لامو ، وباتا ، وقتلوا الشيوخ ، وفرضوا الغرامات الباهظة ، وقضوا على المؤسسات التجارية التي أنشأها العرب(١) .

والمسلمون من أهل البلاد لم يستسلموا لهذا الخطر البرتغالي ، إنما بدأوا يستردون الأرض التي فقدوها ، فانتشرت الثورات الإسلامية وحركات الجهاد ضد البرتغاليين هنا وهناك ، خاصة في المناطق الداخلية البعيدة عن الساحل فكان المسلمون يهجرون المدن الساحلية عند تدميرها وينتقلوا إلى الداخل ، وقد أدى هذا الأمر إلى إضعاف النفوذ الصليبي البرتغالي منذ مطلع القرن السابع عشر ، حيث قامت سلطنة عربية إسلامية سنة ١٥٨٣م ، في المناطق الشمالية البعيدة عن النفوذ البرتغالي ، وبدأت ممباسا تقاوم هذا الاحتلال ، وظهر عامل جديد لم يكن في الحسبان وهو ظهور العثمانيين في القرن السادس عشر على مسرح الأحداث في المنطقة وخاصة منطقة البحر الأحمر(٢) .

وكان لظهور الأسطول العثماني سنة ١٥٨٠م ، أثره إذ شد من عزائم المناضلين المسلمين ، وقوبلت السفن الحربية في المنطقة بحماس شديد في كل منطقة زارتها ، وبدأت المدن الإسلامية تعلن الثورة وتخرج عن طاعة فيليب الثاني ملك البرتغال وتدخل في طاعة السلطان العثماني . في هذا الوقت أرسل حاكم ممباسا إلى العثمانيين طالباً منهم النجدة بإرسال حامية تركية ، ولكن العثمانيين لم يقدموا على ذلك فلم يتم إرسال الحامية ، بينما استدعى البرتغاليون النجدات من جوا ومالندى ، وعاود المسلمون الاستنجاد بالعثمانيين مرة أخرى وتعهدوا بأن يمولوا الحملة وأن

---

(١) الإسلام والثقافة العربية في شرق أفريقيا ، ص٤٧٧ ، مرجع سابق .
(٢) انظر: دراسات أفريقية ، عبدالرحمن أحمد عثمان ، عدد ١٤ ، ص٢٠ ، مرجع سابق .

ينفقوا عليها فجاءت قوة عثمانية إلى ممباسا لمساعدة المسلمين ولكنها هزمت وتلاشى هذا الأمل في نفوس المجاهدين[١] .

والمتتبع لهذه الثورات الجهادية من قبل المسلمين ضد الغزو النصراني البرتغالي ، يجدها قد أضعفت من قوته كثيراً ، وألهبت الروح الإسلامية في نفوس المجاهدين ، الأمر الذي حفظ عليهم دينهم رغم الخسائر الكبيرة التي تعرضوا لها ، وكذلك ساعد على انتشار الإسلام في المناطق الداخلية بسبب النزوح والحركة أثر كل هجوم و معركة .

كما بدأ نجم البرتغاليين في الأفول عن المنطقة منذ أن تمكن العمانيون من التغلب عليهم بعد دخولهم ميدان الجهاد سنة ١٦٥٠م ، خاصة في عهد الإمام سلطان بن سيف ، فطردوهم من عمان ، وتغلبوا عليهم في مياه المحيط الهندي ، الأمر الذي أحيا في نفوس مسلمي كينيا وشرق أفريقيا الأمل في مواصلة قتال البرتغاليين بعدما وصلتهم هذه الأخبار السارة ، فكتبوا إلى العمانيين مذكرة في طلب النجدة مهروها بتوقيعاتهم جاء فيها "إن البرتغاليين يظلمون ويهتكون أعراض النساء" وقد وقع على هذه الوثيقة عدد من شيوخ ممباسا في ذلك الحين ، من بينهم الشيخ أحمد الجلندي ، والشيخ نموت بن موترغو ، والشيخ موشال التجاني، والشيخ وريبي ود شؤوني ، والشيخ كامبة ، والشيخ وكامة[٢] .

كان لهذه المذكرة مفعولها وأثرها لدى سلاطين عمان حيث استجاب الإمام اليعربي سيف بن سلطان لدعوة أهالي ممباسا ومسلمي الساحل فجرد حملة على البرتغاليين في زنجبار سنة ١٦٥٥م ، وأنجد أهل ممباسا في سنة ١٦٦٠م ، واستولى عليها ، وظل العمانيون يحملون علم المقاومة في المنطقة واستمرت المعارك سجالاً بينهم وبين البرتغاليين في عهد الإمام سلطان بن سيف بن سلطان المتوفى ١٦٦٨م ، وابنه يعرب بن سلطان. أمَّا

---

(١) انظر: الإسلام والثقافة العربية في شرق أفريقيا ، ص٤٧٨ ، حسن أحمد محمود ، مرجع سابق .

(٢) انظر: الدور العماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق أفريقيا ، عبدالرحمن أحمد عثمان، مجلة دراسات أفريقية ، عدد ١٤ ، ص٢٠/٢١ ، مرجع سابق .

التحرير النهائي لمسلمي كينيا وشرق أفريقيا فقد جاء على يد سيف بن سلطان بن سيف بعد سقوط قلعة المسيح في ممباسا سنة ١٦٩٨م ، وهو الملقب بـ "قيد الأرض اليعربي" . إذ تمكن هذا القائد المسلم من هزيمة البرتغاليين سادة الأمس هزيمة ساحقة عند ممباسا(١) .

وعلى الرغم من هذه الهزيمة فإن محاولات البرتغاليين لم تنقطع ، فقد هاجم أسطولهم الساحل الكيني عام ١٧٢٨م ، واحتل البرتغاليون مدينة ممباسا من جديد ، وبعض المدن الأخرى ، واستمر احتلال البرتغاليين لممباسا مدة ثمانية عشر شهراً ، قاسى المسلمون خلالها الأمرين ، إذ جعل البرتغاليون وجهاء: ممباسا يقومون بخدمتهم ، وألقوا الحجارة على المصلين، وشرعوا في طرد الأهالي من بيوتهم والاستيلاء عليها ، واستباحوا نساءهم ، حتى جاءت معركة عام ١٧٣٠م ، بقيادة الإمام أحمد ابن سلطان ، فكانت خاتمة المعارك ، وتم تحرير المسلمين في شرق أفريقيا نهائياً من الاستعمار الصليبي البرتغالي الذي جثم على صدر المنطقة قرابة القرنيين(٢) .

وقد أعقب هذا التحرر من تلك الهجمة النصرانية انطلاقة إسلامية كبرى ، وتقدم للنفوذ الإسلامي ، إذ عاودت الحركة الإسلامية نشاطها وبدأ المسلمون يتحركون في كل مكان فتوغل الإسلام بدرجة كبيرة إلى داخل القارة ، حتى وصل إلى هضبة البحيرات ، ودخل التجار المسلمون إلى أوغندا ، وقويت عرى الإسلام في نواحي كينيا وتنجانيقا ونحوها ، وأنشئت المساجد على طول الطرق التجارية المنتشرة في البلاد .

وإذا نظرنا إلى هذه الهجمة النصرانية في هذه الفترة التي كانت دولة البرتغال أول من بدأها ، نجد أن البعثات والإرساليات التنصيرية كانت تعتمد في وجودها على الهيبة المستمدة من قوة الأسطول البرتغالي المرابط في ساحل شرق أفريقيا . لذلك ما أن اضمحلت تلك القوى ، وطرد

---

(١) انظر: دراسات أفريقية ، ص٢١ ، عبدالرحمن عثمان ، عدد ١٤ ، مرجع سابق .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١ .
وانظر: انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ومواجهة الغرب له ، ص٣١٦ ، النقيرة ، مرجع سابق .

البرتغاليون عن المنطقة بعد مائتي سنة من الهجمة الصليبية حتى أخذت العقيدة التي جاءوا بها تضمحل شيئاً فشيئاً إلى أن اختفت من الوجود باختفاء الأمة التي حملتها .

الهجمة الصليبية الثانية في القرن التاسع عشر:

لم تتجدد محاولات الغزو النصراني مرة أخرى إلا في القرن التاسع عشر ولكن هذه المرة على يد قوى أخرى غير البرتغاليين ، كان الإنجليز والفرنسيون والألمان في مقدمتها . وأخذت جماعات المنصرين ومؤسساتهم تتسابق لاحتلال الأفارقة روحياً بعد أن تم احتلالهم عسكرياً ، حيث وقعت كينيا تحت الاحتلال البريطاني سياسياً وتحت الاحتلال أو النفوذ البروتستانتي دينياً واجتماعياً ، ووجد المسلمون أنفسهم مرة أخرى أمام تحدٍ آخر أصعب من الأول ، إذ إن الإرساليات والبعثات التنصيرية في هذه المرة جاءت بخطط وأساليب مغايرة وجديدة ، تدعمها إمكانيات ضخمة ، عسكرية واقتصادية وإعلامية وعلمية . ومع هذا لم يرضخ المسلمون في كينيا لما نزل بهم رغم هول الصدمة التي أصابتهم في بادئ الأمر ، وبدءوا في إعادة ترتيب صفوفهم ، وإثبات هويتهم والحفاظ عليها ، رغم الجهود التنصيرية المضادة . فظهر منهم دعاة ومصلحون كانت لهم مواقف مشرفة نتطرق إلى بعضها فيما يلي :

١ - حركة بوشيري بن سالم :

عندما وقعت منطقة شرق أفريقيا تحت الاحتلال الأوروبي ، وتقاسمت بريطانيا وألمانيا أملاك السلطان برغش بن سعيد سلطان زنجبار الذي كان يحكم المنطقة وقتها ، أنزل الألمان والإنجليز برعايا السلطان المسلمين الذل والهوان ، وسعى المنصرون إلى تنصيرهم بشتى السبل والوسائل . مما جعل المسلمين يثورون على الوضع ، إلا أن مدافع الأسطول الألماني قصفت مدنهم ونزل مشاة الأسطول إلى البر يقتلون

ويخربون ، الأمر الذي اضطر معه السكان إلى الاحتماء بالأحراش ، ولكن بوشيري بن سالم تزعم المسلمين وقاد الثورة ضد الإنجليز والألمان على السواء ، ولم يستطع الغزاة إخماد الثورة رغم أعمال العنف والقتل التي مارسوها ضد المسلمين ، وامتدت الثورة على طول الساحل الشرقي الأفريقي كله ، واسترد المسلمون بعض مدنهم من الأوروبيين ، ولكن سرعان ما اتحدت بريطانيا وألمانيا ، ودخلت معهما إيطاليا وفرضوا حصاراً مشتركاً على الساحل بأساطيلهم استمر عشرة شهور ، واحتلوا المدن مرة أخرى وقضوا على المقاومة الإسلامية ، وأعدم قائدها عام ١٨٨٩م[١] .

٢ - جهود الشيخ الأمين بن علي المزروعي :

كان التعليم السائد في كينيا ومنطقة شرق أفريقيا قبل الاستعمار الأوروبي هو التعليم الإسلامي بمختلف مراحله وعلومه ، وكانت اللغة العربية هي لغة التعليم الأولى ، ولكن عندما وقعت كينيا تحت الاحتلال الصليبي البريطاني ، وأوكلت مهمة التعليم إلى الكنائس والإرساليات ، تغيرت النظرة إلى التعليم التقليدي الذي كان سائداً ، فاستخدمت السلطات الاستعمارية أولئك الذين تخرجوا من مدارس الإرساليات في الوظائف الحكومية بحجة أنهم تلقوا قسطاً من التعليم الأوربي ، ورفض المسلمون إلحاق أبنائهم بمدارس الإرساليات ولم يطوروا مناهج مدارسهم فبقوا خارج السلك الوظيفي وخارج الشؤون العامة للحياة ، وحتى بعد أن آلت مقاليد التعليم للسلطة الحاكمة في عام ١٩٠٠م ، لم يتغير شيء ، إذ لم تُدخل اللغة العربية والدراسات الإسلامية في مناهجها فتدهورت أوضاع المسلمين وكثر فيهم الجهل .

كان هذا الموضع المتردي باعثاً على ظهور حركات إصلاحية لعلاجه كغيره من الأوضاع في بلاد العالم الإسلامي ، حيث برز عدد من المصلحين في أنحاء مختلفة منه ، مثل حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ،

---

(١) انظر: انتشار الاسلام في شرق أفريقيا ، ص٣٢٥/٣٢٦ ، النقيرة ، مرجع سابق .

وعثمان دانفوديو ، والشيخ محمد عبده ، ورشيد رضا وغيرهم . فظهر في كينيا الشيخ الأمين بن علي المزروعي ، متأثراً بتلك الحركات الاصلاحية التي سادت العالم الإسلامي ، وأصدر جريدة الإصلاح باللغتين العربية والسواحيلية ، وأخذت تعبر عن محاولات إصلاح المسلمين في كينيا في مختلف الميادين ، كما تبنى الشيخ الأمين دعوة المسلمين إلى تأسيس مدارسهم الخاصة لإعداد أبنائهم دينياً ودنيوياً ، كذلك دعاهم إلى الوحدة واعتبار أنفسهم جزءاً من العالم الإسلامي ، وكان هذا الداعية النشط يعمل في ظروف قاسية ، فالنشاط التنصيري وتحدي الإرساليات عرقل حركته ، إضافة إلى أوضاع المسلمين المتفككة وتفرقهم الطائفي ، إلا أنه مع هذه الظروف كانت حركة الإصلاح التي قادها المرزوعي تعتبر خطوة على الطريق الصحيح وبصرت المسلمين بأنفسهم وأوضاعهم[١] .

٣ - موقف المسلمين في الساحل :

أصيب المسلمون في منطقة الساحل جميعها بالضيق والتبرم جراء نشاط الإرساليات المتزايد وسط المسلمين ، بل كانت هناك حالة عامة من الاستياء إزاء ذلك ، فقد قامت الإرساليات والبعثات التنصيرية بحملة ضارية ضد الإسلام ، واتخذت من سوق ممباسا مركزاً لها تقوم فيه علناً بدعوة المسلمين لترك دينهم واعتناق النصرانية ، وراحت نساء البعثات يزرن نساء المسلمين في المدينة بيتاً بيتاً لدعوتهن إلى النصرانية ، ولكن المسلمين لم يرضخوا لهذا الوضع رغم تفوق عدوهم في السلاح فاندلعت الثورات هنا وهناك ، وتزعم هذه الثورات بعض الزعماء الذين ينتسبون إلى أسر عربية من تلك الأسر التي هاجرت إلى الساحل واستقرت به منذ فترة طويلة ، وأعلن سلطان زنجبار أن المقاومة الإسلامية تعد جزءاً من

(١) الأقليات المسلمة في أفريقيا ، جـ٢ ، ص٩٩/١٠٠ ، سيد عبدالمجيد ، مرجع سابق .

المعارضة العامة ضد الأوروبيين ، وهي لذلك ضد الاستعمار ، وتلقي تأييداً من العرب العاملين على طول الساحل(١) .

الجهود الدعوية :

من الجهود الدعوية التي كان لها أثر في مواجهة النصرانية وتثبيت الإسلام ، جهود الشيخ عبدالرحمن الملبارى الذي قدم إلى ممباسا حوالي عام ١٩١٣م ، وبرفقته ابنه الصغير أحمد ، وقد كان للشيخ الملباري دور كبير ونشاط في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، ثم استمر على ذات الطريق من بعده ابنه أحمد الذي حمل لواء الدعوة بعد أبيه(٢) .

كذلك كانت هناك جهود دعوية مقدرة للشيخ الأمين بن علي المزروعي المتوفى ١٩٤٥م ، وكان يتولى منصب قاضي القضاة في كينيا، وله دروس في المدارس والمساجد ، ومؤلفات في الحديث والفقه والتفسير، ومن مؤلفاته " هداية الأطفال" و " تفسير أحاديث الرسول ﷺ"(٣) .

ومن الدعاة أيضاً الشيخ محمد الميمني من عائلة الميمني المولود في ممباسا عام ١٨٦٥م ، وسار من بعده أبناؤه في الدعوة إلى الله وأسسوا مسجد الميمني عام ١٨٨٣م ، ويعتبر مسجد الميمني من المساجد الأثرية في كينيا وله إسهامات كبيرة في خدمة الإسلام والمسلمين ، إذا كان ولا يزال منارة علمية تشع نوراً وهداية حيث تعقد فيه الحلقات العلمية لتعليم أمور الدين ، وبه قاعة كبيرة يجتمع فيها التلاميذ لمطالعة دروسهم ، وتحوي مكتبة تضم كثيراً من الكتب الدينية والتاريخية(٤) .

ومن هذا يتضح أن المسلمين في كينيا لم يستسلموا لتلك الهجمات الصليبية الشرسة ، بل تعددت أنواع المقاومة لتلك الهجمة من مواجهة عسكرية مسلحة إلى مواجهة سياسية وفكرية (فتارة بالسنان وتارة بالبيان).

---

(١) انظر: الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ، ص٤٣٥/٤٣٧ ، عمر بابكور ، مرجع سابق .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٢٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٤٤ .

وذلك من أجل المحافظة على الهوية والدعوة رغم كل الصعاب المؤلمة والمعاناة التي لاقاها أولئك النفر . فكانت النتيجة أن بقيت بيضة الإسلام في تلك البقاع ، وحفظ الله للناس إسلامهم بفضله أولاً ثم بفضل تلك الجهود.

والأمر الذي ينبغي أن يعيه شباب اليوم ويعلمونه جيداً أن تلك الكوكبة التي حملت لواء الدعوة في تلك الربوع ، وجاهدت وكافحت وبذلت الغالي والنفيس ، لم تجد الطرق أمامها معبدة ، ولم تدعمها المنظمات أو السيارات أو الطائرات . إنما كانوا يمضون بعزيمة ثابتة ثبوت الجبال الراسيات يقضي أحدهم الليل ماشياً على أقدامه بين الأدغال ليجوب القرى والأقاليم داعياً إلى الله وناشراً لكلمة التوحيد بين الأفارقة البسطاء ، فكانت تضحياتهم بمثابة دعامة للإسلام الذي حملوه ونشروه بإخلاص وصدق .

الفصل الثالث

الإرساليات والجمعيات الكنسية العاملة وأساليبها

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : الإرساليات والجمعيات الكاثوليكية وأساليبها .

المبحث الثاني : الإرساليات والجمعيات البروتستانتية وأساليبها .

المبحث الثالث : نشاط المجلس الكنسي الوطني الكيني .

المبحث الأول
الإرساليات والجمعيات الكاثوليكية وأساليبها

المبحث الأول
الإرساليات والجمعيات الكاثوليكية وأساليبها

تمهيد :

تعتبر الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الأصل الذي تفرعت منه معظم الكنائس العالمية ، وهي لذلك تعتبر نفسها أم الكنائس ، حيث انفصلت عنها الكنيسة الشرقية "الأرثوذكسية" أثر الخلاف الذي أثاره بطريرك القسطنطينية حول ابنثاق روح القدس[١] ، ثم خرجت أخيراً الكنيسة البروتستانتيه أثر حركة الإصلاح الديني التي قادها الراهب الألماني مارتن لوثر ، كما سيأتي تفصيله فيما بعد - بإذن الله تعالى - .

وتسمى الكنيسة الكاثوليكية بالكنيسة البطرسية لكون مشايعوها يعتقدون أن مؤسسها الأول بطرس الرسول - على حد زعمهم - وهو الذي يزعمون أنه كبير الحواريين ورئيسهم ، والبابوات خلفاؤه من بعده . وتسمى الغربية لكون سلطانها وإدارتها في الغرب ، ويرأسها حالياً بابا الفاتيكان في روما. وهي الأكثر اتباعاً ، والأوسع انتشاراً في العالم ، ومن الدول التي تتبع لها: فرنسا ، وإيطاليا ، وأسبانيا ، والبرتغال ، ومعظم دول أمريكا الجنوبية ، وثلث سكان الولايات المتحدة الأمريكية[٢] .

النشاط الكاثوليكي في أفريقيا :

بدأت الكنيسة الكاثوليكية نشاطها في أفريقيا منذ وقت مبكر - يرجع إلى القرن الحادي عشر الميلادي - ويقدر عدد اتباعها في القارة بنحو ١٦% من السكان. ولها نشاط واسع في أجزاء كثيرة من القارة، وخاصة

---

(١) كان بطريرك القسطنطينية يرى أن روح القدس انبثق من الأب فقط فعارضه في ذلك بطريرك روما قائلاً : إن انبثاق روح القدس كان من الأب والابن معاً ، وكل فريق عضد رأيه بجمع جمعه فانقسمت الكنيسة . محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ، ص١٤٥ ، مرجع سابق .

(٢) انظر: محاضرات في النصرانية ، ص١٤٦ ، محمد أبو زهرة ، مرجع سابق .

في نيجيريا ، والكنغو ، وأنجولا ، ومالي ، والسنغال ، والكاميرون ، وتشاد والسودان ، وكينيا وغيرها ، وكان لها نشاط كبير في دول الشمال الأفريقي العربية إبان الاحتلال الفرنسي لهذه الدول(١) .

وتعتمد الكنائس الكاثوليكية في نشرها للنصرانية في أفريقيا على العديد من الخدمات التي تقدمها في مجالات الصحة ، والتعليم ، والإغاثة ، وإنشاء المراكز التنصيرية ، حيث تمتلك آلاف الكنائس والمراكز التنصيرية ، والآلاف من المدارس والمستشفيات ، ومئات الجامعات وكليات اللاهوت .

إضافة إلى المراكز الصحية ، وملاجئ العجزة والمعوقين ومستعمرات مرض الجذام . كما لها منظمات للشباب ودور للمرأة ، ومعاهد فنية ، ومعسكرات ومراكز تدريب .

كما تمتلك الكنيسة الكاثوليكية في أفريقيا موانئ بحرية وبرية في عديد من البلدان الأفريقية . إلى جانب ما تقوم به من نشاط ثقافي تنصيري من خلال طبع الإنجيل وترجمته إلى اللهجات واللغات المحلية ، وتأسيس المكتبات والمطابع ، ودور النشر والتوزيع إلى غير ذلك من الأساليب التنصيرية مما سيأتي تفصيله في هذا الفصل - إن شاء الله تعالى - .

ومما يدل على اهتمام الكنيسة الكاثوليكية بأفريقيا الزيارات المتكررة التي يقوم بها بابا الفاتيكان للعديد من دول القارة بين الفينة والأخرى ، حتى بلغت زياراته لأفريقيا أكثر من (١٢) زيارة قام بها البابا الحالي للفاتيكان يوحنا بولس الثاني خلال عشرين عاماً مما يأتي تفصيله فيما بعد.

الكنيسة الكاثوليكية في كينيا :

كانت الكنيسة الكاثوليكية في نيروبي والساحل مرتبطة - إدارياً - بنيابة زنجبار الرسولية حتى مارس ١٩٥٣م ، حيث تم انفصالها عنها بعد ذلك وأصبحت إكليروسية بقيادة مطران نيروبي وتضم ثلاث أسقفيات

(١) انظر: التنصير والتغلغل الاستعماري في أفريقيا ، مركز البحوث - جامعة أفريقيا ، ص١٨٨ ، مرجع سابق .

(نيابات رسولية) وفي عام ١٩٧٣م ، عندما اتسعت الأسقفيات وزاد عددها وأتباعها تمت ترقية المطران إلى كاردينال[١] .

وعليه يمكن ترتيب الهيكل الإداري للكنيسة الكاثوليكية في كينيا على النحو التالي :

١ - الكاردينال - ويتبع لبابا روما ، ويرأس كنيسة كينيا حالياً الكاردينال اندنقي موانا أنزيكى (**Indingi Mwana anzeki**) .
٢ - رئيس الأساقفة .
٣ - البيشوب : وهو المسؤول عن إقليم معين أو بعثة وله مساعد أو نائب وتتكون البعثة من (١٠ - ٢٠) أبرشية .
٤ - الأبرشية : وتضم تحتها مجموعة من الكنائس ويرأسها القسيس (**prïest**) أو رئيس الأبرشية .
٥ - الكنيسة : يرأسها خطيب (**Pastor**) أو إمام ، وتضم عدداً من الجمعيات .
٦ - الجمعية : وهي تتألف بدورها من مجموعة أسر ، وأفراد الأسرة يلتقون ثلاث مرات أسبوعياً لمناقشة قضايا الكنيسة ونشاطاتها ، وتسمى كل جمعية باسم من الأسماء الوارد في الإنجيل مثل جمعية لوك ، جمعية سانت بوك ، أو سانت ماك ، ونحو ذلك ، كما تتنافس هذه الجمعيات في استقطاب الأعضاء أو النصارى الجدد[٢] .

ومن أبرز أعمالهم في كينيا :

- عقد مجلس قادة نصارى كل أفريقيا (PACLA) في ديسمبر ١٩٧٦م ، ويضم ٧٠٠ وفد .
- عقد المؤتمر الثالث عشر للخماسين (بنتي كوستال) الدولي في شهر سبتمبر ١٩٨٢م .

---

(١) التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص١١٩ ، أحمد محمد حسن ، بحث غير منشور .
(٢) أحمد شيكوكو ، كاثوليكي سابق في مقابلة معه بنيروبي بتاريخ ١٤٢١/١٠/٨هـ .

- يبلغ عدد الإرساليات الكاثوليكية في البلاد حتى عام ١٩٩٣م ، مائة وثمان وعشرون إرسالية ، ويقدر عددها اليوم بمائة وأربعين إرسالية، بينما يبلغ عدد الأسقفيات التابعة للكنيسة الكاثوليكية عشرين أسقفية(١). ويطلق على الأسقفية "بعثة" ويراسها في كينيا البيشوب كما تقدم ، ومن تلك الأسقفيات ست أسقفيات يديرها منصرون أجانب ، وهي : أسقفية كيتووى ونونغو ، لودوار ، مرسبايت ، قاريسا ، وأسيلو . بينما يدير المنصرون الوطنيون باقي الأسقفيات ، علماً بأن كل أسقفية تضم تحتها عدداً من الأبرشيات(٢) ، والكنائس .

وفي هذا الفصل نتناول أبرز هذه الإرساليات ، والبعثات وأساليبها في التنصير .

١ – إرسالية آباء روح القدس : (من فرنسا) :

أصدر البابا ليو الثالث عشر في فبراير ١٨٧٨م ، أمراً بإنشاء أسقفيتين لتقوما بالتبشير (التنصير) بالعقيدة الكاثوليكية في أفريقية الشرقية، وتختص إحداهما بالتنصير في منطقة بحيرة فكتوريا ، وتختص الثانية بالعمل في منطقة بحيرة تنجا نيقا . وفي عام ١٨٨٠م ، دخلت جمعية روح القدس شرق أفريقيا ، وافتتحت بعثة في مندا . وتلا ذلك انشاء بعثة أخرى في منطقة مورو جورو (Morogoro)(٣) .

بدأ نشاط الإرسالية في كينيا في عام ١٨٩٠م ، حين أسس الأسقف الفرنسي المونسنيور دى كومون (Mgr. de Coumont) مندوبية للجمعية في مدينة ممباسا على الساحل إضافة إلى محطة صغيرة في بورا . وفي عام ١٨٩٩م ، زار نائب الأسقف الجيير (Algear) مدينة السكة الحديدية

---

(١) الأسقفية هي مقر كرسي القيادة الكنسية لمنطقة معينة ويرأسها المطران أو الأسقف ، انظر: المشروع التنصيري في السودان ، ص١٩١ ، حسن مكي ، مرجع سابق .
(٢) الأبرشية : إدارة كنيسة مستقلة إدارياً ومالياً تتبع للأسقف ، المصدر نفسه .
(٣) انظر: الإسلام والتحدي التنصيري ، ص١٩١ ، عمر بابكور ، مرجع سابق .

المتطورة في "نيروبي" وكـون بعثـة فـي منطقـة كيكويـو (kikuyu) ، (٨) أميال غرب نيروبي[١] .

وقد انتشر نشاط الإرسالية بعد ذلك في جميع منطقة ميجيكاند (وهـي منطقة كبيرة تضم قرابة العشر قرى) إضافة إلى توسيع أعمالها بمنطقـة الساحل بمشاركة عدد من جمعيات الأخوات الكاثوليكية منـها : جمعيـة الأخوات التبشيرية للسيدة الأفريقية ... وتنطلق مـن فرنسـا - ، جمعيـة أخوات الدم النفيس ، والأخوات اللورتية ، من إيطاليا . وأخذت الإرسـالية تتوسع في أعمالها وأنشطتها حتى شملت منـاطق كامبـاني ، وكيـامبو ، وكيتوى ، وتوج ذلك النشاط بحيث أصبحت مدينة ميجاتشكوس -عاصمـة قبيلة كيامبو - مقراً للأسقفية الخاصة بالإرسالية ، واستمرت الإرسالية فـي الانتشار والتوسع حتى بلغ عدد البعثات والمراكز التابعة لها فـي منطقـة كامبا وقبائلها حوالي ٢١ بعثة ومركز يعمل فيها (١٦١) منصراً بحسـب إحصاء عام ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م[٢] .

ومن أبرز الأساليب التي اتخذتها هذه الإرسالية في التنصـير هـو التركيز على التعليم وبناء المدارس بكثرة وبمستوياتها المختلفة .

٢ - إرسالية آبا كونسولاتا : (Consolata Fathwrs) :

تأسست إرسالية كونسولاتا الإيطالية في عام ١٩٠١م ، باسم مؤسسة كونسولاتا التبشيرية بإشراف "جوزيف آلامانو) في تورن بإيطاليا ، وكـان يهدف من ذلك إلى اللحاق بالإرسالية الإيطالية التـي أنشـأها الكاردينـال "ماساجا" الذي عمل في بلاد الجالا[٣] - جنوب شرق الحبشـة - نحـو ٣٥ سنة، وبالتالي القيام بأعمال تبشيرية مشابهة في أوساط الجـالا القـاطنين شمالي كينيا ، ولم تنجح هذه الفكرة لأن السلطات الاستعمارية البريطانيـة

(١) المصدر السابق بابكور ، ص١٩٢ ، ١٩٣ .
(٢) انظر: التبشير في كينيا في القرن العشرين ص٩١ ، أحمد محمـد حسـن ، بحـث غـير منشور، مرجع سابق .
(٣) شعب الجالا هو شعب الأرومو الأثيوبي وأكثرهم مسلمون ويشـكلون أكـبر المجموعـات السكانية عدداً في البلاد .

آنذاك أغلقت المنطقة أمام النشاط التنصيري خوفاً من اندلاع ثورات إسلامية ضد الوجود النصراني في المنطقة(١) .

وفي عام ١٩٠٢م ، قدم القنصل الإيطالي في زنجبار لرجال الإرسالية إرشادات مفيدة أهمها : استغلال طريق أوغندا الجديد ودخول المنافسة مع الإرساليات التبشيرية التي تسابقت إلى منطقتي هضبة كينيا والبحيرات العظمى الوثنيتين . واستجاب آبا كونسسولاتا لنصيحة القنصل ، فنزلوا أرض الكيكويو واتصلوا بزعيم منطقة (توثو) بكروى جاروري الذي رحب بهم وأرسل أولاده إلى مدرسة الإرسالية التي تم إنشاؤها ، وفي عام ١٩٠٤م ، حصل آبا كنسولاتا على مساحة من الأرض تقدر بـ(٣٠٠٠) فدان في نييرى حيث أنشأوا المركز الرئيسي لأنشطتهم ومزارعهم الاستثمارية إضافة إلى نيابة نييرى الرسولية(٢) .

وفي عام ١٩٥٣م ، أنشأ آبا كونسولاتا أسقفية ميرو ، وبعد الاستقلال تقدموا نحو المناطق الشمالية التي سبق أن منعتهم عنها السلطات الإنجليزية حيث تمكنوا من إقامة أسقفية مرسبيت سنة ١٩٦٥م ، لإدارة العمل التنصيري وسط المسلمين ، وقبائل الريندلي والسمبورو الوثنيتين . ازدادت أعمال الإرسالية وتم افتتاح أسقفية "مرنغا" في عام ١٩٨٣م ، ثم تلى ذلك افتتاح أسقفية "أمبو" في عام ١٩٨٦م . ويدير آبا كونسولاتا اليوم في كينيا أكثر من ستين مركزاً تنصيرياً في البلاد منتشرة في كلٍ من نيروبي ، ونييرى ، ومرانغا ، وأمبووميرو ، ومرسابيت ، وكيسومو ، وأسيلو ، ومدوغاشي ، وممباسا(٣) .

الأساليب التنصيرية للإرسالية :

من الأساليب التي تركز عليها إرسالية آبا كونسولاتا بناء المراكز التنصيرية المتكاملة الخدمات ، وقد سبق القول بأن الإرسالية تدير أكثر من

---

(١) التبشير في كينيا ، ص٩١ ، ٩٢ ، محمد حسن ، مرجع سابق .
(٢) المصدر نفسه ، ص٩٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٩٣ .

ستين مركزاً - ومن خلال هذه المراكز تعمل على استقطاب المواطنين للنصرانية عبر تلك الخدمات التي تشمل التعليم والصحة وغيرها ، وفيما يلي كمثال لذلك نستعرض الخدمات التي يقدمها مركز أسيولو التابع للإرسالية .

مركز أسيولو :

يضم المركز كنيسة ومستوصفاً ، وأربع عيادات متحركة ، ومزرعة للأبقار ، وروضة للأطفال، ومدرسة ابتدائية ، ومدرسة متوسطة وأخرى ثانوية ، كما يضم معهداً للتقنية ، ومعهداً للسكرتارية خاص بالبنات ، وقد بلغ مجموع الدارسين في هذه الفصول والمعاهد للعام الدراسي ١٩٩٧/١٩٩٨م ، حوالي ١٧٥٠ طالباً وطالبة ، موزعين على النحو التالي[١] .

- مرحلة الروضة وتضم ٢٥٠ طالباً .
- المرحلة الابتدائية والمتوسطة ، وفيها ١٠٣٥ طالبا .
- المرحلة الثانوية للبنات وفيها ٨٦ طالبة .
- معهد التقنية وبه ٢٥٠ طالبا ، ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات .
- معهد السكرتارية للبنات مدة الدراسة فيه سنتان ويضم ١٣٠ طالبة .

والميسورون من هؤلاء الطلاب تتقاضى منهم الكنيسة مصاريف دراسية بحسب المستوى بينما تدفع الكنيسة رسوم الطلاب الفقراء أو يدرسون مجاناً .

مركز مدوغاشي :

تنقسيم مدينة مدوغاشي - إدارياً - إلى قسمين، قسم يتبع المقاطعة الشرقية ، وتسكنه قبيلة البوران ، وقسم يتبع المقاطعة الشمالية ، ويسكنه الصوماليون .

ظهر النشاط التنصيري في المدينة في الثمانينيات من القرن العشرين على أثر قدوم منظمة الرؤية العالمية لتنفيذ بعض المشروعات

---

(١) انظر: التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص١٤٩ ، أحمد محمد حسن ، مرجع سابق .

الحكومية ، وخلال فترة بقائها الذي دام إحدى عشرة سنة ، أقامت مدرسة ثانوية للبنين وكنيسة وبيوتاً للمعلمين ، كما كانت تقوم بدفع الرسوم الدراسية عن الطلاب في المدرسة الابتدائية وعند مغادرة المنظمة للمنطقة تولت الطوائف البروتستانتية الإشراف على الكنيسة وسميت بالمركز الاجتماعي (Commanity Centre) . أما القسم التابع للمقاطعة الشرقية من المدينة فقد أقامت فيه الإرسالية مركزاً تنصيرياً ضخماً ، وبدأت عملها التنصيري من خلال جمع الأطفال - خاصة من العائلات الفقيرة من قبيلة البوران - وإلحاقهم بالمركز .

– كذلك دأبت الإرسالية على توزيع المعونات الغذائية المتمثلة في الذرة ، واللوبيا على الأهالي كل شهرين أو ثلاثة أشهر ، والذي يدعو للدهشة أن معظم المواد الغذائية مما تقدمه هيئات إنسانية من ضمنها مشروع الغذاء العالمي الذي تساهم فيه كل الدول الإسلامية .

– توزيع الأغنام والأبقار للأسر الفقيرة - لكل أسرة عشرون رأساً من الغنم وسبع بقرات - بعد أن يختم على فخذ الشاة أو البقرة بختم يحوي هذه الحروف (C.C.M) وهي اختصار لـ(Consolata Catholic Mission) أي إرسالية كونسولاتا الكاثوليكية .

– يقوم القسيس أيضاً بتوزيع معونة أسبوعية خفيفة على بعض الأسر والأفراد خصوصاً البنات من أجل إفسادهن . كما بدأ القسيس بتوزيع ذبائح الأضاحي ، ولعله يقصد من ذلك منافسة المنظمات الإسلامية التي تقوم بمثل هذا النشاط في المنطقة .

– يضم المركز ورشة لتعليم النجارة ، إضافة إلى ثلاث سيارات من بينها ، جرار ومولد كهربائي ، وتلفزيون وبعض الأجهزة الأخرى ، وقد نجح القسيس في تنصير سبعة عشر شخصاً من المسلمين[١] .

---

(١) انظر: التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص٩٥ ، أحمد حسن ، مرجع سابق .

٣ - بعثة آباء كابيوشين المالطية [Capu chin Fathers] :

ظهر وجود الإرساليات الكاثوليكية في منطقة الشمال الشرقي من البلاد في عام ١٩٦٨م ، حين قدم المنصر غيرفاني بوزانيو إلى قاريسا من ميرو - التي كانت تتبع لها الأسقفية الكاثوليكية في الشمال الشرقي - وذلك بعد أن عمل فيها مدة أربع عشرة سنة ، وكان يبدي اهتمامه بالأيتام الذين فقدوا آباءهم أثناء حرب المديريات الشمالية مع الحكومة . قام القسيس المنصر بوزانيو بافتتاح مدرسة للبنين في قاريسا أطلق عليها اسم "مدينة البنين" (Boys Town) ، وأخرى في مدينة وجير للبنات . ولكن بحمد الله الآن تعطلت مدينة البنين في قارسيا عن العمل ، ورحل المنصر الذي كان يديرها وهو (Jafher Jon) بعد أن أسس هذا المركز تأسيساً جيداً وحديثاً يعتبر طفرة عمرانية كبيرة في منطقة تقع داخل أفريقيا وفي ذلك الوقت - ١٩٦٨م- . حيث تم تزويد المركز بمطاحن الغلال وأفران الخبز ومزرعة كبيرة جداً وسكن للطلاب مؤسس بالمواد الثابتة ومنزل فخم للمدير وحوض سباحة كبير ومحطة مياه خاصة بمصفى مجهز لجلب المياه من نهر قارسيا أو نهر تانا (Tanarivar) مباشرة ، وتزويد المدرسة به . وقد كان بفخامته هذه وحدها فقط كفيلاً بأن يجذب أبناء المسلمين البسطاء ، وأن يغريهم بدخوله ، وقد وقفت عليه أثناء زيارتي للمنطقة فإذا به خاو على عروشه ليس به أحد سوى أطلال واقفة تحكي عن اجتهاد أولئك النصارى في نشر باطلهم ، وقد تحول كل طلابه إلى مركز دار الأيتام لجمعية الشبان المسلمين عند تأسيسه ، وقد حكى لي مدير مركز دار الشبان المسلمين الأستاذ/ عبدالسلام شيخ محمد أن نائب المنصر (Yafher Jon) ومساعده قد حضر إلى المنطقة قبل سنتين وزار دار الشباب المسلمين فلما رأى التلاميذ الذين كانوا في معسكره بالأمس يغرس فيهم تعاليم النصرانية وعقيدة التثليث ، منهمكين في حفظ القرآن وترتيله وتجويده ، ومنكبين على العلوم الشرعية الإسلامية ، انفجر باكيا ولم يتمالك نفسه ، وكان بالأمس القريب يتحدى أن ينجح هذا المعسكر ، وكان يتندر ويسخر من جمعية

الشبان المسلمين في بداية عملهم ومن كون أنها تستطيع الاستمرار وكفالة أولئك الأيتام ، ولكن بحمد الله خاب فأله ونجح معسكر الطلاب الأيتام ، وخسر هو كل ما يملك وخسر جهده وكل سنوات عمله وكل ما أنفقه .

وتذكرت قول المولى عز وجل: ﴿ **إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون** ﴾(١) .

وقد ألف ذلك القس الماكر كتاباً عن ذكرياته وسنوات عمله في تلك المنطقة يتباكى ألماً وحسرة على ما ضاع منه ، وقد صورت بعضاً من صفحاته من النسخة التي وجدتها عند الأستاذ عبدالسلام شيخ محمد مدير مركز دار الأيتام بجمعية الشبان المسلمين في قاريسا .

وفي عام ١٩٧٥م ، سلم أسقف ميرو لآباء كابيوشين إدارة الإقليم الشمالي الشرقي ، وأضاف لهم أسقف ممباسا مديريتي نهرتانا (Tana River) ولامو. فتم تأسيس أسقفية مستقلة في عام ١٩٨٤/ ، برئاسة بولس دار مانين المالطي(٢) .

نشاط الإرسالية وأساليبها في قاريسا :

قاريسا مدينة كبيرة في منطقة شمال شرق كينيا ، وهي أكبر مدينة في المنطقة ، وتعتبر حاضرة لها ، ويربطها مع العاصمة نيروبي طريق معبد ، وسكان المدينة والمنطقة كلهم مسلمون ، ولكن مع هذا لم تسلم المدينة من النشاط التنصيري ، وعند زيارتي للمدينة أثناء رحلتي العلمية إلى كينيا رأيت العديد من الكنائس التي يبلغ مجموعها ثمان كنائس داخل المدينة ، وتعاني المنطقة الآن من الجفاف والفقر والإهمال من الدولة وتبدوا على وجوه سكانها علامات البؤس والفقر .

---

(١) سورة الأنفال ، الآية (٣٦) .
(٢) التبشير في كينيا ، ص ٩٦/٩٧ ، مرجع سابق .

وعندما سألت أحد الدعاة في المدينة - وهو الشيخ حسين إبراهيم برالة - عن كثرة الكنائس مع أن أهل المنطقة مسلمون ، أجاب بأن خطة الكنائس كانت ترمي إلى استقطاب اللاجئين الصوماليين الذين دخلوا المنطقة بعد أحداث الصومال ،وكذلك استغلال ظروف الجفاف والفقر ، الذي ضرب المنطقة ، وتشرد بعض الأسر بعد أن فقدت مصادر قوتها من مواشٍ ، ومزارع ، وغيرها .

بعد تولي إرسالية أبا كابيوشين لإدارة العمل الكاثوليكي في المنطقة الشمالية الشرقية لكينيا ، جعلت رئاستها في مدينة قاريسا ، وكان يتبع لها كل من وجير ونهر تانا ،ولامو ، ومنديرا ، وتوسع نشاطها الكنسي في المنطقة عام ١٩٨٤ ، بعد إقامة أسقفية قاريسا ، وأصبحت تضم تسع أبرشيات ، تعمل بها اثنتا عشرة بعثة منها اثنتان تعملان في مركز قاريسا هما :

١ - الأخوان الفرنسيسكان الكابيوشيين .
٢ - أخوات القديس يوسف التربيسي .

وقد بلغ عدد المنصرين الأجانب في هاتين البعثتين في عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، نحو ثمانية أشخاص ، وتتلقى الكنيسة دعماً مالياً ومعنوياً من الجهات الآتية :-

١ - الفاتيكان .
٢ - مالطا .
٣ - صندوق رعاية الطفولة المسيحي (C.C.F) .
٤ - جمعية خدمات الإغاثة الكاثوليكية (Catholic . Relief Service) .
٥ - صندوق رعاية الطفولة التابع لهيئة الأمم المتحدة .

وقد قامت الإرسالية ببناء كنيستين في المدينة - مع أن أهلها جميعاً مسلمون - وقد اختارت لهما أفضل المواقع في المدينة ، حيث أقيمت الكنيسة الأولى على مدخل المدينة جهة الطريق الذي يربطها بنيروبي ، بينما أقيمت الأخرى على الطريق الرئيسي الآخر المؤدي إلى المديريات الشمالية . وتعتبر الكنيسة أعلى وأضخم مبنى في تلك المنطقة .

وهذا هو ديدن الكنيسة في بلاد المسلمين عامة وليس خاصاً بكينيا ، بل في كل مكان تحل فيه الكنيسة تختار لأبنيتها أحسن المواقع وأبرزها للعيان . بحيث تعطي طابعاً نصرانياً للمنطقة رغم الغالبية المسلمة التي تقطنها ، وهذا مشاهد حتى في بعض المدن العربية كالخرطوم ونحوها .

ومنذ عام ١٩٩٣م ، شرعت الإرسالية في إصدار مجلة كل ثلاثة أشهر باسم "تعالوا قريبا" (Come Closer) ، وأنشأت مركزاً باسم " مركز الإطعام ، يتردد عليه كل يوم خمسة وسبعون طفلاً تقريباً ، تتراوح أعمارهم بين الخامسة والتاسعة ، إضافة إلى عشر نسوة ، وطباختين ، وثلاثة حراس كلهم من المسلمين .

كذلك يضم مبنى الكنيسة روضة للأطفال يقضون فيها وقتهم من الصبح إلى الظهر مقابل القليل من الطعام تقدمه الكنيسة ، وكانت الكنيسة تقدم الإعاشة والكفالة لطلاب مدرسة "مدينة البنين" (Boys Town) التي سبق ذكرها ، ولكنها سرعان ما توقفت عندما فشلت في تنصير الأطفال ، وضعف نشاطها في قاريسا بعد ذلك ، وأصبحت تركز على مديرية نهرتانا علهم يظفرون فيها بصيد سمين .

الكنيسة الكاثوليكية ومحاولة تنصير قبيلة الغبرا :

تسكن قبيلة الغبرا في منطقة شمالي كينيا وجنوب الحدود الأثيوبية ، ومعظمهم من البدو الرحل ويبلغ تعدادهم السكاني حوالي ٨٠ر٠٠٠ نسمة . ومن استقر منهم شكل عدداً من القرى منتشرة في محافظة مرسابيت منها: قرية توربى ، وبوبيسا ، وكاركي ، وميكوتا ، وكالناجا ، ونورث هور . ويعتقد الغبرا أن أصولهم من الصومال هاجروا إلى كينيا قبل ٤٠٠ سنة وكانوا مسلمين ، فاستعبدتهم إحدى القبائل الوثنية الكبرى آنذاك ، وانحرفت عقائدهم نتيجة انعزالهم عن المسلمين ويعتقدون أنه كان لهم كتاب مقدس ، ولكنه فقد أو أكلته الأبقار . وما زال بعضهم يتمسك ببعض شعائر الإسلام مع شيء من التحريف والتغيير فبعضهم يصومون رمضان ٣٠ يوماً ،

ولكنهم يفطرون قبل الغروب بقليل ، ويحتفلون بعيد الأضحى ، ويسمون شهر ذي الحجة شهر عرفة ، ويوم العيد تذبح كل عائلة شاه ، ويأتي الزعيم الديني "دبيلا" ليقوم بالدعاء لأهل البيت ثم يذبحونها ، وينشدون في أناشيدهم عن مكة والمدينة ونور الله ، ولكنهم لا يعرفونها ، كما لهم أماكن للصلاة وما زالت أسماء أيام الأسبوع عندهم باللغة العربية ، السبت ، الأحد ... ، ومن يولد عندهم يوم الاثنين من الذكور يسمونه مامو ، أي محمد ، ومن يولد يوم الثلاثاء يسمونه إسحاق ، ويم الأربعاء يسمونه علي، ويوم الخميس يسمونه أمورو أي عمر ، ويوم الجمعة أدنو يعني آدم ، ويوم السبت أبودو يعني عبده ، ويوم الأحد أبراى يعني إبراهيم[١] .

وقد تعرضت الغبرا إلى هجمة نصرانية مكثفة ، فدخلت الكنائس المنطقة منذ عام ١٩٦٤م ، وبدأت تمارس نشاطها التنصيري بمختلف الوسائل والأساليب .

ففي قرية توربى أقام الكاثوليك كنيسة وعينوا فيها قسيساً من المنطقة كما يزورها قسيس إيطالي كل أسبوع ، ويقوم بزيارات مجاملة لزعماء القبيلة في القرية ويهديهم التمباك[٢] . والشاي ومبالغ كبيرة من النقود . كما بنوا مدرسة وروضة أطفال في عام ١٩٨٥م ، وقد تنصر أحد أبناء الغبرا في بداية العمل التنصيري منذ أن كان في الصف السادس الابتدائي واحتفل النصارى بتعميده احتفالاً كبيراً حضره ٣٤ قسيساً وتخرج هذا النصراني ليعمل مدرساً في المدرسة ، ولكن الله هداه للإسلام فاسلم مرة أخرى وأصبح من كبار الدعاة في المنطقة ، وأسلم على يديه خلق كثير خاصة من طلابه الذين كان يدرسهم ، الأمر الذي جعل الكنيسة تطارده وتطالب بنقله بعد أن رفع القسيس شكوى ضده لمدير التعليم ثم إلى حاكم المنطقة[٣].

---

(١) رحلة خير في أفريقيا ، ص١٠٨/١٠٩ ، السميط ، مرجع سابق .
(٢) التمباك : نبات مخدر كالقات يخزن في الفم فيجد صاحبه نشوة .
(٣) انظر: رحلة خير في أفريقيا ، ص١١٠ ، السميط ، مرجع سابق .

وفي إحدى القرى التي كان يتردد عليها القسيس كل يوم سبت ، أخذت الكنيسة أحد أبناء الزعيم ودرسته في معهد اللاهوت ، فتخرج قسيساً ، بعد أن أغدقوا على أبيه الهدايا الكثيرة حتى يرضى عنهم .

وأما قرية بوبيسا : التي يبلغ عدد سكانها ثمانية آلاف نسمة ، يوجد من بينهم (١٠٠) مسلم ، و(٢٠٠) نصراني ، وقد تنصر هذا العدد لأن المدرسة تديرها الكنيسة وفقاً لبرامجها . بينما يدين باقي السكان بالديانة التقليدية للغبرا .

بدأت الكنيسة الكاثوليكية عملها في القرية عام ١٩٨٠م ، ببناء كنيسة، ثم تم تجديدها بعد خمس سنوات ، وبدأوا في إرسال وتدريب المنصرين من أهل القرية إلى القرى المختلفة ، وتقوم إحدى المنظمات النصرانية الأمريكية المتعصبة جداً بتوزيع الطعام ، كما يقومون بالعناية بالطلاب ودفع الرسوم الدراسية عنهم[١] .

أما المسلمون فهم ضعفاء وفيهم جهل حيث يصلون في بيوتهم معظم الأوقات ، ولا تقام عندهم صلاة الجمعة لأنه لا يوجد أحد منهم يعرف أحكام الجمعة ، كما لا توجد مدرسة عربية ، ولا معلم ولا إمام ، وبالتالي يلجأ الطلاب إلى مدارس الكنيسة فيتنصرون .

وفي قرية ميكونا أسس الكاثوليك كنيسة وعيادة ومدرسة ابتدائية تضم أربعمائة طالب ، منهم مئتان وخمسون طالباً اعتنقوا النصرانية لأن الكنيسة تدفع عنهم الرسوم الدراسية .

أما في قرية كالاجا فيشكل المسلمون ٤% من سكان القرية البالغ عددهم ٧٠٠ أسرة بينما تبلغ نسبة النصارى ٤٥% والبقية من أهل القرية يدينون بالديانة التقليدية للغبرا ذات الأصل الإسلامي . وتوجد بالقرية كنيسة ومدرسة ابتدائية تابعة لها ، ورابطة للشباب النصراني ، وتقدم الكنيسة مساعدات للفقراء ، وتدفع الرسوم الدراسية عن الطلاب . وقد أسلم عشرون شخصاً من أهل القرية ذات مرة ، ولكن لم يجدوا من يشرح لهم تقاليد الإسلام ويبينها لهم ، وتحت وطأة الجهل والجوع والفقر وإغراءات

---

(١) السميط ، المرجع السابق ، ص١٢٥ .

الكنيسة بالأطعمة والمساعدات الأخرى تتنصر هؤلاء مرة أخرى ، ومعظم الطلاب المسلمين في المدرسة الابتدائية الكاثوليكية يهربون من دراسة الدين الإسلامي ، ويدرسون بدلاً عنه الدين النصراني ، لأن موضوعه أسهل ، ويوجد له مدرسون وكتب توفرها الكنيسة ، ويحصل فيه الطالب على علامات أفضل ، بينما لا يوجد مقررات وكتب ومدرسون للتربية الإسلامية أو الدين الإسلامي[١] .

أما قرية نورث هور فتعتبر أحسن حالاً من مثيلاتها إذ يوجد فيها مسجد ومدرسة عربية أسسها أحد المهاجرين العرب من حضرموت وتضم ٢٥٠ طالبا . ويبلغ عدد المسلمين في هذه القرية ثلاثة آلاف وخمسمائة مسلم من إجمالي عد سكانها البالغ ثمانية آلاف نسمة ، ومع هذا قام المنصرون بإنشاء كنيسة كاثوليكية ضخمة مبنية على أحدث الطراز الذي لا يقارن مع بيوت القرية الطينية ، إضافة إلى مستوصف ومدرسة تابعة لها ، ويشرف عليها اثنان من القساوسة البيض بجانب راهبتين وقسيس من الأفارقة . ومن الأنشطة التي تمارسها الكنيسة بجانب التعليم والرعاية الصحية توزيع الطعام على أهل القرية سواء كانوا مسلمين أو نصارى ، ولكن القسيس يفضل النصارى على المسلمين في العطاء[٢].

وأهل الغبرا عموماً يكرهون النصارى ويحبون الإسلام والمسلمين ، ولكنهم في حاجة ماسة إلى من يعلمهم أمور الدين الإسلامي ، ومن يزودهم بالكتاب والمدرس ، ومع قليل من الجهد والدعوة سيعودون بأسرع ما يمكن لحظيرة الدين الإسلامي الحنيف .

٥ - النشاط الكاثوليكي بمنطقة مَرْتي :

بعد استقلا كينيا في ١٩٦٣م ، طالب سكان المديريات الحدودية الشمالية بالاستغلال عن كينيا ، وبالتالي نشب صراع مرير استمر حتى

---

(١) انظر: رحلة خير في افريقيا ، ص١٢٢ ، وما بعدها ، عبدالرحمن السميط ، مرجع سابق .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٧ .

عام ١٩٦٧م ، قتلت فيه القوات الكينية عدداً كبيراً من أبناء المنطقة ذوي الأصول الصومالية ، وهُدِّمت البيوت والمساجد ، وأُحرقت المزارع ؛ ونتيجة لذلك ظهرت في المنطقة الآثار السلبية المترتبة على تلك الحرب والتي منها ظاهرة المجاعة ، وتيتم كثير من الأطفال ، وترمل النساء واللجوء والهجرة .. فكان هذا المناخ مناخاً مناسباً لعمل الإرساليات التي غزت المنطقة بعد هدوء الأحوال مباشرة[١] .

وكانت منطقة مرتى ضمن المناطق التي اهتمت بها الكنيسة فدخلها قسيس كاثوليكي وهو الأب بيو بونو في عام ١٩٦٧م ، وفتح فيها مركزاً كبيراً سماه "معسكر مرتى لإعادة التأهيل والإغاثة" ، وكان هذا المركز يقوم بأنشطة واسعة مختلفة ، تشمل رعاية الأسر الفقيرة ، وكفالة الأطفال الأيتام ، وطلاب المدارس ، وتوزيع المواد الغذائية ، وحفر الآبار ، وأحياناً تجهيز أموات المسلمين وذلك بتأمين اللوازم للميت إذا عجز أهله عن ذلك ، ولهذا تشاهد الصلبان على مقابر بعض المسلمين ممن تولت الكنيسة دفنهم كي يعدوا من أتباعها ولو بعد الممات ، وقد استفاد هذا المنصر من الظروف المعيشية الصعبة التي يعاني منها المسلمون هناك ، حتى أنه استطاع تقسيم البلدة إلى قسمين قسم نصراني وآخر مسلم ، حيث نجح في تنصير أكثر من ألفي شخص من مجموع سكان المنطقة البالغ عددهم عشرة آلاف نسمة ، بعد أن كانوا جميعاً مسلمين قبل مجيئه[٢] .

وتوسع النشاط التنصيري في المنطقة باضطراد بحيث أقيمت فيها أبرشية تسمى بـ"أبرشية الرحمة" ولها نشاط في قرى جوربيسا وبوبيسا ، ويباشر أنشطة هذه الأبرشية قساوسة من جمعية "فيدى دونوم" وجمعية القديسة مريم الديروتية" وتتبع أبرشية مرتى إلى أسقفية أسيلو التي تضم أربع أبرشيات أخرى[٣] .

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية في كينيا ، ص٦٧ ، ٦٨ ، حسين برالة ، مرجع سابق .
(٢) المصدر نفسه ص٦٨ .
(٣) انظر: التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص١٧٣ ، أحمد محمد حسن ، مرجع سابق.

أما مركز مرتى فيحتوي على الآتي :-

١ – كنيسة ذات منارة عالية جداً .

٢ – مبنى الإدارة .

٣ – رياض للأطفال بها مائة وتسعون طفلاً .

٤ – مدرسة ابتدائية وأخرى متوسطة يبلغ عدد طلابهما ٤٥٠ طالبا .

٥ – ثانوية للبنين بها ١٧٠ طالبا .

٦ – ثانوية للبنات وتضم ٤٠ طالبة .

٧ – مستوصف .

٨ – مولد كهرباء .

٩ – جهاز لاسلكي .

١٠–مقبرة عليها لافتة كتب فيها "يا أب أرحم هؤلاء" .

١١–مجلة شهرية تسمى "أخبار مرتى" MERTINEWS .

١٢–مزرعة .

١٣–ورشة لإصلاح المعدات الميكانيكية التابعة للكنيسة ومنظمة سيفا .

١٤–مختبر داخل ثانوية البنين .

١٥–عيادة متحركة .

١٦–بئر .

١٧–ماكينة خياطة .

١٨–خمس سيارات من بينها جرار وشاحنة .

الأساليب التنصيرية للمركز :

لقد سلك القسيس الإيطالي المشرف على المركز كل الأساليب والوسائل الممكنة لتنصير المسلمين ، حيث ركز جهوده في التعليم التنصيري ، والطب ، والزراعة ، وتوزيع المعونات ، وبناء المنازل للمتنصرين الجدد . فكانت أول وسيلة اتخذها هذا القسيس هي إنشاء روضة للأطفال في عام ١٩٧٠م ، وكان يحبس الأطفال في المكان المعد

للحضانة حتى وقت متأخر من الليل لإبعادهم عن أهليهم وعزلهم في جو نصراني خالص . ثم تلا ذلك خطوات أكثر تقدماً في مجال التعليم ، إذ تم افتتاح ثانويتين في مرتى ما بين عام ٩٣ ، ١٩٩٥م ، وكان القسيس قبل ذلك يرسل الطلاب إلى ثانويات الكنيسة الكاثوليكية في ميرو ومرسابيت، حيث يرجعون من هناك بعد قضاء مدة الدراسة ، وقد تنصر أكثرهم ، نظراً لوجودهم في تلك البيئة النصرانية وسط رعاية الكنيسة الشاملة مع بعدهم عن المؤثرات الإسلامية . أما من يتخرج من الطلاب بعد إكمال الثانوية فيرسلون إلى معاهد التدريب المهني للتخصص في إحدى الحرف كالتمريض والنجارة والتدريس ونحوها ، وقد تولى بعضهم حالياً مهمة التدريب في مدارس الكنيسة في البلدة[١] .

وفيما يخص المجال الطبي ، فقد افتتحت الكنيسة عيادة طبية في عام ١٩٨٧م ، وكان يديرها في ذلك الوقت عددٌ من المنصرات الأجنبيات ، ولما تم تخريج عدد من الكوادر الوطنية من المنصرين سلمت إليهم إدارة العيادة وتسيير النشاط الصحي ، وقد بلغ عدد الممرضين والممرضات من الوطنيين في العيادة عام ١٩٩٦م ، نحو (٦) أفراد أربعة رجال وممرضتان وكلهم ممن تم تنصيره من أهل البلدة[٢] .

ويساعد القسيس في أعمال المركز ثمانية أفراد من عمال جمعية سيفا (SEFA) التي جاءت إلى المنطقة باعتبارها مؤسسة ذات أهداف إنسانية ، ولكنها سرعان ما غيرت نشاطها وأصبحت خاضعة للقسيس ، وسخرت جميع إمكانياتها لصالحه ، فكان يوزع المنازل التي تبنيها المؤسسة للمتنصرين الجدد ، ويحول المعونات الموسمية المقدمة منها إلى الكنيسة لكي تقوم هي بتوزيعها بالطريقة التي تراها .

والأدهى والأمر أن القسيس بدأ ينصر أولياء أمور الطلاب أنفسهم من خلال الضغط عليهم عبر كفالة أولادهم في المدارس . فإما أن يتنصر ولي أمر الطالب أو يحرم ابنه من الكفالة والإعاشة . فكان نتيجة ذلك أن

(١) انظر: التبشير في كينيا في القرن العشرين، ص١٧٤، أحمد محمد حسن، مرجع سابق.
(٢) المصدر نفسه .

تنصرت أسر بأكملها خوفاً على مصير أولادهم ومستقبلهم التعليمي والاقتصادي ، بل كان يطلب منهم التوقيع على التخلي عن مسؤوليتهم تجاه أبنائهم عند إدخالهم مدارس الكنيسة(١) .

وعموماً يمكن القول بأن المنطقة الشرقية من كينيا من المناطق التي باضت فيها البعثات التنصيرية وأفرخت ، حيث حققت نجاحاً كبيراً إلى حد ما في تنصير المسلمين والوثنيين على حدٍ سواء . بل أصبحت لها سيطرة كبيرة على أوضاع الحياة الاقتصادية والسياسية هناك .

(١) التبشير في كينيا ، ص١٧٥ ، أحمد محمد حسن ، المصدر السابق .

المبحث الثاني
الإرساليات والجمعيات البروتستانتية وأساليبها

المبحث الثاني
الإرساليات والجمعيات البروتستانتية وأساليبها

توطئة :

ظهر المذهب البروتستانتى في الديانة النصرانية إثر حركة الإصلاح الديني التي قادها الراهب الألماني مارتن لوثر المولود (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) [١] .

وكانت تدعو إلى إبطال ما يسمى بـ (صكوك الغفران) ، والرهبنة ، وكانت ضد فساد رجال الدين العقدي والأخلاقي ، وضد فساد الكنيسة بشكل عام ، وتعتمد حركة مارتن لوثر على الأخذ بتعاليم الكتاب المقدس وحده ، باعتباره المصدر الوحيد للتعاليم المسيحية .وتسمى الكنائس التي أنشأها اتباع هذا المذهب بـ (الكنائس الإنجيلية) أي لا تخضع إلا لحكم الكتاب المقدس (الإنجيل) ولا تعترف لكنيسة روما بأي سلطة دينية ، وقد استنكر لوثر واتباعه قرار الحرمان الصادر من البابا في حقهم واحتجوا عليه لذلك سموا بـ (البروتستانت) أي المحتجين نسبة إلى الكلمة الإنجليزية "بروتست" . وينتشر هذا المذهب بصورة واسعة في ألمانيا ، وبريطانيا ، وأمريكا ، والدنمارك ، والنرويج ،وهولندا ، وسويسرا[٢] . ويعتبر البروتستانت وكنائسهم أول من أدخل التنصير الحديث في أفريقيا عن طريق المؤسسات والجمعيات ، رغم قدومهم بعد الكاثوليك بفترة .

---

(١) التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص٢٩ ، إبراهيم عكاشة ، ط. دار العلوم، الرياض - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

(٢) انظر: محاضرات في النصرانية ، ص١٧٩ ، ١٨٣ ، أبو زهرة ، مرجع سابق .

إحصائيات ومعلومات عن النشاط البروتستانتي في كينيا(١) :

- أول إرسالية تبدأ العمل في كينيا هي إرسالية جمعية التبشير الكنسي Church Missionary Society [C.M.S] عام ١٨٤٤م ، حيث هبط المنصر جى . إل . كرايف وزوجته وطفله الذين توفيا بالملاريا في ممباسا .
- ثاني منظمة تنصيرية بدأت العمل هي إرسالية أفريقيا الداخلية عام ١٨٩٥م ، ولها الآن ٣٥٨ شخصاً يعملون لصالحها في البلاد من الأجانب .
- تم ترسيم أول كاهن انجلكانى بروتستانتي في عام ١٨٨٥م .
- في عام ١٩١٤م ، تم انفصال إرسالية نوميالو كأول كنيسة أفريقية مستقلة عن الكنيسة الانجلكانية، وبدأت عملها في منطقة نيانزا . وتلا ذلك حركة استقلال كبيرة في كل الكنائس .
- عدد المنظمات التنصيرية في كينيا من الولايات المتحدة الأمريكية وغرب أوروبا فقط ١٢٣ منظمة بروتستانتية حتى عام ١٩٩٩م/١٤٢٠هـ .
- عدد المنصرين والقساوسة من الغربيين البروتستانت في البلاد بلغ ١٢٩٥ منصراً حتى عام ١٩٩٩م/١٤٢١هـ .
- عدد الكنائس التي تم بناؤها بتبرعات غربية (٥٦٢٠) كنيسة منها ٣٢٢ كنيسة شيدت في عام ١٩٩٩م .
- تعمل المنظمات البروتستانتية وسط (٤٠) مجموعة سكانية وقبيلة .

وفيما يلي نسلط الضوء على أنشطة أهم هذه الإرساليات وأساليبها:-

١ - إرسالية جمعية التبشير الكنسي C.M.S :

تعتبر إرسالية جمعية التبشير الكنسي أنشط الإرساليات الإنجليزية البروتستانتية . تأسست في عام ١٧٩٩م ، ويدير أعمالها مئات الأساقفة ،

---

(١) انظر: لمحات عن التنصير في أفريقيا ، ص٣٨ ، وما بعدها ، عبدالرحمن السميط ، ط. الكويت بدون ذكر سن الطبع ومذكرة للكاتب عن النشاط البروتستانتي في كينيا .

ينوبون عن رئيسها أسقف كنيسة كانتربورى الرسمية ، الدكتور جورج كيرى كبير أساقفة كانتربورى حالياً . وتتمتع الإرسالية بميزانية ضخمة وموارد مالية كبيرة ، تنفق منها ملايين الجنيهات الاسترلينية لمحاربة الإسلام في أفريقيا وآسيا وغيرها[١] .

وتتمتع هذه الجمعية برعاية الأسرة المالك البريطانية لذلك عادة ما يتم اختيار الشخصيات البارزة من الذين سبق لهم العمل في الحكومة البريطانية لمنصب رئاستها ، وبالتالي فهي لها دور كبير ومؤثر في نشر المذهب الانجلكانى فيما وراء البحار .

بدأت الإرسالية نشاطها في كينيا في عام ١٨٤٤م ، حين قدم المنصر الألماني كرايف - أحد أشهر منصري الجمعية - إلى ممباسا ، ثم تبعه آخرون فأخذوا يطوفون عرض البلاد وطولها فاتسعت أعمالهم على الشواطئ منذ ١٨٧٤م ، وكانوا يؤسسون القرى التي يقطنها الأرقاء المعتوقين ، ثم أسسوا بعد ذلك إرساليتين تنصيريتين ، واحدة على مقربة من جبل كلمنجارو ، والثانية عل سفح جبل كينيا ، وكانت لها معاهد تابعة لها بلغ عددها أيام الاحتلال البريطاني (٢٢) معهداً[٢] .

وكانت سياسة الإرسالية التنصيرية هي العمل بسرعة تجاه عملية الاعتماد الذاتي مالياً ، وإقامة إدارة وطنية للكنائس ، حيث تم اعتماد هذه السياسة من قبل المنصر فن (Vem) سكرتير بعثة الكنيسة[٣] .

نشاط الإرسالية الحالي وأساليبها :

منذ دخول هذه الإرسالية إلى كينيا وهي تركز جل نشاطها على المناطق الإسلامية ، بدءاً من منطقة ممباسا على الساحل مروراً بالإقليم الشمالي الشرقي ذي الأغلبية المسلمة .

---

(١) انظر : التبشير والاستشراق أحقاد وحملات ص١٨٩ ، محمد عزت الطهكاوي ، الزهراء للإعلام العربي ١٤١١هـ/١٩٩١م .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص١٩١ .
(٣) الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ، ص١٢٠ ، عمر بابكور ، مرجع سابق.

وقد استخدمت هذه الإرسالية أساليب حديثة وتنظيمات دقيقة في عملياتها التنصيرية ونشر باطلها . ذلك أن معظم القائمين عليها يعتبرون من أصحاب التخصصات العلمية الدقيقة ، ويجيدون اللغات المحلية رجالاً ونساءً ، ويلبسون الزي التقليدي للمجتمع .

ومن أساليبها إقامة المراكز التنصيرية والكنائس ونشرها في المنطقة مُدناً وقرىً بصورة مكثفة تثير الدهشة لدى المسلمين ، ففي بعض القرى لا تجد نصرانياً واحداً من أهلها ولكن تجد فيها كنيستين أو ثلاث ، إذ تهدف الإرسالية من هذا العمل إلى صبغ المنطقة بالنصرانية وإكسابها الطابع النصراني ، حتى يترأى للزائر أو المشاهد أن المدينة أو القرية كلها نصرانية[١] .

هذا بالإضافة إلى هدف خبيث ماكر تسعى إليه الإرسالية ، وهو أن يألف السكان حتى أهل البادية والقرى منظر الكنائس وتزول عنهم الرهبة والخوف تجاهلها ، وينكسر الحاجز النفسي بين المسلم والشعائر النصرانية، فيكون من السهل اعتناقها لأنها لم تعد غريبة على نفسه .

ومن الأساليب التي ركزت عليها الجمعية منذ بدايتها هي الحصول على أحسن الوسائل التعليمية وتطبيقها لنشر النصرانية بين السكان ، وطبع الكتاب المقدس بصورة كبيرة لاستعمال الدولة الرسمي والمتنصرين الجدد. لذلك انتشرت المدارس والمعاهد الفنية المتخصصة التي ترعاها الإرسالية بصورة كبيرة .

وفي هذا يقول الكاردينال لافيجيرى : " لقد أدركنا أن الأفريقي يحتاج إلى المساعدة في ثلاث نواح ، هي التعليم ، والزراعة والعلاج الطبي ، وهذه النواحي لا تقل أهمية عن الناحية الدينية ، وإذا لم يُبذل مجهود في هذه المجالات فلن يحدث أي تقدم للنصرانية على الإطلاق"[٢] .

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية في كينيا ص ٦٩ ، حسن إبراهيم برالة ، مرجع سابق .

(٢) انظر: الإسلام والتحدي التنصيري ، ص ١٢٠ ، عمر بابكور ، مرجع سابق .

وتطورت إرسالية جمعية التبشير الكنسي تطوراً كبيراً شمل معظم مناطق كينيا وأصبحت تعرف بـ(كنيسة إقليم كينيا الانجلكانية) وصارت أكبر كنيسة بروتستانتية في البلاد . ويبلغ عدد أسقفياتها في كينيا (٢٠) أسقفية ، وعدد أبرشياتها (٧٧٩) أبرشية كما تبلغ كنائسها نحو (٣٨٨٥) كنيسة ، وذلك حسب الإحصائية التي قامت بها الإرسالية نفسها في عام ١٩٩٤م ، بمناسبة ذكرى مرور (١٥٠) عاماً على وصول المنصر كرايفإلى كينيا في عام ١٨٤٤م ، وتزعم الإرسالية أن أتباعها يصلون إلى مليون شخص[١] .

٢ - إرسالية أراضي أفريقيا الداخلية (African Inlon Mission) :

أسسها بيتر كامرون اسكوت (P.C.Scott) عام ١٨٩٥م ، وقد بدأت نشاطها بكينيا في وقت مبكر بقيادة المنصر جون بويس (Tohn Boyys) الذي قضى خمسين عاماً في خدمة المد التنصيري في كينيا ، منذ عام ١٨٩٩م ، وحتى عام ١٩٤٩م ، حيث غادرها إلى منطقة قبائل الزاندى بجنوب السودان . وقد امتد نشاط الإرسالية ليشمل أوغندا ، والكنغو ، وجنوب السودان . يوجد مقر الإرسالية وإدارتها بأمريكا الشمالية ولها فروع في أقطار أخرى[٢] .

نشاط الإرسالية وأساليبها :

تعمل الإرسالية على نشر النصرانية في كينيا حالياً عبر وسائل وأساليب شتى ، على النحو التالي :

١ - دعم النشاط لمحلي للمسيحيين في البلاد .
٢ - القيام بأعمال التطبيب والعلاج .
٣ - التعليم الديني لنشر أفكارها .
٤ - زرع وبناء الكنائس في المناطق التي لم تعرف النصرانية .

---

(١) التبشير في كينيا ، ص٩٩ ، أحمد محمد حسن ، مرجع سابق .
(٢) انظر: التبشير النصراني ، ص٣٤ ، إبراهيم عكاشة ، مرجع سابق ، المشروع التنصيري في السودان ، ص٩٤ ، حسن مكي ، مرجع سابق

٥ – استغلال وسائل الإعلام الجماهيرية (صحافة - إذاعة - تلفزيون) .

تبلغ ميزانية الإرسالية (٥٣٨ر٩٣٦ر٨) دولاراً أمريكياً في السنة ، خصص منها مبلغ (٢٧٥ر٩٢٦ر٦) دولاراً للعمل في أفريقيا ، ويبلغ عدد موظفيها ٤٧٥ موظفاً متفرغاً في أفريقيا ، منهم ٣٥٨ موظفاً في كينيا فقط، و (٣٠) في تنزانيا ، ويتوزع الباقون بين جزر القمر ، وأفريقيا الوسطى ، وأوغندا والكنغو ، والسودان[١] .

تبث الإرسالية في كينيا (٥) برامج تنصيرية باللغة السواحيلية كل أسبوع عبر إذاعة كينيا ، وبرنامجاً واحداً باللغة الإنجليزية ، و (٣) برامج بلغات قبائل محلية مختلفة ، ويبلغ عدد المستمعين لهذه البرامج أكثر من ثلاثة ملايين شخص ، كما تصدر الإرسالية مجلتين إحداهما باللغة السواحيلية والأخرى باللغة الإنجليزية يبلغ مجموع توزيعهما حوالي (٢١ألف) نسخة ، وللإرسالية كذلك (٦) مدارس لتخريج الكهنة والقساوسة تخرج منها حتى عام ١٩٩٩م ، ٤٠٠ قسيس[٢] .

نشاط الإرسالية في شرق كينيا :

وفيما يلي نتطرق إلى نشاط الإرسالية وعملها في منطقة وايو بشرق كينيا ، وهي منطقة تضم خمس قرى هي : وايو ، تيتيلا ، وايوبرة ، دابا ، والدينا . تقع هذه القرى على بعد (٦٥) كيلو من مدينة هولا عاصمة أقليم نهر تانا (Tana river) ويعمل السكان بالرعي والزراعة ، وأكثرهم من القبائل المهاجرة من أثيوبيا ، خاصة قبيلة الأرومو أو الجالا كما يطلق عليهم أحياناً ، وقد تعرضت المنطقة للجفاف أكثر من مرة مما جعلها بيئة خصبة لعمل المنظمات الكنسية .

---

(١) دراسة عن التبشير المسيحي في منطقة شرق كينيا ، مطبوع على الآلة الكاتبة ، ص٣ ، عبدالرحمن السميط .
(٢) المصدر نفسه ص ٣ .

العمل التنصيري للإرسالية :

بدأت الإرسالية عملها في المنطقة عام ١٩٦٤م ، عبر كنيسة أفريقيا الداخلية (Africa inland Church) ، وذلك ببناء كنيسة في قرية والدينا، وقد عهدت الإرسالية برعاية الكنيسة إلى أحد القسس الأفارقة من الذين نالوا تدريباً جيداً لمدة اثنتي عشرة سنة ، ولكن القسيس بعد بضعة أعوام من عمله أصبح يتاجر بالماشية والأراضي ، وأهمل عمله ، فاختلفوا معه وتم طرده ، وهنا تدخل الأهالي ضد الكنيسة واستثمروا خطأ القسيس عن طريق لجنة تنمية المنطقة (D.D.C) حيث اكتسبوها فرصة واستطاعوا تحويل الكنيسة إلى فصل دراسي(١) .

في عام ١٩٧٥م ، وصل أحد القسس الأمريكان إلى المنطقة ، واستقر فيها حتى تقاعده عام ١٩٨٤م ، وخلفه ابنه الذي يعد أكثر حماساً ونشاطاً من أبيه ، حيث استطاع القيام بأعمال كثيرة ، ولا يزال هذا الابن مقيماً بالمنطقة(٢) .

ويجتمع المنصرون العاملون في المنطقة بشكل دوري في مقر الإرسالية بوالدينا للتشاور وتبادل الآراء ودراسة الخطط . أما المنصرون الأجانب في المنطقة فيشاركون في اجتماع فصلي ثلاث مرات في العام يعقد بالعاصمة نيروبي ، فيلتقون مع زملائهم من العاملين في مناطق أخرى لتبادل الآراء ، ورغم أن الإرسالية عجزت عن تنصير المسلمين في المنطقة ، إلا أن نشاطها يزداد مع تردي الظروف المعيشية لأهل المنطقة، حيث استطاعت القيام بعدد من المشاريع وتنفيذها نذكر منها بعض القرى التي شملتها هذه المشاريع :

قرية والدينا :

أقامت الإرسالية مستوصفاً طبياً ، وأكملت حفر بئرين قد بدأتهما الحكومة ولم تستطع إكمالهما ، كما بنت ورشة لإصلاح المعدات

---

(١) انظر: التبشير المسيحي في منطقة شرق كينيا ، ص٤ ، السميط ، مرجع سابق .
(٢) المصدر نفسه .

الميكانيكية وقاعة محاضرات كبيرة ، هذا إضافة إلى مطار صغير تمت إقامته لاستقبال الطائرات الصغيرة التي يتنقلون بها بين المنطقة ونيروبي عند الحاجة ، خاصة في موسم الأمطار حيث تصعب المواصلات البرية نظراً لوعورة الطرق ، ويوجد حالياً أربعة موظفين من الجنسية الأمريكية من بينهم ممرضة يعملون في القرية مزودين بسيارتين من طراز (تايوتا لاندكروزر) وجهاز اتصال يمكنهم حتى من الاتصال بالولايات المتحدة الأمريكية .

قرية دابا :

ساهمت الإرسالية في إقامة إحدى المدارس التي تدرس المنهج الحكومي ، إضافة إلى مستوصف جديد بجانب المستوصف القديم الذي أقامه الأهالي . كما قامت بحفر بئر ارتوازية لاستخدام العاملين في الإرسالية الذين يوجد من بينهم خمسة موظفين من الجنسية الأمريكية (رجلان وثلاث نساء) مزودين بسيارة (لاندكروزر) ، وجهاز لاسلكي .

قرية وايوبرة :

ساهمت الإرسالية في بناء روضة للأطفال يشرف عليها مندوب من هيئة ويكليف الأمريكية ، ويعيش هو وزوجته في القرية منذ ثلاث سنوات، في ظروف معيشية غاية في الصعوبة مع ندرة المياه ، وقلتها في القرية. فكان هذا الرجل يقوم بجمع الماء عند موسم الأمطار في خزان ويستعمله طوال السنة ، ولا يغتسل منه إلا قليلا ، وقد أجاد هذا المندوب لغة الأرومو إجادة تامة ، ويعمل حالياً في ترجمة للإنجيل ، وهي تعتبر ترجمة جديدة باللهجة المحلية الخالصة التي يتعامل بها الناس هناك .

وأسلوب ترجمة الإنجيل إلى اللغات المحلية واللهجات الأفريقية ، أمر شائع تعمل به الكنيسة في كل منطقة من مناطق أفريقيا ، حتى تسهل أمر وصوله إلى العامة وبالتالي سهولة فهمه واستيعابه ، ليتم استقطابهم بسهولة في حظيرة النصرانية .

أما في **قرية تيتيلا** :

فقد أنشأت الإرسالية مستوصفاً ، ومطاراً لاستقبال الطائرات الصغيرة ، بجانب ورشة صيانة خاصة بعمل الإصلاحات ومعالجة الأعطال . ورغم أن إقامة المطار في القرية ووجهت برفض شديد من قبل الأهالي ، إلا أن الإرسالية استطاعت أن تحصل على ترخيص من رئاسة الجمهورية لإقامته ، ويرعى مصالح الإرسالية في هذه القرية ثلاثة رجال وامرأة من الجنسية الأمريكية ، مزودين بثلاث سيارات "لاندكروزر" .

قرية وايو :

في قرية وايو طلبت الإرسالية الإذن لبناء كنيسة فرفض مجلس القرية الفكرة ، ثم طلبت بناء مركز نصراني يشمل مدرسة ، ومستشفى ، ومنشآت خدمية وترفيهية أخرى ، إلا أن الأهالي استطاعوا التأثير على لجنة تنمية المنطقة ، التي تضم في عضويتها عدداً من موظفي الحكومة ، وبالتالي استطاعوا إفشال خطة الإرسالية في إقامة هذا المركز ، وكانت هناك مشروعات كثيرة وعدت الإرسالية بتنفيذها في القرية ، ولكن بسبب رفض الأهالي للكنيسة توقفت الإرسالية عن جميع مشروعاتها في القرية .

ولا شك أن تصرف الإرسالية بهذا الشكل يؤكد لنا أن ما يقدمه النصارى ومؤسساتهم من خدمة للفقراء والمساكين لم يكن قط لوجه الله تعالى في يوم من الأيام ، وإنما يتخذونها وسيلة لنشر عقيدتهم بين الناس ، أو رجاء مصلحة كبرى لدولهم والجهات التي تقف وراءهم وتدعمهم ، وقد حدث أن أنشأت إحدى المؤسسات التنصيرية آباراً لسكان بعض القرى ، في منطقة شرق السودان ، ولما طلب منها مغادرة المنطقة نتيجة لممارساتها غير المقبولة ، قامت بهدم جميع الآبار التي حفرتها .

نماذج من أعمال الإرسالية وأساليبها :

قامت الإرسالية بعدد من الأنشطة والأعمال التي ظاهرها خدمة الفقراء والمحتاجين في المنطقة ، وفي حقيقتها تهدف إلى جذب الأهالي للنصرانية عبر هذه الخدمات . وفيما يلي شيء مما قامت به :

١ – توزيع عدد من معدات الرش والمبيدات الحشرية لمكافحة الحشرات الضارة بالأبقار والحيوانات في المنطقة .

٢ – توزيع (٣٠٠) رأس من الماعز على (٣٠) أسرة فقيرة .

٣ – ذبح بعض الأبقار وتوزيع لحومها على المحتاجين . ولما رفض بعض القرويين المسلمين أكل ما يذبحه رجال الإرسالية ، سمح المنصرون الأمريكان للمسلمين أن يذبحوا بعض الأبقار بأنفسهم ، وقاموا هم بذبح بقرة واحدة أمام المسلمين ، وخلطوا لحمها مع باقي اللحم ، ثم وزعوه حتى يضطر المسلمون لأكل ما يذبحه رجال الإرسالية .

٤ – توزيع أدوات الحراثة والزراعة والبذور على الفلاحين .

٥ – قامت الإرسالية بأخذ مجموعة من الأطفال من كل قرية في حدود (٦) أطفال من العائلات الفقيرة وأرسلوهم إلى مدارس نصرانية في أماكن أخرى ، وتهدف الإرسالية من هذه الخطوة إلى عزل هؤلاء الطلاب عن محيط أسرهم الإسلامي وجعلهم يعيشون في مناخ نصراني بعيداً عن التأثيرات الإسلامية .

٦ – قاموا بتدريب ثلاثين شخصاً على علاج الأمراض الشائعة في الأبقار.

ويلاحظ أن الإرساليات تستهدف بأعمالها ونشاطها الفئات التي يتفشى بينها الفقر والجهل أكثر من غيرها ، ويلاحظ أنه رغم العداء الظاهر من الأهالي تجاه الإرسالية إلا أنها لم تتوقف عن نشاطها ، ولم تيأس رغم أنه لم يتنصر على يدها أحد .

البعثات البروتستانتية في منطقة وجير :

تركز البعثات التنصيرية البروتستانتية في كينيا في نشاطها على المناطق الإسلامية ، خاصة الإقليم الشمالي الشرقي ، (مدينة وجير وما حولها) نظراً للظروف القاسية التي يعاني منها المسلمون هناك ، نتيجة للجفاف والتصحر الذي ضرب المنطقة ، وقلة النشاط الدعوي فيها ، الأمر

الذي أوجد لهم مناخاً مناسباً لنشر عقيدتهم وأفكارهم . متخذين لأجل ذلك مختلف الأساليب والوسائل ، والتقنيات الحديثة ، والموظفين المؤهلين من أصحاب التخصصات العلمية الذين يتقنون اللهجات المحلية ، فكثرت لذلك البعثات في المنطقة ، وكثر بناء الكنائس بصورة ملفتة للنظر . ففي مدينة وجير وحدها توجد ثلاث بعثات بروتستانتية ، منها بعثة ألمانية لها مراكز متعددة ، وأخرى مالطية ، وكان اشهرها بعثة A.C.C.S [١] .

بعثة A.C.C.S : أو الكنيسة المعمدانية الكندية :

تعتبر بعثة (A.C.C.S) من أنشط البعثات البروتستانتية في كينيا ، ويشرف عليها المنصر رولد وورد (Rould ward) الملقب بـ "على الطويل" وهذا اللقب الذي يحمله المنصر يدل على أنه خبر المنطقة ،وأصبح يتكلم بلهجة أهلها ، ويلبس زيهم التقليدي كما يفعل كثير من المنصرين .

قامت البعثة عن طريق هذا المنصر بإنشاء مركز تنصيري في مدينة قاريبسا ، واستطاع أن يستميل عواطف كثير من المسلمين ، من كافة الطبقات عن طريق إغرائهم بالمال . وتمكن من إقامة ما يقرب من مائتي منزل مزودة بالحمامات والحنفيات ووزعها على الفقراء في المدينة[٢] .

كما أقام هذا المنصر مركزاً آخر في بلدة مدوغاش ، قرب المدرسة الابتدائية الحكومية ، ويقوم بدفع رسوم الدراسة عن "٥٠٠" طالب فقير في تلك المدرسة . وكانت له صولات وجولات في المنطقة من خلال قيامه بكثير من الأعمال التي ظاهرها أعمال إنسانية ، وفي باطنها أعمال تنصيرية ، واستدراج للمسلمين وشبابهم للدخول في حظيرة النصرانية ، وقد كانت لأعماله هذه آثار مخفية على معتقدات الناس هناك إلا أنه - بحمد الله – تم طرده من المنطقة آلان بحجة التدخل في الأمور السياسية للدولة[٣].

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية في كينيا ، ص٩ ، حسين برالة ، مرجع سابق .
(٢) انظر: المصدر نفسه ، ص٧٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٧٠ .

الأساليب التي تتبعها البعثة في التنصير :

١ - تعيين أشخاص من فقراء المسلمين لنظافة الكنائس وخدمتها ، وجعلهم سدنة للكنيسة ، مقابل رواتب شهرية يتقاضونها على ذلك من يد المنصر ، حيث تجد العشرات من فقراء المسلمين رجالاً ونساءً يقومون بكنس ونظافة الكنيسة كل يوم . وهذا أسلوب جديد الغرض منه إزالة النفور من نفوس المسلمين تجاه الكنيسة ، وكسر الحاجز النفسي في قلوبهم ، وتعويدهم على الاحتكاك بها حتى يألفونها فيصبح تنصيرهم شيئاً عادياً وسهلاً .

٢ - بناء بيوت للنازحين والفقراء الذين هجروا مناطقهم نتيجة للنزاعات القبلية ، أو لظروف الجفاف والمجاعة ، وتزود هذه البيوت بضرورات الحياة ، ويشترط لكثير ممن يسكنون هذه البيوت في المناطق غير الإسلامية أن يتقبلوا التعاليم النصرانية . أما المسلمون فيتم إسكانهم دون شروط ولكن تخصص لهم برامج احتوائية طويلة المدى ، ربما تؤدي إلى ارتداد قرى بأكملها كما حدث في منطقة مرتى في الإقليم الشرقي حيث تنصر أكثر من ألفي شخص(١) .

٣ - بناء المستوصفات والمراكز الصحية لعلاج المرضى مجاناً ، كما أقامت الإرسالية مستشفيين لعلاج أمراض السل في كل من قاريسا ووجير .

٤ - دفع رسوم الدراسة عن الطلبة العاجزين عن مواصلة تعليمهم ، ومتابعتهم متابعة دقيقة ، وربطهم بكفلائهم في الخارج . وقد حدث أن ارتد أحد الطلاب المسلمين في مدينة وجير ، بسبب التقاط الكنيسة له ، عن طريق دفع رسوم الدراسة ، ثم بدأت تهتم به تدريجياً وتدعوه إلى الكنيسة دون أن يعلم به أحد ، وفجأة اكتشف زملاؤه الذين يدرسون معه في المدرسة أن غرفته مليئة بالأناجيل والكتب النصرانية المختلفة ، ورفض فكرة العودة للإسلام ، وتبين

---

(١) انظر: نشاط المنصر بيوبونو في منطقة مرتى ، المبحث السابق .

أن القسيس كان ينوي تعميده ، أثارت هذه الحادثة ضجة كبيرة في المدرسة ، وتدخل المدير وشرح له أن هذا الأمر حرام حيث لا يجوز للمسلم أن يبدل دينه ، وإذا كانت المشكلة في رسوم الدراسة فهو سيتحملها عنه بأي شكل بعدها اختفى الطالب بصورة مفاجئة عن الأنظار ، فاكتشفوا أن القسيس قام بتهريبه إلى مدينة أخرى بعيداً عن تأثير المسلمين ، وأدخل مدرستها الكنسية . وبعد محاولات من قبل مكتب لجنة مسلمي أفريقيا أمكن الاتصال بالطالب ، وتم إقناعه بعد شرح ومقارنة بين الإسلام والنصرانية ، وأخيراً استجاب - والحمد لله - وعاد إلى حظيرة الإسلام بعد تلك الردة(١) .

٥ - توزيع الأطعمة والكسوة لمن تحت رعايتهم من الأسر والأفراد .

٦ - تزويد الأسر الفقيرة بجمل وأربعين شاة ، مع توزيع الشعارات الدالة على هوية تلك البعثة لأفراد تلك الأسر .

٧ - بناء دور للأيتام والأطفال مزودة بالفصول التعليمية والخدمات الصحية ، يتربى فيها الأطفال على حسب ما تريده لهم الكنيسة .

٤ - منظمة الرؤية العالمية (WORLD VISION):

أسست هذه المنظمة عام ١٩٥٠م ، من طوائف مسيحية متعددة لتكون واجهة لها للعمل التنصيري . وتحتل هذه المنظمة المرتبة الثانية على صعيد المنظمات التنصيرية الأمريكية البروتستانتية من حيث حجم الميزانية والتمويل ، وقد بلغ عدد منصري هذه المنظمة في عام ١٩٨٨م ، (٣٥٢٢) منصراً ، يعمل منهم (٢٨٢١) منصراً خارج الولايات المتحدة، يبلغ عدد الأمريكان منهم (٧٥١) منصراً ، والبقية من جنسيات أخرى(٢).

وفي عام ١٩٨٦م ، بلغ عدد البلدان التي تعمل فيها هذه المنظمة نحو (٨٠) بلداً ، معظمها بلدان أفريقية وأسيوية ، وخاصة الدول الإسلامية والتي منها بنجلاديش ، تشاد ، مصر ، إندونيسيا ، الأردن ، لبنان ، مالي،

---

(١) انظر: رحلة خير في أفريقيا ، ص٧٨/٧٩ ، عبدالرحمن السميط ، مرجع سابق .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٣ .

موريتانيا ، السنغال ، باكستان ، الصومال ، وأوغندا ، وكينيا ، وبعض الدول الأفريقية الأخرى .

وتهتم المنظمة في عملها بشكل خاص ببرامج رعاية الطفولة والأعمال الإغاثية وبرامج تنمية المجتمعات والتنصير .

عمل المنظمة في كينيا :

بدأت المنظمة عملها في دولة كينيا في عام ١٩٧٤م ، وما أن جاء عام ١٩٨٦م ، حتى غطى نشاط المنظمة نحو أربعين منطقة في مختلف أنحاء البلاد ، وتقوم بالتنصير من خلال برامجها في مجال الطفولة والأسرة ورعاية المجتمع بالتعاون مع الكنائس المحلية . وقد تصدرت كينيا قائمة الدول الأفريقية من حيث حجم نشاط هذه المنظمة بسبب وجود مكتب المنظمة الإقليمي في عاصمتها نيروبي ، إضافة إلى المكتب الميداني الخاص بكينيا ، وقد نفذت المنظمة نحو (١٨٠) مشروعاً ، كما تتعاون مع المعاهد المختصة بتخريج المنصرين ، وتساهم في تمويل البحوث الخاصة بتنصير المسلمين[١] .

نماذج من أعمال المنظمة :

نشاط المنظمة وأساليبها في منطقة وجير :

في أعقاب فترة الجفاف والتصحر التي ضربت المنطقة ، قام حاكم محافظة وجير النصراني بتقسيم المحافظة إلى أربعة أقسام ، من أجل تسهيل مهمة توزيع الإغاثة . فخصص قسم منها للكنيسة الكاثوليكية ، وقسم للكنيسة البروتستانتية ، وقسم للجنة مسلمي أفريقيا ، والقسم الرابع لمنظمات مختلفة .

فقامت المنظمة بافتتاح مركز كبير للإغاثة في إحدى القرى المسلمة، والتي يعرف أهلها بالتدين الشديد ، الأمر الذي اضطر معه المسلمون للعمل في هذا المركز ، والتواصل معه بسبب الجوع والفقر الذي أصابهم ،

---

(١) انظر: رحلة خير في أفريقيا ، ص١٠٣ ، مرجع سابق .

وكانت المنظمة من خلال توزيع الإغاثة ، تمارس أعمالها التنصيرية مثل إقامة المحاضرات ، التي تذاع من خلال أجهزة التسجيل ، أو تقدم للأهالي مباشرة ، وكانت هذه المحاضرات تتضمن الدعوة إلى ترك الإسلام واتباع النصرانية ، مما يثير حفيظة المسلمين وغضبهم ، ولكنهم لا يملكون حولاً ولا قوة .

ويوجد في مركز المنظمة حوالي ٣٠ طفلاً ، وسط كم هائل من الموظفين والإمكانات الضخمة .

وقد بلغ من حقد هذه المنظمة على الإسلام والمسلمين أن قامت بعدة محاولات لطرد لجنة مسلمي أفريقيا من المنطقة ، وذلك بالضغط على الحاكم النصراني فيها تارة ، وتهديده بالانسحاب ووقف المساعدات تارة أخرى رغم أن اللجنة دخلت المنطقة بطلب من الأهالي وإلحاح شديد منهم. إلا أن المنظمة كانت ترى في اللجنة منافساً لها ، خاصة أن نشاط اللجنة كان واضحاً للعيان ، وجاذباً للأنظار ، فالتف الناس حولها وتركوا المنظمة.

٥ - منظمة مؤتمر المعمدانيين الجنوبيين :

وهي منظمة تنصيرية أمريكية تأسست عام ١٨٤٥م ، ويرأسها حالياً د . ر . كي . باركر (D.R.K. Barker) . وتقدر ميزانيتها المخصصة للإرساليات الخارجية التي تعمل بالتنصير خارج الولايات المتحدة سنوياً بـ ١٦٩ر٢٧٥ر٠٠٠$ (مائة وتسعة وستين مليوناً ومائتين وخمسة وسبعين ألف دولار) ، ويبلغ عدد المنصرين الذين يعملون معها في الخارج (٣٨٣٩) منصراً ،ولها نشاط ملحوظ في كينيا من خلال نشر وبناء الكنائس ، وأعمال الإغاثة ، ونشر التعليم الديني ، وتوزيع النشرات والكتب . كما تمارس أنشطتها في بعض الدول الإسلامية منها : مصر ،

والمغرب ، ونيجيريا وتنزانيا ، واليمن ، وإضافة إلى دول أخرى حول العالم(١) .

هذا عرض مختصر يمثل نماذج لأعمال بعض الإرساليات والبعثات التنصيرية وأساليبها في كينيا ، بل هو غيض من فيض مما تمارسه هذه الهيئات التنصيرية هناك للقضاء على الإسلام والمسلمين تحت شعارات التنمية والخدمات الاجتماعية ، وهذا أسلوب حديث يوقع الكثير من المسلمين في خطر عظيم ، وأي خطر أكبر من أن تعتمد آلاف الأسر المسلمة الفقيرة في حياتهم اليومية على هذه الهيئات التنصيرية في ظل ضغط الحاجة والجهل والمرض ، وقلة الهيئات والمؤسسات الإسلامية الجادة التي تعمل في حقل الإغاثة والتعليم والصحة ونحوها .لأن الذي لا يجد لقمة العيش اليومية لا يرفض تناولها من أيدي المنصرين ، ومثله أيضاً المريض الذي لا يحصل على الدواء والطفل الذي لا يجد مدرسة يسعه الدخول من أبوابها سوى مدرسة الكنيسة .

ولكن مع هذه الجهود التنصيرية الضخمة فإن الحقيقة المماثلة للعيان تدل على النتائج التي حققتها المنظمات والبعثات الصليبية أقل بكثير من مستوى عملهم مقارنة بما بذلوه من جهد ومال في سبيل تنصير المسلمين والوثنيين على حدٍ سواء ، ومحاربة الدين الإسلامي هناك ، وعلى الرغم من هذا فإن جهود القوم مستمرة ومحاولاتهم للنيل من هذا الدين لا تنتهي فما على المسلمين إلا التنبه لهذا الخطر والعمل على تحجيمه ورد كيده بما يستطيعون فإنهم مسؤولون عن ذلك .

الهيكل الإداري للكنيسة البروتستانتية في كينيا :

يشبه الجهاز الإداري في الكنيسة البروتستانتية نظيره في الكنيسة الكاثوليكية إلى حد ما مع الاختلاف في بعض المصطلحات والمسميات .

(١) لمحات عن التنصير في أفريقيا ، ص٢٩ ، عبدالرحمن السميط ، مرجع سابق .

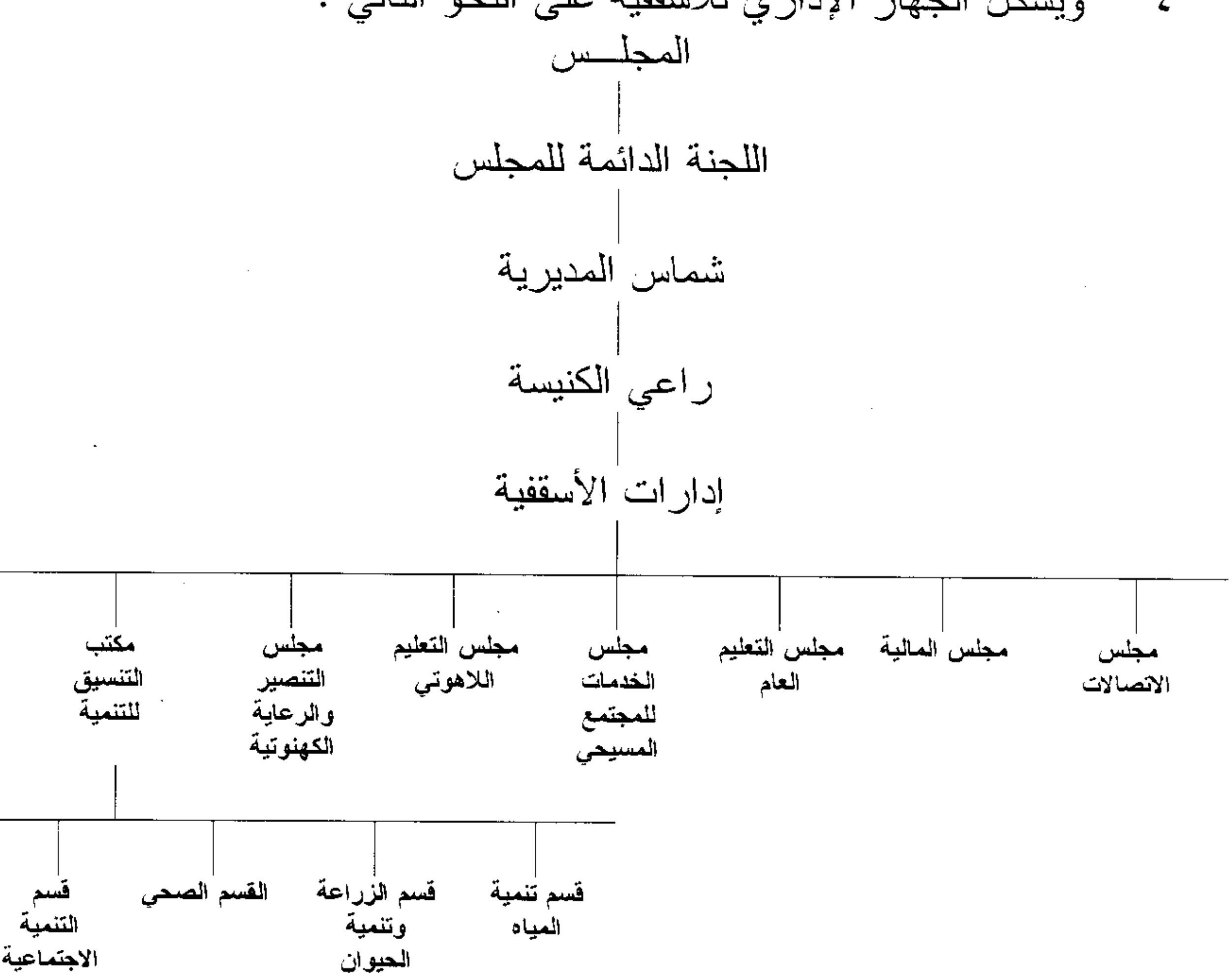
ومثال لذلك نورد الجهاز الإداري لكنيسة التبشير الكنسي (C.M.S) أكبر المنظمات البروتستانتية في البلاد على النحو التالي[١]:-

١ - المجلس الأعلى في لندن .

٢ - رئيس الأساقفة ومقره نيروبي ، ويتم تعيينه من قبل إدارة الكنيسة الإنجلكانية في لندن ، وله مجلس دائم لمساعدته .

٣ - الأسقف . وهو المسؤول عن إقليم معين (رئيس أسقفية) .

٤ - ويشكل الجهاز الإداري للأسقفية على النحو التالي :-



(١) التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص١٢١ ، أحمد محمد حسن ، مرجع سابق .

المبحث الثالث
نشاط المجلس
الكنسي الوطني الكيني

المبحث الثالث

نشاط المجلس الكنسي الوطني الكيني (N.C.C.K)

المنظمات التنصيرية المشابهة :

تعتبر (كينيا) مرسى المنظمات الدولية والإقليمية في أفريقيا ، إذ تتخذ العديد من المنظمات والهيئات النصرانية أو التنصيرية التي تعنى بالعمل التنصيري بصفة مباشرة أو غير مباشرة ، من كينيا مقراً لها ومنطلقاً لأنشطتها وتوجهاتها ، حتى أصبح عددها يفوق الثلاثين منظمة عالمية وأفريقية وإقليمية .

ويعود ذلك إلى عدة أسباب ، منها :

١ - الاستقرار السياسي والأمني الذي يسود البلاد مقارنة ببقية أقطار القارة الأفريقية التي لا تكاد تختفي عن ساحتها الاضطراب السياسية والدينية والعرقية .

٢ - الحرية الدينية الموجودة في البلاد والمنصوص عليها في الدستور في عام ١٩٦٩م ، إذ جاء في الفصل الخامس الفقرة الثامنة والسبعين: حرية الفكر والتعبد ، والاجتماع من أجل ممارسة الطقوس الدينية والدعوة وحرية ممارسة الشعائر الدينية ، وحرية إنشاء أماكن العبادة والتعليم ، كما أعطى الدستور الحرية في اختيار كل إنسان للدين الذي يرتضيه باستثناء الأطفال الذين لم يبلغوا سن التمييز (١) .

٣ - الموقع المميز لكينيا على ساحل المحيط الهندي وربطها بين الأجزاء الداخلية لأفريقيا وبلاد الهند عبر المحيط .

---

(١) انظر ذلك حسب ما جاء في الدستور الكيني على النحو المذكور :
The Constitution of Kenya, Government Printer, Nairobi Revised edition 1992 – Chapter V, Act 98, P – 51 – 2 .

٤ – وجود القبائل البدائية التي تتبع حتى اليوم عادات وتقاليد وديانات أفريقية وثنية مما يشكل بيئة خصبة لنشر النصرانية .

٥ – تدفق اللاجئين وكثرة المهاجرين للبلاد بسبب الاضطرابات الداخلية والحروب في الدول المجاورة الأمر الذي يسهل على الإرساليات تنفيذ خططها التنصيرية فيهم .

ومن أبرز تلك المنظمات :

١ – جمعيات الإنجيل المتحدة والمركز الإقليمي الأفريقي ، تم تأسيسه في عام ١٩٦٤م .

٢ – الاتحاد العالمي للطلاب المسيحيين ، وهو ينضوي تحت لواء مجلس الكنائس العالمي ، وأنشئ في عام ١٩٦٩م ، باشتراك ثلاثين دولة ، واختيرت نيروبي مقراً له .

٣ – مؤتمر الكنائس لعموم أفريقيا "All Africa con ference Churches" الذي يمثل معظم الكنائس البروتستانتية والأرثوزوكسية وبعض الكنائس المحلية .

٤ – الاتحاد التنصيري في أفريقيا ومدغشقر .

٥ – منظمة الكنائس الأفريقية المستقلة .

٦ – أعضاء اتحاد شرق أفريقية لجمعية الأساقفة الكاثوليك ، وهي عبارة عن اتحاد للكنائس الكاثوليكية في أرتريا وأثيوبيا وكينيا والسودان وزامبيا وملاوي ، وقد أسس في عام ١٩٦١م في العاصمة نيروبي .

٧ – التحالف المسيحي البروتستانتي لشرق أفريقيا .وغيرها كثير من المنظمات التي هي عبارة عن تجمع واتحاد لعدد كبير من الكنائس والمؤسسات التنصيرية المشابهة في تكوينها للمجلس الكنسي الوطني الكيني .

تعريف بالمجلس الكنسي الكيني (Nationol Council of Churches of Kenya)
أو ما يعرف اختصارا بـــ (N.C.C.K) :

هو مظلة أو هيئة تنصيرية تجمع جميع الكنائس في كينيـــا ، ويقـــع مكتبه الرئيس في مدينة ليمورو ، ويضم تحت مظلته أكـــثر مـــن ٢٠٠٠ كنيسة ومؤسسة تنفيذية من مختلف الطوائف والمذاهب[١] .

رغم الاختلاف المذهبي الحاصل بين كـــل الطوائـــف التنصيريـــة والكنائس في البلاد إلا أنهم وحدوا جهودهم في مواجهة الإسلام والمسلمين هناك ، كما كانت هناك محاولة الطوائف البروتستانتية من قبل لتوحيد تلـك الجهود إلى أن توج ذلك من خلال إنشاء المجلس الكنسي الوطني الكيني ، الذي يتولى مهام التنسيق ورسم الخطط لهذه الكنائس بـــاختلاف مذاهبـــها وتياراتها، وذلك من أجل تمكينها من السيطرة على مختلف الأنشطة فـــي البلاد اقتصادية وسياسية ، واجتماعية وثقافية وتعليمية وصحية ، إضافـــة إلى مهامه التنصيرية الأخرى وأعماله المباشرة في مجال التنصير ونشـــر النصرانية[٢] .

خاصة وأن المجلس يتمتع بإمكانيات ضخمة ومزود بأموال طائلـــة من المصادر الأجنبية النصرانية ، فشرع يشيِّد الكنائس والمـــدارس ودور الأيتام وسط حشود أبناء المسلمين الأيتام والفقراء وذوي الحاجـــة بقصـــد صيدهم وضمهم إلى صفوف النصارى باسم الثقافة والتعليم .

خطوات تكوين المجلس :

منذ الوهلة الأولى التي هبطت فيها الإرساليات التنصيرية والكنـــائس المختلفة على أرض كينيا ، انتبهت إلى ضرورة توحيد جهودها أو تنسـيقها في مواجهة الوجود الإسلامي القوي آنذاك . وكذلك كانت تسعى لاستقطاب أكبر عدد من الوثنيين من سكان الداخل والأراضي المرتفعة في كينيا .

(١) ذكر ذلك الشيخ هارون أودنرو في مقابلة معه بنايروبي بتاريخ ١٣/١٠/١٤٢١هـــ .
(٢) انظر: مجلة البيان ، العدد ٨٧ ، ص٩٥ ، ذو القعدة / أبريل / ١٤١٥هـــ / ١٩٩٥م .

ومن هنا انطلقت عدة محاولات للوصول إلى ذلك الهدف كان أبرزها محاولات الكنائس البروتستانتية في إيجاد صيغة تجمُّع أو تكتل للنصارى في كينيا يعمل على دعمهم ويقوي من جهودهم المبعثرة هنا وهناك ، ولذلك يمكن وصف تكوين المجلس الكنسي الوطني الكيني على أنه تم خلال عدة خطوات ، نفصلها على النحو التالي :

١ – أقامت الكنائس البروتستانتية في البلاد ، منذ بداية القرن العشرين ، عدة مؤتمرات كانت تمهيداً لتأسيس المجلس الوطني لمسيحي كينيا (N.C.C.K) . فعقد أول مؤتمر في الفترة من ٤ ـ ٨ يناير عام ١٩٠٩م ، في مركز جمعية التبشير الكنسي في ماسينوه ، ونوقش في هذا المؤتمر سبل تطوير العمل التبشيري (التنصيري) ، وفهم العادات واللغات المحلية ، وكيفية التعاون في المجال التنصيري . كما تم استعراض شامل لخطوات العمل التنصيري ومراحله منذ مجيء الإرسالية إلى المنطقة(١) .

٢ – في ٧ ـ ١١ يونيو من ذات العام ، عقد مؤتمر مماثل في نيروبي في مركز إرسالية أفريقيا الداخلية ، تحت عنوان التبشير المتحد (United Missionary Conferen ce) ، وشاركت فيه الإرسالية النظامية المتحدة، وجمعية التبشير الكنسي ، وإرسالية اسكتلندا الكنسية ، وإرسالية عيد السبت الموعودة من أمريكا ، وإرسالية الأصدقاء الصناعية الإنجليزية من زنجبار ، بالإضافة إلى إرسالية أفريقيا الداخلية التي استضافت المؤتمر . وكان أهم ما نوقش في هذا المؤتمر هو البحث في السبل التي تؤدي إلى إيجاد كنيسة وطنية واحدة في أنحاء المستعمرات البريطانية في شرق أفريقيا ولكن المؤتمر لم يصل إلى نتيجة بسبب معارضة الإرساليات الأمريكية(٢) .

٣ – تلى المؤتمر التبشيري المتحد مؤتمر كيكويو الأول الذي عقد في الفترة من ١٧ ـ ٢١ يونيو ١٩١٣م ، في مركز إرسالية اسكتلندا

---

(١) انظر: التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص ١١١، أحمد محمد حسن، مرجع سابق.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٢ .

الكنسية ، وحضرته كل من : إرسالية أفريقيا الداخلية ، جمعية التبشير الكنسي ، الإرسالية النظامية المتحدة ، الإرسالية النيلية المستقلة ، جمعية الإنجيل التبشيرية الإرسالية الألمانية ، إرسالية الأصحاب الأمريكية وإرسالية عيد السبت الموعودة ، وفشل المؤتمر لأن الإرساليات الأربع الأخيرة رفضت التوقيع على نتائج المؤتمرات لأسباب لم تذكر[١] .

٤ – وفي الفترة من ٢٢ - ٢٦ يوليو عام ١٩١٨، اجتمعت في كيكويو جمعية التبشير الكنسي ، إرسالية اسكتلندا الكنسية ، الإرسالية النظامية ، وجمعية الكتاب المقدس ، وفي نهاية الاجتماع أعلنوا عن تحالفهم وقدموا مسودة دستورية .وفي ٢٣ فبراير ١٩٢٢م ، اجتمع تحالف الإرساليات البروتستانتية في كيكويو لتأيد مؤتمر لامبيث (LAmbeth) الذي عقد في بريطانيا وكان يهدف إلى توحيد الكنائس البريطانية .وفي عام ١٩٢٤م ، عقد مجلس الجمعيات المتحالفة اجتماعاً من أجل بحث إمكانية الانضمام إلى المجلس التنصيري العالمي في بريطانيا ، وأسس في ذلك الاجتماع مجلس كينيا التبشيري[٢] .

واستمرت المؤتمرات التي كانت تسعى للوصول إلى اتحاد عام يجمع الكنائس في المنطقة ، وفي عام ١٩٤٣م ، غير مجلس كينيا التبشيري إلى مجلس كينيا المسيحي ، ثم المجلس الوطني لمسيحي كينيا ، حتى تم تأسيس المجلس الكنسي الوطني الكيني في عام ١٩٥٩م[٣] .

أهداف المجلس الوطني الكنسي الكيني[٤] :

أهم أهداف المجلس الكنسي الكيني التي يسع إلى تحقيقها ما يلي :-

(١) التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص١١٢ ، مرجع سابق .
(٢) المصدر نفسه ، ص١١٣ .
(٣) مجلة البيان ، العدد ٨٧ ، ص٩٥ ، ذو القعدة ١٤١٥هـ/ أبريل ١٩٩٥م .
(٤) انظر: الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي ، ص ٢٥٦ ، مرجع سابق.
: تقرير جمعية الشبان المسلمون في كينيا ، ص ٣ - ٤ .

١ – مساعدة الكنائس للوصول إلى كل مكان في كينيا .

٢ – مساعدة الأفراد النصارى في البلاد وذلك عن طريق مراكز التدريب المهني التابعة له . وتسهيل سبل العيش لكل فرد في القرى النائية عن المدن .

٣ – مساعدة الكنائس على جعل التعاليم النصرانية تنسجم مع التطورات السياسية والاجتماعية طبقاً لحياة البلاد اليوم عبر تقديم الخطط والبرامج في المجالات كافه اجتماعية كانت أو تعليمية أو ثقافية أو اقتصادية .

٤ – ربط العمل الإنمائي والاجتماعي بعملية التنصير في البلاد من خلال الأنشطة الاجتماعية والإغاثية التي يقوم بها المجلس .

أهم أنشطة المجلس الكنسي الوطني الكيني :

لهذا المجلس نشاطات واسعة في مختلف ميادين الحياة ، كما يظهر ذلك من أهدافه المعلنة ، وتقدم هذه الأنشطة عبر كثير من المشاريع الخدمية والاجتماعية التي تدخل تحت دائرة نشاطه ، نذكر منها المجالات الآتية :–

- البحوث الدينية ودراسات الكتاب المقدس .
- التعليم والتدريب المسيحي .
- الاتصالات المسيحية .
- الخدمات المسيحية المنزلية والأسرية .
- الإغاثة والإصلاح والتنمية الريفية .
- الرعاية وإعداد الشباب ومراكز الأيتام .
- التعرف على طبيعة القبائل في شكل دراسة .
- تقديم الإعانات المالية للطلاب الفقراء بما في ذلك الطلاب المسلمين في مختلف مراحلهم الدراسية من الابتدائي حتى الجامعة .
- استقطاب بنات المسلمين الدارسات في المراحل الثانوية ، وقد تزوج الكثيرات منهن من شباب نصارى ، وهو مشروع كبير ينفقون عليه

الأموال الطائلة . وقد حدثني في هذا الأستاذ /فرح معلم محمد[١] ، وهو أحد قادة المسلمين الساعين لإبراز كيان المسلمين السياسي في كينيا، حيث يرأس أحد الأحزاب. يقول فرح: "إن الفتيات المسلمات في منطقة الساحل وممباسا اللائي تلقين تعليماً جامعياً بعد إتاحة الفرص لهن ، يرفض الزواج من أقرانهن المسلمين غير المتعلمين ، ولذلك غالباً ما ترتبط إحداهن بأحد الشباب النصارى ممن زاملها في حقل التعليم في أي من الكليات الجامعية " ، وهذا هو المشروع الخطير لتدمير الأسرة المسلمة ، ونشر النصرانية من خلال المرأة.

- عمل حملات تنصيرية كل سبت في إطار "مشروع النصرانية من الباب إلى الباب " تشمل القرى والبوادي لفحص الأسر الفقيرة من الوثنيين والمسلمين للتعرف عليهم لرفع أسمائهم إلى المكتب الرئيس وبعد ذلك يتم أخذهم للدراسة في المدارس الكنسية وتربيتهم بطريقة كنسية من الابتدائي حتى الجامعة فيرجعون وهم نصارى ، وقد نجح هذا المشروع في أوساط المسلمين نجاحاً كبيراً" .
- تقديم العون والمساعدة في توطين أفراد قبائل الكوكويو النصارى في مناطق المسلمين واراضيهم الخصبة ، مثل أرخبيل لامو ونهر تانا وكوالي ، وهو مشروع توطيني بدأه الرئيس السابق جومو كنياتا ، خص به أفراد قبيلته "الكوكويو" وصرف فيه أكثر المساعدات الخارجية التي تلقتها البلاد . ويتواصل الدعم لهذا المشروع اليوم ، في شكله المعنوي والمادي من قبل المجلس الكنسي الوطني الكيني وبعض المؤسسات التنصيرية الأخرى مثل منظمة (GTZ) الألمانية[٢].
- بث الأخبار والبرامج الإذاعية التنصيرية عبر إذاعة صوت كينيا ، حيث يقدمون سنوياً ٣٥٠٠ برنامج من الإذاعة ، أي بمعدل ١٢ ساعة

---

(١) في مقابلة معه بنايروبي في يوم الخميس ١٤٢١/١٠/٢٢هـ ، الموافق ٢٠٠١/١/١٨م.
(٢) انظر في ذلك الأقلية المسلمة في كينيا ص١٢٤ ، تاج السر حران ، وحدة بحوث التاريخ بعمادة البحث العلمي بجامعة الإمام ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م .

ونصف أسبوعياً ، وتقدم هذه البرامج باللغات الإنجليزية والسواحلية إضافة إلى بعض اللهجات المحلية بينما يتاح للمسلمين ما مدته ٣ أو ٤ ساعات أسبوعياً يقدمون فيها البرامج الخاصة بهم ، ولكن بحمد الله استطاع المسلمون قبل شهرين افتتاح إذاعة خاصة بهم ، وهي إذاعة "اقرأ" وسيأتي الحديث عنها لاحقاً - إن شاء الله تعالى - .

- كما يسيطر المجلس الكنسي على مناصب ومواقع كبيرة في الدولة منها إدارة الهجرة والتي تحتل موقعاً ومبنىً فخماً في وسط العاصمة نايروبي . ويمارس المجلس ضغوطاً مستمرة على الحكومة ، من أجل التضييق على المسلمين ، وقد حاول منع المسلمين من الحصول على جوازات خلال سيطرتهم على هذه الإدارة المهمة. خاصة إذا علموا أنهم سيسافرون إلى بلاد عربية وإسلامية ، وقد حكى لي أكثر من شخص من العاملين في الحقل الدعوي في كينيا عن معانات الشباب الكيني المسلم الراغب في الحصول على جوازات للسفر للدراسة في بعض الدول العربية والإسلامية ، حيث منعت الحكومة هذه السنة الطلاب المسلمين المقبولين للدراسة في بعض الجامعات السودانية من السفر للدراسة في السودان ، ولم تسمح لهم باستخراج جوازات سفر ونحوها من الوثائق المهمة(١) . ورغم الحرية المنصوص عليها في دستور كينيا ، والتي تكفل حق السفر والتنقل لجميع المواطنين ، إلا أن الحكومة الكينية تستجيب للضغوط النصرانية التي تصدر من بعض المؤسسات الكنسية أحياناً ، فتضيق على المسلمين في بعض أمورهم وأنشطتهم .

هذه لمحة موجزة مختصرة عن المجلس الكنسي الوطني الكيني وأهم أنشطته وأبرز أهدافه ، من حيث الدور والمهام ، التي تشبه إلى حد كبير دور المنظمات الدولية الكبيرة والإقليمية .

---

(١) وقد ذكر لي الأستاذ / عصام محي الدين مدير مكتب الدعوة الإسلامية في نيروبي أن حق امتلاك وثائق السفر ليس متاحاً أو حقاً لكل المواطنين في كينيا .

ويظهر لنا من خلال السعي الحثيث لتكوين المجلس ، من خلال المؤتمرات واللقاءات التي كانت تعقدها الكنائس على اختلاف مشاربها ، الحرص الكبير من ملل الكفر على توحيد جهودها والتنسيق فيما بينها في أنشطتها، من أجل نشر باطلها ، والوقوف صفاً واحداً ضد الإسلام وأهله وحصره في أضيق نطاق ، فهل يعي دعاة الإسلام وقادة العمل الإسلامي ومنظماته هذا الدرس ، فيتحدوا ويتعاونوا فيما بينهم - كما يفعل أعداؤنا - من أجل نشر عقيد الإسلام الصافية في تلك الربوع ، التي دنسها المستعمرون النصارى ، بعد أن كانت تحكم بالإسلام عقيدة وشريعة ، وظهرت معالمه في حضارتها وثقافتها وعمرانها .

الباب الثاني

القسم العملي "الدراسة الميدانية"

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : أساليب المنصرين المباشرة.

الفصل الثاني : أساليب المنصرين غير المباشرة.

الفصل الثالث : كيفية مواجهة أساليب المنصرين والجهود المبذولة في ذلك.

تعريف :

هذا الجزء من الدراسة " الباب الثاني " من البحث أو الذي أطلق عليه الدراسة الميدانية ، يعتبر النصف الآخر المكمل للدراسة حتى تتضح الصورة وقد قمت بجمع أكثر مادة هذا القسم أثناء الزيارة الميدانية لدولة كينيا من خلال المقابلات الشخصية والحوارات مع الدعاة والمنصرين الذين اهتدوا للإسلام ورجال الفكر والتعليم والعاملين في الحقل الإغاثي والدعوي ، ومن خلال الجولات والمشاهدات التي قام بها الباحث في بعض مناطق البلاد واطلع فيها على بعض أنشطة النصارى . كما تم جمع بعض هذه المادة من خلال الاستبانة أيضاً ، ومن خلال تحليل المضمون للإنتاج التنصيري في كينيا بكل أشكاله ، إضافة إلى المصادر والمراجع الأخرى ، وهو ما يميزه عن الشق الأول من الدراسة الذي كانت أكثر مادته مستقاة من المراجع والمصادر المكتوبة .

الفصل الأول

أساليب المنصرين المباشرة

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : جهود القسس المباشرة في الأماكن العامة والكنائس .

المبحث الثاني : الحملات التنصيرية المدعومة من قبل المؤسسات .

المبحث الثالث : الرحلات والزيارات البابوية .

المبحث الرابع : الأساليب الأخرى .

توطئة :

يزعم النصارى بورود التكليف إليهم بتبليغ رسالة المسيح إلى جميع البشر ، والانطلاق بها إلى كل أنحاء العالم ، بنشر تعاليم الإنجيل ، ودعوة الناس إلى اعتناق النصرانية ، وذلك على حسب ما جاء في أناجيلهم التي يتداولونها ، ومن ذلك ما جاء في إنجيل متّى : ((فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به ، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر)) (١) .

وجاء في إنجيل مرقس على لسان المسيح - حسب زعمهم - : ((اذهبوا إلى العالم وكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها ، فمن آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن)) (٢) .

وعليه وانطلاقاً من هذه الأصول استمدت النصرانية مبررات ومقومات الدعوة إلى الإنجيل وإلى ما جاء به من تعاليم وشرائع . وأطلق على هذا النشاط مصطلح "التبشير" (Evanglism) مشتقاً من معنى كلمة إنجيل في اللغة اليونانية والتي تعني (البشرى) -Evangel- لأنه أتى ببشرى الخلاص على يد المسيح الفادي ومن ثم فإن تقديم هذه "البشرى" ونشر ما جاء فيها من تعاليم يعد "بشارة" و "تبشيرا" للآخرين - في رأيهم -(٣).

وبناءً على ذلك خرجت البعثات "التبشيرية" منذ فجر المسيحية الأول، متوجهة إلى كل مكان يمكنها الوصل إليه ، واضعة نصب عينيها هدفاً محدداً هو "تنصير المجتمعات غير المسيحية" ونشر المسيحية في كل بقاع الأرض والاستمرار في ذلك النشاط حتى نهاية الخليقة(٤) .

---

(١) إنجيل متى : الإصحاح ٢٨ .
(٢) إنجيل مرقس : الإصحاح ١٦ .
(٣) في الغزو الفكري ، ص٩٨ ، نذير حمدان ، مكتبة الصديق ، الطائف ، بدون ذكر سنة الطبع .
(٤) انظر: التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص ٢٠ ، ابراهيم عكاشة ، ط. دار العلوم للنشر ، الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

وللقيام بهذه المهمة ، استخدم المنصرون - ولا زالوا - مختلف الأساليب والوسائل لنشر تعاليم الإنجيل ومعتقداته . وإن كانت هذه الأساليب والوسائل قد تطورت مع الزمن وطورت نفسها لمقتضيات الواقع وأحواله بحيث أصبح استخدام وسيلة ما ، أو أسلوب ما ، يخضع بالدرجة الأولى إلى طبيعة الجمهور المستهدف في المنطقة التي يجري فيها التنصير، من حيث ظروفه وأحواله السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ومن هنا فقد استخدم النصارى في قارة أفريقيا ودولة كينيا أساليب متعددة سنعرض لها – بإذن الله تعالى – في هذا الفصل ، والفصل الذي يليه .

ومن تلك الأساليب : التنصير الفردي ، أو الوعظ خلال اللقاءات المباشرة في الكنائس والأماكن العامة والمحاضرات ،ومنها الأساليب غير المباشرة من خلال الخدمات التعليمية والصحية ، والوسائل الإعلامية وغيرها مما يأتي تفصيله - إن شاء الله تعالى – .

المبحث الأول
جهود القسس المباشرة
في الأماكن العامة والكنائس

المبحث الأول

جهود القسس المباشرة

في الأماكن العامة والكنائس

١ - المجموعات الصغيرة :

اتخذ العمل التنصيري في شكله المباشر في العقود الماضية والحالية شكل مجموعات صغيرة ودراسات إنجيلية موجهة في الكنائس والبيوت وأماكن العمل ، حيث إن هذا الأسلوب المباشر يفضله البعض من المنصرين إلا أنه يتطلب قدراً كبيراً من الحصافة والحكمة خاصة في المجتمعات الأفريقية مثل المجتمع الكيني نظراً لتعدد القوميات والديانات.

وغالباً ما يتخذ أسلوب التنصير المباشر في كينيا شكل الدعوة العلنية متى كان ذلك ممكنا في قاعة خاصة أو في كنيسة أو في حديقة ، أو منتزه عام في العاصمة ، أو حتى في الإستاد الرئيس كالذي حدث في إستاد العاصمة نيروبي يوم الأحد ١٩ شوال ١٤٢١هـ - ٢٠٠١/١/١٤م ، أثناء زيارتي لكينيا وقد دعي له المسلمون والنصارى على حدٍ سواء ، وكثيراً ما يلاحظ المرء دروس الوعظ والتوجيه النصراني منتشرة في كل مكان بصورة فردية أو جماعية وقد يأتي هذا الوعظ في شكل أحاديث مباشرة أو حوارات و ندوات ومناقشات بقيادة تلك المجموعات .

وقد توصل المنصرون من خلال دراساتهم وبحوثهم المستمرة في مجال العمل التنصيري إلى عدد من القواعد والوصايا التي التزموا بها في هذا الصدد ، منها الآتي(١):-

أ - في مجال تنصير المسلمين (العوام) والوثنيين، يجب على المنصرين أن يتعلموا لهجاتهم العامية ومصطلحاتها ، نظرياً وعملياً ، وأن

(١) انظر: الإذاعات التنصيرية ، ص٤٥ ، كرم شلبي ، مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

يخاطبوا هؤلاء العوام على قدر عقولهم ومستوى علمهم ، كما يجب أن تُلقى عليهم الخطب بأصوات رخيمة وبفصاحة ، وأن يخطب المبشر وهو جالس ليكون تأثيره أشد على السامعين وألا تتخلل خطبه كلمات أجنبية ، وأن يبذل جهده وعنايته في اختيار الموضوعات ، وأن يكون على علم بآيات القرآن والإنجيل ، وأن يستعين قبل كل شيء بـ "الروح القدس" والحكمة الإلهية .

ب - ينبغي استخدام الوسائل المحببة لدى المسلمين العوام والتي تجذبهم وتجعل "المبشرين" محبوبين لديهم ، وأهم هذه الوسائل استخدام الموسيقى - التي يميل إليها الأفريقيون كثيراً - وعرض مناظر الفانوس السحري عليهم .

جـ- يجب أن يدرس المنصرون القرآن ليقفوا على ما يحتويه .

د - يجب ألا يثار نزاع مع مسلم .

هـ- يجب إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداءً لهم .

و - يفضل أن يكون "تبشير" المسلمين بواسطة "رسول من أنفسهم" ومن بين صفوفهم .

ز - يجب أن تقوم المنصرات بزيارة بيوت المسلمين والاجتماع بالنساء ، وتوزيع المؤلفات والكتب التنصيرية عليهم فضلاً عن المحاضرات الدينية في تعاليم الإنجيل .

٢ - المحاضرات والمناظرات العامة :

وهذه الطريقة تتلخص في إقامة المناظرات والمحاضرات العامة في الساحات ، وغالباً ما تقوم بها الكنائس غير الكاثوليكية كالكنائس البروتستانتية والنظامية والكنائس المستقلة .

ومن أشهر هذه الكنائس " كنيسة كِريسكو" وهي كنيسة أمريكية ، ويعتبر أتباعها أكثر النصارى حباً للمناظرات والمحاضرات في الساحات العامة ويتجولون من منطقة لأخرى .

ويذكر القسيس السابق أحمد شيكوكو[١]: أن أعضاء كنيسة كريسكو من أشد الطوائف النصرانية عداءً للإسلام والمسلمين ، ويتمتعون بدعم أمريكي مباشر وعدد من المنظمات الغربية ، ولأنهم من عشاق المناظرات نجدهم يركزون في عملياتهم التنصيرية على تنصير واستقطاب الفصحاء من الناس حتى يستغلونهم في تنصير الآخرين، ويغدقون عليهم الأموال الطائلة. وقد رأيت أحد القاسوسة التابعين لهم في مدينة نيروبي - أثناء زيارتي لكينيا - يمتلك منزلين في العاصمة وأكثر من سيارتين ، كما تتكفل الكنيسة بنفقات تعليم أبنائه في المدارس وعلاجهم في أرقى المستشفيات وذلك حتى يتفرغ لهم تماماً .

وتجرى تلك المناظرات والمحاضرات عادة في الساحات العامة ، وهي ساحات مملوكة للبلدية أو أمانة المدينة "City Council" فمثلاً في العاصمة نيروبي تقوم بلدية نيروبي بإيجار تلك الساحات لمن يريد أن يستغلها للتبشير لدينه أياً كان مسلماً أو نصرانياً أو غير ذلك ، ولأن الكنيسة تمتلك أموالاً طائلة فهي تقوم باستئجار جميع الساحات البارزة في المدينة لمدة سنة كاملة ويدفعون المبلغ مقدماً لأمانة المدينة .

ومن أشهر الساحات التي تقام فيها مثل هذه المحاضرات والمناظرات في نيروبي :

- ساحة ناكومات[٢] .
- ساحة مبنى الهجرة .
- حديقة ميدان الحرية (Uro park) .

---

(١) جاء ذلك في مقابلة مع القس المذكور بعد إسلامه في مدينة نيروبي يوم الجمعة بتاريخ ١٠/١٠/١٤٢١هـ ، وكان اسمه بيتر مجنوى والآن اسمه أحمد ، وقد ترقى في سلم الكنيسة الكاثوليكية حتى وصل إلى درجة "كيبا أمارة" وهي درجة يمنحها البيشوب - رئيس بعثة الكنيسة في المحافظة - للناشطين من الأعضاء ، وكان يقوم بأعمال النيابة في الكنيسة الكاثوليكية ، ثم انتقل إلى كنيسة رديم جوزبايل ، وبعدها هداه الله للإسلام ، وهو الآن من دعاة منظمة الدعوة الإسلامية في كينيا .

(٢) ناكومات : اسم لأسواق كبيرة تنتشر في وسط المدينة والأماكن الراقية ، وهي تعني باللغة السواحيلية (الفيل) .

- ساحات السينما ، مثل (كانو سينما) وغيرها .
- الإستاد الرئيسي .
- ساحة البلدية .
- ساحة مدرسة أوكوليما .
- إضافة إلى الشوارع المفتوحة والأماكن التي يحتفل فيها الناس ويتجمهرون .
- أما في القرى والريف فأنسب الأماكن لذلك هي ميادين المدارس وساحاتها .

أوقات المحاضرات والمناظرات :

أما أفضل الأوقات التي ينشط فيها المنصرون لإجراء مثل تلك المحاضرات والمناظرات تتمثل في أوقات الظهيرة وخاصة ما بين الساعة (١ ـ ٢) ظهراً ، وهي فترة الاستراحة في الدوام الرسمي من كل يوم ، حيث يبدأ العمل في الصباح عند الساعة التاسعة ويستمر إلى الواحدة ظهراً. بعدها يخرج الموظفون للغداء أو الاستراحة لمدة ساعة واحدة ثم يستمرون إلى الساعة الخامسة وينصرفون نهائياً . وفي هذه الساعة ترى جميع العمال والموظفين يندفعون إلى الشوارع خارجين من أماكن عملهم وحداناً وجماعات .

أما الأنشطة التي تقام في ساحات السينما فتجرى ظهراً وأحياناً يفضل لها أوقات المساء بعد انتهاء العرض .

ويسلك النصارى في محاضراتهم ومناظراتهم هذه مسالك وطرق شتى نذكر منها :

الطريقة الأولى :

يقول الشيخ هارون أودندو أويتتو ـ قسيس سابق – : إن من أهم العوامل التي يستخدمها المنصر في عملية التنصير المباشر عامل اللغة .

فعامل اللغة يعتبر من العوامل المهمة في عملية التنصير[١]. فهو كان يستخدم لغة الأوغندا ،والسواحيلية ، والإنجليزية ، ولغة لوو ، وهي لغة قبيلته الأم في كينيا . ثم يأتي بعد ذلك التعرف على القبيلة المدعوة هل عندهم أخلاق حسنة؟ وهل هم مساكين أم أغنياء؟ ثم بعد ذلك تحدد الدعوة.

أما عن المحاضرات التي يقيمها فكان يعلن عنها في اللافتات أو عبر الإذاعة والتلفزيون ، أو عبر المنشورات ، وفي داخل أروقة الكنيسة ، ويحضر الناس وتبدأ المناظرة أو المحاضرة .

ويضيف الشيخ هارون أن من العوامل التي يركز عليها القسيس أيضاً مسألة الزي واللباس ، فلذلك كان يلبس لباساً مناسباً وجذاباً ويبدأ أولاً بالحديث عن سيرته والنفع الذي حصل له بسبب عيسى وقبوله له مخلّصاً، ثم يدعوهم لما يؤمن به ، ويشرح لهم محاسن المسيحية حتى يقتنعوا بها.

ومن أهم المحاضرات التي أقامها كانت في منطقة كولا مسقط رأسه، ثم منطقة كيسومو ، ثم منطقة كثرا .

الطريقة الثانية :

أنه عندما يقف خطيبهم (Pastor) أمام الناس ويتكلم - خاصة البروتستانت - يتمثل للناس كأنه يتخاطب مباشرة مع الله ، فيشد انتباه الحضور ، حتى يخيل إليهم أن عيسى[٢] يتكلم معه في اللحظة نفسها . ثم يتحدث عن مشكلات الناس اليومية التي هي موجودة أصلاً في حياة النلس وواقعهم ، فيقول : أنا أعرف أن في هذا الجمع أناس فقراء ، ومرضى،

---

(١) جاء ذلك في المقابلة التي أجريتها معه بمدينة نيروبي بتاريخ ١٤٢١/١٠/١٣هـ الموافق ٢٠٠١/١/٨م ، وهو قسيس سابق في الكنيسة الكاثوليكية وابن قسيس أيضاً ، وترك الكنيسة الكاثوليكية بعد فترة وانضم إلى الكنيسة اللوثرية وعمل محاضراً ومعلماً للإنجيل ، ولما لم تقنعه الكنيسة اللوثرية تركها أيضاً ، وتنقل بين عدة كنائس ، ثم اهتدى للإسلام ، وهو الآن من كبار الدعاة ، وسنتطرق فيما بعد إلى جهوده في الدعوة ومناظرة النصارى .

(٢) لأن النصارى يدينون بعقيدة التثليث فلا يفرقون بين الإله وعيسى عليه السلام فهو عندهم الأب والابن والروح القدس ثلاثة في واحد ، وواحد في ثلاثة .

وأصحاب ديون ، وفيهم من يريد أن يتزوج ، ولكن لا يجد المال الكافي وهكذا ... فيوهم الناس بذلك ، كأنه عرف هذا من خلال كلامه مع عيسى . - وهي مشكلات واقعية موجودة لدى الناس - فيصدق الدهماء ذلك ويعرضون مشكلاتهم عليه ، وهنا ينتهز القسيس الفرصة ويقول لهم هل قبلتم أن يكون عيسى معكم في حياتكم ويساعدكم في معيشتكم ، فيقولون قبلنا فيضمهم إليه ثم يعمدهم .

وأكثر من يستخدم هذه الطريقة كما يقول الشيخ أحمد شيكوكو(١): هم كنيسة (بينتو كوستال) ، وأكثر أتباعها من قبيلة لويا ، وهم يدَّعون أنهم يرون روح القدس بالعين، وأن عيسى يتكلم معهم مباشرة في أي لحظة.

طريقة ثالثة :

وهو ما يسمى بأسلوب الشهادة (Testimonial) وهذا عندما يشفى مثلاً أحد الذين كانوا قد حضروا المحاضرة السابقة من مرضه ، أو يجد عملاً ، أو تتحسن أحواله - بإذن الله تعالى - حيث كان القس يقول للحضور من يجد شيئاً من ذلك يحضر إلينا - أي بتحسن أحواله - يحضر إلينا الأسبوع القادم ، وطبعاً - بإذن الله - خلال هذا الأسبوع هناك من يشفى من مرضه أو يحصل على فرصة عمل أو تتحسن أحواله شيئاً ما ، فيظن أن هذا بفضل قبوله لعيسى . وهنا ينتهز المنصر الفرصة ويقول للناس: انظروا إلى هذا الشاهد الحي قد حصل له ما حصل من النفع والبركة بسبب قبوله المسيح مخلّصاً فهلموا إلينا .

طريقة رابعة :

وتتمثل في الاستدلال بآيات من الإنجيل تتحدث عن آخر الزمان حيث يكون هناك حروب وأمراض فتاكة تنتشر بين الناس ، وحتى في إطار الأسرة الواحدة . ويستدلون على ذلك بأحداث رواندا ، وبورندي ،

---

(١) في الحوار الذي تم معه بنيروبي ، مصدر سابق .

والبوسنة والهرسك ، والصومال ، والشيشان ، وانتشار الأمراض المستعصية مثل مرض الإيدز ، والسرطان ، وغيرها . - كما يزعمون - فيصدق الناس البسطاء أن هذا فعلاً آخر الزمان وقد صدق الإنجيل، وهنا يقول لهم المنصر استعدوا وجهزوا أنفسكم وانضموا لعيسى لأنه هو الوحيد المخلص حيث وهب نفسه فداءاً للبشرية كي يخلصنا من هذه الشرور.

طريقة خامسة :

ومما يدور في هذه المحاضرات الحديث عن شخصية عيسى عليه السلام في ذاتها فهم يقولون للناس إن آمنتم بأن عيسى مخلص ومنقذ بجسده من كل المشكلات ، ويقود إلى حياة سليمة ، فإنه لا يكون عندكم أية مشكلة ، أياً كانت اجتماعية أو اقتصادية أو صحية ، وهنا يركز المنصر على شخصية عيسى وقدراته ومعجزاته لإقناع الآخرين ، وليس من خلال التعاليم التي جاء بها عيسى حسب نصوص الإنجيل لأنها متناقضة وتدحض قولهم وتبطل حجتهم .

وبما أن المجتمع في أغلبه خاوٍ روحياً فكثيرون من المنغمسين في هذه المشكلات يتشبثون بالنصرانية على أمل حصولهم على الخلاص والنجاة من لدن عيسى المسيح عليه السلام .

ومن مظاهر التنصير والدعوة المباشرة له ، الدعواة الواضحة من بعض الكنائس في لوحات الطرق التي توجه النداء للجمهور للالتحاق بالكنيسة ، مثل : كنيسة رديم تدعوك للصلاة مع المسيح . ونحوها . كذلك الصلبان التي تزين بها واجهات بعض المحلات التجارية ، وعبارات تمجيد المسيح وغيرها .

هذه صورة مختصرة لنماذج من أساليب المنصرين المباشرة في كينيا في بلد تطغى فيه مظاهر الحضارة الغربية والكنيسة على واجهة الحياة وعلى سلوك الناس ومعاشهم حيث المظاهر النصرانية والموسيقى الغربية تمثلان حضوراً قوياً في كل شيء وفي كل مكان .

المبحث الثاني
الحملات التنصيرية
المدعومة من قبل المؤسسات

المبحث الثاني

الحملات التنصيرية

المدعومة من قبل المؤسسات

يتناول هذا المبحث جهود الحملات التنصيرية التي استهدفت تنصير الشعب الكيني وتغيير عقيدته ، سواء كانت هذه الحملات بقيادة مؤسسات كنسية تنصيرية واضحة ، أو مؤسسات تنصيرية غير كنسية مثل المؤسسات التعليمية والمنظمات والهيئات ، ولكنها ترعى وتدعم الأنشطة التنصيرية في البلاد . ونذكر أبرزها على النحو التالي :-

١ - حملة جامعة (Daystar) (كوكب النهار) :

جامعة داى استار ، أو كوكب النهار إحدى الجامعات الكينية ومقرها في نيروبي إلا أنها تختلف عن الجامعات الأخرى في كونها جامعة أهلية ذات صبغة نصرانية حاقدة ، تتلقى دعماً منقطع النظير من قبل الهيئات والمؤسسات التنصيرية المنتشرة في أوروبا وأمريكا ، ولها ارتباطات وعلاقات وطيدة بمعهد زويمر التنصيري في الولايات المتحدة الأمريكية(١).

كانت بداية الحملة التنصيرية التي قادتها هذه الجامعة عقد مؤتمر تنصيري سري لمنصري كينيا بعد أن خططت له ورعته ، وكان ذلك في شهر نوفمبر عام ١٩٨٩م/١٤١٠هـ . وقد تم عقد المؤتمر في مقر الجامعة كامتداد للمؤتمر الخامس لمجلس الكنائس العالمي الذي عقد في العاصمة الكينية نيروبي عام ١٩٧٥م ، إلا أنه بفضل الله تعالى استطاع

---

(١) وقد قمت بزيارة هذه الجامعة إبان رحلتي العلمية إلى كينيا وطلبنا الدخول إلى المكتبة أنا ومرافقي الشيخ هارون أودندو فمنعنا من ذلك بحجة أن الجامعة هذه الأيام في عطلة ، ولكن الشيخ هارون أخبرني بأنه لا يسمح للمسلمين بدخول هذه الجامعة ، وأنه قد حاول ذلك مراراً ولم يفلح وأنها تفتح أبوابها للطلاب النصارى فقط ولا يوجد فيها أي طالب مسلم.

أحد المسلمين التسلل إلى قاعات المؤتمر فكشف جميع مادار فيه ، وعرف خباياه وبنوده التي كان من أهمها :

تبني خطوط جديدة مباشرة في عملية التنصير ، بحيث تكفل ضمان تنصير المسلمين ، وذلك من خلال نشر الأناجيل داخل بيوتهم ، واستخدام اسم عيسى بدلاً من يسوع عند مخاطبتهم ، ودراسة الإسلام ومذاهبه وفرقه للوقوف على نقاط الضعف والاختلاف فيها والاستفادة منها في عرقلة مسيرة الدعوة الإسلامية ووقف المد الإسلامي ، وبلبلة أفكار المسلمين وعقائدهم بصورة مباشرة وبالتالي اصطيادهم للدخول في حظيرة النصرانية ، كما كان من تلك البنود والخطط دراسة المنظمات الإسلامية ونشاطها ومصادر تمويلها ، إضافة إلى مساعدة المنصرين الجدد ودعمهم مادياً ومعنوياً(١).

وهذه الخطوات كلها تأتي في إطار حملة تنصيرية كبيرة تقودها الجامعة تحت مسمى "مشاريع الإسلام في أفريقيا" (Islam Projects in Africa) ويهدف هذا المشروع إلى دراسة الإسلام في كينيا وأفريقيا جنوب الصحراء ليتمكن المنصرون من وضع البرامج المناسبة لتنصير المسلمين.

" وقد حضر هذا المؤتمر (٨٩) منصراً وممثلاً لجهات تنصيرية من مختلف أنحاء كينيا ورصدت تلك الجامعة لهذه الحملة مبلغاً وقدره (٥٦) مليون جنيه استرليني ، يوزع على كنائس البلاد لغرض تنصير أبناء المسلمين عبر استيعابهم في منح دراسية ، ودفع رسوم الدراسة عنهم، ومساعدة المتنصرين منهم في دفع إيجار منازلهم التي يسكنونها ، وتعليمهم الطقوس النصرانية . إضافة إلى تأهيلهم مهنياً ، وتزويدهم برؤوس الأموال، وتعبئتهم للعمل في الكنائس"(٢).

(١) انظر: مجلة البيان ، ص٩٧ ، ٩٨ ، العدد (٨٧) ، ذو القعدة ١٤١٥هـ .
(٢) الدعوة الإسلامية في كينيا ، ص٦٧ ، حسن إبراهيم برالة ، مرجع سابق .

كان المتحدث الأول في هذا المؤتمر الدكتور هافكين (Hafhkean) أستاذ الشؤون الإسلامية في أفريقيا بجامعة داى ستار المذكورة ومؤسس مشروع "مشاريع الإسلام في أفريقيا" فتحدث عن دين المسلمين وسلوكهم وكيف يمكن للمسيحيين أن يتسللوا داخل المجتمعات الإسلامية في كينيا ، وقد اقترح هافكين بعض المقترحات التي من شأنها دفع العمل في الكنيسة نحو الأهداف المرسومة ، نذكر منها(١) .

- أن تبني الكنيسة عيادات صحية في الأماكن التي يقيم بها المسلمون صلوات الجماعة ، كما ستقوم الكنيسة ببناء بيوت لهم في المنطقة الساحلية والولايات الشمالية الشرقية .
- على المبشرين (المنصرين) ورعاة الكنيسة أن يضحوا وأن يساعدوا بكل السبل المسلمين الذين اعتنقوا المسيحية وعليهم دراسة سلوك أغنياء المسلمين وعاداتهم واقتصادهم ، وعليهم كذلك أن يعرفوا تعداد المسلمين في كينيا ، وبما أن اللغة العربية أهم لغة لدى المسلمين فإن جامعة داى استار سوف تعلم هذه اللغة لرعاة الكنيسة الراغبين في تعلمها .
- للحد من ظاهرة اعتناق المسيحيين (النصارى) للإسلام لابد من القيام بسعي جاد ليعجز المسلمون عن حمل المسيحيين على اعتناق الإسلام، إذ إنه كان من الصعب في سابق الزمان أن نجد مسيحيين من قبائل كيكويو ، وكامبا ، ولوهيا ولوو ، يعتنقون الإسلام ، وحتى لو أحب مسيحيون من هذه القبائل الإسلام فإن اللغة كانت عقبة كأداء في وجوههم ، أما هذه الأيام فقد ترجم المسلمون كتبهم إلى اللغات المستخدمة في هذا البلد ، بل ويمكن سماعهم وهم ينشرون دينهم عبر إذاعة صوت كينيا .
- من أجل تحقيق هذه الأهداف التي ننشدها علينا أن نستخدم كل الطرق والوسائل المادية وأن نترجم كتبنا وأن نطبعها باللغة العربية رغم

---

(١) مجلة البعث الإسلامي ، عدد (٢) مجلد (٣٥) ، ص٥٦ ، وما بعدها ، شوال ١٤١٠هـ - مايو ١٩٩٠م ، صادرة عن ندوة العلماء في الهند ، لكناو .

إيمان المسلمين القوي والراسخ . وبما أنه يمكننا أن ننفق عليهم المزيد من المال ، فيمكننا إعطاء المنح الدراسية للمحتاجين والمتفوقين من الذين اعتنقوا المسيحية ، وسيكون لهذا أثر كبير على الذين يتلقون المساعدة ، وبالتالي سننجح في حمل المزيد من المسلمين على اعتناق المسيحية ، وأخيراً ، وإلى جانب ما قد شرحناه بالفعل ، فإنني أقترح أن تكون "المناظرات" واحدة من سبل نشر الدين المسيحي بين المسلمين ، فالمناظرات تجعلنا نستعد جيداً في قسم الإسلام بجامعتنا ، فإنه من الضروري أن نعرف دينهم ، وبمعرفة دينهم نعرف السبل التي يمكننا انتهاجها للوصول إليهم " .

وكان المتحدث الثاني - وهو من أنشط من حضر هذا المؤتمر السري من المنصرين - الدكتور توكويو النيجيري الجنسية ، ارتد عن الإسلام واعتنق النصرانية عام ١٩٦٩م ، ويشرف حالياً على أحد المراكز التنصيرية في كينيا ، إضافة إلى كونه أمين عام اتحاد الزمالة التبشيرية لمدغشقر وأفريقيا الشرقية والوسطى ، ومقرها بنيروبي ، وكان موضوع حديثه: "كيف نواجه المسلمين" ومن أهم ما جاء فيه(١):

- يجب بذل كل الجهود ، وعلى رؤساء الكنيسة أن يسعوا إلى مساعدة المسلمين وحبهم لأنني أعرف جيداً ضعف المسلمين الذين يعشقون تلك الأشياء التي يحبونها في حياتهم ، وسوف أتعاون شخصياً (فيما يتعلق بالمسلمين الذين بدلوا دينهم) مع الأسقف غيتونغا (Gitonga) الذي سوف يقدم خلاصة تحقيقاته عنهم في مناطق إيست ليه (East legh) وما ثار (Mathar) وبوموانى (Pumwanni) والذين نبذوا الإسلام ويريدون فتح أكشاك أو تجارة صغيرة ، سيحصلون على مساعدة مادية من كنيسة الإنجيل المخلص (Redeemed Jospel Charch) وستتبرع بهذا المال منظمة أمريكية معروفة ، ولدينا في الوقت الحالي راعي كنيسة واحد من الأصل الصومالي ، وسيتم استخدامه بين

(١) انظر: الدعوة الإسلامية في كينيا ، ص٦٧ ، حسن برالة ، مرجع سابق .
: مجلة البعث الإسلامي ، عدد ٢ ، مجلد ٣٥ ، ص٥٨ ، ٥٩ .

الصوماليين ؛ فقد نشأ في بيئتهم وسيكون مفيداً لنا كلنا جداً ، ويجب أن نجد وسائل مناهضة للإسلام من آيات العهد القديم ، وعلينا أن نبذل كل الجهد للحصول على المعلومات عن الروابط الإسلامية ، وكيف هي تحصل على المال لإدارة المساجد ودفع مرتبات المدرسين ، وأن نعرف كمية المرتبات التي يتقاضاها كل مدرس .

- يجب أن ندرس بعناية المسلمين الذين بدلوا دينهم وأقبلوا على دراسة اللاهوت ، ويمكننا بعد ثلاث سنوات ، أن نعطيهم منحاً دراسية ليدرسوا في الخارج ، وسيكون علينا أن نعطي بيوتاً للمسلمين الذين بدلوا دينهم . أ.هـ

وكان المتحدث الثالث هو القسيس جيمز بغز (James Beggs) وهو راعي كنيسة بالمركز الدولي المسيحي (International Cnristian Centre) بنيروبي، وكان عنوان حديثه : "أساليب نشر المسيحية بين المسلمين" ، فقال للمشاركين إن كنيسته تقيم الصلوات الإسلامية يوم الجمعة في الساعة الواحدة بجامعة شرق أفريقيا اللاهوتية (Eeast Africa University of thedogy) وأنه سيدعو المسلمين في المستقبل ليحضروا صلوات الجماعة ، ومضى يشرح أن على رعاة الكنيسة وأتباعهم ، رجالاً ونساءً ، أن يزوروا المسلمين في بيوتهم وأن يساعدوهم ، وأضاف قائلاً : وعليكم كذلك أن ترسلوا مخبرين ليخبروا بأنشطة المسلمين ، والخلاف بين الشيعة والسنة، كما يجب متابعة المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام وإقناعهم ليحيوا حياة جديدة ويعودوا إلى المسيحية ، وعلى رعاة الكنيسة أن يستخدموا "عيسى" بدلاً من "يسوع" عند مخاطبة المسلمين ، ويجب أن تكون هناك رابطة دولية لها فروع لمساعدة المسلمين الذين يتحولون إلى النصرانية ، وإرسالية بلال المسلمة[١] التي تقدم مساعدتها للمسيحيين الذين يعتنقون الإسلام[٢].

---

(١) انظر الخبث والمكر في تسمية الإرسالية باسم (بلال) الصحابي المعروف ، وهذا إمعاناً في التضليل للمهتدين الجدد من النصارى وإشعارهم بأنه لا فرق بين الإسلام والنصرانية وبالتالي يمكن إقناعهم فيعودوا مرة أخرى للنصرانية .

(٢) انظر: المصدر السابق مجلة البعث الإسلامي ، ص٥٩ ، ٦٠ .

أما المتحدث الأخير هو القسيس إسحاق سيمبيري الذي يتولى منصب أمين عام اتحاد كينيا التبشيري (Kenya Evangelism Association) الذي يتبع لكنيسة أفريقيا الداخلية ، وكان موضع حديثه : "الأشياء التي خصصت للمسلمين" فقال :

"إن الهدف الرئيسي لمشروع "مشاريع الإسلام في أفريقيا" الذي يقوده الدكتور هافكين ، هو (خلق) الوعي بين الكنائس جنوب الصحراء لفهم المسلمين وتفهم آرائهم ، ويبذل مشروع "مشاريع الإسلام في أفريقيا" كل الجهود لتحقيق هذا الهدف ، ويجب إقناع المسلمين رجالاً ونساءً ، بكل الطرق الممكنة " وعلى رعاة الكنيسة أن يستخدموا التكتيكات الجديدة والذكية لمناهضة المسلمين ، ولقد خصصت زمالة كينيا التبشيرية مبلغاً من المال ليستخدم من أجل مناهضة المسلمين في كينيا"(١) .

هذه لمحة مختصرة عن تلك الحملة التنصيرية الشرسة التي تقودها هذه الجامعة .

(١) مجلة البعث الإسلامي ، عدد ٢ مجلد ٣٥ ، ص٦٠ ، مرجع سابق .

٢ ـ حملة زمالة الإنجيل المعمدانية الدولية : (BBFI)[١]

Babtist Bible Fellowship International

دوج ودونا ستامبر:

زمالة الإنجيل المعمدانيـــة الدوليـــة منظمـــة تنصيريـــة أمريكيـــة بروتستانتية المذهب ، يبلغ عدد منصريها حوالي ٧٣٤ منصراً . ومقرهـــا في مدينة اسبرنق فيلد (Spring Field) بولاية ميسوري[٢] .

وقد أرسلت هذه المنظمة حملة تنصيرية إلى كينيا بقيادة دوج ودونـــا استامبرا (Doug & Donnastamper) ، وقد نشأ دوج استامبر نشأ كنيسة منـــذ الصغر حيث كان والداه يعملان في حقل التنصير في أثيوبيا وكينيا ، وهـــو كما يقول قد كان سعيداً بهذه الفرصة التي منحها الله له ليعيش في أفريقيا. أما دونا فقد كانت تعمل ملاحة في القوات الجوية ، وعند إقامة أسرتها في ملفور (Milford) أصبحت مع أسرتها من الأعضاء الناشطين في الكنيســـة المعمدانية الأولى .

التقى دوج ودونا في كلية الإنجيل المعمدانية فـــي اســـبرنف فيلـــد فتزوجا واشتركا معاً في الوصول إلى كينيا من أجل نشر بشارة المســـيح عبر الإنجيل ، وهما منـــذ العـــام ١٩٩٠م ، وحتـــى الآن يعتـــبران مـــن المنصرين الرسميين في منطقة الأراضي المرتفعة بوسط كينيا حيث أقامـــا هناك ، وأنجبا ثلاثة أطفال ومنهجهما في العمل التنصـــيري هـــو القيـــام بحملات تنصيرية جماعية (Team ministry) بالانضمام إلـــى أســـرة دوج (بوب وبيتي استامبر) وذلك بالاشتراك مع أحد عشـــر كنيســـة وإرســـالية تنصيرية على النحو التالي :

١ - كنيسة الإنجيل المعمدانية ثيكا .
٢ - كنيسة الإنجيل المعمدانية مورانجا .
٣ - كنيسة الإنجيل المعمدانية كاباتي .
٤ - كنيسة الإنجيل المعمدانية جوجا.

---

(١) انظر: Dougstamper home page. http:/davinci . csnnetbbfi Missions./Kenya / Stamper.html
(٢) انظر: لمحات عن التنصير في أفريقيا ، ص٢١ ، السميط ، مرجع سابق .

٥ - كنيسة الإنجيل المعمدانية كانجاور أمبو .

٦ - كنيسة الإنجيل المعمدانية كيثيجى .

٧ - كنيسة الإنجيل المعمدانية كيومبو .

٨ - كنيسة الإنجيل المعمدانية كارابا .

٩ - كنيسة الإنجيل المعمدانية كاباتا كيتوى .

١٠-كنيسة الإنجيل المعمدانية قاتوندورى .

١١-كنيسة الإنجيل المعمدانية جيتومبى .

كذلك كانت لدوج ودونا أنشطة أخرى وهي الالتحاق بالتدريس في المعهد الإنجيلي المعمداني بنيروبي ، إضافة إلى مشاركتهم معسكر مخيم الأطفال السنوي الذي تقيمه الكنائس للأطفال التابعين لها . وهما دائما يصليان من أجل هؤلاء الأطفال ، كما يعملان على تثبيت وتعميق رسالة المسيح في قلوب الكينيين .

وحينما نشر دوج ودونا استامبر عنوانهما في شبكة المعلومات الدولية ذكرا أن أهم الاحتياجات التي تتطلبها عملية التنصير في كينيا على النحو التالي :

١ - مزيد من المنصرين والبعثات التنصيرية .

٢ - كنائس مؤسسة لكي تزدهر وتنمو .

٣ - شباب عامل يرغب في تقديم نفسه في سبيل الرب .

٤ - بعض الوقت لإنقاذ الأرواح الضائعة قبل عودة المسيح .

٣ - حملة ايفان ايركسون التنصيرية إلى شعب الماساي:

Evan Erickson to the Maasai People in Kenya Fast Africa[(١)]

قدم ايفان ايركسون وزوجته بيتي إلى كينيا عام ١٩٧١م ، وبعد أن قضيا ثلاثة أشهر في الدراسة في مدرسة اللغات في العاصمة نيروبي ، اتجها إلى محطة الإرسالية في منطقة الشمال الغربي عبر طرق برية وعرة بطول ٢٣٠ ميلاً ، وذلك في شهر مايو من العام نفسه ، بدأ ايركسون وبيتى في التدريس في كلية كيموسي الإنجيلية ، وفي عام ١٩٧٤م ، أصبح ايركسون مساعداً فعلياً لمدير الكلية ، ثم رئيساً لها بعد ذلك وبقي في وظيفته هذه لمدة ١٢عاماً . بعد ذلك نقل ايفان أنشطته إلى نيروبي للعمل وسط قبائل الماساى في الجنوب وبرفقته مجوعة من القساوسة والمنصرين الذين درسهم في الكلية الإنجيلية .

العمل وسط الماساى :

لقد نمت الكنائس الوطنية في الفترة الأخيرة وازداد عددها إلى أكثر من ألف وخمسمائة كنيسة ، وكان عدد من هذه الكنائس تحت قيادة وإشراف كلية كيموسي الانجيلية . لذلك طلبت الكنيسة الوطنية من ايركسون العمل معها في اتجاهين متوازيين :

الأول : تعليم وتدريب القساوسة في شرق أفريقيا لدى معهد مانا الإنجيلي .

الثاني : إعانة قيادة الماساى في العمل المحلي في المقاطعة ، وهذا يشمل فتح وبناء كنائس جديدة ، وأنشطة تنصيرية مختلفة للوصول إلى الناس ودعوتهم ، وإقامة سمنارات ، وعقد مؤتمرات ، وأن هذه الأنشطة - كما يزعمون - قد باركها الرب بفضله خلال الصلوات ومِنح الإله إلى شعبه.

---

(١) انظر: موقع الحملة على شبكة المعلومات الدولية .

http:/WWW. Flash.net/ mcdhb/ Hfrical Pastors – Africa htm .

ومن القساوسة الذين يشاركون إيركسون في عمله وسط قبائل الماساي ، قسان ينتميان إلى القبيلة نفسها هما : جاديال كرابالي ، الذي يشرف على العمل المحلي في المقاطعة ، ودانيال لينجيسا مشرف الفرع ، ويوصف هذان الرجلان بأنهما لا يتعبان ولا تفتر عزيمتهما من أجل نشر الإنجيل وبشارة المسيح عيسى بين أهلهم وشعبهم .

خطط وأهداف العمل وسط الماساي :

يدين ايفان ايركسون وبيتى بالولاء للكنيسة المحلية إذ يعتقدون في أهمية ونجاح الكنائس الوطنية في التنصير ، ولذلك يهدفون إلى إنشاء مراكز تنصيرية وكنائس خارج حدودهم بعد الاعتماد على النفس واعتماد إدارة داخلية . ومن خلال العشور والإعانات التي للكنائس ، تستطيع كل كنيسة محلية أن تدعم قسيسها وراعيها بنفسها .

ايفان ايركسون مسرورون لأنهم يرون القادة المحليين للكنائس يقدرون علاقاتهم بالمراكز التنصيرية الخارجية ، ولذلك هم أصبحوا شركاء مع النصارى الوطنيين لنشر الإنجيل في أفريقيا خلال الإرساليات . ولهذا تتلخص أهداف حملة إرسالية ايركسون في الآتي :-

١ - الاستجابة لنداء الرب والإخلاص له في نشر النصرانية والإنجيل .

٢ - تحقيق رؤيتهم في تدريب القادة والعمال الوطنيين للكنائس المحلية بما يسد الحاجة لذلك ، وخاصة أن اثنين منهم قد تخرجا من قبل في كلية كيموسى الإنجيلية ويعملان كمدراء في المدارس الإنجيلية الإنجليزية السواحيلية تحت إشراف الكنيسة الكينية .

ويعدد ايركسون احتياجات المنصرين المالية في كينيا في الآتي:-

١ - تكاليف التعليم لأبنائهم خاصة في المدارس الثانوية والكليات .

٢ - تكاليف إيجار المنازل في المدن .

٣ - شراء سيارات للبعض منهم .

٤ - زيادة في الدعم أو الراتب الشهري بسبب ضعف الدولار وتضاعف الأسعار لبعض السلع .

احتياجات المشاريع الجارية :

يذكر ايركسون أنه في الوقت الراهن هناك حوجة لبناء عدة كنائس في مقاطعة الماساى ، حيث إنه الآن تعقد كثيراً من مجمعات العبادة والصلاة في العراء ، نظراً لعدم وجود أماكن يلتقون فيها. علماً بأنه لا يمكن إقامة هذه الاجتماعات والحشود في حالات الطقس الرديئة ، ويقدر ايركسون تكاليف البناء في هذه المقاطعة بأنها يسيرة ومنخفضة حيث تعطي الأرض تبرعاً أو مجاناً من قبل الأهالي في أغلب الأحيان ، إضافة إلى تصميمها المبسط ، وأن (٨٠٠) ألف دولار تستطيع تغطية تكاليف كل المباني الضرورية لمؤمني الماساى .

وفي نهاية المطاف يوجه ايركسون دعوة للجميع للمشاركة في هذه الأنشطة والدعوة الحيوية - على حد تعبيره - من خلال العطاء والدعم المباشر أو بالصلاة . ومن كان لديه نية للمساعدة فليساعد في أعمال شعب الماساى في شرق أفريقيا علماً بأن هذه المساعدات ستخصص مائة في المائة لأجل أغراضها(١) .

وقد تعددت الحملات التنصيرية الموجهة إلى كينيا في الآونة الأخيرة وتنوعت أنشطتها ومقاصدها . فهناك الحملات التي تخصصت في تنصير طائفة أو قبيلة معينة من المجتمع الكيني مثل حملة "بوبي وليزا بيشتل" (Bobby and Lisa Bechtel) التي خصصت كل عملياتها وسط الجماعات التي تنحدر من الأصول الأسيوية ، سواء كانوا مسلمين أو على ديانات هندية تقليدية ، والذين يقدر عددهم بنحو ٤٠٠,٠٠٠نسمة(٢) .

وهذه مشابهة لحملة ايفان ايركسون التي سبق ذكرها والموجهة إلى شعب أو قبائل المساساى .

---

(١) انظر : E.Erickson @ Maf. Org. Copyright 1997 Global ooutt reach, Inc, All rights Reserved

(٢) انظر : Http: // bbfi – Missions . org / Bechtel / Purpose. Htiml .

وبعض الحملات تخصصت في مجال معين من الأعمال مثل حملة نيت وكيم سمث التبشيرية الطبية إلى كينيا (Nate and Kimsmith – Medical Missionaris to Africa) وهذه الحملة تابعة لإرسالية افريقيا الداخلية ومتخصصة في التنصير عبر الأعمال الطبية حيث تدير مركز كيجابي الطبي في منطقة رفت فالى (Rift Valley) بالإضافة إلى أعمالهم في تدريب الأطباء الجدد والبرامج الطبية الأخرى ، ويصرحون بأن هذا العمل ليس هدفه علاج الأفراد إنما هدفه إيجاد علاقة بينهم وبين المسيح(١) .

وأغلب هذه الحملات تنطلق من أمريكا ثم تليها أوربا .

وبعد فهذا عرض مختصر لأنشطة وجهود بعض تلك الحملات التنصيرية في كينيا والمدعومة من قبل النصرانية العالمية ومؤسساتها في أمريكا وأوروبا وغيرها . والتي توضح مدى صبر النصارى وجلدهم وحرصهم على نشر عقيدتهم ، فها هي جامعة كوكب النهار التي يفترض فيها أنها مؤسسة أكاديمية علمية تمارس التنصير من طريق أو آخر ، ودوج ودونا ستامبر القادمان من أمريكا يعيشان مع أطفالها في أدغال أفريقيا ، وهكذا فعلت عائلة ايفان ايركسون ، كل هذا من أجل عقيدة الصليب والتثليث ، فهل يضحي دعاة الإسلام مثل هذه التضحية ويصبرون هذا الصبر على دينهم الحق وعلى نشر خيره العميم بين أهل أفريقيا الطيبين ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل .

---

(١) انظر : Http: //www. Webwink. Con / Nate and Kim

المبحث الثالث
الرحلات والزيارات البابوية

المبحث الثالث

الرحلات والزيارات البابوية

تواصل النصرانية المدعومة مادياً ومعنوياً من أوروبا وأمريكا توسعها في أفريقيا وتتغلب على المصاعب التي أعاقت تقدمها خاصة قضية ارتباطها بالثقافة الغربية .

لقد رأى الأفارقة في النصرانية ثقافة غريبة تريد تدمير هويتهم الثقافية الأفريقية ، كما أنها مرتبطة في الأذهان بالغزو الغربي السياسي والثقافي والاقتصادي . وقد عادت الأديان القديمة إلى الظهور عندما نمت موجة الوطنية الأفريقية والرغبة في التأكيد على الهوية الثقافية الأفريقية ، وشملت هذه العودة رجال الفكر والمثقفين والسياسيين .

وكان من مظاهرها بروز فلسفة الجنس الأسود ، التي قادها الرئيس السنغالي الأسبق ليوبولد سنغور ، والتي تهدف إلى إعادة التأكيد على الهوية الأفريقية التي دمرها الحكم الاستعماري الغربي ، ومحاولته احتواء الأفارقة ثقافياً ، وكذلك اختلاف الرئيس الزائيري السابق موبوتو سيسي سيكو ، مع الكنيسة الكاثوليكية القوية في بلاده ، عندما دعا إلى "الأفرقة"، وغير اسمه المسيحي إلى اسم أفريقي ، ودعا مع غيره من الزعماء الأفارقة إلى بناء مجتمع أفريقي يرتكز على المفاهيم الأفريقية ، لا على المفاهيم الأوروبية المستوردة .

وانطلاقاً من هذه الحيثيات ، قام الرئيس الزائيري بحملة واسعة للعودة بالبلاد إلى الأصالة الوطنية ، لطمس آثار الاستعمار نهائياً ، فقرر تغيير أسماء الأماكن الرسمية ، فاختار "زائير" اسماً للبلاد بدلاً من "الكنغو" واختار "تابا" للألقاب بدلاً من "كاتنجا" وهكذا ... كما أنه أمر النصارى الوطنيين بتبديل أسمائهم النصرانية بأسماء أفريقية ، بعد أن ضرب بنفسه

مثلاً لذلك ، عند ما غير اسمه من جوزيف ديزيرى إلى موبوتو سيسي سيكو[١] .

كانت هذه الأمور بمثابة تهديد لوضع النصرانية في أفريقيا مما دفع البابا لأن يعجل بوضع برنامج لإنقاذ المسيحية في أفريقيا وإقامة "مسيحية أفريقية" ، فبذلت جهودٌ ضخمة لصبغ المسيحية بصبغة محلية وإقامة "مسيحية أفريقية" - على حد زعم البابا - ، كما أكد ذلك أحد زعمائهم بقوله : "حان الوقت لكي تتصالح المسيحية مع الديانات الأفريقية وأساليبها، وأن يكون طابعها "صنعت في أفريقيا" . كما قال البابا بولس السادس في زيارته لأوغندا عام ١٩٦٩م :"إن تكييف الحياة المسيحية في المجالات الدعوية وفي مجالات الطقوس والنشاطات التعليمية والروحية ليس ممكناً فحسب بل إن الكنيسة تشجعه ، وتجديد القداس مثال حي على ذلك ، وفي هذا الاتجاه يمكنكم ويجب عليكم أن تكون لكم مسيحية أفريقية"[٢] .

ومن هذه المنطلقات كان اهتمام البابا الكبير بأفريقيا ، وازداد حماسه لنشر النصرانية فيها على أوسع نطاق حتى رفعت الكنيسة شعار أفريقيا نصرانية عام ٢٠٠٠م .

البابا بولس السادس وأفريقيا :

سجل البابا بولس السادس أول زيارة في تاريخ البابوية لأفريقيا في رحلته إلى أوغندا عام ١٩٦٩م[٣] .

جاءت هذه الزيارة لأوغندا بعد المؤتمرين التبشيريين الذين عقدهما في أفريقيا المنصرون الأفارقة ، كان أحدهما في الكلية الملكية بنيروبي - كينيا - والثاني في كلية ماكيرى بمدينة كمبالا - أوغندا - ودرسوا فيهما الوسائل والإمكانيات لمجابهة نفوذ الإسلام ، وإشراك المسيحيين الأفارقة

(١) انظر: الإسلام في مواجهة أعدائه ، ص٤٢٧ ،توفيق على وهبة ،ط. درا اللواء للنشر والتوزيع . الرياض ١٤١٣هـ/١٩٨٣م .
(٢) انظر: وقائع مؤتمر الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ص٣٣١ ، عن الوسائل والخطط للدعوة الإسلامية ، نيروبي ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
(٣) المشروع التنصيري في السودان ، ص١٣٤ ، حسن مكي ، مرجع سابق .

في السلطة الكنسية وإزالة الكراهية التي نشأت مؤخراً في قلوب الشعب الأفريقي نحو الإرساليات التنصيرية والدعوة النصرانية في الفترات الماضية . فكانت هذه الزيارة بمثابة الثمرة لتلك المؤتمرات[١].

وقد اعتبرت الزيارة حدثاً تاريخياً كبيراً ، إذا أخذنا في الحسبان وجود أكبر أقلية كاثوليكية أفريقية في أوغندا . وقد سبق الرحلة إعداد كبير ونفقات ضخمة حتى شملت الحملة طرح طوابع بريدية ولافتات دعائية صور عليها البابا . وقد رسمت الخطة بإتقان لتحويل الزيارة إلى تظاهرة إعلامية ونصرانية ضخمة تتحول معها أوغندا إلى الكاثوليكية .

أما الهدف العميق لهذه الزيارة فيتضح من خلال ما كتبه رئيس تحرير صحيفة "كرستيان سينس مونتيور" تحت عنوان : "البابا وأفريقيا" في عام ١٩٦٩م ، حيث كتب رئيس تحريم الصحيفة ما نصه :

"إن أفريقيا هي تحدٍ للجميع ليس للكنيسة الكاثوليكية فحسب ، وإنما للمسيحية جمعاء ، إن المسيحية جاءت إلى أفريقيا السوداء مع المبشرين ، ومع المستعمرين الأوروبيين ، وأياً كان هذا صحيحاً أم خطأ ، فإن المسيحية مرتبطة في عقول الأفريقيين بالاستعمار ... ثم يتابع قوله ... ولهذه الزيارة إلى أوغندا لم يرد البابا أن يشير إلى أهمية أفريقيا فحسب ، وإنما ليؤكد أن الكنيسة الكاثوليكية مدركة أكثر من أي وقت مضى بالحاجة إلى الوقوف مع الكنائس الأخرى في أفريقيا وذلك من أجل حماية نفسها"[٢].

ثم يختتم رئيس التحرير مقاله قائلاً : إن على المسيحيين من جميع المذاهب ألا يغضوا الطرف عن حقيقة ـ أنه في سنوات ما بعد الاستقلال ، فإن الإسلام ينتشر في أفريقيا أسرع من المسيحية .

إن كلام هذا الكاتب النصراني في صحيفته النصرانية هذه ، يدل على الكثير ، فهو تحريض مباشر للنصارى من جميع الطوائف لكي يهبوا إلى أفريقيا لمجابهة الإسلام ، وهذا هو ديدن الفرق النصرانية المختلفة ـ

---

(١) انظر: حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في أفريقيا ، ص٩٦ ، مشهور الحداد ، مرجع سابق.

(٢) المصدر نفسه ، ص٩٧ .

الاتحاد في مواجهة الإسلام - وأيضا هو تذكير بأهمية أفريقيا على لسان البابا ، وتذكير بالوضع الراهن للنصرانية هناك ، حيث أدرك هذا الكاتب النصراني الشيء الذي أدركه المنصرون نفسه في أفريقيا بعد مرحلة الاستقلال وهو اقتران النصرانية بالاستعمار ، وأن النصرانية قد عُرفت في أفريقيا بأنها دين الرجل الأبيض ، لذلك سعوا لعقد المؤتمرات ووضع الخطط لفصل الصلة الظاهرة بين التنصير والدول الاستعمارية وتبني القضايا الإنسانية للشعوب الأفريقية ، وجعل النصرانية ديناً للرجل الأسود بأي وسيلة ، وضمن هذا الإطار تأتي زيارة البابا .

وقد أنهى البابا زيارته إلى أوغندا بتعميد ٢٢ صبياً أفريقيا ، وودع بمثل ما استقبل به من حفاوة وتكريم بالغين لم تشهد أوغندا مثلهما نظيراً من قبل . وقد كان في وداعه رؤساء كل من الدول الآتية - في وقتها - وهم[١] .

١ - ملتون أبوتى - رئيس أوغندا .
٢ - جوليوس نايريرى - رئيس تنزانيا .
٣ - ميشيل موكمبيرو - رئيس بورندي .
٤ - كنيث كاوندا - رئيس زامبيا .
٥ - غريغور كاى - رئيس رواندا .

والناظر لتلك الجهود الجبارة التي يقوم بها رؤساء الكنيسة على أعلى المستويات في أفريقيا سيكون من شأنها تثبيت أولئك الذين قد تنصروا في الماضي من جهة والدعاية لكسب المزيد من أصحاب الديانات الأفريقية التقليدية للنصرانية من جهة أخرى .

البابا يوحنا بولس الثاني :

تم انتخاب البولندي كارول فوتيلا ليترأس الكرسي الرسولي في الفاتيكان في أكتوبر عام ١٩٧٨م ، تحت مسمى البابا يوحنا بولس الثلني ،

---

(١) انظر: حقائق تاريخية ، ص٩٩ ، مشهور الحداد ، مرجع سابق .

في جو الأزمة الناجمة عن محاولة تطبيق قـــرارات المجمـــع المســـكونى الفاتيكاني الثاني[١] . وعن فراغ السلطة الذي ساد في أواخر عـــهد البابـــا بولس السادس[٢] .

وقد فرض البابا يوحنا بولس الثاني نفسه منذ البداية كبابا معيـــاري وعملي - كما يصفه البعض - على عكس التردد الذي كان يتسم به ســـلفه بولس السادس . إذ قام يوحنا بولس الثاني بفرض الممارسة الكاملة لسلطته البابوية . وفي عام ١٩٨٤م ، قام بفرض القانون الداخلي للكنيسة ، وانطلق في العام ١٩٨٥م ، بمناسبة انعقاد ســـنودس ١٩٨٥م[٣] ، معتمـــداً علـــى الحماية التي تخولها لها وظيفته لإحياء الكنيسة في كافة الاتجاهات ، فـــهو يولي اهتماماً كبيراً لكنيسة في أفريقيا وآسيا وأوروبا الشرقية[٤].

مَجْمَع الفاتيكان المسكونى الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥م) :

يختلف هذا المجمع عن المجامع الكنسية السابقة المسكونية[٥] منـــها والعادية ، إذ كانت المجامع السابقة تعقد لمناقشة قضيـــة معينـــة والدفـــاع عنها، أو وضع الحلول اللازمة لها من وجهة نظر الكنيسة إلا أن المجمـــع المسكونى الثاني كان أول مجمع في التاريخ يتخذ خطاً هجومياً على كافـــة المستويات ويتخذ قرارات لا سابقة لها في تاريخ الكنيسة ، كان من أهمـــها فرض العقيدة الكاثوليكية على العالم أجمع والقضاء على الإسلام والمسلمين تحت ستار إقرار مبدأ الحوار مع الديانات غير المسيحية[٦] .

---

(١) سيأتي الحديث عنه لاحقاً .
(٢) تنصير العالم - مناقشة لخطاب البابا بولس الثاني- ، ص٣٨ ، زينب عبدالعزيـــز ، ط. دار الوفاء لطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .
(٣) السنودس هو مجلس الأساقفة الدائم من أجل إقامة الكنيسة العالمية وهو بمثابة لجنة دوليـــة للإشراف على تنفيذ مخطط تنصير العالم . زينب عبدالعزيز ، تنصير العالم ، ص٨٦.
(٤) المصدر السابق ، ص٣٨ .
(٥) المسكونى : يعني العام أو الجامع وقراراته ملزمة لكل الأطراف ، انظر: محاضرات فـــي النصرانية لأبي زهرة ، ص١٣١ .
(٦) المصدر السابق ، ص٧٥ .

ومن أهم قرارات هذا المجمع أيضاً إنشاء "السنودس" أي مجلس الأساقفة الدائم من أجل إقامة الكنيسة العالمية ، وتنفيذ الخطط الجديدة البعيدة المدى بالنسبة لمستقبل الكنيسة .ويعتبر السنودس بمثابة لجنة إدارية دولية لشؤون المجمع بصفة عامة والعمل على تنصير العالم بصفة خاصة، أو - بمعنى آخر - أن كل ما يتخذ من خطوات متواكب مع تنفيذ مخطط تنصير العالم(١) . والذي كان من ضمنه خطة تنصير أفريقيا التي أعلن عنها البابا أكثر من مرة .

ويعتبر هذا المجمع نقطة الارتكاز التي انطلق منها البابا بولس الثاني لتنفيذ قراراته التي انكشفت للناس بعد أن سادها التعتيم لفترة طويلة . كما أصبح البابا يعلنها صراحة وبلا مواربة في أكثر من مناسبة ويعتبر هذا المجمع هو الذي أعطى دفعة قوية لعملية التنصير في أفريقيا والعالم أجمع. وانطلاقاً من قرارات ذلك المجمع أصبح البابا ينادي بأن المذهب الكاثوليكي وحده هو الخط السليم للعقيدة ، وأن السيد المسيح هو الطريق الوحيد إلى الله ، والشرط الوحيد للإخلاص . بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما نراه يخلط بين دوره السياسي والديني ، وذلك حينما يتجاوز دوره الديني الصرف ويدعو لفرض النمط الغربي على العالم ليتواكب مع النظام العالمي الواحد والدين العالمي الواحد! فذلك هو ما طالب به عندما أعلن ضرورة تنصير العالم في نوفمبر ١٩٨٢م ، من مدينة "شانت يقب ، بشمال غربي إسبانيا الكاثوليكية ، تلك المدينة التي كانت آخر ما وصل إليه الفتح الإسلامي ، وأول ما سقط في حرب الاسترداد ، ويكفي أنها تحمل اسم حامل الراية أثناء الحروب الصليبية ضد مسلمي الأندلس(٢).

فبعد أن طالب بتنصير العالم أمام حشد مكون من قرابة مليوني شخص من الاتباع ، وأغلبهم من الشباب الذي يحاول استرداده من الضياع

(١) انظر: تنصير العالم ، ص٧٦ ، زينب عبدالعزيز ، مرجع سابق .
(٢) المصدر نفسه ، ص٩٤/٩٥ .

راح يرد ذلك النداء الذي جمع فيه بيـــن الكنيســـة وأوروبـــا والحضـــارة الأوربية قائلاً :

" يا أوروبا! عودي إلى رشدك ، كونّي نفسك ، استكشفي أحوالـــك! احيي جذورك ، أحيي تلك القيم الأصيلة التي جعلـــت تـــاريخك مجســـداً وجعلت وجودك مثمراً على القارات الأخرى(١) .

وهذه لاشك أنها دعوة صريحة من البابا لأوربا لإعادة احتلال العـــالم وفرض النصرانية عليه كما كان سابقاً قبل قرن من الزمان ، وذلك حينمـــا يمجد نيافته تلك الأصول الأوروبية وثقافتها ويدعو أوروبا لإحيائها ، بعـــد أن قام البابا وقتها بتقسيم العالم وأفريقيا بين أسبانيا والبرتغال تحت زعـــم نشر النصرانية والحضارة بين البشر ، وأخطر ما في مثل هذه الدعـــوات والمواقف التي يمثلها البابا أنها لم تعد مجرد دعوات أو تعاون مع آليـــات السياسة الغربية فحسب ، وإنما أصبح البابا يؤثر عليها ويقـــود تحركاتـــها على الصعيد العالمي ، الأمر الذي يجب على قادة المســـلمين وعلمائـــهم ومفكريهم الانتباه له وإعداد الخطة اللازمة لمواجهته .

البابا يوحنا بولس الثاني وأفريقيا :

نشطت حركة البابوية في أفريقيا نشاطاً كبيراً في عهد البابا الحـــالي بولس الثاني الذي يكاد يكون قد جاب معظم أنحـــاء القـــارة الأفريقيـــة ، وخاصة بعد سقوط الشيوعية محاولة منه لملء هذا الفراغ والوقوف أمـــام حركة الدعوة الإسلامية وتنفيذ مخططه لجعل أفريقيا نصرانيـــة كاملـــة - حسب ما زعموا - بحلول عام ٢٠٠٠م .

ففي عام ١٩٨٠م ، قام البابا يوحنا الثاني بزيارة لست دول أفريقيـــة هي : كينيا ، وزائير ، والكنغو ، وبوركينا فاسو ، وساحل العاج ، وغانا . وفي عام ١٩٨٢م ، زار الجابون ، وغينيه وبنين ، وفـــي عـــام ١٩٨٥م ، زار كينيا ، وتوجو ، وساحل العاجل ، والكاميرون ، وجمهورية أفريقيـــا

(١) تنصير العالم ، ص٩٥ ، زينب عبدالعزيز ، مرجع سابق .

الوسطى ، وزائير ، والمغرب . وفي عـــام ١٩٨٨م ، زار كــلاً مــن : زيمبابوي ، وموزمبيق ، وبتسوانا ، وليسوتو ، وسوازي لاند ، وجنــوب أفريقيا[١] .

وفي عام ١٩٩٠م ، زار دولة تنزانيا[٢] ، وافتتح بعض المشــروعات التنصيرية هناك ، وحضر احتفالات النصارى بمناسبة مرور مائــة عــام على دخول النصرانية إلى تنزانيا . كما في عام ١٩٩٢م ، بزيــادة إلــى السنغال ، وجامبيا ، وغينيا ، وفي عام ١٩٩٣م ، زار كينيا ، والســودان ، وأوغندا ، وفي عام ١٩٩٥م زار كينيا ، والكاميرون ، وجنوب أفريقيــا[٣]. وفي عام ١٩٩٨م ، قام بزيارة إلى دولة نيجيريا استمرت لمدة يومين علــى أمل أن يحقق مطامع الكنيسة الكاثوليكية في نيجيريا علــى حــد وصــف الإذاعة البريطانية لهذه الزيارة .

وفي فبراير مطلع العام الماضي ٢٠٠٠م ، زار جمهوريــة مصــر العربية .

وفيما يلي نتناول بعض هذه الزيارات والرحلات بشيء من التفصيل وملاحظة أثرها في تنصير الأفارقة ودعم النصرانية في أفريقيا بوجه عــام ودعم الكنيسة الكاثوليكية بوجه خاص .

الزيارة الأولى : ١٩٨٠م :

شملت رحلة البابا في هذه الزيارة ست دول أفريقية هي : كينيــا ، زائير ، الكنغو ، غانا ، بوركينا فاسو ، وساحل العاج ، وقد عمَّــد أثنــاء جولته تسعة أساقفة للعمل في دول شرق أفريقيا ، كما قام بتطوير الطقوس الدينية حسب التقاليد الأفريقية ، حيث أدوا صلواتهم في الكاتدرائية مــع دق

---

(١) انظر: المشروع التنصيري في السودان ، ص١٣٤ ، حسن مكي ، مرجع سابق .

(٢) في بعض الأعوام تتكرر زيارة البابا لأفريقيا لأكثر من مرة في العام الواحد كما حدث فــي عام ١٩٩٠م حيث زار أفريقيا مرتين: الأولى في فبراير وشــملت غينيــا وبوركينافاســو وتشاد، والثانية في سبتمبر وشملت بورندي وساحل العاج ورواندا إضافة إلى تنزانيا .

(٣) لمحات عن التنصير في أفريقيا ، ص٢٧ ، عبدالرحمن السميط ، طبع الكويت .

الطبول . وقد سبقت الجولة البابوية دراسة عميقة قبل القيام بها لضمان نجاحها على الوجه المطلوب(١) .

كما حرص البابا على إظهار اهتمام الفاتيكان بالمشكلات الاجتماعية، فركز خلال خطبته على وحدة الكنيسة ، وهاجم تعدد الزوجات والمساعدات الاقتصادية التي تخفى وراءها نوايا سياسية - كما يزعم البابا- .

وفي سياق تعليقها على زيارة البابا هذه كتبت مجلة "بارى ماتتش" الفرنسية مقالاً تحت عنوان : " البابا في مجابهة الإسلام الأسود ، نذكر منه ما يلي(٢):

"يقوم البابا يوحنا بولس الثاني الآن بجولة في ست دول أفريقية هي: كينيا ، وزائير ، والكنغو ، وساحل العاج ، وغانا ، وفولتا العليا (بوركينافاسو) . وتستغرق الجولة البابوية في القارة عشرة أيام يقطع خلالها عشرين ألف كيلو متر . والدول الأفريقية التي يزورها البابا تختلف في مواقعها الجغرافية وأوضاعها الاجتماعية لكن يربط بينها أنها جميعاً دول تحررت منذ ربع قرن تقريباً من سيطرة الاستعمار ، وهذه الدول حصلت على استقلالها بعد أن حمل إليها المبشرون الدين المسيحي من أوروبا، ولكن ماذا عملت الكنيسة في سبيل ذلك؟ إنها بذلت جهوداً مكثفة من أجل أن تواصل المسيحية انتشارها في القارة حتى وجهت إليها تهمة العمالة لصالح الاستعمار، بينما كانت مواقف الأنظمة الاستعمارية نحوها مختلفة" .

وأكدت المجلة في مقالها على أن المد الإسلامي هو أخطر عقبة أمام التبشير المسيحي في القارة لأنه دين أصبح جزءاً من الأصالة الأفريقية التي تناضل من أجلها الشعوب والحكام في القارة ، فالبابا باعتباره سياسياً ماهراً من المحتمل ألا يشير علانية إلى الموضوع في مناقشاته العلنية

---

(١) انظر: الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ، ص٢٦٠ ، ٢٦١ ، عمر بابكور ، مرجع سابق .

(٢) انظر: مجلة المجتمع ، العدد ٤٨١ ، ٥ رجب ١٤٠٠هـ الموافق ٢/٥/١٩٨٠م . توفيق وهبة ، الإسلام في مواجهة أعدائه ، ص٤٢٤/٤٤٥ ، مرجع سابق .

ولكن لا شيء يمنع أن يثير هذا الموضوع في مناقشات سرية مع زعماء الدول التي يزورها .

إذن تتضح من خلال ما كتبته هذه المجلة النصرانية الأهداف الواضحة للبابا من زياراته المتكررة لأفريقيا ، وهي محاولة إنقاذ المسيحية هناك مما لحق بها من تهم ، وعمالة للاستعمار ، ودعم الموقف النصراني في تلك الدول إضافة إلى محاربة الإسلام الذي يرى فيه البابا والنصارى جميعاً العدو الأول للنصرانية ، وأكبر عائق في سبيل تقدمها وانتشارها في أفريقيا .

الزيارة الثالثة : ١٩٨٥م :

كانت هذه الزيارة إلى كل من توجو ، وكينيا ، وساحل العاج ، وزائير ، والكاميرون ، وجمهورية أفريقيا الوسطى ، والمغرب . ولكي ننظر أهمية هذه الزيارة ودورها في العمل التنصيري المباشر الذي يقوم به بابا الفاتيكان في العلن وعلى الملأ تارة وفي الخفاء تارة أخرى . نورد التقرير الذي كتبه لورين جينكز (Larin Ginks) عن هذه الزيارة وعن أهدافها الخبيثة، ونشرته صحيفة هيرالد تريبون الأمريكية (Herald Tribun) في اليوم الثامن من أغسطس سنة ١٩٨٥م ، يقول التقرير : "يقوم البابا بولس الثاني بثالث رحلة له إلى أفريقيا في غضون خمسة أعوام بأمل أن يرسى قواعد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ضد النهضة الإسلامية المتزايدة في القارة ، الأمر الذي يعده الفاتيكان أمراً هاماً من أمور هذا القرن ... ومن المتوقع أن يقوم البابا خلال رحلته التي تستغرق ١٢ يوماً بحث رجال الدين المسيحي بأفريقيا وأتباعهم على زيادة نشاطهم الكهنوتي في القارة لمقاومة المد الإسلامي الجديد جنوبا[١] .

وفي حين تحول الدبلوماسية والواجبات الرسمية دون السماح للبابا بالتحدث علناً عن موضوع النهضة الإسلامية بأفريقيا أفصح كبار

(١) نقلاً عن عبدالودود شلبي : حقائق ووثائق عن حركات التنصير في العالم الإسلامي ، ص١٤ ، مرجع سابق .

المسؤولين في الفاتيكان بصورة هادئة أن مسألة اعتناق الكاثوليكية واعتناق الإسلام هي واحدة من أهم المسائل التي تهتم بها الكنيسة . وحسب ما تقوله مصادر الفاتيكان فإن واحداً من الأمور التي سيقدم عليها البابا البدء "بالمرحلة الثانية" لجعل أفريقيا قارة مسيحية ، وسيفتتح البابا كاتدرائية جديدة في ساحل العاج ، ويعين قسيسين في توجو ، ويبارك اجتماعاً للراهبات في زائير . كما سيقوم بزيارة لحديقة الحيوان في كينيا ، ثم ينهى جولته في المغرب ، ويهتم البابا اهتماماً كبيراً بأفريقيا لأن الكاثوليكية تنمو أكثر من أي قارة أخرى في العالم .

ومع أن منافسة الإسلام أمر لا يمكن التحدث عنه علناً إلا أن البابا كما يقول أحد مصادر الفاتيكان سيعالج هذه المشكلة في بلد مثل توجو حيث يغلب المسلمون في الجزء الشمالي من البلاد في حين يغلب العنصر المسيحي في الجزء الجنوبي منها(١) ، وذلك بأن يطلب من رجال الكهنوت أن يتحركوا صوب الشمال ليبشروا بدينهم بين المسلمين . أ.هـ

كما أشارت مجلة المختار الإسلامي إلى هذه الزيارة وأهدافها التنصيرية التي يسعى إلى تحقيقها البابا ومما جاء في ذلك(٢):

"تجيء زيارة بابا روما الثالثة إلى أفريقيا خلال خمسة أعوام لتوضح الكثير من الحقائق فقد زار البابا كينيا حيث تبلغ نسبة نمو السكان ٣% وهي من أعلى نسب النمو في العالم وهناك تحدث عن ضرورة زيادة النسل وتحريم تحديده . ثم اجتمع خصيصاً برئيس كينيا - الذي استقبله في المطار - ليحدثه عن خطورة مشاريع تحديد النسل ، وقد اقتنع الرئيس الكيني أراب موى بحديث البابا" . أ.هـ

وهذا يوضح لنا مكر البابا وحرصه على زيادة نسل النصارى ، إذ يتحدث لهم عن الأسرة وضرورة الحفاظ عليها ، في الوقت الذي يخطط

---

(١) المسلمون في توجو أغلبية في شمالها وجنوبها ، ولكنها مغالطات النصارى حيث تحرص المصادر النصرانية على تضخيم عدد النصارى في البلاد الأفريقية على حساب المسلمين مما يبين حقدهم على المسلمين ، انظر: عبدالودود شلبي ، حقائق ووثائق عن الحركات التنصيرية ، ص١٧ ، مرجع سابق .

(٢) المختار الإسلامي ، عدد ٣٧ ، ص٧٩ ، محرم/صفر ١٤٠٦ - سبتمبر/أكتوبر ١٩٨٥م.

فيه اللوبي الكنسي الصليبي ومن خلفه الغرب لضرب الأسرة المسلمة وتحديد نسل المسلمين . بل إن سياسة تحديد النسل وضرب الأسرة المسلمة أصبحت من السياسات "الاستراتيجية" في بعض البلاد الإسلامية .

والأمر الذي أكدته الدراسات الحديثة أن هناك نقصاً ذريعاً في المواليد في بعض الدول الغربية ، وخاصة الكاثوليكية منها ، مما ينذر بكارثة بشرية في فترة موجزة بحلول الربع الأول من القرن الحالي بسبب العزوف عن الزواج والتهرب من المسؤولية والتفكك الأسري والأخلاقي الذي يضرب بأطنابه في تلك البلاد ، وهذا ما يجعل الكنيسة تفكر في زيادة أنصارها والمنتسبين إليها في الدول النامية حيث الخصوبة العالية والنمو السكاني المرتفع ، وفي المقابل تعمل الكنيسة جاهدة على خفض عدد المسلمين بنشر فكرة تحديد النسل ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، وذلك حتى تُوجد - في نظرها - نوعاً من التوازن السكاني من الناحية العقدية بحيث لا يكون هناك تفوق عددي للمسلمين في العالم .

وتستمر جولة البابا في رحلته هذه إلى أفريقيا لتلك البلدان وسط الدعاية المألوفة من أجهزة الإعلام الغربي وحملاته الموجهة ضد الإسلام والمسلمين ، حيث يصل في ختامها إلى المغرب المسلمة ، التي حاربت الصليبية ، ونشرت الإسلام في أفريقيا الغربية ، وقاومت الاستعمار الصليبي الحديث . وهنا تنعكس الصورة حيث يصل البابا الصليبي إلى أرض تقدست بالإسلام ليباشر هو الدعوة إلى التنصير هناك وسط سكانها المسلمين ، وذلك عندما خاطب أكثر من ثمانين ألف متفرج في الإستاد الرياضي بمدينة الدار البيضاء ، حيث كان يجرى الحفل الختامي في دورة الألعاب الرياضية العربية فألقى فيهم كلمة يَدعوهم فيها إلى المحبة والسلام والإيمان بالله على الطريقة اليسوعية . بينما تخرج وسائل الإعلام الغربي في اليوم التالي تهلل وتتحدث عن ألوف الشباب المسلم الذين احتشدوا ليستمعوا إلى الحبر الأعظم بابا روما .

الزيارة الثامنة : ١٩٩٢م :

كانت هذه هي الزيارة الثامنة لأفريقيا التي قام بها البابا يوحنا بولس الثاني إلى كل من : السنغال ، وجامبيا ، وغينيا . ولكي نلقى الضوء على هذه الزيارة وأبعادها نتناول ما كتبه المحرر السياسي بمجلة الدعوة السعودية الذي قال إن هذه الزيارة أثارت عدة تساؤلات تدور كلها حول دور الكنيسة في قارة أفريقيا المسلمة والمخططات التنصيرية لتحويل القارة إلى قارة نصرانية طبقاً لتصريحات البابا نفسه ، وأول هذه التساؤلات يتعلق بتوقيت الزيارة في هذا الوقت بالذات! ولماذا بدأ بالسنغال؟ وما علاقة هذه الزيارة بالمخططات التنصيرية الجديدة التي أقرها الفاتيكان؟(١).

ومن خلال الإجابة على تلك التساؤلات يتضح أن أول الأسباب التي دفعت البابا للقيام بهذه الجولة في هذا الوقت هو محاولة القضاء على الأثر الكبير الذي تولد عن انعقاد القمة الإسلامية السادسة التي عقدت مؤخراً في ديسمبر ١٩٩١م ، بالسنغال(٢) .

لقد أعطت هذه القمة دفعة كبيرة للعمل الإسلامي في غرب القارة ، وكان لها صداها الملموس على شعوب القارة المسلمة بصفة عامة ، وعلى دول غرب أفريقيا بصفة خاصة . وخاصة ما تمخض عنها من توصيات مهمة ، وقرارات فعالة ، ومبادرات طيبة ، كان في مقدمتها مبادرة المملكة العربية السعودية بإسقاط الديون عن الدول الإسلامية الأقل نمواً ، حيث كان لهذه البادرة الطيبة صداها الطيب لدى الشعوب المسلمة في أفريقيا . فكانت زيارة البابا لمحو هذا الأثر الطيب الذي أحدثته القمة الإسلامية ، وإعطاء دفعة للعمل التنصيري في القارة .

وأما ثاني هذه الأسباب فيرتبط بالتغيرات الفجائية التي تشهدها القارة السمراء بصفة عامة ، والاضطرابات الطائفية والعرقية وحالة عدم الاستقرار التي تعاني منها الشعوب الأفريقية التي أدت إلى حالة من

---

(١) مجلة الدعوة ، العدد ١٣٣١ ، ص٣٥ ، وتاريخ ١٤١٢/٨/٢٤هـ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٣٥ .

الفوضى في القرن الأفريقي ومنطقة شرق أفريقيا بصفة خاصة . فالكنيسة العالمية بقيادة البابا تسعى للقيام بدور كبير في أفريقيا على أنقاض هذه التغيرات التي تعتبر مناخاً ملائماً لغرس العقيدة النصرانية حيث الاصطياد في الماء العكر الذي يعتبر من أهم أساليبهم المقررة . وهذا الدور قامت به الكنيسة بشكل واضح في دول أوروبا الشرقية بعد انهيار الشيوعية إذ استطاعت الكنيسة أن تحل محل الشيوعية في كثير من هذه البلدان ، والدور نفسه يتكرر الآن في أفريقيا حيث يخطط البابا للاستفادة من هذه الأوضاع غير المستقرة لكي تكون الكنيسة هي الوريث الوحيد في القارة المسلمة بعد سقوط الأنظمة الحاكمة التقليدية في دولها .

ولذلك لا نستغرب هذا التكالب من الكنائس والتهافت من البابا نفسه والركض نحو أفريقيا فالبابا يوحنا بولس الثاني قد سجل نحو ثلاث عشرة زيارة لأفريقيا خلال فترة توليه كريسي البابوية في عام ١٩٧٩م ، وحتى الآن .

والبابا باعتباره شخصية دينية قيادية لنصارى العالم ، وممثل الكنيسة العالمية في جولاته وتحركاته ، فأي تحرك له لا يكون إلا لمصلحة النصرانية ، ولن يكون إلا من منظور نصراني بحت ، فكانت هذه الزيارات تهدف إلى دفع وتقوية العمل التنصيري في أفريقيا .

وإذا نظرنا إلى هذه الزيارة من قبل البابا لأفريقيا التي شملت السنغال ، وغينيا ، وجامبيا ،نجدها تمثل الزيارة الثامنة للبابا للقارة الأفريقية ، وفي كل رحلة منها يطوف بعدة دول تصل إلى سبع دول أو أكثر في الجولة الواحدة أحياناً . وهي الزيارة الرابعة والخمسون للبابا على المستوى الدولي . وحسب ما جاء في البيان الصادر عن الفاتيكان حول هذه الزيارة "إن البابا بهذه الزيارة يكون قد أمضى خارج الفاتيكان (٣٧٦) يوماً ، و (١٩) ساعة ، و(٤٠) دقيقة . ويكون قد اجتاز مسافة تعادل (٢٠) جولة حول الكرة الأرضية " . وقالت إذاعة الفاتيكان في معرض حديثها عن زيارة البابا إلى السنغال وجامبيا وغينيا : إن البابا بهذه الزيارة يكون قد زار مائة دولة في القارات الخمس منها (٣٨) دولة في أفريقيا

فقط . وقالت الإذاعة إن البابا منذ توليه المقاليد البابوية في عام ١٩٧٩م ، وهو مفرغ جل وقته للأعمال الدينية وخاصة الكنائس في أفريقيا وأوروبا الشرقية[١] .

الزيارة التاسعة ، ١٩٩٣م :

في هذه المرة قام البابا بزيارة السودان ، وكينيا وأوغندا ، وكان البابا يتوق لزيارة السودان منذ السبعينات ، ولكن حينما تقررت الزيارة في هذه الفترة وقبلها السودان عبر الأب الفونس إيبنيك في مجلة التابليت (The tablet) عن مخاوفه وآماله قائلاً: " هل ستستخدم الزيارة للدعاية من قبل النظام الإسلامي الأصولي في الخرطوم؟ أم أنها ستساعد على الحوار وترفع من روح المسيحيين المضطهدين"[٢] .

وقد خطب البابا داعياً إلى السلام والعدالة وحقوق الإنسان ، وتكلم ضد التمييز على أساس اللون والعرق والدين كما دعا إلى المصالحة بين أطراف الحرب - الحكومة والمتمردين - وتلقي وعداً بإلغاء قانون الهيئات التبشيرية لعام ١٩٦٢م ، الذي تم بموجبه طرد المبشرين الأجانب من جنوب السودان . وقد تم ذلك في أكتوبر ١٩٩٤م ، ويعتبر هذا نصراً حققه البابا لصالح النصرانية خلال زيارته هذه .

الزيارة العاشرة ، ١٩٩٥م :

وكانت إلى كل من كينيا ، والكاميرون ، وجنوب أفريقيا ، واستمرت لمدة أسبوع من ١٤ - ٢٠ سبتمبر ١٩٩٥م .

الزيارة الحادية عشرة ، ١٩٩٨م :

وشملت هذه الزيارة دولة نيجيريا واستمرت لمدة يومين ، ويركز النصارى والغرب عموماً جهودهم بدرجة كبيرة في هذه الدولة ويعطونها

---

(١) انظر: مجلة الدعوة ، العدد ١٣٣١ ، ص ٣٥ / مرجع سابق .
(٢) انظر: الكنيسة السودانية على مفترق الطرق ، ص٣٣ ، حسن مكي ، مقال بمجلة دراسات أفريقية ، العدد ٢٠ ، رمضان ١٤١٩، يناير ١٩٩٩م ، مرجع سابق .

اهتماماً خاصاً ، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن نيجيريا هي أكبر دولة أفريقية من حيث الموارد البشرية والمالية والموقع المؤثر ؛ إذ يسكنها أكثر من مائة مليون نسمة ، فإذا نجحوا فيها يكونوا قد حققوا مكاسب كبيرة في أفريقيا. وكان هدف هذه الزيارة كما وصفتها هيئة الإذاعة البريطانية تحقيق مطامع الكنيسة الكاثوليكية هناك .

الزيارة الثانية عشرة ، ٢٠٠٠م :

في يوم ٢٤ فبراير سنة ٢٠٠٠م ، قام البابا يوحنا بولس الثاني بأول زيارة له إلى جمهورية مصر العربية ، استمرت لمدة ثلاثة أيام وجه فيها دعوة للوئام بين المسلمين والمسيحيين ، كما أقام قداساً كبيراً في الصالة المغطاة بإستاد القاهرة الرياضي حضره نحو خمسة وعشرين ألفاً من النصارى ودعا فيه للوفاق والحوار بين الأديان ، وكان يرافقه بطريرك الأقباط الكاثوليك في مصر ستيفانوس الثاني وخمسة عشر بطريركاً وأسقفاً من الأقباط واللاتين ، والموارنة واليونان والأرمن والسريان والكلدان الكاثوليك .

وقد ذكرت صحيفة الحياة أن القداس أقيم بسبع لغات تكريساً للمبدأ الذي تدخل في إطاره زيارة البابا للمنطقة وهو توحيد الكنيسة والحوار بين الأديان والطوائف والشعوب[١] .

من جهة أخرى أعرب البابا بولس الثاني عن سعادته البالغة في أن يحتفل "بسر القربان المقدس من على أرض مصر" . وقد قام البابا بعدة زيارات شملت الأزهر وشيخه محمد سيد طنطاوي ، وجبل الطور في سيناء ، والأنباء شنودة بابا الإسكندرية بمقر إقامته بالكتدارئية المرقسية.

وحول ردود الأفعال الأخرى للزيارة طالبت جبهة علماء الأزهر في بيانٍ لها باعتراف متكافئ من الفاتيكان على مستوى اعتراف الإسلام نفسه بالمسيحية ، وحذر البيان من أن الحوار إذا لم يكن متكافئاً فسيكون حواراً

---

(١) في عددها رقم ١٣٥٠٠ ، وتاريخ ٢٦/٢/٢٠٠٠م ، الموافق السبت ٢٠/١١/١٤٢٠هـ.

من جانب واحد يعبر عن الرؤية المسيحية الغربية . بينما استنكر بعض رموز وقادة العمل الإسلامي المظاهر الاحتفالية التي رافقت زيارة البابا(١).

ولا شك أن هذه الزيارة ستدعم موقف الكنيسة الكاثوليكية من كل النواحي ، خاصة في بلد إسلامي مثل مصر ، تعتبر فيه النصرانية دين الأقلية ، ومع أن الطائفة الكاثوليكية تعتبر أو تمثل أقل الطوائف النصرانية إذا ما قورنت بالطائفة الأرثوذوكسية إلا أن هذه الزيارة أعطتهم من الزخم الإعلامي ما يفوق حجمهم بكثير . وهذا هو دأب البابا أو الكنيسة الكاثوليكية دائماً ، الحرص على إظهار اتباعه بالكثرة والأهمية في كل بلد، وما أدل على ذلك من اهتمام البابا بالسنغال ، وهي بلد معظم سكانه مسلمون ولا يتعدى عدد النصارى فيه نسبة ٣% ، وما ذلك إلا ليجدوا المبرر لممارسة أنشطتهم وتدخلاتهم في تلك البلاد .

والمتتبع لرحلات البابا الحالي لأفريقيا منذ توليه كرسي البابوية ، يجده قد أعطى بتحركاته وجولاته دفعة جديدة للنصرانية ، وأخرج الكاثوليكية من الانزواء مما نشط الحملات التنصيرية . ومن ثم فإن هذه الزيارات والرحلات لا تحمل سوى طابع نشر النصرانية بطريقة مباشرة ، والمخطط الديني البحت ، فليس البابا زعيماً سياسياً يهدف من زيارته إلى توطيد العلاقات بين البلدان ، ولا مصلحاً اجتماعياً يهدف إلى إخماد الفتن والاضطرابات في القارة السمراء ، ولا عالماً اقتصادياً فذاً يحمل رؤية اقتصادية لإنقاذ الشعوب المقهورة من الفقر والجوع في أفريقيا ، ولكنه زعيم نصراني ممثل للكنيسة العالمية ويهدف إلى تدعيم هذه الكنيسة في جميع الدول الأفريقية وإنجاح مخططات الكنيسة الرامية إلى تحويل أفريقيا إلى قارة نصرانية وعلى قادة البلاد الإسلامية أن يحذروا من الزيارات البابوية إلى بلادهم .

---

(١) انظر: جريدة الحياة ، ص١ ، المصدر السابق .

المبحث الرابع

الأساليب الأخرى

المبحث الرابع
الأساليب الأخرى

إن التطور المنهجي في العمل التنصيري ، من أهم العوامل التي أكسبت النصرانية هذا التوسع الهائل ، الذي يعد من أعظم ما شهدته في تاريخها الكنسي ، فهناك أساليب أخرى مباشرة يستخدمها النصارى في نشر دعوتهم ، تتنوع في أشكالها وطرقها ، لكنها تتفق في تقديم النصرانية إلى الجمهور المستهدف بشكل مباشر وهي لا تختلف عن تلك الأساليب التي بحثناها في المباحث السابقة من هذا الفصل من حيث المضمون ، لكنها لا تندرج تحت باب واحد أو نمط واحد . نذكر منها الآتي :-

- الأسلوب المباشر المستتر :

وفيه يقوم المنصرون برسالتهم متسترين ومتخفين وراء أعمالهم الاعتيادية ، ومن خلال مهام وحرف يدخلون بها إلى البلاد المختلفة ، وهي حرفهم الأصلية بطبيعة الحال " ومن ثم يقومون بمهمة التنصير من خلال تعريف المحيطين بهم بالسلوك النصراني ، وتوزيع الإنجيل والنشرات والحديث عن المسيح وتعاليم الإنجيل .

وقد وردت الإشارة والاهتمام بهذا الأسلوب في المؤتمر السادس لمنظمة مجالس الإرساليات (MCMC) ، الذي عقد في كلفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م ، عندما أثار المتحدث "وين شاباز" (Shabaz) - أحد رؤساء الجمعيات التنصيرية - إلى ذلك المؤتمر قائلاً: " إن الباب أصبح مفتوحاً الآن لدخول النصرانية في البلاد المغلقة، وذلك من خلال الشركات المتعددة فهناك فرص لا حدود لها في هذا

المجال بالنسبة للمنصرين السريين حيث الحاجة الملحة إلى مهارتهم لتطوير البلاد"[١] .

وإذا علمنا أن كينيا تعد من البلاد المفتوحة التي دخلتها كثير من الشركات والبيوتات التجارية ، بمختلف الأسماء ، وبما فيها من موظفين وإداريين ونحوهم ، ممن أتيحت لهم فرصة الاحتكاك المباشر مع الجمهور تتبين لنا خطورة الأمر ، هذا مع تشجيع الحكومة لهذه الجهات ، أو غض الطرف عنها في أقل الأحوال وتركها تمرح وتجوب البلاد طولاً وعرضاً.

- الرقص والغناء :

يعرف عن الشعوب الأفريقية بصفة عامة أنها شعوب تحب اللهو والرقص ، والشعب الكيني بصفة خاصة من هذا النوع . لذلك نجد أن من الأساليب المباشرة التي يتخذها النصارى في تنصير الشباب الكيني حفلات الغناء والرقص ، حيث تكثر الكنائس من إقامة هذه الحفلات في المنتزهات العامة وداخل الكنائس فيحضرها كثير من الشباب من غير النصارى ، وكل خطبة أو صلاة في الكنائس يعقبها حفل غنائي وموسيقى راقصة ، هذا إذا علمنا أن صلاتهم نفسها تشتمل على ترانيم تصاحبها الموسيقى .

وفي هذا الجانب يقول الشيخ أحمد شيكوكو[٢]: " أنهم يستدلون على ذلك بنصوص من الإنجيل مما ورد عن الزبور وإخباره بأن داود -عليه السلام- كانت له مزامير من أحسن المزامير ، وكان يتعبد بها الله ، ولكن الشيطان قام بسرقة أكبر هذه المزامير وحوله إلى صالات الرقص و "الديسكو" وصاحبه الفساد والخمور والمجون ، ولذلك الآن تسعى الكنيسة إلى إعادة هذه العبادة إلى مكانها الطبيعي في الكنيسة كي تتوجه إلى الله عز وجل".

---

(١) انظر: ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، ص٣٣ ، إبراهيم عكاشة ، مرجع سابق .

(٢) نصراني سابق في مقابلة معه بنيروبي ، مرجع سابق .

وبهذا يستدرجون الشباب خاصة هواة الرقص حيث يظن الكثيرون منهم أنه ما دام "الأديان" تؤيد مذهبهم وتشجعه فلا بأس من الانضمام إليها وبالتالي يعتنقون النصرانية بكل سهولة .

وقد كونت الكنيسة العالمية فرقة غنائية عالمية لهذا الغرض تسمى (الجيل ٢١) (Generation 21) . وهي تمثل ملتقى شبابياً للرقص والغناء ، ويمدحون ويمجدون عيسى -عليه السلام- في أغانيهم . وقد زارت هذه الفرقة الغنائية دولة كينيا في يوم ٢٠٠٠/١٢/٣١م ، ورقصوا وغنوا حتى الصباح. وقد وجدت آثارها أثناء زيارتي لكينيا بعد أربعة أيام من تاريخ مجيئها هناك وذلك في ٢٠٠١/١/٤م، في أوساط الشباب، وأخبرني بعضهم أنها انتقلت بعد كينيا إلى بعض الدول الأفريقية المجاورة في جولة مماثلة.

ومن الكنائس التي تشتهر باستخدام هذا الأسلوب في كينيا كنيسة أفريقيا الداخلية (A.I.C) البروتستانتية ، وهي كنيسة قديمة دخلت كينيا عبر إرسالية أفريقيا الداخلية (A.IM) .

- توزيع الأناجيل :

وهذا الأسلوب تقوم به الكنائس البروتستانتية ، حيث يقومون بتصوير بعض الآيات (نصوص) من الإنجيل ، ويقومون بتوزيعها في الشوارع ، والأسواق ، وأماكن تجمعات الناس المختلفة ، بلغات القبائل المحلية ولهجاتها مثل قبيلة كوكويو كبرى قبائل كينيا . كما يخطبون في سيارات نقل الركاب العامة مع توزيع المساعدات النقدية لمن يشعرون بميلهم في النصرانية من الفقراء من أجل تأليف قلوبهم نحوها .

وقد ذكر لي أحد خطبائهم (Pastor) الذي كان يتبع لكنيسة أفريقيا الداخلية البروتستانتية وهو محمد جاتيمو بعد أن هداه الله للإسلام[١]. أنهم

(١) قابلت الأخ محمد جاتيمو موانغي - وهو شاب في مقتبل العمر - بدار الإرشاد (مركز المهتدين الجدد) التابع لمؤسسة المنتدى الإسلامي بمدينة ماجاكوس السبت ١١ شوال ١٤٢١هـ - الموافق ٢٠٠١/١/٦م ، وذلك بعد إسلامه بشهر واحد ، أثناء التحاقه بدورة المهتدين الجدد ، التي تقام لمن يدخلون حديثاً في الإسلام ، لتزويدهم بالمعارف الضرورية والمهمة عن الإسلام ، وكان محمد جاتيمو خطيباً في كنيسة أفريقيا الداخلية ، وقد ارتد على

بدفعهم الأموال مباشرة لمن يغلب على ظنهم دخولهم في النصرانية يحاكون المسلمين في دفعهم الزكاة للمؤلفة قلوبهم .

- بناء الكنائس :

من الأساليب المباشرة للدعوة للنصرانية التي يمارسها النصارى في كينيا الإكثار من بناء الكنائس في كل مكان وخاصة حول المساجد .

يقول الشيخ هارون أودندو[١]: "إن أسلوب بناء الكنائس حول المساجد خطة أمريكية للتنصير المباشر بدأ تطبيقها عام ١٩٨٦م ، بحيث إذا بنى المسلمون مسجداً في أي مكان يبنى النصارى حوله مجموعة من الكنائس قد تصل أحياناً إلى أكثر من سبعة كنائس حول المسجد الواحد في الحي : ومثال ذلك حي "كَرْمك" داخل نيروبي حيث بنى المسلمون مسجداً قبل ثلاث سنوات فبنى النصارى حوله (٢٧) كنيسة حتى الآن" .

ويتكرر هذا النموذج دائماً فبمجرد أن تصدق السلطات ببناء مسجد واحد فقط ، ينشط النصارى وتقدم كل طائفة كنسية أو إرسالية في الساحة طلباً بمفردها لبناء كنيسة ويتم التصديق لها ، فتقوم في فترة وجيزة مجموعة من الكنائس حول ذلك المسجد ، وقد رأيت ذلك في الحي الذي

= يده اثنان من قبيلة "كالنجين" قبيلة الرئيس دانيال أراب موى ، وهو الآن بعد إسلامه ينوي تعويض تلك الفترة بالدعوة للإسلام .

وعن قصة هدايته للإسلام يقول محمد جاتيمو : إنه كان ذاهباً إلى أحد الأماكن في شارع (٨) بحي إسلي - وهو حي أكثر سكانه من المسلمين ويسكنه الكينيون من أصل صومالي - يدعو للنصرانية وأثناء سيره في الطريق وجد جمهرة من الناس ، وكان هناك شيخ يحاضر عن الإسلام ، والناس يسألون وفيهم المسلم وغير المسلم . فقال : قلت في نفسي أقف قليلاً مع هؤلاء واستمع إليهم لمدة خمس دقائق ثم أواصل إلى مكاني . فلما رأى ذلك يقول: سالت نفسي لماذا لا يوجد عندنا مثل هذا في الكنيسة أي أسئلة وأجوبة عن تعاليم المسيح، ثم يقول: ولما ذهبت ذلك اليوم إلى الكنيسة لإلقاء الخطبة المعتادة والصلاة بالناس ، كان أدائي ضعيفاً حتى لفت الأنظار إليّ ، وبعد ذلك يقول أعددت خمسة أسئلة تتعلق بالعقيدة والمسيح وذهبت للشيخ وقلت له إن أجبت على هذه الأسئلة سوف أسلم . يقول: فما كان من الشيخ إلا أن أعلن للناس أن موعدنا القادم مع أحد القساوسة . يقول : ثم جئت في موعد المحاضرة المحدد وسط جمهرة كبيرة من الناس وأجاب الشيخ على جميع الأسئلة فأعلنت إسلامي .

(١) في مقابلة معه بنيروبي ، ١٣/١٠/١٤٢١، مرجع سابق .

كنت أسكن فيه في نيروبي ، وهو حي ساوث سي (South . C) ؛ فقد بنى النصارى أربع كنائس فخمة حول مسجد النور وأكاديمية نيروبي الإسلامية، تحيط به من كل الجهات الأربع ومقابلة له مباشرة ، وذلك رغم أن أكثر سكان الحي من المسلمين .

وعندما شاهدت هذا المنظر ، قلت لأحد المشايخ الذي كان برفقتنا : ماذا يقصد النصارى من هذا الفعل؟ فقال لي : باختصار يقصدون أنك يا مسلم أدخل الكنيسة وكن نصرانياً " .

وعندما تكررت تلك الاستفزازات بصورة ملفتة ، كما حدث في أحد الأحياء في نيروبي عندما بنى المسلمون مسجداً في رمضان الماضي قبل زيارتي للمنطقة بشهر ، قام النصارى بتشييد كنيسة مجاورة للمسجد مباشرة ، فما كان من المسلين إلا أن قاموا بإحراقها فوراً ، واندلعت بعض المنازعات بسبب ذلك ، وانتهت بانسحاب الكنيسة من المنطقة ، وقد رأيت المبنى الذي قامت عليه قد أصبح أطلالاً مهدمة .

وفي ولاية لامو ذات الأغلبية المسلمة في كينيا تمكنت الكنيسة حتى الآن من بناء أكثر من ٣٠٠ كنيسة ، علماً بأن هذه الولاية حتى عام ١٩٧٤م، لم يكن فيها أكثر من كنيستين ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الكنيسة سعت في توطين أتباعها في تلك الولاية ، ووقعت مع مؤسسة (G.T. Z) الألمانية اتفاقية تم بموجبها بناء المساكن والمدارس اللازمة لهؤلاء المهجرين[١] .

- الزيارات المنزلية :

وهذا الأسلوب تطبقه الكنيسة البروتستانتية في منطقة مويالي ، وهي منطقة صحراوية جافة ، تقع بالقرب من الحدود الأثيوبية ، وليس فيها تنمية تذكر كما ينعدم الأمن ، ويبلغ عدد سكان المنطقة أكثر من

(١) انظر: مجلة البيان ، ص٤٢ ، العدد ١٤٥ .

(٦٥٫٠٠٠) نسمة ، أما مدينة مويالي نفسها فهي مدينة كبيرة أكثر سكانها من المسلمين إذ تبلغ نسبتهم فيها أكثر من ٩٠%[١] .

وقد درجت الكنيسة في المنطقة على القيام بزيارات متكررة ومستمرة للأهالي في منازلهم ومناطق سكناهم ، ودعوتهم للدخول في النصارنية ، مع توزيع الطعام والهدايا عليهم . كما يقومون بدفع تكاليف العلاج للأسر الضعيفة التي لا تقدر على ذلك . وتمتلك الكنيسة ثلاث سيارات لتنفيذ هذه المهمة ، إضافة إلى عدد من الموظفين .

أما في يومي السبت والأحد من كل أسبوع ، يقدمون المرق والحساء المطبوخ عند إقامة الصلوات والقداسات ، لجذب الضعفاء والمساكين الذين يحضرون من أجل هذه اللقمة ، وبالتالي يحضرون طقوس العبادة .

ويقول الشيخ آدم : " إنه قد تنصر الكثيرون في أيام الجفاف هذه بسبب لقمة العيش ، وخرج الأبناء والشباب من بين يدي أهلهم وذويهم بسبب المجاعة ورسوم الدراسة التي تقدمها لهم الكنيسة"[٢] .

- الاستدلال بالقرآن الكريم :

وهو أسلوب تتخذه كنيسة بروتستانتية وهي الكنيسة السبتية : (S.D.Advantage) . والكنيسة السبتية كنيسة أنجيليكانية أسستها امرأة أمريكية تدعى "هيلين . جي وايت" في الثمانينات من القرن الماضي ، ومن طبيعتهم أنهم لا يأكلون اللحم . وقد ظهر أعضاؤها في هذه الأيام على الساحة بشكل واضح ، من خلال المحاضرات والمناظرات والأنشطة المختلفة التي يمارسونها[٣].

(١) ذكر ذلك الشيخ آدم دويو : داعية إسلامي أحد خريجي جامعة أبو بكر الصديق بباكستان ومدير " مركز الهدى الإسلامي" بمويالي في مقابلة معه بتاريخ ١٤٢١/١٠/١٢هـ ، الموافق ٢٠٠١/١/١٧م .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الشيخ هارون ادوندو : قسيس سابق في مقابلة معه بنيروبي مصدر سابق .

وعن أسلوبهم في التنصير ، يقول الشيخ هارون أودندو[١]: "إنه يتعين على كل من ينتمي إلى هذه الكنيسة ، أن يحفظ شيئاً من القرآن الكريم ، لكي يستدل به على صحة مذهبه ، ويحارب به المسلمين . وذلك أنهم يركزون على الآيات التي تحكى قصة عيسى -عليه السلام- في القرآن ، مثل قوله تعالى: ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين** ﴾[٢] ، ويقولون إن القرآن ذكر فضل عيسى في الدنيا والآخرة ، ولم يذكر فضل محمد ﷺ - على حد زعمهم - ولذلك أفضل لكم أن تتبعوا عيسى أيها المسلمون . وكثيراً ما يتجولون في القرى والريف في حملات مناظرة لمشايخ المسلمين الضعفاء ممن ليس لهم علم واسع بالإسلام وليس لهم دراية ومعرفة بتناقضات الإنجيل ، فيغلبونهم ، ثم يتخذون من ذلك حجة على صحة مذهبهم ودينهم، وبالتالي ينبغي على الآخرين اتباعهم.أ.هـ.

وحول هذا الأسلوب يقول الدكتور حسين عبدالمطلب : " يستغل المنصر بعض الآيات القرآنية عندما يريد أن يحول المسلم إلى النصرنية أو يشكك في عقيدته الإسلامية ، فمثلاً من أجل أن يستدل المبشر بالنصرانية على تدعيم الوحدانية بحسب العقيدة المسيحية يقرأ من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ...** ﴾ . وإلى هنا يقف المنصر ولا يكمل الآية ، وهي قوله تعالى : ﴿ **ونحن له مسلمون** ﴾ . ثم يبدأ المنصر بالنصرانية يناقش المسلم ويتحدث معه قائلا : "إن قرآن المسلمين لا يفرق بين رسول ورسول ، وعلى هذا لا فرق بين الإسلام والنصرانية ،

---

(١) الشيخ هارون أودندو : قسيس سابق في مقابلة معه بنيروبي مصدر سابق .
(٢) سورة آل عمران ، الآية (٤٥) .

ثم يطلب منه أن يترك الإسلام ويعتق النصرانية . وإذا لم يتحول المسلم عن عقيدته الإسلامية فيبدأ يشك فيها." أ . هـ[١] .

ومن ذلك أيضاً بعض الطرق الأخرى التي يستدل فيها المنصر بالنصرانية من القرآن الكريم عن تزكية القرآن لمودة النصارى بقوله تعالى: ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إن نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون** ﴾ [٢] .

كذلك يستدل المنصر على مساواة النصراني بالمسلم من حيث الوحدانية ، ومن حيث تمتعه برضوان الله تعالى ، بقوله جل وعلا : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[٣] .

ولا شك أن المعنى الذي قصده المنصر من هذه الآية هو غير معناها الصحيح الوارد في كتب التفسير ، بل هو لوي لأعناق النصوص وتفسيرها حسب أهوائهم وأغراضهم ، أو أنه فهم سقيم في أقل أحواله حيث يفهم منه أن اليهود والنصارى والصابئة من المأجورين ومن الآمنين يوم الفزع الأكبر وأنهم في ذلك كالمؤمنين والمعتنقين للإسلام ، وفاتهم الفهم الصحيح بسبب الجهل أو الهوى من أن أولئك كان لهم ذلك قبل الإسلام . أما بعد الإسلام فلا يكون لهم الأجر والأمن إلا بالدخول في الإسلام حيث إن الدين المعتبر عند الله هو الإسلام : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ [٤] .

وبهذه الطريقة نجد أن المنصرين يستغلون القرآن الكريم في التنصير وبخاصة مع الطبقة التي لا علم لها بالقرآن الكريم وتفسيره والذين

---

(١) التنصير - حقيقته وطرق مواجهته ، ص٣٤/٣٥ ، مرجع سابق .
(٢) سورة المائدة : الآية (٨٢) .
(٣) سورة البقرة : الآية (٦٢) .
(٤) سورة آل عمران : الآية (٨٥) .

بضاعتهم في العلم مزجاه لكي يضلوهم ويبدلوا لهم دينهم .

وبعد فهذا عرض مختصر لأساليب المنصرين المباشرة في كينيا، والتي عملوا من خلالها على نشر نصرانيهم على أكبر نطاق ممكن ، سواءً كان ذلك عن طريق المحاضرات والمناظرات التي تنشر وتقام في كل مكان تقريباً ، أو من خلال تلك الحملات التنصيرية المسعورة ، المدعومة مادياً ومعنوياً من قبل مؤسسات التنصير العالمية والمحلية ومنظماته المختلفة ، أو من خلال زيارات البابا لأفريقيا وكينيا ، وغيرها من المناطق التي لا يتوانا فيها من إطلاق دعواته وصيحاته بقبول السلام والمحبة ، التي نادى بها يسوع المخلص وابن الرب - على حد تعبيره - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - وغير ذلك من الأساليب المتفرقة التي تم استعراضها وتمثل نموذجاً لأنشطة النصارى وأساليبهم في الصد عن الإسلام ودعوته .

الفصل الثاني

أساليب المنصرين غير المباشرة

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : الخدمات الطبية والعلاجية .

المبحث الثاني : نشر الانحلال والتفسخ والاختلاط.

المبحث الثالث : محاربة اللغة العربية وتشجيع اللهجات المحلية .

المبحث الرابع : الإغاثة واستغلال الظروف والكوارث الطبيعية .

المبحث الخامس : السيطرة على وسائل الإعلام ومؤسسات التعليم.

المبحث السادس : الأساليب الأخرى .

تمهيد :

إذا كان التنصير الفردي أو الوعظ المباشر أول واقدم الأساليب التي استخدمها المنصرون في الكنائس والأماكن العامة ، لتعريف الناس بحياة المسيح وتعاليمه ، فإن ذلك الأسلوب لم يلبث أن انحسر بعد دخول النصرانية في تحالف مع الحكومات الغربية والاستعمارية في عهد الإرساليات التنصيرية والبعثات المنظمة .

أدى هذا الوضع إلى حصول طفرة واسعة في النشاط التنصيري إبان الكشوف الجغرافية ، حيث صحب المكتشفون معهم مجموعات من الرهبان والقساوسة للتبشير بالنصرانية في تلك الأراضي الجديدة المكتشفة . إلا أن الطفرة الهائلة ، كانت مع بداية القرن التاسع عشر ، حيث لم يعد العمل التنصيري قاصراً على الأفراد من الرجال والنساء ، التابعين لبعض المؤسسات والكنائس ، بل أصبح نشاطاً جماعياً دولياً ، تقوم به "جمعيات ومنظمات" أخذت تُنشئ الكنائس ، وتجمع الأموال ، وتزود المنصرين بكل ما يحتاجه عملهم من إعداد وتدريب ، وإمكانيات مادية . وعند ذلك ظهرت الحاجة إلى استخدام أساليب ووسائل جديدة في التنصير ، فإلى جانب التوسع في إنشاء الكنائس وتزويدها بالمنصرين ، وإعداد منصرين من بين السكان الوطنيين ، ظهرت الحاجة إلى أساليب التعليم والخدمات الطبية والاجتماعية ، فقامت الكنائس والإرساليات التنصيرية بتأسيس المدارس والمستشفيات والأندية في مختلف البلدان ، فضلاً عن وسائل الاتصال الجماهيري المسموعة والمقروءة والمرئية ونحوها .

وفي هذا الفصل سنتطرق إلى هذه الأساليب والوسائل بشيء من التفصيل - إن شاء الله تعالى- .

المبحث الأول
الخدمات الطبية والعلاجية

المبحث الأول

الخدمات الطبية والعلاجية

توطئـة :

الصحة والمرض مرتبطتان بحياة الإنسان أينما وجد ، وأينما حـل وارتحل ، ويؤثران في مناشط حياته المختلفة . ومن هنا سـعى الإنسـان سعياً حثيثاً لاكتشاف علله ومداواتها ، حتى ينعم بالصحة والعافية ، وكـان الطبيب المعالج محل تقدير واحترام كل المجتمعات منـذ القـدم وحتـى عصرنا الحاضر . كيف لا والطب مهنة إنسانية نبيلة من أرقـى المـهن وأعلاها شأناً ، خاصة إذا أراد بها ممتهنها ثـواب الله تعـالى ، بزرعـه الفرحة والأمل في نفس المريض حينما يعالجه ويتصدى لوباء فتـاك قـد يفتك به وبخلق كثير من بني الإنسان .

ولكن عندما يكون الطب أسلوباً يستغل بـه الطبيـب آلام وأحـزان المريض لتنفيذ أمر يريده في ذلك الوقت ، حيث لا مناص مـن الامتثـال لذلك الأمر من جانب المريض الضعيف الذي يكابد مشقة المرض وآلامـه، فإن ذلك تدنٍ وانحطاط وتدنيس لهذه المهنة الشريفة ، وهـذا مـا يفعلـه المنصرون اليوم حينما يدخلون البلاد الفقيرة ، وبلاد المسلمين خاصة فـي أفريقيا وآسيا - لنشر دينهم بهذه الطريقة . وهو ما سنتطرق إليه في هـذا المبحث - إن شاء الله تعالى - .

الطب والتنصير :

لم تظهر أهمية العلاج كأسلوب من أساليب التنصير إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي ، عندما تكونت الجمعيات الطبية في أوروبا وأمريكا ، التي تقوم بتأهيل الأطباء والممرضين في مراكز التبشير ، ومن ثم أصبحت الإرساليات العلاجية (Medical Evangelistic) من أساليب التنصير الهامة مثل "جمعية التبشير الطبية بأدنبرة" و "جمعية التبشير الطبية بنيويورك"(١) .

وكان الأمريكان أول من انحرف بالطب عن أهدافه الإنسانية النبيلة، واستخدموه في أغراضهم التنصيرية ، وذلك حينما بدءوا ينشئون العيادات الطبية في سيواس بتركيا عام ١٨٥٩م(٢) .

ومنذ ذلك الوقت والأمريكيون ينظرون إلى الطب على أنه معين على التنصير ، بل اعتبره البعض منهم "مشروعاً مسيحياً" وعلى هذا الأساس ، قال الطبيب بول هاريسون في كتابه "الطب في بلاد العرب" : "إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى كل الإقليم ، لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى"(٣) .

ومما لا شك فيه أن الطبيب بحكم مهنته وطبيعتها يستطيع أن يصل إلى كل فئات المجتمع وطبقاته دون استثناء ، غنيهم وفقيرهم ، ذكرهم وأنثاهم ، حتى أولئك الذين لا يخالطون غيرهم .

ولذلك قال المنصرون : "إن الطبيب المنصر بإمكانه أن يصل بتبشيره إلى جميع فئات المسلمين بواسطة المرضى الذين يعالجهم" ثم إنهم افترضوا أن يكون الطبيب المنصر نسخة حية من الإنجيل ، ليتمكن من

---

(١) التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل، ص١٦٣، إبراهيم كاشة، مرجع سابق.
(٢) انظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص٥٩ ، مصطفى الخالدي وفروخ ، مرجع سابق .
(٣) المصدر نفسه ، ص٥٩ .

تغيير الذين حوله ويجعل منهم نصارى ، أو يترك في نفوسهم أثراً عميقاً على الأقل[١] .

إن الإغراق في استخدام الخدمات الطبية والعلاجية كمدخل للتنصير يحظى دوماً بالتشجيع والدعم من القيادات التنصيرية ، ومن ثم كان للخدمات الطبية النصيب الأكبر بين الأنشطة الاجتماعية للكنائس والإرساليات التنصيرية .

وينظر بعض المنصرين إلى تقديم مثل هذه الخدمات على أنه جزء من الخلق المسيحي الذي يدعو إلى مساعدة الناس وشفائهم ، كما جاء ذلك في حديث الدكتور بننجز (Pennings) عن السبب الذي يدعو الإرساليات والكنائس التنصيرية لاختيار هذا الأسلوب طريقاً للتنصير ، حيث قال : " من السهل معرفة السبب ، إن المسيح كان معلماً ومداوياً وفي الواقع كان طبيباً ، إن ما نفعله هو السير على خطاه"[٢] .

وعلى الرغم من أن البعض منهم ينظر إلى العمل الطبي هذه النظرة - رغم أن المسيح ﷺ لم يكن طبيباً بالمعنى المعروف اليوم بل كان نبياً مؤيداً بالمعجزات - إلا أنهم يرون أنه لا فائدة منه - أي العمل الطبي - إن لم يكن أسلوباً ووسيلة لتنصير الآخرين .

وقد عبر عن ذلك الدكتور بيرسم أثناء حديثه عن استخدام الأساليب الطبية في التنصير بقوله : " أرجو ألا يعتقد أحد بأنني أقلل من شأن الجوانب الأخرى لنشاطنا عندما أقول بأنها ليست غايات في ذاتها ولكنها وسائل نبيلة تستحق الإعجاب لتحقيق غاية . لقد كان الرب - يعني المسيح ﷺ - تعالى الله عما يقولون - يتنقل لفعل الخير ولكنه نادراً ما كان يبرئ المريض أو يحيي الموتى إلا عندما يعود ذلك بالنفع على الجانب الروحي"[٣].

---

(١) المصدر السابق - الخالدي وفروخ - ص٥٩ .
(٢) الإسلام والتحدي التنصيري ، ص٢٩٣ ، عمر بابكور ، مرجع سابق .
(٣) المصدر نفسه ، ص٢٩٥ .

ويرى البعض أن الاهتمام بجمعيات التنصير الطبية يأتي انطلاقاً من عدة دوافع كما ذكر ذلك الدكتور "كوك" الذي أسس الإرسالية الطبية في "منجو" بأوغندا ، حيث قال : " إن أهداف هذا النوع من البعثات هو أولاً إضفاء روح الشفقة الدينية على البعثات التبشيرية الحديثة ، ولتأكيد حقيقة القرابة بين أفراد الأسرة العالمية ، ثم تمهيد الطريق للإنجيل إلى قلوب بني البشر ، وأخيراً معالجة الناس من الأمراض[١] .

ومهما تعددت دوافع الاهتمام بجمعيات التنصير الطبية ، أو برر البعض لأعمالهم بأي شكل كان من أشكال التبرير ، كمن يدعى أن ذلك خلقاً مسيحياً ، أو أنه تعاون أو تأكيد لحقيقة القرابة بين بني البشر ، أو نحو ذلك ، فإنه يبقى الهدف الأول والأخير هو تنصير المسلمين والوثنيين عبر هذه الطريقة . نعم! فهم منصرون أولاً قبل أن يكونوا أطباء ، لأن هدفهم هو التنصير وليس العلاج فحسب ، بل إن العلاج يأتي في آخر الاهتمامات كما اتضح ذلك من كلام الدكتور "كوك" أو أنه غطاء فقط للأنشطة الأخرى ، فالطب أسلوب من أساليب التنصير الفعالة .

تطور الطب التنصيري في كينيا :

كانت الإرساليات التنصيرية في بداية أمرها في كينيا لا ترافقها بعثات طبية ، سوى ما يحتاج إليه من إسعافات أولية لأعضاء الإرسالية . ثم كان مطلع القرن العشرين ، وبالتحديد في عام ١٩٠٨م ، بدأت الإرساليات والبعثات التنصيرية في الاهتمام بالعمل الطبي ، وأنشأت المستوصفات والمراكز الصحية ، وكان افتتاح أول مركز صحي في عام ١٩٠٨م ، من نصيب إرسالية اسكتلاند الكنسية في منطقة كينيا الوسطى . ثم تلى ذلك إفتتاح عدد من المستوصفات بإشراف ورعاية إرسالية أفريقيا الداخلية ، وتزامن مع إنشاء المستشفيات والمستوصفات إنشاء مراكز لتدريب الأفارقة على التمريض ، كما قامت الإدارة الاستعمارية بدعم

---

(١) التبشير النصراني ص١٦٣ ، إبراهيم عكاشة ، مرجع سابق .

المشروع الصحي الذي ترعاه الكنائس ،وذلك بتخصيص المبالغ المالية وتمليك الأراضي لإقامة المراكز الصحية ومتابعة سيرها[١] .

وفي عام ١٩٤٨ ، طلبت الإرساليات البروتستانتية باسم "لجنة الصحة لمجلس كينيا المسيحي " (M.CCCK) من الحكومة رفع ميزانية المستشفيات لتوسيعها من حيث الكم والكيف ، وفي عام ١٩٦٢م ، تأسست جمعية الاتحاد الصحي للكنائس البروتستانتية للإشراف على مستشفيات ومراكز الكنيسة البروتستانتية . وفي عام ١٩٦١م ، أنشأ مؤتمر الأساقفة الكاثوليك ما يسمى بـ "السكرتارية الكاثوليكية" التي ترعى شؤون الكنيسة التعليمية والصحية والاجتماعية ، وذلك لربط المشروع الصحي الكاثوليكي بوزارة الصحة ومراكز البعثات الصحية والمنظمات الصحية العالمية[٢].

العمل الطبي الكاثوليكي :

اتسعت الأعمال الطبية للكنيسة الكاثوليكية في كينيا ، اتساعاً كبيراً بعد إنشاء "السكرتارية الكاثوليكية" خاصة في الأرياف والقرى البعيدة ، وقد بلغ حجم الخدمات الصحية التي تقدمها الكنيسة الكاثوليكية في كينيا عام ١٩٩٠م ، ما نسبته ٢٥% من مجموع الخدمات الصحية القومية ، من خلال (٢٩) مستشفى ، و(٦٢) مركزاً صحياً ، و (١٩٦) مستوصفاً، إلى جانب المعاهد الصحية لتخريج الممرضين والممرضات، ورعاية الطفولة والأمومة[٣] .

العمل الطبي البروتستانتي :

تشرف الكنيسة البروتستانتية على أكثر من خمس عشرة مستشفى، وإحدى وعشرين عيادة طبية ، تقدم لها كافة المساعدات المالية اللازمة لها

(١) التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص١٤٠ ، أحمد محمد حسن ، مرجع سابق .
(٢) المصدر نفسه ، ص١٤٠ .
(3) Statistical Abstract, Central Bureau of statistical office of The Vice Prsedent and ministry of Planning and National Development, Nairobi 1995 . P. 150 .

للمحافظة على استمرار تقديم الخدمة ، كما تلقى هذه المستشفيات دعماً مالياً من المجلس الكنسي لدعم بناء وإقامة ملاجئ للأطفال وتسهيل الخدمات الطبية ، وقد وجهوا جزءاً كبيراً من مجهوداتهم إلى المنطقة الإسلامية في كينيا خاصة المناطق الشمالية الشرقية المتأثرة بالجفاف والمجاعة والنزاعات حيث الحاجة ماسة لمثل هذه الخدمات[١] .

بجانب هذا هناك خدمات الشؤون الطبية العلاجية التي تقوم بها جماعة "الآدفنتشت" وهي منظمة بروتستانتية عالمية ، تملك عشر طائرات تستخدمها لنقل الأطباء والممرضات لعلاج المرضى في الأحراش ،وتدير عدداً من المستشفيات منها خمس مستشفيات خاصة بعلاج أمراض الجذام، تزود بالأدوية بانتظام من خلال مستودعات الأدوية التي تمتلكها المنظمة[٢].

ومما يؤكد تغلغل هذه الكنائس في مجال الخدمات الطبية والعلاجية في كينيا ، التقرير الذي قدمته إحدى خبيرات الأمم المتحدة مؤخراً عند زيارتها للمنطقة اثر دعوة تلقتها وستة أطباء آخرين لزيارة المنطقة من قبل هيئة الصحة العالمية ، وهيئة إغاثة الطفولة الدولية ، للاطلاع على الجهود الصحية والاجتماعية المبذولة هناك . ففي هذا التقرير ، كشفت الخبيرة المذكورة مزيداً من الحقائق عن حجم التنصير ونشاطه المتزايد ، حيث تقول : " إن هذه البلاد وإن كانت مفتقرة عموماً إلى معاونة كبيرة للارتقاء بالتعليم بأنواعه ، والنواحي الاجتماعية والصحية ، واستصلاح الأراضي ، وزيادة الدخل ، إلا أن البعثات التنصيرية تغلغلت في كافة أنحاء هذه البلاد، حيث تبنى المستشفيات والمستوصفات وتساندها الهيئات الدولية المختلفة ، وكل هؤلاء يعملون على نشر المسيحية"[٣] .

إذن فهذه شهادة شاهد من أهلها ، وكفى بها شهادة ، فكل هذا المؤسسات والمنظمات الدولية المختلفة ما هي إلا أذرع للكنائس والصليبية

(١) انظر: تقرير جمعية الشبان المسلمين ، كينيا ، فرع قاريسا ، ص٥ .
(٢) الإسلام والتحدي التنصيري ، ص٣٩ ، بابكور ، مرجع سابق .
(٣) التنصير في القرن الأفريقي ومواجهته ، ص٨٤ ، سيد أحمد يحيى مرجع سابق .

العالمية ، تساعدها على القيام بمهمتها التنصيرية في شتى أصقاع العالم ، تحت غطاء المنح والمساعدات والخدمات الاجتماعية والصحية والإغاثة وبيوتات الخبرة ونحوها .

الأساليب التنصيرية في المستشفيات :

يذكر الداعية الشيخ على محمد صالح في تقرير له عن عمل المنصرين في كينيا، أن قاعات الانتظار الخاصة بالمرضى في المستشفيات الكنسية مليئة بالملصقات التي تحوي مقتطفات من العبارات الدينية وصور مريم العذراء ، وصورة المسيح وهو على الصليب ، كما أن الصليب نفسه لا يغادر أي غرفة من غرف المستشفيات . إضافة إلى بعض العبارات مثل : "اعتمد على المسيح فإنه يشفيك" وما شابه ذلك[١] .

وفي مستشفى للعيون بممباسا - المدينة الإسلامية العريقة - حينما يأتي المريض ويريد إجراء الكشف الطبي ، لابد أولاً من دخوله غرفة خاصة يعرض فيها فيلم سينمائي عن المسيحية (النصرانية) وفضلها على الإسلام[٢] .

وكانوا يقولون للمريض عند صرف الدواء : "نحن لا نشفي الناس بقوتنا ، ولا يملك الدواء ذلك ، إنما المسيح -عليه السلام- هو الذي يفعل هذا ، إذن عليك أن تؤمن به وتصدق له هذه المعجزة"[٣] .

وفي توجو أقامت الكنيسة العديد من المراكز الصحية التي تعالج الناس مجاناً ، أو بثمن زهيد ، في بعض الأحيان ، ولكن تشترط إدارتها على كل من يأتي للعلاج فيها بأن يشاهد قبل الكشف والعلاج فيلماً عن حياة المسيح لمدة لا تقل عن ساعة[٤] .

---

(١) عمل المنصرين في كينيا ، ص١٤ ، تقرير أعده الشيخ / علي محمد صالح - مبعوث رابطة العالم الإسلامي إلى نيروبي - عن المشكلات التي تواجه المسلمين في كينيا - موجود بمكتب منظمة الدعوة الإسلامية - نيروبي .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤ .

(٤) مجلة البيان ، العدد ١٤٥ ، ص٤٥ .

ما سبق ذكره كان هو المنهج التنصيري للزوار والمرضى الذين يترددون على المستشفيات والعيادات الخارجية ، أما الذين ينامون في المستشفى ، فأمرهم يختلف عن أولئك ، فهم يصبحون ويمسون في (بيت التنصير) حيث تقدم لهم الدعوة صباحاً ومساءً .

وفيما يلي نتأمل في جدول العمل التنصيري الأسبوعي في مستشفى كيسومو الإقليمي التابع للإرسالية النظامية في كينيا ، كما ذكره أحد المرضى الذين سبق لهم التنويم في هذا المستشفى ، بعد أن هداه الله للإسلام[١] .

يوم الأحد : من الساعة ٣٠ر١٠ صباحاً - ٥٤ر١٢ ظهراً ، اجتماع ومذاكرة (عبادة) .

يوم الاثنين : صباحاً : من الساعة ٣٠ر٦ - ٤٥ر٧ المحاضرة الدينية والدعاء الجماعي .

ظهراً : من الساعة ١٥ر١ - ١٥ر٢ بعد الظهر المحاضرة الثانية والدعاء .

يوم الجمعة : صباحاً :من الساعة ٣٠ر٦ - ٤٥ر٧ مذاكرة (عبادة) .

مساءً : من الساعة ـر٩ - ٤٥ر٩ زيارات للمرضى في أماكنهم .

ومما يجدر ذكره أن المستشفيات التنصيرية تعتبر من أرقى وأحدث المستشفيات في البلاد إذ إن أفضل المؤسسات الطبية هناك تملكها منظمات كنسية - وهي منتشرة في طول البلاد وعرضها . وعلى سبيل المثال يوجد في نيروبي أكثر من عشرين مستشفى تنصيرياً ، وفي ممباسا أكثر من ست مستوصفات تنصيرية[٢] .

ومن أبرز تلك المؤسسات والمستشفيات التنصيرية على سبيل المثال لا الحصر : الآتي[٣] :-

---

(١) التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص١٤٢ ، أحمد محمد حسن ، مرجع سابق .

(٢) تقرير منظمة الدعوة الإسلامية لأفريقيا - مكتب كينيا ، إعداد عوض الكريم سليمان ، ص ٤، ٥ ، بتاريخ ١٩٩٨/٨/١٧م .

(٣) المصدر نفسه ص ٥ ، ٦ .

١ - مستشفى كيكويو لأمراض العيون .
٢ - مستشفى كيابا .
٣ - مستشفى وامبا .
٤ - مستشفى نازريت .
٥ - مستشفى ماتا .
٦ - مستشفى مسابا .

وهكذا نجد أن التنصير يمثل جانباً مهماً - إن لم يكن الأهم - من عمل تلك البعثات الطبية الكنيسة - على اختلاف مذاهبها - المنتشرة في مناطق أفريقيا وخاصة الفقيرة منها ، ومناطق المسلمين على وجه أخص . وهي تمتلك المستشفيات والمراكز الصحية والمستوصفات ، وهي مفتوحة على مصراعيها للذين يدينون بعقيدة تلك البعثات التنصيرية ، والذين يطمحون إلى ضمهم من الوثنيين ، بينما يساومون المسلمين على عقيدتهم مقابل تلك الخدمات ، حتى يرتدوا عن دينهم أو يظهروا ميلاً تجاه ذلك على الأقل في سبيل قبولهم . وليس أمام المسلمين إلا الصبر على ما هم عليه ، يتحكم فيهم المرض في سبيل المحافظة على دينهم وعقيدتهم ، أو مهادنة التنصير ومسايرته ، وغالباً ما يختارون الطريق الأول ، ورغم الجهود التي يبذلها المسلمون للارتقاء بمستوى خدماتهم الصحية والعلاجية، إلا أنهم مازالوا دون المستوى المطلوب ، الأمر الذي يفتح أمامهم ثغرة كبيرة تشكل باباً تأتيهم من قبله الكنائس بخدماتها المختلفة ، وتجلب عليهم بخيلها ورجلها .

هذه هي بعض المعالم البارزة لأساليب الكنائس التطبيبية والعلاجية لتنصير الكينيين ، والتي تخرج صاحبها عن معنى الإنسانية ، وتهوى به في الدرك والانحطاط إلى أسفل الدرجات ، حيث إنهم جردوا هذه المهنة الإنسانية النبيلة عن معناها الإنساني السامي بكل انتهازية وعدم مبالاة .

المبحث الثاني
نشر الانحلال والتفسخ والاختلاط

المبحث الثاني

نشر الانحلال والتفسخ والاختلاط

توطئة :

حياة المسلمين الاجتماعية وما يسودها من قيم خلقية وآداب سلوكية، وما يتعلق بها من عادات وأعراف وتقاليد ، كانت ولا تزال هدفاً ضخماً لأعداء الإسلام والمسلمين . فبالسيطرة عليها ، أو إفسادها يستطيع الأعداء أن يسودوا المسلمين ، وأن يغرسوا في نفوس الناس ما شاءوا من قيم وأعراف وعادات . فإذا أفلحوا في ذلك استطاعوا بأيسر مجهود ، أن يقتلعوا من نفوس الناس القيم الإسلامية والآداب القرآنية ، وكل فضيلة دعا إليها الإسلام ، ويحلوا محلها ثقافة الانحلال والتفسخ والتغريب ، ومن ثم يكون المسلم بلا أخلاق وبلا قاعدة إيمانية صلبة تحميه . فيتخلى عن عقيدته وبالتالي يصبح لقمة سائغة وفريسة في أيدي النصارى .

لقد كان لحركة التنصير والمنصرين التي اجتاحت مناطق متعددة من العالم الإسلامي في الآونة الأخيرة – خاصة أفريقيا – النصيب الأكبر في نشر الفساد والانحلال الخلقي بين المجتمعات ، وسفور المرأة وخروجها واختلاطها بالرجال ، طمعاً في كسبها وكسب الشباب الأفريقي عبر الإغراء والمجون إلى صفوف النصرانية .

وفي هذا المبحث سنتطرق إلى استخدام الكنائس لهذه الأساليب في تنصير الشباب الأفريقي والكيني مسلمهم ووثنيهم على حدٍ سواء .

التنصير عن طريق المرأة :

لم يغفل النصارى عن جانب المرأة ، ذلك الكائن العطوف الذي أوصانا به رسولنا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه: "استوصوا بالنساء خيراً"(١) . أما النصارى ومن يقف وراءهم من رجال الكنائس فقد استوصوا بهن شراً ، وأخرجوا المرأة من وضعها الطبيعي ووظيفتها التي اختارها لها الله جل شأنه - في التربية وإدارة المنزل ورعاية الأولاد - لعلمه بطبيعتها وخلقها :﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾(٢) .

فخرجت تلك المرأة المسكينة تزاحم الرجال وتشاركهم في أعمالهم الشاقة التي لا تتفق وطبيعتها الإحيائية ، فأصبح خروجها هذا وبالاً على الرجال ووبالاً على المجتمع .

وتذكر المصادر أن البعثات التنصيرية النسوية كان لها دور كبير في خدمة الكنائس والمنظمات والجمعيات التنصيرية في أفريقيا منذ وقت مبكر. ومن أشهر تلك الإرساليات النسوية التي نشطت في أفريقيا "إرسالية الراهبات البيضاوات" - والاسم يدل على أن منبعها من أوروبا - ومنها أيضاً : إرسالية سيدة الرسل ، وإرسالية الراهبات الزرقاوات الكاثوليكية ، وإرساليات راهبات روح القدس(٣) .

وقد كان للمنصرة الفرنسية الشابة "جافوهي" (Javouhey) دور كبير في إثارة همم الكنائس النصرانية الغربية للعمل النسوي في أفريقيا عندما أسست عام ١٨٠٦م ، جمعية تنصيرية تسمى جمعية سان جوزيف الكلوثي للدعوة النصرانية بين أبناء قريتها والقرى المجاورة ، وفي علم ١٨١٩/ ، أبحرت بدعم من الكنيسة الأم على رأس أول إرسالية نسائية إلى منطقة السنغال ، فأنشأت عدة مشاريع يدوية ، ومستوصفات علاجية ، وفصولاً تعليمية كنسية ، استطاعت من خلالها أن تخترق جدار السلطات الإقليمية

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ، حديث رقم ١١٦٣ ، واصله في البخاري ومسلم .
(٢) سورة الملك : آية (١٤) .
(٣) مجلة البيان ، العدد (١٥٤) ، ص٧٠ .

الحاكمة التي مهدت لها السبل لممارسة نشاطها ، وكانت هي بدورها لا تألوا جهداً لتمهيد كل السبل أمام الإرساليات النسائية التي تدفقت إلى أفريقيا. حتى أطلق عليها لويس فيلب ملك فرنسا حينذاك لقب الرجل العظيم(١) .

وتسابقت الإرساليات والكنائس بعدها في توظيف النساء واستخدامهن في التنصير وخاصة بعد الفشل الذي أصابهم في أوروبا وأمريكا . فجندت دوائر التنصير ربع مليون رجل وسيدة للعمل في القارتين الأفريقية والآسيوية ، ورفعوا شعار أفريقيا كلها مسيحية(٢) .

ومن الجمعيات التنصيرية التي أفرطت في استخدام النساء في التنصير جمعية "أبناء الرب وأسرة الحب" ، وهي حركة تنصيرية نشأت عام ١٩٦٩م ، في أمريكا وتقوم على أساس التنصير عن طريق الجنس ، وتختار المنصرات الجميلات للقيام بهذه المهمة القذرة ، ولها فروع في كثير من دول العالم(٣) .

وتدعو هذه الجمعية إلى إلغاء الشرائع وإباحة الزنا واللواط وكل المحرمات ، وقد جاء في أقوالها : "إن الخوف من الزنا لم يعد له مكان ، وإن عمليتي اللواط والسحاق مباحتان مادامتا تتمان في جو من الحب" ، وقال ديفيد جاكس المتحدث باسم المجموعة : " إن تقديم العون الجنسي واجب على كل فرد ، وأن أفراد المجموعة من النساء مطالبات بتقديم كل ما يمكن أن يغرى أعضاءً جددا ، وأنه لابد من تغطية نفقات المجموعة من بيع الجنس إذا اقتضى الأمر"(٤) .

والتنصير عن طريق المرأة أصبح أسلوباً رائجاً عند كثير من الكنائس خاصة في أفريقيا ، وفي كينيا يعتبر أمراً مشاهداً ومحسوساً ، فكم من شاب تنصر بسبب إغراء الفتيات المنصرات له ، إما بالصداقة والحب،

---

(١) مجلة البيان ، العدد (١٥٤) ، ص ٥٨ .
(٢) انظر: فضائح الكنائس ، ص٥٣ ، مصطفى فوزي غزال ، نشر مكتبة دار القضاء للنشر والتوزيع - جدة .
(٣) المصدر السابق ، ص٥٨ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٩٢ .

أو طمعاً في الزواج من إحداهن ، خاصة وأن معظم النساء اللاتي يعملن في الكنيسة من الجميلات والمتعلمات ، ومثقفات ثقافة غربية حديثة ، أو ما يطلق عليها - الثقافة العصرية - ، لاسيما منصرات الكنائس البروتستانتية. وبعضهن يعملن في وظيفة واعظ أو خطيب (Pastor) وتتصدر خطبهن وسائل الإعلام حيث تنقل عبر تلفزيون قناة الأسرة - وهي قناة تنصيرية سيأتي الحديث عنها لاحقاً - كما تتصدر صورهن صفحات المجلات التنصيرية[١] . ومن أبرز أولئك المنصرات :

١ - ماما مواى EV. Mama Mawai
٢ - تريزا . ويريمو EV.T. Wairimu
٣ - ميليسنت وانجيرو Pastor Millicont Wanjiru
٤ - نانسي كيرنج Pastor Nancy Kierenge
٥ - مارقريت وانجيرو Rev. Margaret Wanjiru
٦ - جين كائوما EV. Jane Gathuma

وغيرهن كثير .

ومن خلال نشاط الفتيات المنصرات التابعات للكنيسة الكاثوليكية في نيروبي ، تنصر أحد الشباب الكينيين من ذوي الأصول العربية ، يسمى حسن ، وبعد تنصره وارتداده عن الإسلام جعلته الكنيسة من زعمائها ، وأخذت تطوف به المدن والقرى الكينية لتغرى به السفهاء قائلة" : إن هذا الشاب العربي ولد في الإسلام ، ونزل القرآن بلغته ، ولكنه اختار النصرانية ، وقد ارتد بسببه أكثر من ٨٥ شخصاً . وعندما تتبع الدعاة حالة هذا الشاب ، وكيف أنه أصبح من دعاة النصرانية بعد أن كان مسلما، تبين لهم أن الجامعة الكاثوليكية تدرب طالباتها على كسب شباب المسلمين إلى صفوف النصارى ، وخاصة العرب ؛ فكان هذا الشباب ممن وقع في حبال إحداهن[٢] .

---

(١) مثل مجلة المعجزة (MIRACLE) ومجلة النصر (VICTORY) ومجلة المبشر (MISSIONER) وغيرها .
(٢) انظر: مجلة البيان ، العدد ١٤٥ ، ص ٤٤ .

تدمير الأخلاق الإسلامية :

لقد بات واضحاً جداً لدى رجالات الكنيسة وبابواتها ، ما تحويه عقيدة الإسلام من أخلاق سامية ، وآداب رفيعة ، انعكست على سلوك أتباعه ، وأعجبت غير المعتنقين له - خاصة في أفريقيا ومناطق الساحل في كينيا وزنجبار - حيث دخل الناس في دين الله أفواجاً بالقدوة الحسنة ، والمعاملة الحسنة ، التي رأوها في الإسلام والمسلمين . وتعلم الكنيسة جيداً من خلال مستشاريها ومستشرقيها الذي يحيطون بها ، أن سر قوة الإسلام وتغلغله في قلوب الأفارقة بسهولة وثبات ، يكمن في تلك الأخلاق السامية. وتعلم أنه ليس في الإسلام رهبانية تقاوم إشباع الدوافع البدنية ، وتعمل على قتلها وكبتها ، كما أنه ليس فيه إباحية مطلقة ، تعمل على الإشباع التام للرغبات ، بعيداً عن شريعة الله واحترامها لآدمية الإنسان ، ويعلم البابا أن الإسلام أقام التوفيق والتوازن بين هذه وتلك .

ومن هنا بدأت الكنيسة في التخطيط والعمل على هدم كيان المسلمين في كينيا ، ورسم أساليب العبث بقواعد المجتمع المسلم ، المشيدة على لبنات الأخلاق القويمة . وأطلق التنصير رجاله المدربين على تحطيم النفس البشرية للعمل وسط الشباب الكيني المسلم ، فانساق الكثيرون منهم - للأسف - في دروب الخطيئة والضياع ، وجرفهم تيار اللهو والعبث ، وانشغلوا بسفاسف الأمور والتفاهات ، وبدأت جذوة الإيمان تخبو في صدورهم . فتحطم ما كان باقياً من فضيلة .

وفي هذا الظلام الدامس ارتفع نقيق غربان التنصير ، وعلا ضجيجها ، حيث أصبحت مهمتهم سهلة . فوقع في شباكهم كثير من أولئك الشباب والشابات .

وهذا ما أصبح مؤكداً ومشاهداً في كل أنحاء أفريقيا جنوب الصحراء، فقد حكى لي الأستاذ/ حسن معلم محمد - أحد زعماء الأحزاب الإسلامية في كينيا - عن زواج الفتيات المسلمات في ممباسا - المدينة الإسلامية العريقة - من الشباب النصاري بحجة الزمالة في الجامعة أو

الدراسة ، والتقارب في المستوى الثقافي والاجتماعي ، بسبب ما تسرب إليهم من أفكار الكنائس التي زينتها لهن وخدعت الكثيرات بها(١) .

وهذا بخلاف ملايين الوثنيين في كينيا وفي أفريقيا ، الذين كانوا أرضاً خصبة للضياع الخلقي ، حيث لا وازع ولا رادع يردعهم ، ولا عقيدة تحميهم ، فتشربوا تلك الأفكار بسهولة ، وصار الكثيرون منهم طعماً وفريسة ضعيفة في مواجهة جرعات التنصير المكثفة ، على امتداد وجودهم ابتداءً من نيجيريا ، وتشاد ، وتوجو ، وبنين ، وزائير ، والكنغو، وجنوب السودان ، مروراً بكينيا وأوغندا وأثيوبيا وغيرها(٢) .

إن بعض هذه الكنائس أطلقت رجالها لترويج هذه السموم في المناطق المكتظة بدور السينما والمواخير ؛ وفتحت بعض الكنائس نوادٍ للشباب الساقط للهو والرقص والغناء(٣) .

كما عمدت بعض الجهات التنصيرية إلى نشر الانحلال الخلقي والفساد من خلال وسائل الإعلام التي تسلط على الشباب المسلم في أفريقيا.

فقد نشرت مجلة "لافيد" الإيطالية نقلاً عن التقرير الصادر عن "دائرة تنصير الشعوب" في الفاتيكان تقريراً حول نشاط الدائرة في القارة الأفريقية المسلمة ؛ جاء فيه : " إن للإعلام في حياة الأفريقي قوة هائلة وتأثيراً عظيماً ، وحبذا لو "شوشنا" به على الإذاعات الأفريقية والعربية التي تذيع "القرآن الكريم" وصممنا برامج للمجون والجنس والموسيقى لتذاع في هذه القارة الفقيرة"(٤) .

انظر إلى هذه الصفاقة والوقاحة ، إن الكنيسة لم تترك وسيلة إلا استخدمتها في إفساد الشعوب ، ومن خلفها الفاتيكان وبابواتها ، ولم تكتف بإعلامها في تضليل الأفارقة ، بل عمدت إلى التشويش على الإعلام

---

(١) في مقابلة معه بنيروبي الخميس ٢٠٠١/١/١٨م .
(٢) انظر: الإعلام الغربي والمؤامرة على الإسلام في أفريقيا ، ص١٨٣ ، عبدالعليم عبدالرحمن خضر ، من إصدارات رابطة العالم الإسلامي ، العدد ١٨٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص١٧٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ص١٧٨ .

الأفريقي الموجود أصلاً ، خاصة ذلك الإعلام المتزن ، الذي ينشر الفضيلة والهدى ، ويذيع القرآن الكريم لينير إلى الأفارقة قلوبهم ويهديهم سبيل الرشاد .

ويؤكد المنصر الفرنسي (M.Chatilie) : أن للإعلام الغربي في ديار المسلمين عامة ، وأفريقيا خاصة ، أثراً بليغاً وسلطاناً عظيماً على الشباب المائع ، حيث يعمل على توجيهه نحو الفساد ، وقد أدار بعض شباب الإسلام ظهورهم للدعوة الإسلامية ، والحقيقة أنه نجح بالفعل - إلى حد ما - في جذب شباب القبائل الأفريقية في غرب أفريقيا إلى النصرانية بعيداً عن الإسلام ، طامعين بالجوائز والهبات النصرانية في مسابقات الإنجيل التي تذيعها إذا عات مسموعة بشتى اللغات واللهجات ، مثل إذاعة الشرق الأقصى (F.I.B.A) الموجهة من سيشيل، متخطية مجالات الشرق الأوسط وأفريقيا الشرقية - طوال ١٥ - ١٤ ساعة أسبوعياً(١) .

إن أسلوب نشر الفساد والانحلال الخلقي والتفسخ ، ليس بمستغرب على الكنيسة لمن له أدنى معرفة بما يدور داخلها ، وداخل الكنيسة الأم خاصة ، والكنيسة العالمية في أوروبا وأمريكا ، فكل إناء بما فيه ينضح . إن رائحة الفساد الخلقي التي تصدر من الكنائس في الغرب تزكم الأنوف ، حيث بلغ الفساد والتصدع في كتائب التنصير مبلغه ، لدرجة أن ألغت بعض الجمعيات التنصيرية الوصايا العشر التي جاءت في شريعة موسى -عليه السلام- وتعد من أهم دعائم المسيحية ، وأصبحت هذه الجمعيات تنادي بإباحة الزنا واللواط .

فقد أعلن عدد من جماعات التنصير في أمريكا ، وهولندا وإيطاليا، والسويد ، وألمانيا الغربية ، والدنمارك ،وأسبانيا ، وإنجلترا رفضهم لهذه الوصايا العشر ، كما أعلنت مجموعة "شبيبة المسيح" التي تتخذ من جنيف مقراً لها ولإذاعاتها الموجهة باللغات المختلفة ، أنها ليست مكلفة بمراعاة الوصايا العشر وأن هذه الوصايا بالنسبة لها قد انتهت إلى الأبد(٢) .

---

(١) الإعلام الغربي ، ص١٧٨ ، مرجع سابق .
(٢) فضائح الكنائس ، ص٩٢ ، مصطفى غزال ، مرجع سابق .

وأما عن الشذوذ الجنسي داخل العاملين في الكنيسة ووسط القساوسة فحدث ولا حرج ، فقد نشرت مجلة "النيوزويــــك" فــي عددهــا بتــاريخ ١٩٨٧/٢/٢٣م ، موضوعاً مطولاً عن الانحرافات في الكنيسة يشير إلـــى أن نسبة الشذوذ في محيط الكنيسة بين القساوسة تـــتراوح بيـــن ٢٠ إلـــى ٥٠% ، كما بدأت ٦٠٠ جماعة مشبوهة نشاطها في أوروبـــا والولايـــات المتحدة وأرسلت نشراتها الدعائية إلى عدد من المسلمين المقيمين في الدول الغربية ، استعداداً لنقل أفكارها المنحلة إلى المجتمعات المحافظة ، وتدعـو هذه الجمعيات إلى نشر الإباحية والجنس تحت ستار الديـــن كمـــا يدعـــو بعضها إلى عبادة النار والمرأة والشيطان[١] .

وفي كثير من البلاد الغربية اليوم ، أغلقت عدد من الكنائس أبوابها ، حيث هجرها الناس ، ولم يعد يدخلها أحد ، وأصبحت الديانة الحقيقية فـــي الدول الغربية خاصة أوروبا هي الوثنية الجديدة كما اعترفت الكنيسة نفسها بذلك في نشراتها ومجلاتها ، رغم أن الكنيسة تساهلت مع رعاياها في كـل شيء مثل تنصيب النساء قسيسات ، وقضايا الانحرافات الجنسية ونحوها، لدرجة أنها أباحت الشذوذ داخل الكنيسة - والعياذ بالله - ولكن الأوروبييـــن زهدوا في تعليمات الكنيسة ، خاصة وأنه لا يمر أسبوع إلا وتظهر فضيحة جديدة أبطالها رجال الكنيسة .

ومن ذلك اعتراف أكبر قسيس للكنيسة في ايرلندا بأن له ابنا عمـــره سبع عشرة سنة[٢] ، وأنه كان يسرق من أموال الكنيسة لكي ينفق عليـــه ، وقد اعترف بأنه سرق "١٢٠" ألف جنيه إسترليني فقط ، ثـــم ادعـــى أنـــه سددها واستقال ، وهذا ما اعترف به أما ما لم يعترف به فالله به عليم[٣] .

وفي مدينة تورنتو اعترف أحد القساوسة من الكنيسة الإنجيلية بأنـــه ارتكب الفاحشة مع عدد من الأولاد الصغار والبنات طيلة سنوات عملـــه

---

(١) المصدر السابق ، فضائح الكنائس ، ص٩٠/٩٤ ، مصطفى غزالي .

(٢) وهذا العمل يعتبر مخالفة كبيرة في نظر الكنيسة ، وأن ابنه هذا غـــير شـــرعي باعتبـــاره قسيس مفترض أنه حرام عليه الزواج بحسب قوانين الكنيسة الكاثوليكية التي تخالف الســـنن الكونية وسنن الفطرة .

(٣) انظر: رحلة خير في أفريقيا ، ص٥٨ ، مرجع سابق .

الماضية ، وجاء في اعترافات أنه قام بهذا العمل الإجرامي المشين مع ٨٤ طفلاً ، إلا أن أهالي المنطقة يعتقدون أن العدد أعلى من ذلك بكثير(١) .

أما في أفريقيا فحدث ولا حرج عن مخالفات الكنائس وفضائحهم - فقبل فترة مات رئيس الكنيسة الكاثوليكية في أوغندا بسبب مرض الإيدز - بينما قسيس منطقة منقوشي في دولة مالاوى حملت منه الخادمة التي كانت تخدمه في منزله ، ثم اشترى سكوتها بدفع مطحنة ذرة لوالدها وأن تنقل الضحية إلى مكان آخر . كما ثبت تحرشه بعدد من الفتيات الموظفات اللاتي كن يعملن معه في مكتبه ، وشجعهن على الرذيلة . وفي جزيرة موريشوس عندما كثرت ظاهرة الطلاق والانفصال بين الشباب من أتباع الكنيسة الكاثوليكية - وهو يعتبر حراماً في مذهبهم - اقترح عليهم القساوسة الكاثوليك أن يستمروا في حياتهم الزوجية دون عقد حتى لا يضطروا إلى الطلاق(٢) .

وهكذا انقلبت الموازين والسنن عند الكنيسة وقساوستها ، وأصبح المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، فأحلوا الحرام ، وحرموا الحلال ، وحرفوا دين الله القويم ، وبدلوا شريعته السمحاء ، كل ذلك من أجل استقطاب الشباب وإلهائهم حتى لا ينحازوا إلى دين الإسلام الدين الحق ، حسداً من عند أنفسهم ، وحقداً على هذا الدين وأهله .

إن الزواج فطرة وغريزة لدى الإنسان خلقها الله في ابن آدم ، أحلتها شريعته السمحاء وشجعت عليها ، ولكنهم حرموها على أنفسهم ، فسقطوا في الحرام ، وعاشوا في الرذيلة ، فضلوا وأضلوا كثيراً من بني البشر .

وفي أحد المراكز التنصيرية للكنيسة النرويجية في كينيا ، ظهرت كثير من الفضائح التي تتعلق برجال تلك الكنيسة أثناء تسييرهم للمركز ، كان منها فضائح جنسية تتمثل في تصوير الأطفال في أوضاع غير لائقة

---

(١) المصدر السابق ، رحلة خير في أفريقيا ، ص٥٩ .
(٢) المصدر نفسه ص ٥٩ .

قام بها رهبان الكنيسة ، ووصلت الفضائح إلى درجة اضطرت معها الحكومة إلى طرد الكنيسة(١) .

أما في قرية ليشمس إحدى قرى قبائل الرنديلى في كينيا حاولت الكنيسة تنصير المسلمين منهم - رغم قلتهم - بمختلف الوسائل ، إلا أنها فشلت ولم تنجح سوى في مرة واحدة حينما اتصل منصروها بأحد المسلمين من ضعاف الإيمان ووعدوه بالتبرع له بمبنى الكنيسة القديمة في المنطقة ، شريطة أن يحوله إلى خمارة ، كما أعطوه منحة قدرها خمسون ألف شلن كيني ، ليبدأ في شراء الخمور ويبيعها في القرية(٢) .

وإن المرء ليستغرب ويصاب بالدهشة والحيرة إزاء هذا التصرف الذي يقوم به من يسمون أنفسهم رجالات دين وإصلاح ، هل جاءوا لأفريقيا لإنقاذها باسم المسيح وباسم الدين؟ أم جاءوا لإدخال الخمور وتشجيعها في المجتمعات التي لم تكن فيها؟

إن تأثيرات الانحلال الخلقي للكنيسة ورجالها بدأت تظهر بوضوح على المجتمع الغربي وتركيبته الاجتماعية ، حيث لم تعد الأسرة هناك هي الخلية الأساسية للحياة الاجتماعية ، والمدرسة الأولى للتنشئة الاجتماعية والتربية الأخلاقية للأطفال ، كما أن المرأة الغربية لم تعد دائما هي الأم ، ولم تعد الأم مدرسة كما قال الشاعر: "إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق" لقد تعرض المجتمع الغربي لهزة اجتماعية وأخلاقية ونفسية رهيبة ، حولته إلى مجتمع مهلهل خال من الروابط الإنسانية والألفة ، واجتاحته سموم المادية والإباحية والقلق النفسي والضياع الاجتماعي ، ومفاهيم الحرية المفتوحة على مصراعيها ، وافتقار الضوابط الأخلاقية والإنسانية ، التي زلزلت العلاقات بين الرجل والمرأة ، وأدخلت معايير فلسفية وأخلاقية جديدة على الفرد في رؤيته لنفسه والجنس الآخر .

---

(١) انظر: رحلة خير في أفريقيا ، ص ٨٤ ، مرجع سابق .
(٢) المصدر نفسه ، ص١٤٤ .

والتقرير الذي أصدره المعهد الوطني الفرنسي للأبحاث الديموغرافية[١] مؤخراً ، ونشرته مجلة الأسرة[٢] ، يسلط الضوء على هذه القضايا الخطيرة التي تهدد كيانات المجتمعات الغربية وتنذر بكارثة محققة قادمة .

يرصد التقرير الأوضاع التي آلت إليها مؤسسة الزواج في فرنسا ، وكيف أنها لم تعد إطاراً للعلاقات بين الجنسين بل أصبحت العلاقات غير الشرعية هي النمط السائد بين الرجل والمرأة ، حيث يؤكد التقرير أنه من بين كل عشرة أشخاص متزوجين يوجد تسعة منهم خارج الإطار الشرعي للزواج نتيجة تساكن إرادي من غير عقد كنسي أو مدني أو عرفي . ومن مجموع العلاقات الجنسية التي تكونت في التسعينات من القرن الماضي هناك نسبة ٣٠% حالات ارتباط خارج الزواج - مع توقع ازدياد هذه الحالات بانتشار موجة التحرير والتحلل الجنسي والإباحية .

وبطبيعة الحال ليست فرنسا إلا نموذجاً واحداً للبلدان الغربية والأوربية ، التي ربما لن تكون أحسن حالاً من فرنسا ، خاصة الدول الاسكندافية مثل النرويج والسويد وفنلندا .

إن الأسرة في الغرب مهددة بالزوال ،وليس التفكك الأسري الذي أصبح حديثاً ينتسب إلى الماضي، بعد الاعتراف بالأنماط الجديدة للأسرة التي أقرها مؤتمر بكين حول المرأة ، الذي عقد بالعاصمة الصينية في عام ١٩٩٥م ، والذي يعتبر أن الأسرة يمكن أن تتكون من ذكرين أو أنثيين وليس بالضرورة من ذكر وأنثى ، وقد أصبح الشذوذ في الغرب مسلكاً طبيعياً بعد أن تساهلت فيه الكنيسة ، وأقرته بين اتباعها وقساوستها ، وأصبح مشروعاً تتبناه المنظمات الدولية المهتمة بحقوق الإنسان ، وتعتبره حقاً من هذه الحقوق ينبغي حمايته .

---

(١) الأبحاث الديموغرافية هي الأبحاث المتعلقة بالدراسات الجغرافية والسكانية لمعرفة التغيرات التي تطرأ على الأسرة والتركيبة السكانية .

(٢) انظر: مجلة الأسرة ، ص٤٢/٤٣ ، العدد ٩٣ ، ذو الحجة ١٤٢١هـ ، صادرة عن مؤسسة الوقف الإسلامي بهولندا .

وقد أجيز مؤخراً في ألمانيا قانوناً جديداً من قبل المحكمة الدستورية الألمانية يبيح زواج الشاذين جنسياً في كل الولايات الألمانية رغم اعتراض ولايتين عليه باعتباره يمثل اعتداءً على قيم الأسرة التقليدية . وبعد إجازة هذا القانون سيصبح من حق الشواذ من الرجال والنساء الزواج في مكاتب توثيق مدنية ليحمل كل زوجين منهما اسماً واحداً ، ويتمتعان بحق الإرث كالأزواج العاديين ، كما يحق لأي منهما جلب "شريكه" الأجنبي للإقامة معه في ألمانيا . وقد ذكرت صحيفة الحياة اللندية التي أوردت الخبر أن القانون الجديد سانده الحزب الديمقراطي الاشتراكي الحاكم وحلفاؤه ، إضافة إلى حزب الخضر معتبرةً ذلك بمثابة حجر أساس لمجتمع الشاذين في ألمانيا[١] .

وما هذا إلا نتيجة للبعد عن القيم الروحية والدينية ، والخروج عن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها . تلك القيم التي افتقدتها الكنيسة في داخلها أولاً ، وبالتالي افتقدها اتباعها ثانياً ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، ولذلك فقدت الكنيسة في الغرب هيبتها ، وفقدت السيطرة على نفسها وأتباعها ، بعد أن عجزت عن تقديم الخلق والمُثل الفاضلة التي ينبني عليها عماد الأمم ، فأصبح همها محاربة الإسلام في شتى بقاع الأرض ، وتشويه صورته وصورة أتباعه .

وهذا يوضح لنا جلياً أن الكنيسة وتعاليمها المحرفة لم تعد تحقق الإشباع الروحي والاستقرار النفسي لأتباعها حتى في ديارها ، بينما يتحقق ذلك في الإسلام. لذلك بقي الإسلام ديناً حيوياً ، وظل يكافح - وهو أعزل - لأن عنصر القوة كامن في طبيعته ، وكامن في بساطته ووضوحه وشموله، وملاءمته للفطرة البشرية وتلبيته لحاجاتها الحقيقية ؛ كامن في الاستعلاء عن العبودية للعباد ، بالعبودية لرب العباد ، وفي رفض التلقي إلا منه ، ورفض الخضوع إلا له من دون العالمين ، وهكذا الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب ، ولذلك لم يهزم المسلمون روحياً طالما عمر الإسلام قلوبهم ، وإن وقعت الهزيمة الظاهرية عليهم في بعض الأحيان .

---

(١) انظر: صحيفة الحياة، العدد ١٤٠٠٤، الخميس ١٤٢٢/٤/٢٨هـ الموافق ٢٠٠١/٧/١٩م.

ومن أجل هذه الخصائص في الإسلام ، يحاربه أعداؤه هذه الحرب المنكرة، لأنه يقف أمامهم حجر عثرة يحول بينهم وبين تحقيق أهدافهم الاستعمارية والاستغلالية واستعباد الشعوب ، كما يعوقهم عن الطغيان والتأله في الأرض كما يريدون .

الاختلاط :

ومن الأساليب المؤثرة في التنصير ، والتي عمدت الكنائس على نشرها ومن خلفها جيوش المنصرين ، الاختلاط - وهو أسلوب لنشر الأفكار أخص من التقليد - الذي كان له أثره البالغ في المجتمع من حيث الأهداف والأخلاق والسلوك ، وقد كثر اختلاط المسلمين بالنصارى من كل لون ، لكثرة الوافدين من هؤلاء النصارى إلى بلاد المسلمين في ركاب البعثات والإرساليات التنصيرية وغيرها من المنظمات الدولية ، وقد تعددت أيضاً شعب هذا الاختلاط في الأعمال والوظائف والبيوت والأندية إلى روابط الصداقة والحياة الأسرية والتزوج بالأجنبيات ، أو الزمالة في الدراسة . وكان من أخطر وأخبث الأجواء التي تم فيها هذا الاختلاط هو الجو الدراسي بمناهجه وبيئته الخاصة ، المكيفة تكييفاً مخططاً مرسوماً ، والتي كان يشرف عليها الرهبان الراهبات والمنصرون المحترفون ، والتي هيأوا فيها لشباب المسلمين وشاباتهم مناخاً مزدوج التركيب من فلسفة الحياة النصرانية وألوان العادات والأخلاق الأوروبية(١) .

إن الجامعات المختلفة التي أنشأها المحتل في البلاد الإسلامية لا تزال إلى اليوم في أغلبها مختلطة ، وتدرس بلغة المستعمر ، وتنشر ثقافته وحضارته ، وقد كان هذا الاختلاط في كثير من الأحيان مدعماً بتخطيط ماكر ليؤدي دوره الثقافي والتربوي الخطير، وليحقق التغيير بواسطة هذه الطبقة الجديدة التي ستؤول إليها مقاليد الأمور ويتحدد على يديها مستقبل الأمة .

(١) انظر: التنصير في القرن الأفريقي ومقاومته ، ص١١٤ ، سيد أحمد يحيى ، طبع دارالعمير للثقافة والنشر ، جدة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

ويدل على ذلك ما نجده في خطط اللورد "كرومر" معتمد الاحتلال الإنجليزي في كل من مصر والسودان ، حيث يقترح في هذا الصدد : أن يكون هناك نظام مدبر لعرض وجهة النظر التي تبدي عطفاً معقولاً على المسلمين، عن طريق أفراد من المشتغلين بالسياسة لا عن طريق الحكومة. وكان يأمل من وراء ذلك أن تجد أجيال المسلمين القادمة من الحكمة وسعة الأفق – حسب تعبيره – ما يحفزها للعمل بصبر وإخلاص مع الأوروبيين، الذين يعطفون عليهم حتى يستطيعوا متعاونين وضع مثل عليا جديدة ، تحل محل المثل الأعلى للمسلم المتدين الذي لم يعد صالحاً في هذا الزمان - حسب زعمه - للحكم والريادة(١) .

إن المثل العليا الجديدة التي يسعى لها رجال الغرب وقادته ، هي مثل الانحراف وانتكاس الفطرة السليمة ، وتشبه الرجال بالنساء ، وترجل النساء وتشبههن بالرجال ، ومخالطتهن ومساواتهن في كل شيء ، وهي التي يريدون تطبيقها على المجتمعات المسلمة . ولذلك كان من أبرز الأساليب التي استخدمتها الكنيسة في كينيا لتنصير الشباب الاختلاط بين الجنسين ، الذي تمارسه الكنيسة في كل تجمعاتها سواء في الفصول الدراسية أو الاحتفالات أو المعسكرات الشبابية المختلطة التي تسببت في ارتداد بعض الشباب المسلمين وتنصرهم ، لأن كثيراً منهم فضل أسلوب التحرر والاختلاط مع البنات الذي تمارسه الكنائس ، حتى في دور العبادة، وأثناء الصلوات وإلقاء المواعظ ، وقد شاهدت ذلك بنفسي أكثر من مرة وخصوصاً الكنائس البروتستانتية .

ومن مظاهر الاختلاط لدى الكنيسة في كينيا ، الاجتماعات في أعياد الميلاد "الكريسماس" التي يجتمع فيها النصارى ويحضرها بعض المسلمين، ويصاحب ذلك إقامة الترانيم والأناشيد والحفلات الصاخبة . كما أن تركيز المنصرين على العنصر النسائي ، والرقص والاختلاط في الكنيسة أوجد

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، بحوث المجلس العلمي لجامعة الإمام ، ص٢٦٢، من مطبوعات الجامعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

زيادة في أعداد النساء النصرانيات وهؤلاء بدورهن أصبحت يشكلن جزءاً كبيراً من حركة الضغط على الشباب لكي يتنصروا .

وبعد فهذه لمحة مختصرة عن جهود المنصرين وبعثاتهم في نشر الانحلال والتفسخ والاختلاط في المجتمعات غير النصرانية - خاصة الإسلامية المحافظة - من أجل ضمها إلى حظيرة الغوغائيين الذين يدعون أنهم نصارى ، وهم أبعد ما يكونون عن تعاليم المسيح -عليه السلام- وأخلاقه . حيث أصبح التغيير الاجتماعي وتغريب الأمم ، وإفساد أخلاقها ، السبيل إلى تنصير المسلمين ، إذ يؤدي إلى إبعادهم عن دينهم وقيمهم الأمر الذي يسهل ردتهم الدينية .

المبحث الثالث

محاربة اللغة العربية

وتشجيع اللهجات المحلية

المبحث الثالث

محاربة اللغة العربية وتشجيع اللهجات المحلية

تمهيد :

دخلت اللغة العربية إلى أفريقيا قبل الإسلام ،وتركت آثارها في لغات الحبشة ، والصومال ، وزنجبار ، وغيرها ، ثم انتشرت هذه اللغة انتشاراً كبيراً في القارة بعد ظهور الإسلام ،وذلك نتيجة طبيعية لانتشار الإسلام واعتناق الشعوب له وصاحب ذلك جهود العلماء والفقهاء في التدريس والتعليم ، حتى أصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية للأقطار الكبرى شمال الصحراء وتركت طابعاها الواضح على لغات باقي الأقطار والأجناس[١].

وقد قامت المساجد التي أنشئت ، والكتاتيب والمعاهد والزوايا بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة ، ويؤكد أغلب المؤرخين على أنه في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، تغلغلت الثقافة العربية في أفريقيا الغربية ، وأصبحت اللغة العربية مستعملة في المراسلات الرسمية للدول الأفريقية الإسلامية بالإضافة إلى أنها كانت اللغة المستعملة في التجارة التي كانت بأيدي العرب ، وكانت كل هذه المعاملات والدروس العلمية وغيرها تتم باللغة العربية[٢] .

وتوسعت اللغة العربية ، وزاد انتشارها ،وتفوقت - بحكم أنها لغة الإسلام - على العديد من اللغات في غرب أفريقيا ، مثل : الهوسا ، الماندنجو ، الوولوف ، ولغات النيجر ، وغيرها .

---

(١) انظر: مركز دراسات الوحدة العربية ، العرب وأفريقيا ص١٤٨ ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي .

(٢) انظر: حركة التجارة والتعليم في غرب أفريقيا ، ص٦٣١ ، مهدي رزق الله ، مرجع سابق.

وما بقي من هذه اللغات استعاد الكثير من الألفاظ والكلمات من اللغة العربية خاصة تلك الألفاظ والكلمات المتعلقة بالشرائع والنظم الإسلامية ، كما أن معظم هذه اللغات كانت تكتب بالحروف العربية[١] .

أما شرق أفريقيا فقد ازدهرت اللغة العربية فيه قبل الإسلام بكثير ، وذلك لاختلاط التجار والمهاجرين العرب بالأفارقة - خاصة منطقة الساحل - ومصاهرتهم منذ أقدم العصور ، وقد ذكر صاحب دليل البحر الأرتري الذي زار شرق أفريقيا في القرن الأول الميلادي ، أن الأفريقيين كانوا يتطلعون إلى تعلم لغة العرب ، وكانوا يتكلمون بها لما تتيحه لهم من آفاق واسعة في التبادل التجاري ، ودخلت اللغة العربية هناك في منافسة مع اللغات المحلية ، ولكن اللغة العربية تغلبت على معظم هذه اللغات في تلك المناطق التي انتشر فيها الإسلام فيما بعد ، وزاد فيها اختلاط العرب بالأفريقيين[٢] .

وفي هذا المبحث سيتحدث الباحث - بإذن الله تعالى - عن أحد الأساليب التي استخدمها النصارى في كينيا من أجل نشر عقيدتهم وثقافتهم، تمثل ذلك الأسلوب في محاربة اللغة العربية ومنع انتشارها بكل السبل وفي المقابل تشجيع اللهجات المحلية حتى تحل محل تلك اللغة التي هي لغة القرآن والسنة .

وقد شملت معاداة اللغة العربية كذلك معاداة اللغات التي تكتب بالحروف العربية وإن كانت غير عربية في أصلها مثل اللغة السواحيلية وبعض لغات الهوسا وغيرها ، وذلك على النحو التالي:-

ظهور اللغة السواحيلية :

نتيجة لتداخل اللغة العربية مع لغة البانتو في شرق أفريقيا ، ظهرت لغة جديدة تعرف بـ "السواحيلية" وتشكل اللغة العربية ٣٠% من مفرداتها.

(١) انظر: الإعلام الغربي والمؤامرة على الإسلام في أفريقيا ، ص١٤٧ ، عبدالعليم خضر ، مرجع سابق .

(٢) الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص٤٦ ، حسن أحمد محمود ، مرجع سابق .

وتعتبر اللغة السواحيلية أكثر اللغات الملحية انتشاراً في شرق أفريقيا ، وتمتد المنطقة التي تتكلم اللغة السواحيلية لتشمل زنجبار والساحل، وكينيا ، وأوغندا ، وراوندا ، وبورندي ، وتنزانيا حتى المناطق الشرقية من حوض الكنغو ، وإلى عهد قريب كانت هذه اللغة تكتب بالحروف العربية . فما كان من المنصرين إلا أن شنوا عليها حملة عنيفة حتى جعلوها تكتب بالحروف اللاتينية(١) .

ولما أخذت اللغة العربية تنتشر وتزحف إلى الكثير من أجزاء القارة الأفريقية ، وأصبحت تتحدثها قبائل عديدة ، لم تلبث أن اصطدمت بجيوش المنصرين والمستعمرين . ومن هنا عمدت الإرساليات التنصيرية ومن خلفها جيوش المستعمرين إلى دفع هذه القبائل على ترك اللغة العربية ، واستعمال الحروف اللاتينية في كتاباتهم بدلاً من العربية ، وقد وجد رجال الإرساليات أن أخطر ما يواجههم في السيطرة على القارة وتنصير أبنائها هو اللغة العربية والثقافة العربية التي تستند إلى تراث فكري وديني وأدبي، يجعلها لا تخضع ولا تلين أمام الثقافات الأخرى ، بل تستطيع مقاومتها وربما السيطرة عليها . لذلك تكاتفت جهود المنصرين وقوى الاحتلال لمواجهة هذه اللغة بأكثر من أسلوب تبعاً لاختلاف جنسية المحتل .

المنصرون واللغة العربية في كينيا :

انفرد المحتلون الإنجليز في منطقة كينيا وشرق أفريقيا بأسلوب ماكر في محاربة اللغة العربية هناك ، وأقاموا في وجهها سداً منيعاً ، تلاه تسلل تدريجي لإحلال اللغة الإنجليزية ونشر الثقافة الإنجليزية . وقد بدأت تلك الخطوات بتشجيع دراسة اللغات المحلية على يد المنصرين ورجال الكنائس ، لتحقيق المعرفة الأولية بهذه اللغات ، ثم محاولة تصنيفها وتطويرها . ويأتي بعد ذلك تشجيع اللغة الإنجليزية تمهيداً لسيادة الإنجليز،

---

(١) الإعلام الغربي ، ص١٤٨ ، عبدالعليم خضر ، مرجع سابق .

وأخيراً إدخال اللغة الإنجليزية كلغة أساسية في البلاد وفي مراحل التعليم المختلفة حتى في المرحلة الابتدائية(١) .

لقد التقت مصالح المستعمرين مع مصالح المنصرين في كينيا ، فكل جاءته هذه الفكرة - أي محاربة اللغة العربية - وصادفت هوى في نفسه ، وتحقيقا لمصالحه وأهدافه . فقد كانت هناك مبادرة من الإرساليات التنصيرية في كينيا لإلغاء اللغة العربية من حياة الناس ، حيث كانت هي لغة التجارة والتعليم وجميع الفنون ، فقام المحتل بدعمها ومساندتها وتشجيعها ، فعكفت الإرساليات التنصيرية وبعثاتها على إحياء اللغات المحلية وتدعيمها لوقف انتشار اللغة العربية ، وكتبت الأناجيل بهذه اللغات، ووضعت لها قواعدها وقواميسها ، وأعدت رجال الدين من بين الأهالي وأقامت الكنائس والمدارس التنصيرية ، التي استقطبت إليها الوثنيين من مناطق مختلفة ، وحتى تكسب الإرساليات التنصيرية ثقة هؤلاء الناس ويتم لها الاتصال بهم ، كان لابد في نظرهم من استخدام اللغات المحلية ، وعدم استخدام اللغة العربية أو التدريس بها لأجل الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية ومحاولة انتشار الإسلام(٢) .

ومن أبرز الإرساليات والمنظمات التنصيرية النشطة العاملة في محاربة اللغة العربية في المنطقة "جمعية حملة المسيح التبشيرية" ، ومقرها في كينيا ، ولها فروع ومراكز في كل من غانا ، ارتريا ، جيبوتي ، وتعمل على محاربة اللغة العربية في مناطق الناطقين بغيرها ، ومن تلك المنظمات أيضاً ، منظمة "الشبيبة المسيحية" ومقرها ألمانيا الغربية(٣).

وبعد فتح المدارس الأولية والابتدائية والفنية في كينيا عام ١٩٠٨م ، كانت هناك عدة آراء حول أي لغة تستخدم في تعليم الأطفال! هل العامية؟ أم السواحيلية بحروفها اللاتينية؟ علماً بأن اللغة السواحيلية - كما مر ذكره - كانت لمدة مئات السنين تكتب بالحروف العربية ، كما كان هناك أدب

---

(١) انظر: الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ، ص٢٧١ ، عمر بابكور ، مرجع سابق .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٧٢/٢٧٣ .

(٣) التبشير في أفريقيا، ص٣٧، عبدالجليل ريفا، المطبعة العسكرية، الخرطوم - ١٩٨٣م.

سواحيلي ضخم لاسيما في الشعر حيث يمتد عبر سبعة قرون من الزمان ، وكان التلاميذ يتعلمون الخط العربي منذ نعومة أظافرهم في الكتاب خلال دروسهم القرآنية ، وكانوا يجدون التشجيع من آبائهم على ذلك . وبما أن الإرساليات بدأت في كتابة أناجيلها باللغة السواحيلية ، فقد رأى المستشارون من قبل الإدارة الاستعمارية أن يكون التعليم في مدارس الأطفال باللغة السواحيلية بحروفها اللاتينية ، وبالتالي تقرر استعمال الحروف اللاتينية في جميع مدارس الحكومة رغم المعارضة المحلية لهذا القرار(١).

ولم يكتف المنصرون في كينيا بهذا الدور في إبعاد اللغة العربية ومحاربتها ، بل أنشأوا عدة معاهد عرفت بمعاهد دراسة اللغات ، وتضم هذه المعاهد رجالاً متخصصين في اللغات العامية التي لا تقرأ ولا تكتب ، من أجل دراستها ووضع القواعد والقواميس المناسبة لها ثم ترجمة الإنجيل إليها ، وتدريس هذه الترجمة للأطفال حتى تتحول القبيلة التي تتكلم تلك اللهجة إلى النصرانية ، فكانت ترجمة الأناجيل إلى اللغات المحلية من أنجح الأساليب لنشر النصرانية بين الأفارقة ، حيث أوجدت معرفة اللغة مناخاً من الاستئناس والاستقطاب في تلك المجمعات .

ومن أشهر المعاهد التي برزت في هذا المجال(٢):

١ - معهد اللغة والدراسات الشرقية التابع لكنيسة إقليم كينيا "جمعية التبشير الكنسي" الذي أنشئ عام ١٩٦٥م ، ليؤهل المنصرين الأجانب للعمل في دول منطقة شرق أفريقيا التي تضم كلا من : كينيا ، أوغندا ، بوروندي ، رواندا وتنزانيا ، وتدرس فيه لغة وثقافة عدة قبائل كينية مثل : السواحيلية ، لوهويا ، اللوو ، كالنجين ، كامبا، المساي ، تيتا ، وقبائل أخرى ، بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية والأسبانية ، وبعض اللغات العالمية الأخرى .

٢ - مركز اللغة التابع للكنيسة المعمدانية .

(١) انظر: الاستعمار والتحدي التنصيري ، ص٢٧٧/٢٧٨ ، مرجع سابق .

(٢) التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص١٥٨ ، أحمد محمد حسن ، مرجع سابق .

٣ – معهد اللغات الاستوائية التابع لإرسالية السودان المتحدة .
٤ – المعهد الصيفي للغات .
٥ – معهد الأدب التنصيري لزمالة شرق أفريقيا .
٦ – قسم دراسة اللغات التابع للمجلس الكنسي الوطني الكيني .
٧ – قسم دراسة اللغات التابع للسكرتارية الكاثوليكية .

ترجمة الأناجيل للغات المحلية :

بدأت أول محاولة لترجمة الإنجيل ، أو ما يسميه النصارى بـ "الكتاب المقدس" إلى اللغات المحلية على يد المنصر الألماني الشهير "كرايف" عام ١٨٤٤م ، عند أول قدوم له للمنطقة ، حيث هبط ساحل كينيا وتعلم اللغة السواحيلية ، وترجم بعض الفقرات من العهد القديم بمساعدة بعض الوطنيين من أهل المنطقة . ولما قدمت الإرساليات التنصيرية إلى كينيا ، وازدادت أعدادها اشتغلت بتعلم اللغات وترجمة الأناجيل ، فجمعت جمعية الكتاب المقدس الكينية إنتاج المنصرين في مكتبة بيت الكتاب المقدس التابعة لها . وأقبل الناس على امتلاك الكتاب حتى وصل عدد النسخ التي باعتها مكتبة بيت الكتاب المقدس عام ١٩٧١م ، أكثر من مليون نسخة[١] .

كما أن هناك عدة جهات وجمعيات كرست جهدها في خدمة وترجمة الإنجيل منها[٢]:

١ – مؤسسة معرفة الأدب وترجمة الكتاب المقدس (BIBLE TRANSLATION AND LITERACY) .
٢ – جمعية الكتاب المقدس الكينية (BIBLE SOCIETY OF KENYA) .
٣ ـ جمعية الكتاب المقدس المتحدة .
٤ – جمعية الكتاب المقدس للبريطانيين والأجانب .

---

(١) التبشير في كينيا ، ص١٥٨ ، أحمد حسن ، مرجع سابق .
(2)Aloo osotsi Mojoln, 150 xears of Bible Tnanslation, Kenya Bible Society Nairobi. P.P. 14. 65 .

٥ - جمعية الأسفار المتحدة .
٦ - جمعية الجدعيون العالميون .
٧ - جمعية ويكلف لترجمة الكتاب المقدس .
٨ - المركز الكاثوليكي للكتاب المقدس في أفريقيا ومدغشقر .
٩ - جمعية الكتاب المقدس الأمريكية .
١٠-المنظمة القومية لترجمة الكتاب المقدس .
١١--جمعية الكتاب المقدس العالمية .
١٢-جمعية التثليث للكتاب المقدس .
١٣-جمعية اسكوتلاند الوطنية للكتاب المقدس .
١٤-جمعية الكتاب المقدس الإثيوبية .

كما أنشأت الإرساليات معاهد لتدريب الأفارقة على القيام بدراسة الإنجيل وترجمته ، فوصل عدد المعاهد التي تحمل اسم الكتاب المقدس إلى ٣٢ معهداً ، والآن يتولى الأفارقة ترجمة الإنجيل بأنفسهم بدلاً من المنصرين الأجانب ، ويعتبر هذا المشروع من المشاريع الناجحة جداً . كما يتضح ذلك من الإحصائيات التي تبين عدد اللغات واللهجات المحلية التي ترجم إليها الإنجيل أو الكتاب المقدس بشقيه العهد القديم والعهد الجديد[١].

أولاً : اللغات التي ترجم إليها العهد القديم والجديد :

١ - البورانية : وتتحدث بها القبائل القاطنة شمالي كينيا وبالقرب من الحدود الإثيوبية .
٢ - السواحيلية : ويتكلم بها عامة أهل البلاد .
٣ - الصومالية : ويتكلم بها قطاع كبير من سكان المحافظات الشرقية والشمالية الشرقية .
٤ - الكامبية : لغة قبيلة كامبا ، وهي من كبريات القبائل الكينية .

(1) Aloo osotsi, Ibid, P 73 – 74 .

٥ - غيريا مية : لغة قبيلة الغرياما ، وهذه القبيلة يعتقد بعض الدعـلة أن لها أصولاً إسلامية ، فرغم وثنيتهم إلا أن لهم كثـيراً من العادات والأسماء العربية[١] .

٦ - كلنجينية : وهي لغة قبيلة الرئيس الحالي دانيال اراب موى .

٧ - كيكويو : وهي لغة أكبر القبائل الكينية على الإطـلاق ، وكـان منهم الرئيس السابق جومو كنياتا .

٨ - اللووية .

٩ - لغة الميرو .

ثانياً : اللغات التي ترجم إليها العهد الجديد فقط :

١ - برجية .

٢ - بكوتية .

٣ - بوكوسية .

٤ - تركانية .

٥ - سغالية .

٦ - نيولية .

٧ - هانفية .

٨ - ريندلية .

٩ - سابوتية .

وعلى الرغم من أن المنصرين وجدوا أن اللغة العاميـة الدارجـة وسيلة نافعة لنشر النصرانية ، فإنهم كانوا يرون أن تعليم اللغة الإنجليزيـة ضرورة أساسية لهم في التعليم ، ونتيجة لهذا كانت اللغة الإنجليزية لغـة التعليم في جميع المدارس[٢] .

وقد أدى التعليم الكنسي باللغة الإنجليزية إلى إيجاد طبقة جديدة مـن الشباب الكيني تحولت إلى النصرانية وأخذت بالعادات الغربية ، وبعـدت

---

(١) ذكر ذلك الدكتور عبدالرحمن السميط في كتابه "رحلة خير في أفريقيا" وأورد كثـيراً مـن عاداتهم وأسمائهم ذات الأصول العربية والإسلامية .

(٢) الإسلام والتحدي التنصيري ، ص٢٨١ ، عمر بابكور ، مرجع سابق .

عن تقاليدها الوطنية ، والسبب في انفصال هذه الفئة عن تقاليدها الوطنية الأفريقية يرجع إلى طبيعة الدراسة التي تلقتها في المدارس الكنسية ذات الطابع النصراني الغربي ، والتي أهملت التقاليد والعادات الوطنية ، وأظهرت احتقاراً واضحاً لها ، وأبعدت التلاميذ عنها بدعوى عدم تقدمها[١].

وهذا الوضع لم يكن قاصراً على الوضع في كينيا وحسب ، وإنما كان عاماً في كل البلاد الإسلامية والأفريقية التي ابتليت بالاستعمار الغربي، أو تعرضت لغزوه الفكري المؤثر ، حيث إننا نجد جميع هذه الطبقات التي تلقت تعليماً عصرياً في مدارس الغرب وجامعاته سواء كان في الداخل أو الخارج قد تأثرت بمنهجه العلماني المادي – إلا من رحم الله – وتنكرت لعاداتها وتقاليدها الوطنية .

ومما يثير الدهشة حقاً . أن محاولات المنصرين وأعوانهم في كتابة اللغات المحلية والأفريقية بالحروف اللاتينية ، لم تتوقف عند تلك اللهجات واللغات التي كان بعضها لا يقرأ ولا يكتب فحسب – كما لا تعتبر لغات سامية – ولكنها تعدت ذلك إلى الدعوة لكتابة اللغة العربية نفسها بالحروف اللاتينية ؛ بحجة أن الحروف العربية لا تلائم التطور ، وتؤدي إلى صعوبات في النطق الصحيح والكتابة المضبوطة مع أن الحرف اللاتينية نفسها لا يمكنها التعبير عن كثير من أصوات العربية[٢] .

وقد انفعل بعض أدباء اللغة العربية وشعرائها بهذه الدعوات الكاذبة والمشبوهة ، وكان من أولئك الشاعر حافظ إبراهيم حيث عبر عن ذلك في إحدى قصائده التي أشاد فيها باللغة العربية ؛ نذكر منها الأبيات التالية:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاني ...

وناديت قومي فاحتسبت حياتي

رموني بعقم في الشباب وليتني

---

(١) الإسلام والتحدي التنصيري ، ص ٢٨١ ، مرجع سابق .

(٢) الحرب على العربية في أفريقيا ، مقال بمجلة منبر الإسلام ص٩٩ ، عبدالله نجيب محمد ، عدد ٨ ، السنة ٤٤ ، شعبان ١٤٠٦هـ/ أبريل ١٩٨٦م .

عقمت فلم أجزع لقـوم عـداتي
أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

وكان من زعماء هذه الحركة الرامية إلى الكتابة بالحروف الرومانية أو العامية ، الاستعماريون الفرنسيون ، وعلى رأسهم المستشرق الفرنسي والموظف في قسم الشؤون الشرقية بـوزارة الخارجية الفرنسية في الأربعينات من القرن المنصرم "لويس ماسينون" والذي حاول أن يبث دعوته هذه في بلاد المغرب بشمال أفريقيا ، وسوريا ولبنان[١] .

غير أن هذه الدعوة ماتت في مهدها ولم تقو على البقاء ، إلا أنها عادت من جديد تحت شعار "تسهيل اللغة" وكان أشهر ما ظهر في هذا الباب كتاب "تبسيط قواعد اللغة العربية وتبويبها على أساس منطقي جديد ، في عام ١٩٥٢م ، لمؤلفه الدكتور "أنيس فريحة" أحد أساتذة التاريخ واللغات السامية في الجامعة الأمريكية ببيروت في ذلك الوقت . حيث يدعي في كتابه هذا أن الكتابة بالحرف الروماني سهلة القراءة وقليلة النفقات في طباعتها . ويقول في موضع آخر " ... ويطالب بعض الناس بتبني الحرف الروماني تسهيلاً للقراءة وتخفيفاً للنفقات في الطباعة ونحن المؤمنين بهذه النظرية لا نرى حلاً لذلك إلا بتبني الحرف الروماني وضبط الكلمات فيه مرة واحدة"[٢] .

ثم أصدر الدكتور فريحة كتابين آخرين في ذات الموضوع هما "محاضرات – وأسلوب دراستها" القاهرة ١٩٥٥م ، وكتاب "نحو عربية ميسرة" بيروت ١٩٥٥م[٣] .

وكل هذه المحاولات وغيرها من المنصرين والمستشرقين وتلامذتهم تهدف إلى طمس معالم اللغة العربية من قبل أعداء الإسلام والدين ، وتحت

---

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص٢٢٤ ، مصطفى الخالدي وفروخ ، مرجع سابق.
(٢) المصدر نفسه ، ص٢٢٥ /٢٢٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٢٢٧ .

مسميات شتى ، لكي يتحقق لهم هدفهم الأكبر وهو إبعاد هذا الدين عن حياة الأمة لكي تعيش بدونه مسخاً مشوهاً تسهل السيطرة عليه .

إن إبعاد التعليم باللغة العربية في أفريقيا ، واستخدام لغة المستعمر أو اللهجة العامية ، أصبح مثار سخرية ونقد حتى من بعض المثقفين الأوربيين المنصفين ، حيث يقول أحدهم بشأن التعليم في المستعمرات : من يستطيع كشف الاحتيال والنصب في فرض لغة أجنبية على الشباب الأفريقي وكأنها لغتهم الأم؟" في حين يذكر آخر ، بأن في الكنغو البلجيكي تتربى كل مجموعة من سلالة واحدة على أن تنطق لغة خاصة بها ، فكانت نتيجة تلك التربية عزل كل مجموعة من تلك المجموعات عن الأخرى ، فتتسع الهوة بينها لتزداد الفرقة بينها"(١) .

ويتضح لنا مما سبق أن محاربة اللغة العربية وإجلاءها من الألسنة من الأساليب الهامة للمنصرين في حربهم الخفية ضد الإسلام والصد عنه، حتى تنقطع الصلة بين المسلمين وبين مصادر دينهم وشريعتهم – كتاب الله وسنة رسوله – وكان من وسائلهم لتحقيق هذه الغاية أن قربوا إليهم كل من يحسن لغتهم الأجنبية ، وأسندوا إليهم المناصب العالية والهامة، وأنه بقدر انسلاخ المسلم من لغته يكون حظه من الجاه والسلطان عندهم ، الأمر الذي دعا كثيراً من الشباب الأفريقي المسلم إلى الإقبال على تعلم اللغة الأجنبية وحذق لغة المستعمر ، حتى يجد له فرصة تعليمية في الجامعة ، أو وظيفة يسد منها رمقه ، أو تتاح له الفرصة ليتكلم من خلال وسائل الإعلام ، وبالتالي مع ضغط اللوبي الكنسي وضغط ظروف الحياة، انخرط نفر غير قليل من الشباب المسلم في تعلم تلك اللغة .

ومما يبشر بالخير والحمد لله في ظل الصحوة الإسلامية المتنامية في الوقت الحالي ، بدأ اللسان العربي يستعيد مكانته في أفريقيا ، وقد رأيت ذلك واضحاً في مختلف أقاليم كينيا ، ورأيت كثيراً من الشباب الكيني الذي تخرج في الجامعات السعودية ، وجامعات مصر والسودان ، وهو يتكلم اللغة العربية بطلاقة ، كما أن المؤسسات والمنظمات الخيرية الإسلامية

(١) الإسلام والتحدي التنصيري ، ص٢٨٤/٢٨٥ ، عمر بابكور ، مرجع سابق .

التي دخلت البلاد مؤخراً كان لها أثر إيجابي في هذه الناحية ، إضافة إلى قسم اللغة العربية بجامعة جوموكنياتا .

ومع هذا فإن الحرب على اللغة العربية دائمة ومستمرة ، ولن تتوقف، ولا علاج لهذا الأمر دون الاهتمام بهذه اللغة ، ونشرها والعناية بها علماً بأن الأفارقة أنفسهم شديدو الحرص على تعلم اللغة العربية والكتابة بها ، وقد رأيت نفراً منهم أثناء زيارتي العلمية إلى كينيا ، ومنهم الدعاة ومدراء المدارس ، ورؤساء الأحزاب ، ولكن للأسف لا يتكلمون اللغة العربية إلا بعض المفردات البسيطة مع حبهم لها ، وكانت لغة التخاطب بيني وبينهم اللغة الإنجليزية .

المبحث الرابع
الإغاثة واستغلال الظروف والكوارث الطبيعية

المبحث الرابع

الإغاثة واستغلال الظروف والكوارث الطبيعية

تعلم المنصرون في معاهدهم ودرسوا نفسية الأفراد ، خاصة سكان المناطق الفقيرة والمتخلفة ، وبنوا خططهم على أصول علمية ، وعرفوا من أين تؤكل الكتف ، وبأبسط الطرق .

فنجد أن الكنيسة تُبنى على نمط فريد في مستواه ونوعه في المنطقة، وكثيراً ما يفوق نوع بنائها مراكز الحكومة ، وهكذا ليشعر هؤلاء البسطاء من العوام والسذج بأن الكنيسة أعظم من الدولة ، إذ إنها قد تكون فعلاً في كثير من الأحيان وفي كثير من البلدان أعظم من الدولة ، وما أكثر الدول التي تديرها الكنائس وتتحكم في مصيرها .

وعرف المنصرون كذلك مستويات معيشة الناس في أفريقيا ، ودرسوا حاجياتهم من ضروريات الحياة ، ليقوموا بتقديم تلك الحاجيات التي تجذب أولئك الناس . فيطعمونهم حيث لا طعام ، ويعالجونهم حيث لا مستشفيات ولا مستوصفات ، ويقدمون لهم الكساء والمأوى ، فكان ذلك سبيلاً إلى تنصير كثير من الشعوب والقبائل خاصة في أفريقيا .

يقول الأخ موسى كابيني العضو السابق في كنيسة (Kenya Refomly Church) في كينيا - وهي كنيسة أمريكية بروتستانتية - : "إن طريقتهم في التنصير في الأقاليم الكينية تبدأ أولاً بدراسة المنطقة المراد التنصير فيها جيداً من النواحي الاجتماعية ، والاقتصادية ، والنفسية ، والبشرية ، ثم معرفة نقاط الضعف في أهل تلك المنطقة وحوائجهم التي لا تتوفر في المنطقة. أما إذا كانت المنطقة يسكنها مسلمون فيقومون بدراسة تاريخ الإسلام فيها ، ثم ينظرون إلى احتياجاتها من مدارس ومستشفيات وأغذية وغيرها ، ثم يكتبون تقريراً للكنيسة عن هذه الاحتياجات ويرسل هذا التقرير إلى الكنيسة الأم في أمريكا لجمع المال والتمويل اللازم من المتبرعين الأمريكيين أو المنظمات الكنسية الأخرى ، وسرعان ما يجدون

التمويل اللازم ، فتبدأ الكنيسة عملها من خلال هذه المساعدات والمشروعات في استقطاب أبناء المنطقة للنصرانية"(١) .

إن المنصرين دائماً يصطادون في الماء العكر ، فهم يستغلون عوز المعوزين وحاجة المحتاجين ، فالظروف الصعبة التي تمر بها قارة أفريقيا عموماً ، وكينيا خصوصاً ، والمتمثلة في موجة الجفاف والتصحر ، زادت واقع المسلمين سوءاً حيث إن مناطق المسلمين في كينيا أشد المناطق التي تأثرت بالجفاف ، وقد رأيت ذلك أثناء جولتي في مناطق المسلمين الصوماليين في قاريسا ، وتانا ريفا ، وغيرها ، فهذه الأوضاع فتحت مجالاً واسعاً أمام عدد كبير من الهيئات الكنسية التي تعمل أو تدعي العمل في مجال الإغاثة .

كذلك تعمل الكنيسة على الإفادة من حالات الكوارث والنكبات التي تحل بالمسلمين وبديارهم ، فالكوارث بأنواعها تمثل أرضية خصبة للكنيسة، لتفرز فيها سمومها وتقوي من مكانتها ، حيث إنها أولاً تحصل على معونات وأموال لا حصر لها من أتباعها ومؤيديها ، توظفها في خدمة أغراضها الظاهرة ، وثانياً تستغل المنكوبين وتوجههم حيثما تريد .

إنه من البديهي أن يحافظ المرء على مصدر دخله ، فكذلك الكنيسة ترى في النكبات مصدر دخل لها ، وبالتالي تحاول إيجاد صورة متأزمة دائماً للرأي العام لتحظى بالسند والتأييد . أما ما تقدمه للمنكوب من مواد إغاثية فيكون فقط بالقدر الكافي لسد رمقه وإبقائه على قيد الحياة ليواصل الصراخ والعويل ، وتأتي الكنيسة للتسكين ومباشرة أعمالها .

ولهذا نجد أن الكنائس إن لم تجد الأزمات التي تتحرك من خلالها في البلاد المختلفة ، فإنها تعمل على إيجادها ، وهذا ما نص عليه مؤتمر

---

(١) الأخ موسى كابيني ، كان شاباً نشطاً في الكنيسة البروتستانتية ، والحمد لله هداه الله للإسلام، حيث أسلم العام الماضي ٢٠٠٠م ، بعد أن قرأ كتباً عن الإسلام . تلقى دراسته اللاهوتية في الكلية الأمريكية في كينيا على يد أساتذة أمريكان ، وكان عمله في لجنة بناء الكنائس والإشراف عليها ، كما كان عضواً في منظمة (Life Chalenge Africa) التي تهتم بدراسة المجتمعات ، وشارك في عدة سمنارات كنسية ، التقيت به في دار الأرقم للمهتدين الجدد التابعة لمعهد كسونى الإسلامي في ممباسا ، بتاريخ ٢٠/١٠/١٤٢١هـ الموافق ١٦/١/٢٠٠١م .

كلورادو التنصيري الشهير ، إذ جاء في إحدى فقراته "لابد من وجود أزمات معينة ومشكلات وعوامل إعداد وتهيئة تدفع الناس أفراداً وجماعات خارج حالة التوازن التي اعتادوها ، وفي غياب مثل هذه الأوضاع فلن تكون هناك تحولات كبيرة للنصرانية"[١] .

إذن لقد جرب المنصرون أنفسهم فهم لا يستطيعون ممارسة عمليات التنصير في الأحوال العادية ، وإن مورست فهي لن تؤدي إلى نتيجة ، لذا لابد لهم من إحداث هزة في حياة الناس ، ولابد لهم من إخراج الناس عن حالة توازنهم واستقرارهم بمصيبة ما من المصايب كالجوع ، أو الحروب[٢] ، أو الكوارث ، حتى تسنح لهم الفرصة لأن يتدخلوا بسهولة ويسر ، عن طريق الإسعاف أو الإغاثة ، أو نحو ذلك من الأساليب والوسائل .

وهذا ما يفسر لنا اهتمام المنصرين بإنشاء ملاجئ الأيتام ، ومراكز الرعاية الاجتماعية للفقراء والمحتاجين وغيرها من الأعمال الخيرية التي ظاهرها البر والإحسان ، وفي حقيقتها لم تكن لوجه الله ، ولم تكن حتى من باب المساعدات الإنسانية التي يدعونها ويتشدقون بها ، وإنما هم يستخدمون هذه الأعمال في الوصول إلى أغراضهم التنصيرية .

وكم حفر النصارى بئراً في مناطق المسلمين الجافة ، ولما لم يتنصر أحد هدموها ، كما حدث ذلك في شرق السودان .

يقول المنصر "رايد" : "إننا نحاول أن ننقل المسلم من محمد إلى المسيح ، ونحن لا نحب المسلم لذاته ، ولا لأنه أخ لنا في الإنسانية ، ولولا أننا نريد أن ننقله إلى صفوف النصارى لما ساعدناه"[٣] .

---

(١) انظر : تنصير المسلمين ، ص٢٦/٢٥ ، عبدالرزاق بكرلي ، مرجع سابق .

(٢) كثير من الحروب والأزمات التي تمر بها القارة الأفريقية حالياً كان للكنائس والنصارى دور كبير فيها ، إما بإشعالها ابتداءً أو بإيجاد أسبابها وتغذيتها بعد ذلك . ومثال ذلك ما يحدث الآن في جنوب السودان ، وجبال النوبا ، إذ تعتبر الكنائس الممول الرئيس للمتمردين الذين يقاتلون في هذه المناطق لإقامة دولة نصرانية وتفتيت وحدة السودان ، انظر : التنصير في جبال النوبا رسالة ماجستير غير منشورة ، ص٢٦٤/٢٧١ ، نور الدين عوض – جامعة الإمام ١٤١٥هـ – كلية الدعوة والإعلام .

(٣) التبشير والاستعمار ، ص١٩٣ ، الخالدي والفروخ .

وفي ضاحية "كريوبانجي " بكينيا إحدى ضواحي نيروبي الفقيرة ، قامت الكنيسة بمساعدة بعض الطلاب المسلمين ، واشترطت عليه عدم دخول المسجد وممارسة أي نشاط إسلامي ، كما اشترطت على الطالبات المسلمات عدم حضور الدروس الإسلامية في المسجد ، وكانت من بينهن فتاة يتيمة تدرس في المرحلة الثانوية ، لم تنفذ تعليمات وشروط الكنيسة فلما علمت الكنيسة بذلك قطعت عنها المساعدة التي كانت تقدمها لها ، فكانت النتيجة أن طردت هذه الطالبة اليتيمة من المدرسة لعدم تمكنها من دفع رسوم الدراسة(١) .

وفي قرية "دبيل" حول مدينة "مويالي" شمالي كينيا ، المنطقة التي تأثرت بالحرب والمجاعة ، افتتحت الكنيسة الكاثوليكية مركزاً لتدريب الأهالي على الزراعة ، وقامت بتوزيع الأطعمة عليهم ، وبدأت تمارس أعمالها التنصيرية - ولكن بفضل الله تعالى - ثبت المسلمون هناك على دينهم رغم فقرهم وحاجتهم ، فما كان من الكنيسة إلا أن غادرت المنطقة يائسة متحسرة ثم جاءتهم الكنيسة الإنجيلية وبنت مدرسة في القرية وأصبحت تمارس نشاطها التنصيري من خلالها ، فلم يستجب لها المسلمون وضيقوا عليها حتى تركت القرية بعد أن قامت بهدم المدرسة(٢).

وجاءت إلى المنطقة كذلك كنيسة أفريقيا الداخلية البروتستانتية وتبرعت للأهالي بجمال وأبقار ، ثم جاءتهم بأطعمة ومواد إغاثية وطلبت من الأهالي تغيير دينهم ثمناً للطعام والإغاثة ، مع أن هذه المواد الإغاثية كانت مقدمة من برنامج الغذاء العالمي الذي تساهم فيه كل الدول العربية والإسلامية ويتم توزيعه من قبل الكنيسة ، فتجيره لصالحها ، وتساوم به المسلمين على دينهم ، ولكن مع إصرار الأهالي وثباتهم على دينهم ، رحلت الكنيسة عنهم وتركتهم يموتون جوعاً(٣) .

---

(١) انظر: رحلة خير في أفريقيا ، ص١٦٢/١٦٣ ، عبدالرحمن السميط ، مرجع سابق .
(٢) المصدر نفسه ، ص١٠٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ص١٠٥/١٠٦ .

وبهذه الطريقة نجد أن النصارى استغلوا فقر المسلمين وحاجتهم في مجاهل أفريقيا ، لدرجة أن البعثات التنصيرية كانت توقع عقوداً مع الأسر الفقيرة تقدم البعثات بموجبها إلى هذه الأسر بعض المساعدات العينية الضئيلة كل شهر مقابل أن يكون لها حق اختيار أحد أطفال الأسرة دون سن الخامسة لكي تربيه تربية نصرانية ، ويرسل بعدها إلى أوروبا لإكمال تعليمه العالي هناك ، فيعود وقد تنصر تماماً ، ثم يستخدم بعد ذلك هو الآخر في أعمال التنصير أو تحقيق مصالح الغرب النصراني .

ومثال ذلك ، ما حدث في السنغال ولرئيسها السابق "سنجو" أوسان جورج - الاسم الأوروبي - إذا كان من هؤلاء الأطفال الذين أخذتهم البعثات وتم تنصيره وهو صغير ، وتعلم في فرنسا فكان أول رئيس للدولة بعد الاستقلال مع أن أبويه وأخوته مسلمون(١) .

تطور العمل الإغاثي في كينيا :

تطورت الإغاثة في كينيا مع التطور والتنامي النصراني في البلاد، ففي بداية الأمر ، كانت الإرسالية تستخدم المعونات المختلفة من طعام ودواء ولباس في كسب المنصرين الجدد وزعماء القبائل ، فأصبح وضع الأسر الاقتصادي وتلقيها لمعونات الإرساليات الكنسية ، يتوقف على عدد الداخلين منها في النصرانية وعدد أعضائها في الكنيسة ، الأمر الذي أدى إلى ثراء بعض الأسر الكبيرة والممتدة ، وكان البعض من هؤلاء يهدف من دخوله في النصرانية إلى الحصول على هذه المساعدات المادية ، وما يليها من فرص عمل كانت توفرها البعثات التنصيرية لأتباعها بالتعاون مع الحكومة ، ومن ثم أقبل الناس إقبالاً شديداً على الدخول في النصرانية لما رأوا أنها وسيلة سهلة لكسب المال والجاه(٢) .

ولما كثر اتباع البعثات التنصيرية تغير الأمر ، وأخذت أعمال الإغاثة أشكالاً جديدة اختلفت باختلاف المناطق واختلاف حالات الناس .

---

(١) الاستعمار والتبشير ، المرجع السابق ، ص٤ .
(٢) التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص١٤٥ ، أحمد محمد حسن ، مرجع سابق .

ففي المناطق الزراعية أصبحت الإرساليات تقدم الأدوية وآلات الحرث وغيرها من المساعدات التي يحتاجها الفلاحون ، بينما تقوم بحفر الآبار وتوزيع الأغذية في المناطق الصحراوية التي تقل فيها المياه وتنقص المواد الغذائية ، وأصبح لدى معظم الكنائس فروع متخصصة في الإغاثة ، مثل فرع الإغاثة التابع للكنيسة الكاثوليكية ، وبعثة صداقة الطيران لمشروع كينيا ، ومجالس عيد الخمسينية ، والمجلس الوطني لمسيحي كينيا ، والكنيسة المعمدانية - وهو ما يعرف بقسم الإغاثة العالمي - إضافة إلى المنظمات غير الكنسية (PARA CHURCH ORGANIZATIONS) التي تمارس نشاطها في المجال الإغاثي والتنموي وتدعم الوجود النصراني في البلاد[١] .

أبرز المنظمات الإغاثية في كينيا :

١ - منظمة الرؤية العالمية : WORLD VISION

تأسست هذه المنظمة عام ١٩٥٠ م ، من طوائف نصرانية متعددة لتكون واجهة للعمل التنصيري ، وتقوم بالتنصير من خلال برامجها الإغاثية المعلنة في مجال الطفولة والأسرة ورعاية المجتمع بالتعاون مع الكنائس المحلية ، نفذت هذه المنظمة نحو (١٨٠) مشروعاً في كينيا ، كما تتعاون مع المعاهد المتخصصة بتخريج المنصرين وإعدادهم ، وتساهم في تمويل البحوث الخاصة بتنصير المسلمين ، وللمنظمة نشاط واسع في كينيا لوجود مكتبها الإقليمي في عاصمتها نيروبي ، إضافة إلى المكتب الميداني الخاص بكينيا الذي يدير (٧٥) مركزاً منتشرة في عدة مدن منها: مرسبيتٍ، أسيلو، وجير سمبور، مكونتيا، تركانا وغيرها[٢].

(١) التبشير في كينيا ، ص٤٥ ، أحمد حسن ، مرجع سابق .
(٢) رحلة خير في أفريقيا ، ص١٠٣ ، السميط ، وانظر الفصل الأول من هذا الباب في البحث.

٢ ـ منظمة Life Challenge Africa :

توجد رئاسة هذه المنظمة في جنوب أفريقيا ، ولها فرع في نيروبي، تتركز أعمالها في دراسة المجتمعات في مناطق ومجتمعات القارة ، وهي أشبه ما تكون بأجهزة الاستخبارات ، إذ تلم بأدق التفاصيل والمعلومات عن أوضاع المسلمين في القارة ، من حيث إمكانياتهم ومدارسهم ، واحتياجاتهم وأوضاعهم السياسية والاقتصادية ، وقد قابلت أحد أعضائها السابقين في ممباسا ، وهو الأخ موسى كابيني الذي حكى عن نشاط هذه المؤسسة(١) .

٣ ـ مؤسسة صندوق الطفولة المسيحية
: CHRISTIAN CHILDRENS FUND

وتهتم هذه المؤسسة بالإضافة إلى أعمالها الإغاثية بالشؤون الاجتماعية، مثل مساعدة الأطفال والنساء والشيوخ والمعوقين والطلاب ، وتكفل هذه المؤسسة نحو مليوني طفل من الأيتام والمشردين والفقراء ، خاصة الأطفال الأذكياء والمتفوقين من الأسر الفقيرة في كافة أنحاء العالم، وأخطر ما تقوم به المؤسسة في هذه الناحية هو ربط هؤلاء الأطفال المكفولين بالأسر الغربية التي تتبنى كثيراً منهم وتتم تربيتهم على النهج الغربي المسيحي ، كما نشطت المؤسسة في إعادة تأهيل الأطفال المشردين في كينيا الذين بلغ عددهم في عام ١٩٩٤م ، نحو (٣٠٠) ألف طفل ،تتراوح أعمارهم ما بين (٣) سنوات إلى (١٦) سنة ، وبلغ عددهم في نيروبي (١٣٠) ألف طفل ، ما يعادل نسبة ٧% من مجموع السكان في نيروبي(٢) .

---

(١) كان ذلك أثناء زيارتي العلمية إلى كينيا ، شوال ١٤٢١هـ .
(٢) التبشير في كينيا ، ص١٤٧ ، أحمد حسن ، مرجع سابق .

٤ ـ إرسالية جيش الخلاص Salvation Army :

تعتبر إرسالية جيش الخلاص "العمل الاجتماعي" من أكبر ١٠ منظمات تنصيرية بريطانية ، وتبلغ ميزانيتها السنوية من الدخل والأوقاف أكثر من ١٢٣ مليون جنيه استرليني[١] .

وتعمل إرسالية جيش الخلاص على رعاية المعوقين والأيتام ، حيث تتولى رعاية ثمانية ملاجئ ، للمعوقين والأيتام وسبع مدارس من بين (٣٧) مدرسة للأيتام والمعوقين في كينيا ، كما تشرف على (١٧٨) روضة أطفال و (٢٩١) مدرسة ابتدائية ، و(٢٧) مدرسة ثانوية ، وتكلف إدارة مشاريعها في كينيا أكثر من (٣٠) مليون شلن كيني سنوياً[٢] .

٥ ـ منظمة أطباء بلا حدود :

وهي منظمة فرنسية تعمل تحت شعار التطبيب والعلاج .

٦ ـ الصليب الأحمر :

وهي منظمة دولية مقرها في جنيف ، ومجالها في الإغاثة ورعاية اللاجئين والكوارث بجانب أنشطتها التنصيرية الخفية .

وعموماً فإن المنظمات الكنسية التنصيرية في كينيا التي تتستر تحت رداء الإغاثة كثيرة ولا حصر لها ، كما يتبين ذلك من خلال الجدول التالي، الذي يوضح عدد المنظمات الإغاثية العاملة في منطقة مرسبيت فقط، والتي تم مسحها عام ١٤٢١هـ دعوياً عبر فريق المسح الدعوي التابع للجنة مسلمي أفريقيا ، فرع مرسبيت بشمالي كينيا[٣] .

---

(١) انظر: لمحات عن التنصير في أفريقيا ، ص٢٤ ، السميط ،مرجع سابق .
(٢) تقرير المكتب الرئيس لجيش الخلاص في شرق أفريقيا ١٩٩٦م .
(٣) انظر: تقرير المكتب الفرعي للجنة مسلمي أفريقيا - بمرسبيت - تقرير لجان المسح الميداني لعام ١٤٢١هـ ، مكتب اللجنة بمدينة ثيكا .

م	الاسم	الرمز	العمل
١	العون المباشر : لجنة مسلمي أفريقيا	D.A.I A.M.A	في مجال التنمية والاجتماعية المختلف والدعوة الإسلامية .
٢	المنتدى الإسلامي		بناء المساجد والمدارس ودعم الدعاة .
٣	المنظمة الدوليةلرعاية الطفولة	UNCEF	في الإغاثة والرعاية الاجتماعية .
٤	German Technical zone	G.T.Z	منظمة ألمانيا تنصيرية (في مجال التنصر
٥	FOOD FOR HUNGRY INTERNATIONAL	F.H.I	منظمة بريطانية تنصيرية مدعومة من قبل الكنيسة وتمارس التنصير عبر نشاطات مختلفة .
٦	Christian Children Fund	C.C.F	توزيع الطعام والملابس وتقديم العلاج وحفر الآبار .
٧	MED AIR	MED AIR	في مجال مكافحة الجفاف والتصحر، وتعتمد في عمالتها على العناصر النسوية الشابة في الغالب من الجنسيك الفرنسية والبريطانية .
٨	CATHOLICMISSION	C.M	توزيع الطعام ومساعدة الأهالي وبرما تدريبية مثل الخياطة .
٩	TEAR FUND	T.F	دخلت هذه المنظمة بقوة في مجال الإغاثة وافتتحت عدة مراكز لتوزيع الطعام المطبوخ .
١٠	WORLD FOOD PROGRAME	W.F.P	برنامج الغذاء العالمي ، والذي يوزع الأطعمة والإغاثة عبر الكنائس .
١١	مجموعة التقنية المتوسطة للتنمية .	I.T.D.G	وهي منظمة بريطانية غير كنسية، تهتم ببناء خزانات المياه ، تدريب الأمهات على تنمية أنفسهم ، وتوفير الأدوية للمواشي .
١٢	Internationd Livestock Resersh Institute	I.L.R.T	توفير الأدوية للحيوانات وتوزيعها مع توزيع اللحوم المجففة على الأهالي.

ومن الجدول نلاحظ كثرة المنظمات التنصيرية في المنطقة التي تعتبر نموذجاً للمناطق الأخرى . إذ توجد في هذه المنطقة اثنتا عشرة منظمة ، منها اثنتان فقط تعملان في مجال الإغاثة والدعوة الإسلامية وهي المنتدى ، ولجنة مسلمي أفريقيا ، وواحدة فقط منظمة غير تنصيرية وهي المنظمة البريطانية (I.T.D.G) بينما باقي المنظمات التسع كلها منظمات كنسية تنصيرية وإن توارت خلف أعمال الإغاثة والأعمال الاجتماعية والإنسانية .

مصادرالإغاثة التنصيرية :

إن الإغاثة بمثابة الوقود للكنيسة ؛ إذ بها تتمكن من الوصول إلى مناطق عديدة وغايات وأهداف كبرى ، ولأهميتها أمَّنت المؤسسة الكنسية لنفسها مصادر مضمونة ومستمرة للإغاثة . وبالنظر في مصادر الإغاثة التنصيرية في كينيا نجدها تعتمد على مصدرين هامين : الأول مصدر خارجي ، وثانيهما مصدر داخلي .

أولاً : المصدر الخارجي :

ويتمثل هذا المصدر في المعونات التي تصل إلى الكنائس ومؤسساتها من الخارج ، وتختلف مصادر هذه المعونات وحجمها لدى كل كنيسة وإرسالية تبعاً للتوجهات المذهبية لتلك المؤسسات الكنسية وبلدانها ، وبراعتها في الاتصال بالمنظمات الإنسانية العالمية . وبناءً على ذلك فإن الكنيسة الكاثوليكية مثلاً تحصل على المساعدات من ثلاث جهات هي : دولة الفاتيكان في روما ، والمراكز الفرعية للمؤسسات الكاثوليكية في العالم الغربي ، مثل مركز ميل هيل في بريطانيا ، وآباء روح القدس في فرنسا ، إضافة إلى الهيئات والمنظمات الإنسانية العالمية ، وتحصل الكنائس البروتستانتية على الدعم والمساعدة من أربع جهات هي : المراكز الرئيسية للمنظمات البروتستانتية وفروعها في الغرب، ومن منظمات

الإغاثة البروتستانتية غير الكنسية ، ومن مجلس الكنائس العالمي ، ومن الهيئات الإنسانية[١].

ثانياً : المصدر الداخلي :

يتشكل المصدر الداخلي من مصادر الإغاثة والمساعدات الكنسية من رافدين أساسيين ، هما : أ - الصدقات والتبرعات والاشتراكات ، ب - الاستثمارات والأنشطة التجارية الكنسية ، وفيما يلي نتحدث عن كل واحد منهما بإيجاز .

أ - الصدقات والتبرعات والاشتراكات :

تطلب الكنيسة من كل القادمين إليها يوم الأحد أن يحضروا قدراً من الصدقات ، كما تطلب من الأغنياء دفع الزكاة والصدقات من عشر رأس مالهم . وبما أن كثيراً من النصارى لا يحضرون إلى الكنيسة باستمرار فإن العائد من هذا البند يعتبر ضعيفاً .

أما الاشتراكات فهي سهم من المال يؤخذ من الأعضاء شهرياً ، أو سنوياً ، مرة واحدة حسب نوع العضوية ، وتهتم بهذا الأمر في الغالب المنظمات النصرانية غير الكنسية كالمنظمات الطلابية المسيحية ، والتجمعات النسوية ونحوها . فمثلاً يدفع الفرد الذي يرغب في الانضمام إلى جمعية الشباب المسيحي (YMCA) ٣٠ شلن كيني للعضو المؤازر ، و(٣٠٠) شلن للعضو الفعال ، و(٣٠٠٠) شلن للعضوية الدائمة . ومثلها الاشتراكات في المكتبة التابعة لجمعية الكتاب المقدس الكينية ، حيث كانت في عام ١٩٩٧م ، على النحو التالي :

- ٢٥٠٠ شلن للعضوية الجماعية .
- ١٢٥٠ شلن للعضو الدائم .
- ٢٠٠ شلن للعضوية السنوية ، وتجد حسب الرغبة .

(١) التبشير في كينيا ، ص١٤٧ ، أحمد حسن ، مرجع سابق .

١٠٠ شلن للعضو المؤازر .

إضافة إلى الاشتراكات الموسمية[١] .

وفيما يخص التبرعات ، نجدها تجمع بعدة طرق منها : ما يسمى بـ(مشروع الاستنفار" (HARAMBEE) أو القربان الخاص للكنيسة ، ومنها أيضاً إقامة الحفلات لجمع المال ، والتجول لطلب المساعدة ، والأسواق الخيرية وطلب المساعدة والتبرع من خلال البريد ووسائل الإعلام .

ب - الاستثمارات والمشاريع التجارية :

استقطاباً لمزيد من الدعم ، وتنويعاً لمصادر دخلها ، تعمل الكنيسة في العديد من الأنشطة التجارية والاستثمارية مثل فتح المحلات التجارية ، والمكتبات الخاصة ببيع الكتب والأشرطة ، وإصدار الصحف والمجلات التجارية ، وإقامة الدورات التدريبية والفنية ، وبناء العقارات للإيجار ، وفتح الوكالات في مجال المواصلات وخطوط الطيران[٢] ، إضافة إلى دخلها من المستشفيات الخاصة والخدمات الطبية والتعليمية حيث تمتلك الكنائس أفخم المستشفيات والجامعات .

وكل هذه الموارد الضخمة ، والمساعدات والإمكانات الكبيرة تصرفها الكنيسة في تسيير أعمالها المحلية ، وبناء المزيد من الكنائس ، وتوزيع الأناجيل ، والإغاثة المسمومة إلى تساوم بها المسلمين على دينهم وتشككهم بها في عقيدتهم ، إضافة إلى أغراضها التنصيرية الأخرى .

وبعد .. فهذه هي أسلحة الكنيسة في الحرب الخفية ضد الإسلام وعقيدته ، وهي تجنيد جيوش مكثفة من المنصرين الذين دفعت بهم إلى بلاد المسلمين والبلاد الأخرى ، تحت ستار الإغاثة وإعانة المنكوب تارة، وتحت ستار التطبيب ومعاونة المرضى تارة أخرى ، تدعمهم في ذلك الحكومات والمنظمات والمؤسسات الضخمة ، بالمال الوفير والتشجيع

---

(١) قائمة الأسعار بمكتبة الكتاب المقدس ، لأسعار الكتب والأشرطة ، نيروبي ١٩٩٧م .

(٢) مثل إرسالية أفريقيا الداخلية ، وبعثة صداقة الطيران في كينيا التي سبق ذكرها .

اللامحدود ، فتغلغلوا في القرى والحضر ، وبين العامة والخاصة ، وأقاموا الملاجئ والمستشفيات والمستوصفات ، ومعسكرات النازحين واللاجئين ، باسم الرحمة الكاذبة وبكاء التماسيح لينفثوا سمومهم في صدور العامة من الناس ، بعد أن مثلوا لهم دور رسل الرحمة المبعوثين إليهم من عند الإله لإنقاذهم من الفقر والجوع والمرض باسم المسيح .

المبحث الخامس
السيطرة على وسائل
الإعلام ومؤسسات التعليم

المبحث الخامس

السيطرة على وسائل الإعلام ومؤسسات التعليم

في هذا المبحث سوف نتحدث عن وسائل الإعلام - المقروءة والمسموعة والمرئية - أولاً ، ثم مؤسسات التعليم ثانياً ، ومدى تسخير المؤسسات الكنسية لها في تحقيق أهدافها التنصيرية .

أولاً : السيطرة على وسائل الإعلام :

تمهيد :

أولت الكنيسة وهيئات التنصير ومؤسساته العالمية ، أهمية كبرى لوسائل الإعلام والاتصال الحديثة في مجالات عملها ، فاستخدمت الوسائل السمعية والبصرية من إذاعة وتلفاز وأشرطة كاسيت وأفلام وغيرها ، إضافة إلى الوسائل المقروءة من نشرات ومنشورات وكتب . فأقامت محطات للإذاعة وأخرى للتلفزيون ، وثالثة شاملة لجميع أنواع الإنتاج الإعلامي ، خاصة في البلاد الأفريقية حيث تعتبر هذه الوسائل والأساليب ملفتة للنظر وجاذبة لأنظار الأفارقة البسطاء مما يجعل تأثيرها أكبر كما سيتبين لنا في هذا المبحث - إن شاء الله تعالى - .

يقول الدكتور كرم شلبي : " لقد جاء اهتمام الكنيسة بهذه الوسائل والأساليب لقناعتهم الكبيرة بأن هذه الوسائل ستسهم بصورة فاعلة في تثقيف العقل والترويج عنه وتساعد على انتشار النصرانية وتدعيمها ، وتأكد لديها ذلك . وانطلاقاً من هذه القناعة شهدت ساحة التنصير العالمية في العقود الماضية وحتى الآن عشرات المؤتمرات الإعلامية التي ضمت صحفيين وإذاعيين وخبراء إعلام وأساقفة من كل أنحاء العالم ، لبحث موضوع وسائل الإعلام وتطويرها وتوسيع استخدامها في مجال التنصير[1].

---

(١) الإذاعات التنصيرية ، ص٥٧ ، كرم شلبي ، مرجع سابق .

وفي هذا المبحث سنتطرق إلى مدى استخدام الكنائس ومؤسساتها هذه الوسائل والأساليب الإعلامية في مجال التنصير في كينيا ، والتي تشمل كلاً من الإذاعة ، والتلفزيون والمطبوعات بكل إشكالها بما في ذلك الكتب ومكتبات بيعها والأشرطة السمعية والبصرية ، على النحو التالي:-

١ - الإذاعة ودورها في التنصير :

ولما تمتاز به الإذاعة وأجهزة الراديو عن سواها من وسائل الإعلام الأخرى ، فقد بدأت الكنيسة تفكر في استخدام هذه الوسيلة في التنصير وتقديم المسيح لقطاعات واسعة من الناس ، منذ بداية اختراع أجهزة الإرسال والاستقبال الإذاعية في مطلع القرن الماضي . ففي الولايات المتحدة الأمريكية استخدمت بعض المحطات الإذاعية التي تملكها أو تشرف عليها مؤسسات تنصيرية للعمل في مجال التنصير منذ عام ١٩٥٠م، ثم ما لبثت تلك المؤسسات والمنظمات أن تطلعت لمد نشاطها التنصيري إلى أجزاء أخرى من العالم ، وخاصة تلك البلاد التي لا يوجد بها نصارى أو بها أقلية نصرانية . ومن هنا بدأت فكرة المحطات الدينية الدولية والمحلية ، فكانت أول محطة من هذا النوع محطة "نداء المسيح" أو "صوت يسوع المبارك" عام ١٩٣٠م ، وتبث إرسالها من دولة الإكوادور. ثم تلى ذلك افتتاح راديو الفاتيكان في عام ١٩٣١م ، وقد أنشأ هذه المحطة مخترع الراديو الشهير "ماركوني" وقدمها هدية للبابا "بيوس التاسع" بنفسه[١]. وبدأ البابا حديثه قائلاً: "إن هذه الإذاعة قامت لتخدم عالم

---

(١) إن في هذا الصنيع درساً بليغاً للمسلمين في خدمة المبادئ والأفكار ، فإن المخترع ماركوني لم يكن قسيساً ولا داعية للنصرانية ولم يرتد عباءة القساوسة ويعلق الصليب على صدره ، ولكنه كان رجلاً نصرانياً عادياً يؤمن بفكر وعقيدة يرى أهمية نشرها وخدمتها، ولذلك حينما تم له هذا الاختراع لم ير قضية أجدر بتسخيره في خدمتها من نشر النصرانية وإذاعة أخبارها ومبادئها ، لذلك قام بتقديم هذه المحطة الإذاعية بنفسه هدية للبابا من أجل تنفيذ الهدف المقصود ، فهل سخر كل عالم مسلم يؤمن بإسلامه وسماحته جهوده وإمكانياته لخدمة هذا الدين؟ فإن خدمة الإسلام ورفع رايته ليست مسؤولية العلماء والدعاة فقط كما يعتقد البعض ولكنها مسؤولية المسلمين جميعاً .

يسوع المسيح" . وتحقيقاً لهذا الهدف اهتمت برامج المحطة بإذاعة خطب البابا ورسائله ، وبث أخبار الفاتيكان ، والاحتفالات والمناسبات الدينية(١).

وقد جاء التعبير عن أهمية الإذاعة وجهاز الراديو في قول أحد أقطاب التنصير "كل جهاز ترانزستور "راديو" قد يصبح مبشراً بالمسيح . وأن هذا الجهاز الذي ساعد الناس على سماع كلمة الإنجيل ينبغي أن يكرس لخدمة الله وإنجيله الطاهر ولخير البشرية جميعها"(٢) .

وتأكيداً على هذا الاهتمام بالإذاعة بصفة عامة وبالراديو على وجه الخصوص ، قامت عشرات الهيئات والمنظمات الإذاعية التنصيرية في أنحاء متفرقة من العالم : في سويسرا والنمسا وإنجلترا وألمانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وهونج كونج والفلبين وأمريكا وغيرها ، والتي أنشأت المحطات الإذاعية لاستخدمها في مجال التنصير ، ومن تلك الهيئات على سبيل المثال: الرابطة الكاثوليكية للراديو والتلفزيون بسويسرا ، والرابطة العالمية للإذاعة المسيحية بجنيف ، والاتحاد العالمي للاتصالات المسيحية بلندن ، والرابطة الدولية للإذاعيين المسيحيين بأمريكا ، وجمعية التنصير العالمية بالراديو بأمريكا بولاية ينوجرسي ، والاتحاد الفلبيني للإذاعيين الكاثوليك وغير ذلك . وقد بلغ عدد هذه الهيئات عام ١٩٨٠م ، أكثر من ٣٥ هيئة ومؤسسة إذاعية دولية ، وقد بلغ عدد المحطات الإذاعية التي تملكها أو تستأجرها الطائفة المعمدانية وحدها أكثر من محطة تنصيرية في أكثر من ثمانين بلداً(٣) .

الإذاعة والتنصير في أفريقيا :

تبلورت فكرة استغلال الإذاعة لأغراض التنصير في أفريقيا بصورة أوضح في الخمسينيات من القرن العشرين ، أثناء المؤتمرات واللقاءات التي عقدتها الكنائس المختلفة ، للتداول في كيفية توسيع نطاق التبشير

(١) انظر: مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، التنصير والتغلغل الاستعماري في أفريقيا ، ص١٠٥ ، مرجع سابق .
(٢) انظر: الإذاعات التنصيرية ن ص٦٣ ، كرم شلبي ، مرجع سابق .
(٣) المصدر نفسه ، ص٦٣ ، ٦٥ .

المسيحي في أفريقيا . فبدأ الإرسال التنصيري سنة ١٩٥٤م . من إذاعة صوت طنجة من المغرب ، التي أنشأها أحد القساوسة الأمريكان يسمى "بول فرير" ، وكان قد تعلم اللغة العربية في فلسطين ، وقضى عدة سنوات في مجال العمل التنصيري في بعض الدول العربية ، وظلت صوت طنجة تعمل حتى عام ١٩٥٩م ، بعد نيل المغرب لاستقلاله ، حيث أغلقت المحطة بعد اكتشاف خطورة أهدافها وعملها ، فانتقل البث بعد ذلك إلى إذاعة مونت كارلو تحت اسم راديو حول العالم ، تحت رعاية الهيئة العالمية للتنصير في ولاية ينوجرسي الأمريكية ، وهي تذيع الآن أيضاً من دولة سوازيلاند في أفريقيا(١) .

وفي عام ١٩٦١م ، عقد مؤتمر في "زامبيا" حضره مندوبون من الولايات المتحدة وأوروبا وأفريقيا، جرت فيه مناقشة مسهبة حول الطرق التي يمكن للكنائس الأفريقية اتباعها للإفادة من وسائل الاتصال الجماهيرية في التنصير ، وكان أهم ما توصل إليه المؤتمرون في هذا الصدد قراراهم بإنشاء مركز للتدريب الإعلامي والإذاعي يكون مقره في "كينيا" وقد تم إنشاء المركز الذي أخذ فاعليته الهامة في هذا المجال ، ونجح في إعداد الدورات المتنوعة ، ومن ثم تمكن من استقطاب العديد من الخبراء ، وإعداد العديد من الكوادر الأفريقية المؤهلة في مجالات العمل المختلفة بالإذاعة(٢) .

ثم بعد ذلك كان ظهور إذاعة "صوت البشارة" من العاصمة الإثيوبية أديس أبابا عام ١٩٦٣م ، تحت رعاية الإمبراطور هايلاسلاسي ، وبتمويل من اتحاد الكنائس اللوثرية العالمية وتجمع الكنائس الأفريقية . وكان إرسال هذه المحطة يغطي منطقة واسعة تمتد من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، مستعملة (١٦) لغة أفريقية ، إضافة إلى الإنجليزية والفرنسية ، وقد أصبحت هذه المحطة ، إضافة مهمة لجهود التنصير في

(١) التنصير والتغلغل الاستعماري في أفريقيا ، ص١٠٦ ، مرجع سابق .
(٢) الإذاعات التنصيرية ، ص ٦٧ ، كرم شلبي ، مرجع سابق .

أفريقيا ، وتم إنشاء استديوهات تابعة لها في العديد من الدول منها : أثيوبيا، والكاميرون ، ونيجيريا وغيرها ، لتسجيل وإنتاج مواد البرامج باللغات المحلية وإرسالها إلى المحطة الرئيسية في أديس أبابا لإذاعتها من هناك ، وحينما وقع الانقلاب الشيوعي في أثيوبيا في مارس ١٩٧٧م ، توقفت الإذاعة عن البث ، وتم بدلاً منها إنشاء إذاعات في كل من : الجابون ، وسيراليون ، وليبيريا ، وجزر سيشيل(١) .

ثم أعقب ذلك قيام عدة مؤتمرات في كينيا والكاميرون لبحث الأمر وتنشيطه ، وكان منها مؤتمر تنزانيا الذي عقد في سنة ١٩٨١م ، وخصص مبلغ (١٠٠) مليون دولار لإنشاء محطات تنصيرية جديدة. كما أكد على ضرورة أن تكون كافة الكوادر العاملة في هذه المحطات من أبناء المناطق والقبائل التي يوجه إليها البث نفسها(٢) .

وقد طبقت هذه السياسة التي أوصى بها مؤتمر تنزانيا بحذافيرها ، حيث تم زيادة عدد المحطات العاملة الآن في أفريقيا بشكل كبير جداً ، كما تم توظيف الكوادر العاملة في هذه المحطات من أهل المناطق ذاتها التي يوجه إليها البث ، وقد رأيت وسمعت ذلك في إذاعة كينيا التي تبث ما يزيد عن ٢٤ ساعة بث في الأسبوع خاصة بالكنيسة وبالبرامج الدينية التنصيرية ، يعمل فيها مذيعون من عدة مناطق وقبائل ، كل يتكلم بلهجة أهله وقبيلته ، ويرسل أفكاره لهم عبر هذه الإذاعة ، وكان للأسف الشديد من بين أولئك المذيعين ، مذيع صومالي نصراني ، من أسرة مسلمة ، تم تنصيره من قبل الكنائس ، كان اسمه (شافع) والآن اسمه "باو" يعمل في القسم التنصيري ، ويوجه سمومه باللغة الصومالية لأبناء جلدته من خلال برنامجه التنصيري الذي يقدمه ، فتارة يغريهم بالماديات ، فيخبرهم بأن حياته تغيرت ، وأنه اهتدى لما وجد الهدى والرشاد ، ويحمد الله أنه لم يبق على الضلالة ، فلذلك الآن يناشد أهله من الصوماليين المسلمين لكي

(١) مركز البحوث والدراسات الفريقية ، ص١٠٦ ، مرجع سابق .
(٢) انظر: الإذاعات التنصيرية ، ص٦٧ ، كرم شلبي ، مرجع سابق .

يتنصروا ويسلكوا طريق الهداية - على حد زعمه - كما سلكه هو ، وأن ينتقلوا إلى حياة جديدة .

وقد حدثني الأستاذ /عبدالرشيد ، الموظف بمكتب منظمة الدعوة الإسلامية بنيروبي - وهو كيني من أصل صومالي من المدينة التي ينتمي إليها المنصر المذكور نفسها - . بأن أبناء هذا المنصر الآن يعيشون صراعاً مريراً داخل أنفسهم بين اتباع مله أبيهم النصراني ، أو بقائهم على الإسلام الذي هو دين قومهم وأجدادهم . كما أن الصراع كذلك دائر بين الأب وعشيرته على أمر ولاية الأبناء ، ولكن بحمد الله أعلن أحدهم انتماءه للإسلام صراحة رغم أنه تلقى تعليمه على أيدي المنصرين في المدارس الكنسية(١) .

الإذاعة في كينيا :

أعطت الحكومة الكينية التي يسيطر عليها النصارى - منذ بداية الإذاعة في كينيا - وقتاً كبيراً وحرية كاملة للبرامج الدينية الكنسية في الإذاعة ، تصل في مجموعها إلى (٢٤) ساعة بث في الأسبوع الواحد كما سبق ذكره ، تمارس الكنيسة من خلالها بث المبادئ النصرانية ، وشؤون الكنيسة اليومية . ويطبق هذا القرار على المحطات الإذاعية الحكومية الثلاث (نيروبي - ممباسا - وكيسومو) على السواء .

هذا إذا علمنا أن الشعب الكيني من الشعوب المواظبة على سماع البرامج الإذاعية ، حيث يصل البث الإذاعي الحالي إلى ٩٠٪ من أفراد الشعب ، وما نسبته ٧٧٪ من هؤلاء ، يعتبرون من المستمعين إلى تلك البرامج(٢) .

---

(١) كان ذلك أثناء زيارتي لكينيا بغرض جمع المادة العلمية .

(2) David . B. Barrett. Kenya Churches Hand Book, P. 85 . (The development of Kenya Christianity . 1498 – 1973) Nairobi . 1982 .

أما اللغات التي تبث بها هذه البرامج التنصيرية فتشمل اللغتين الإنجليزية والسواحيلية • وهي اللغتان اللتان يتخاطب بهما الشعب الكيني - إضافة إلى العديد من اللغات المحلية مثل الكيكويو ، والكامبا ، ولوهويا ، واللوو ، والصومالية ، والهندوستانية ، وغيرها . وكل لغة محلية من هذه اللغات يكون مقدم البرامج الخاصة بها من أهلها الناطقين بها كما تقدم .

وتتعاون الكنائس فيما بينها في تقديم البرامج الدينية في الإذاعة ، وخصوصاً الكنيسة الكاثوليكية (قسم الاتصالات) - الذي يقدم (٣١) برنامجاً شهرياً - وقسم الاتصالات التابع للمجلس الوطني المسيحي الكيني (N.C.C.K) ، وقسم التدريب التابع لمؤتمر الكنائس لعموم أفريقيا (R.A.C.C) . كما أنه توجد العديد من الكنائس التي تمتلك استديوهات لإنتاج البرامج الدينية وتتعاون مع الإذاعة الوطنية وفروع الإذاعات التنصيرية الإقليمية والعالمية في كينيا(١) .

ومن الإذاعات التنصيرية الإقليمية والعالمية التي تبث إرسالها إلى كينيا كل من :

- فرع شرق أفريقيا لإذاعة فيبا (اتحاد الشرق الأقصى للإذاعة) في تايلاند ، وتقوم بنشر الإنجيل والبرامج الدينية باللغة السواحيلية وعدة لغات محلية أخرى .
- فرع إذاعة نيوزلاند التبشيرية العالمية (Trans World Radio) وهذا الفرع موجود في العاصمة الكينية نيروبي .
- إذاعة صوت الإنجيل اللوثرية في سيشيل ، وتبث برامجها عبر اللغة السواحيلية واللغات المحلية الأفريقية الأخرى .
- إذاعة (إلوا) في ليبيريا ، وتبث برامجها باللغة السواحيلية كذلك إضافة إلى بعض اللغات الأخرى .

---

(1) I Bid . p. 87 – 88 .

٢ - التلفزيون :

أنشئ التلفاز في كينيا عام ١٩٦٢م ، وكالعادة كان للكنيسة فيه نصيب الأسد ، لنشر برامجها الدينية (التنصيرية) .كما خصص لها نصف ساعة مساء كل يوم أحد للموسيقى والترانيم الدينية[١] .

كما قامت الكنيسة الآن بإنشاء محطات تلفزيونية خاصة بها ، ومن أشهر تلك المحطات ، محطة "تلفزيون الأسرة" (Family T.V.) التي تبث برامجها باللغة الإنجليزية ، وفيما يلي استعراض لبعض برامج تلك القناة.

البرامج التنصيرية في قناة الأسرة :

من خلال مشاهدتي ومتابعتي لبرامج تلفزيون قناة الأسرة في كينيا وجدت أن القناة تركز على البرامج المضحكة التي تجذب الجمهور ، عبر حركات سحرية يقوم بها شخص يضحك الحضور ويقول إنه استطاع أن يأتي بهذه الحركات ، لأن هناك قوة أو روحاً تساعده ولذلك لا يعجز . وفي النهاية يقول إنها الروح القدس ،ومن أراد أن يكون مثله فليطلب ذلك من روح القدس .

وأثناء بث البرامج تجد دائماً رقم الهاتف الخاص بالقناة يظهر على الشاشة لمن أراد الاتصال بهم أو السؤال . كما يظهر من فترة لأخرى رقم صندوق البريد الخاص بالمراسلة وموقع القناة في شبكة الإنترنت ، وبريدها الإلكتروني .

ومن البرامج التنصيرية الأخرى الأغاني التي تمجد المسيح حيث يوضح المغني للمشاهد أن المسيح أرشده إلى الطريق الصحيح للسير فأصبح سعيداً .

ومن برامجها كذلك نقل الخطب والصلوات من الكنائس وأحياناً تكون لقساوسة مشهورين من خارج كينيا مثل كندا وجنوب أفريقيا وغيرها، ويصاحب ذلك الإعلان عن أماكن إقامة المحاضرات والبرامج

(1) I Bid .P. 89 .

التنصيرية المختلفة وأوقاتها ، والتي من ضمنها الإستاد الرئيس في العاصمة نيروبي - مركز موي الرياضي العالمي - Moi Internationol Sport Centre -. ثم يأتون بعد ذلك بمقابلات مع أناس تنصروا نتيجة لتأثرهم بدعاية عيسى المسيح أو موسيقى الكنيسة ونحو ذلك ، وأن الله قبلهم أبناءً له وهم قبلوا باليسوع ابن الله مخلصاً - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - .

ومن البرامج المؤثرة في القناة برنامج طبيب العائلة (Family doctor) وهذا البرنامج يقدم استشارات طبية وتوعوية ويجيب على الأسئلة التي ترد إليه من المراسلين .

الإنترنت :

تعتبر الشبكة الدولية للمعلومات "الإنترنت" من أكثر الوسائل التي استغلتها الكنائس والمؤسسات التنصيرية في كينيا لبث نشاطها والتعريف به ودعوة الآخرين للانخراط في صفوفها . وعند تصفحي لمواقع الإرساليات التنصيرية في كينيا على شبكة الويب وجدت أكثر من "١٢٠٠" موقع تحتلها الكنائس والإرساليات والمؤسسات التنصيرية المختلفة . كلها تعرف بأنشطتها وأهدافها وأهم أعمالها وسبب مجيئها ، كما تضمن الدعوة للانضمام إليها وسبل دعمها واحتياجاتها وغير ذلك .

٣ - الصحف والمجلات :

بدأت الكنائس في كينيا في إصدار الصحف والمجلات لنشر دعواتها، والتعريف بأنشطتها ، وبرامجها ، منذ وقت مبكر . واليوم تصدر الكنائس في كينيا ، عدداً كبيراً من الصحف والمجلات الدورية والنشرات ، التي يصعب حصرها على وجه التحديد . وهي توزع في المكتبات العامة، وبسطات بيع الكتب في الأسواق إضافة إلى الأسقفيات والأبرشيات ومكتبات الكنائس ، وقد اشتريت عدداً منها أثناء زيارتي العلمية إلى كينيا. وتضمن هذه المجلات والدوريات ، بالإضافة إلى المادة التحريرية - التي

تدعو لاتباع المسيح وتناقش موضوعات الكنيسة - الإعلانات عن أشهر المراكز التنصيرية في البلاد وخدماتها التي تقدمها وبرامجها ونحو ذلك ، كما تعلن عن افتتاح المراكز الجديدة ، والدورات التي تقام في هذه المراكز، والمحاضرات والقداسات الكبيرة .

وفيما يلي نذكر أهم وابرز هذه الصحف والدوريات والمجلات :

أولاً : نماذج من الصحف الكاثوليكية :

١ - مجلة واثيوموكينيو (WATHIOMOKINYU) بلغة كيكويو ، وتصدرها إرسالية كونسولاتا ، بدأت إصدارها عام ١٩١٦م ، ولازالت تصدر حتى اليوم .

٢ - صحيفة المواطن الشهيرة (MWANANCHI) باللغة الإنجليزية ، بدأتها أسقفية ناكورو في عام ١٩٧٤م ، وفي عام ١٩٧٨م ، تولى إصدارها المؤتمر الكيني للأساقفة الكاثوليك .

٣ - مجلة الواجب .

٤ - دورية الشعب الجديد ، وتصدر بصورة فصلية من إرسالية كمبونى، وتهدف إلى الوصول للمتقفين .

٥ - دورية الدراسات المسيحية لأفريقيا (African Chris tian Studies) .

ثانياً : نماذج من الصحف والمجلات والدرويات البروتستانتية :

١ - صحيفة الهدف باللغة الإنجليزية والسواحيلية .

٢ - صحيفة المستقبل بالسواحيلية .

٣ - صحيفة اليوم بالإنجليزية ، وهذه الصحيفة وسابقتها يتبعان لكنيسة أفريقيا الداخلية .

٤ - مجلة المدرس المسيحي ، وتصدر كل ثلاثة أشهر ، ابتداءً من ١٩٧٦م ، وهدفها الارتقاء بمستوى المدرسين الديني

وبعد الانفتاح السياسي وظهور الأحزاب في البلاد عام ١٩٩١م ، نشأت كثير من الصحف والمجلات خاصة من جانب البروتستانت ، منها:-

١ - صحيفة المسيحية الشهرية (CHRISTIANITY) .
٢ - مجلة الوافد وتصدر كل شهرين .
٣ - دورية الإعلام المسيحية ، وتصدر أربع مرات في السنة من قبل الزمالة المسيحية للاتصالات لأفريقيا ومدغشقر بنيروبي .
٤ - مجلة المعجزة (THE MIRACLE) شهرية .
٥ - الإنجيل الأسبوعي (WEEKLY GOSPEL) .
٦ - مجلة الروح القدس (HOLY SPIRIT) .
٧ - مجلة (EFFective Family Weekly) تصدر عن معهد الأدب المسيحي، وهي أحدث إصدارة تقريباً وحصلت على نسخة من العدد الثاني لها ، وهدفها الظاهري هو الحفاظ على الأسرة الأفريقية بمحاربة الأوبئة والأمراض الفتاكة التي تدمر المجتمعات كالإيدز والمخدرات .
٨ - مجلة المبشر (المنصر) (END TIME MISSIONER) وهي مجلة شهرية تصدر عن مركز إرسالية نيوث بمورانجا .
٩ - مجلة النصر (VICTORY) ، مجلة شهرية تصدرها مجموعة "المنصرون الدوليون لندوة الرب" (God,s Assembly of victors International) .
١٠- مجلة صوت المسيحية ، وتصدرها كنيسة إقليم كينيا .

٤ - مكتبات الكتب والأشرطة :

أ - المكتبات الكاثوليكية :

يوجد في العاصمة نيروبي مكتبة كاثوليكية ضخمة (CATHOLIC BOOK SHOP) ، تعتبر أكبر مكتبة كاثوليكية لبيع الكتب والمجلات والأشرطة خارج الولايات المتحدة الأمريكية ، ولها فروع في كل من

ممباسا وكيسومو ومرسبيت وميرو ونييري[١] . وقد زرتها أثناء قيامي بالرحلة العلمية إلى كينيا ، فإذا بها تحوى العجب العجاب مما يتعلق بالنصرانية وطباعة الأناجيل المختلفة وكتب اللاهوت وغيرها .

كما توجد مكتبة كاثوليكية صغيرة في المدن المختلفة ،وكل مكتبة لبيع الكتب تحوى جزءاً خاصاً بالأشرطة السمعية والبصرية .

ب - المكتبات البروتستانتية :

كذلك للكنيسة البروتستانتية عدة مكتبات تقوم بنشر مطبوعاتها وكتبها ، ومن أشهر هذه المكتبات :

١ - مكتبة المستقبل في نيروبي ، وتتبع لكنيسة أفريقيا الداخلية ، ولها فروع في معظم المدن الكبيرة .

٢ - المكتبة الأسقفية الإنجلكانية في نيروبي .

٣ - مكتبة الكاتدرائية في مقر كنيسة إقليم كينيا - نيروبي .

٤ - مكتبة جامعة كوكب الصباح في نيروبي .

٥ - مكتبة الأسفار المتحدة في نيروبي .

هذا بالإضافة إلى عدد كبير من المكتبات المتحركة بالسيارات والدراجات التي تبيع الكتب في المرافق المسيحية العامة . وتبلغ عدد المكتبات التنصيرية لبيع الكتب والمطبوعات في كينيا نحو ١٢٥ مكتبة تقريباً ، وهذا باستثناء المكتبات الخاصة والمكتبات الحكومية ، كما أن هناك مؤسسات نصرانية لتأهيل الكوادر لمهمة التأليف منها مؤتمر الكنائس لعموم أفريقيا .

ثانياً : السيطرة على مؤسسات التعليم :

اعتبر المنصرون التعليم من أحسن الأساليب والوسائل لنشر النصرانية بين المجتمعات الأفريقية ، ومن هنا ترسَّم المنصر ماكاى (Mackay) أثناء وجوده في شرق أفريقيا هذه السياسة ، وذلك لإيجاد نخبة

---

(1) A Mecea Catholic Dictionary, 1991 – 1993, P. 189 .

أفريقية متعلمة بدلاً من المجهود الضائع في إقامة محطات تنصيرية ضعيفة ذات وجود مزعزع ، وغير قادرة على أن تمد نشاطها أبعد من المكان الذي توجد فيه على أحسن أحوالها ، لذلك رأى أنه يجب اختيار عدد من الأماكن ذات البيئة الصحية ليتم فيها إنشاء معاهد ومدارس لنشر التعليم[١].

وكان من أول من تنبهوا لذلك اللورد كرومر معتمد الاستعمار البريطاني في مصر والسودان حيث قال : "إن التعليم الوطني عندما قدم الإنجليز إلى البلاد الإسلامية كان في قبضة علماء الإسلام في المساجد ، وكانوا شديدي التمسك بمبادئ دينهم التي كانت أساليبها الجافة القديمة - على حد زعمه - تقف حاجزاً في طريق أي إصلاح تعليمي ، وكان الطلبة الذين يتخرجون من هذه المساجد يحملون معهم قدراً عظيماً من التعصب الديني[٢] .

ويؤكد لنا أقوال كثير من المنصرين أن التعليم عندهم غاية لنشر النصرانية ، وليس هدفاً في حد ذاته أو أنه ضمن اهتماماتهم للرقي بالشعوب . ومن ذلك قول القسيس الشهير "قويني" ، الذي كان مكلفاً بتنظيم الإرسالية الأسقفية الإنجليزية في السودان أيام الاحتلال البريطاني : "بينما كنت مهموما في داري على أثر عدم التصريح لي بتنصير المسلمين ، إذ جاءني رسول يدعوني على عجل إلى سراي الحاكم العام ، فذهبت والدنيا مظلمة أمامي ، وإذا بي أجد معاملة مذهلة ، فقد قال لي الحاكم العام مبتسماً : "لقد صرح لك بافتتاح مدارس في الشمال" ورقص قلبي فرحاً ، وأيقنت أن الله قد استجاب لدعائي ، فما الفرق بين عدم السماح لي بتنصير المسلمين والسماح لي بتعليم أبنائهم[٣] .

---

(١) انظر: الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ، ص٣١٣ ، عمر بابكور ، مرجع سابق .

(٢) التبشير في القرن الأفريقي ومواجهته ، ص١١٩ ، سيد أحمد يحيى ، مرجع سابق .

(٣) التبشير في العاصمة المثلثة ، ص٨ ، حسن مكي محمد أحمد ، الخرطوم - السودان ، ديسمبر ١٩٨٣م .

فهذا التصريح من القس المذكور يوضح لنا هدف العملية التعليمية عند النصارى ومؤسساتهم وهو غرس المبادئ والتعاليم النصرانية في أذهان أطفال المسلمين وغيرهم ، بتلقينهم إياها في المدارس ، وأن العملية التعليمية هي أساس التنصير ، وهو ما عبر عنه القس قويني بفرحه وسروره .

ومن ذلك أيضاً ، قول الكاردينال جوزيف تامكو - أحد زعماء حركة التنصير في أفريقيا - : "إذا أردتم لأفريقيا النصرانية ديناً لها فسيطروا على التعليم ودور الثقافة والنشر وإنشاء المدارس الخاصة والعامة ، وفتح الباب أمام المسلم الفقير لتجعلوه يعرف فضل المسيحية عليه ، وفي نهاية الأمر سيكون نصرانياً أو يفكر بتفكير النصارى ويتعامل مع دينه انطلاقاً من الحقائق المسيحية فلا تصدق عليه كلمة أنه مسلم وإن لم يمر بالتعميد"(١).

ومن أجل تحقيق ذلك فتحت الإرساليات والبعثات التنصيرية المدارس المتطورة التي يقبل فيها الطلاب دون استثناء وخاصة أبناء المسلمين ، وتوفر لهم التسهيلات اللازمة مقابل تلقيهم التعاليم المسيحية ، والأخلاق والتقاليد الغربية بدعوى التمدن والتطور . ومن هنا يُبعد هؤلاء عن قيم الإسلام وأخلاقه السامية .

بل إن بعض الكنائس كانت تحرص على أخذ الأطفال الأيتام والفقراء وإيوائهم في مدارسها ، لتقوم بتربيتهم تربية نصرانية بعد إفساد أخلاقهم الإسلامية ، كما هو موجود ومشاهد في كينيا مثل مدرسة ماما نجينا .

التعليم الكنسي في كينيا :

تمكنت الإرساليات التنصيرية وكنائسها في كينيا ، من السيطرة على مؤسسات التعليم بشكل كبير ، واتخاذه أسلوباً لتغيير عقائد المسلمين والوثنيين على حدٍ سواء ، وذلك بمساعدة القوى الاستعمارية الغازية

---

(١) انظر: التنصير في أفريقيا، ص٢٦. بحث غير منشور، حقار محمد أحمد، مرجع سابق.

للبلاد، وتشير الدراسات إلى أن ٩٥% من مؤسسات التعليم تقع تحت إشراف الكنائس والبعثات التنصيرية[١] .

وقد كانت القوى التنصيرية في تلك المرحلة ترمي إلى تحقيق عدة أهداف ، منها :

١ - تنصير أكبر عدد من الكينيين الأفارقة تنصيراً مباشراً وذلك حتى تتغير التركيبة السكانية نهائياً لصالح النصرانية بعد إضعاف الوجود الإسلامي القوى في المنطقة .

٢ - إعداد طبقة من سكان البلاد إعداداً فكرياً ونفسياً واجتماعياً ليكونوا في خدمة المستعمرين والمنصرين وتمكينهم من نشر النصرانية على أكبر نطاق .

٣ - الإسهام في تعليم النصارى الجدد مختلف أنواع المعارف الإنسانية التي تمكنهم دون سواهم في المستقبل ، من تسيير دفة الأمور في البلاد ، وخلافته في حكمها بعد رحيله . وقد نجحت هذه الخطة أيما نجاح ، حيث تسلمت تلك الطبقة التي تلقت تعليماً كنسياً مقاليد الأمور في كينيا بعد ذهاب المحتل ، وضاع المسلمون وسط هذا الركام ، وفقدوا كيانهم وهويتهم ، بعد أن كانت لهم السيادة والحكم قبل مجيء الاحتلال . وهذا منهج تم تطبيقه في كل الدول الأفريقية جنوب الصحراء التي تعرضت للاحتلال الغربي النصراني ، حتى في دول يعتبر النصارى فيها أقلية ، مثل السنغال وأثيوبيا وغيرها ، الأمر الذي مكن لهذه الإرساليات التنصيرية وكنائسها من الاستمرار في السيطرة على نظام التعليم ومؤسساته حتى بعد رحيل المستعمر.

لذلك كله كان التعليم من أنجح الأساليب التي اتخذتها الكنيسة للتنصير في البلاد الأفريقية .

ويمكن رصد استخدام الكنائس للأسلوب التعليم باختلاف مراحله في تنصير الكينيين على النحو التالي:-

---

(١) انظر: التنصير والتغلغل الاستعمارس في أفريقيا ، ص١٣٧ ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، مرجع سابق .

أولاً : مدارس الأحراش :

بعد تثبيت المستعمر لأركانه في البلاد ، واتساع شبكة المواصلات بإنشاء خط سكة حديد الساحل نيروبي عام ١٩٠١م ، انتشرت البعثات التنصيرية في أماكن كثيرة داخل البلاد ، حيث تجمعات الأغلبية الوثنية في ذلك الوقت . رأت الإرساليات أنه لابد من الاتصال بتلك القبائل الوثنية التي كانت تعيش حياة بدائية في غالبها . فقامت الإرساليات بافتتاح عدد من المدارس في الأحراش والغابات استمرت في أداء دورها لأكثر من عشر سنوات . وتهدف هذه المدارس إلى تعليم الطلاب القراءة والكتابة والحساب واللغات ، خاصة اللغة الإنجليزية والمحلية ، ليتخرج الطلاب وهم يستوعبون الإنجيل وتعليمه لغيرهم من أبناء القبائل[١] .

ومن جهة ثانية فقد كانت الإرساليات والبعثات التنصيرية تتنافس في كسب وجلب أبناء زعماء القبائل واستقطابهم لهذه المدارس ، لما لهم من أهمية في التأثير على أفراد وشباب القبيلة ، وكونهم هم الزعماء لهذه القبائل مستقبلاً خلفاً لآبائهم ، وبالتالي كانت الكنيسة تصوب لأن يرث هؤلاء الزعامة وهم نصارى . لذلك أنشأت جمعية التبشير الكنسي مدرسة أولاد الزعماء في "ماسنيو" عام ١٩٠٦م ، وأقامت إرسالية آباكونسولاتا معهداً في وسط كينيا ، وأقامت إرسالية ميل هيل الكاثوليكية معهداً مماثلاً في غرب كينيا ، وأطلقوا على هذه المعاهد (معاهد الأمراء) ، وقد تحققت نظرة هذه الكنائس فيما بعد في كثير من جوانبها ، وأصبح تلاميذ الكنائس ومعاهدها بالأمس زعماء اليوم ، فقد كان (مورس أوتونغا) رئيس الكنيسة الكاثوليكية السابق في كينيا من أبناء زعماء القبائل الذين درسوا في هذه المدارس[٢] .

وقد وصف الأسقف بير مانز (Bier mans) مدارس أبناء الزعماء هذه قائلاً : "بدأت كثير من المدارس فقط بأبناء رؤساء القبائل ، وقد ساهم رؤساء القبائل في تعليم الأولاد ، وأن العديد من الأولاد من الممكن أن

---

(١) انظر : الإسلام والتحدي التنصيري ، ص٣٢٤ ، عمر بابكور ، مرجع سابق .
(٢) انظر : التبشير في كينيا ، ص١٣١ ، أحمد محمد حسن ، مرجع سابق .

يصبحوا رؤساء قبائل في المستقبل ويتولوا مسؤوليات هامة ، ولذلك كان من الأحسن إعدادهم في مدارس متقدمة[١] .

ولا شك أن هذه المدارس المتقدمة التي يصفها الأسقف ، لم تكن سوى المدارس التنصيرية التي تشرف عليها الكنائس والبعثات التنصيرية ، لتنشئة أبناء الزعماء ورؤساء القبائل تنشئة نصرانية على النمط الغربي الذي يريدونه لهم ، لكونهم هم زعماء المستقبل والمؤثرون في المجتمع.

المدارس المركزية :

كانت هذه المرحلة بعد مدارس الأحراش ، وهي عبارة عن تطوير لتلك المدارس ، وتمهيداً للمدارس الابتدائية ، حيث تلقت الإرساليات التنصيرية ميزانية مخصصة من سلطات الاستعمار في شرق أفريقيا ، لرفع المستوى التعليمي وتطوير المناهج الدراسية . فتسابقت الإرساليات والبعثات التنصيرية في فتح المزيد من المدارس الابتدائية والمركزية حتى بلغ عددها عام ١٩٢٣م ، ٥٠٥ مدرسة كلها تحت إدارة الإرساليات وإشرافها عدا خمس مدارس منها تتبع للحكومة وقد استغلت الإرساليات هذه المرحلة من التعليم في التنصير أيما استغلال ، حيث كان التعميد وإضفاء الصبغة النصرانية على التلاميذ يتم في هذه المرحلة .

ثم ازدات حركة التوسع في التعليم خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وتم افتتاح العديد من المدارس المتوسطة والثانوية ، وتأسس الاتحاد التعليمي للكنائس المسيحية في عام ١٩٥٨م ، التابع لمجلس كينيا المسيحي، ليقوم بالإشراف على المدارس البروتستانتية، وفي عام ١٩٦١م، أنشأت الكنيسة الكاثوليكية قسم التعليم التابع للسكرتارية الكاثوليكية ليكون وسيطاً بينها وبين الحكومة فيما يتعلق بشؤون التعليم والمدارس ، وتبع ذلك تغلغل كنسي رهيب في مجال التعليم ، كما يظهر ذلك من خلال الإحصائيات التالية :

---

(١) الإسلام والتحدي التنصيري ، ص٣٢٧ ، عمر بابكور ، مرجع سابق .

وصل عدد المدارس الابتدائية والمتوسطة في عام ١٩٦٣م ، نحو (٦٠٥٨) مدرسة ، تضم (٨٩١٥٥٣) طالباً ، بينما وصل عدد المدارس الثانوية إلى (١٥٠) مدرسة تضم (٣٠١٢٠) طالباً ، و (١٥٣٠) مدرساً وقفز هذا العدد في عام ١٩٧٢م ، إلى (٨٣٠) مدرسة ، تضم (١٥٠ر٠٠٠) طالب ، و ٦٩٠٠ مدرس ، وفي عام ١٩٩٢م ، بلغ عدد المدارس الابتدائية والمتوسطة نحو (١٥٩٠٦) مدارس ، تضم (٥ر٥٥٧ر٠٠٨) طلاب في الوقت الذي بلغ فيه عدد المدارس الثانوية في ذات العام نحو (٢٨٣٤) مدرسة يدرس فيها (٦١٩٨٣٩) طالباً ، تشرف الكنائس والبعثات التنصيرية على ٧٥% منها[١] .

المرحلة الجامعية والتنصير :

بدأت المرحلة الجامعية والأخيرة للتعليم الكنسي في كينيا بعد استقلال البلاد عام ١٩٦٣م ، وكانت الكنيسة قبل ذلك تستعين بخريجي المدارس الثانوية التي تم إنشاؤها من قبل ، إضافة إلى خريجي معاهد تدريب المعلمين (Tea chers Training College) كما كانت تعين الطلاب المتفوقين في الوظائف الكنسية وكمدرسين في جميع المراحل . وفي عام ١٩٦١م ، تم افتتاح قسم الدين والفلسفة في جامعة ماكريرى في أوغندا (جامعة شرق أفريقيا وقتها) حيث كانت الجامعة تخدم طلاب كل من أوغندا ، وتنزانيا وكينيا ، وعندما أنشأت كل دولة جامعتها في عام ١٩٧٠م ، أنشئ قسم الدين والفلسفة في جامعتي نيروبي وكنياتا[٢] .

ومنذ بداية عام ١٩٨٠م ، أخذت الكنائس تفكر في إنشاء جامعات دينية مستقلة ، فأنشأت كنيسة عيد السبت الموعودة (S. D AA) معهداً جامعياً في كابسيت ، وفي عام ١٩٨٤م ، أنشأت الكنيسة الكاثوليكية المعهد العالي الكاثوليكي في شرق أفريقيا ، والذي طور إلى جامعة باسم جامعة شرق أفريقيا الكاثوليكية (Catholic Univerity of Est Africa) في عام

---

(1) Statistical Abstract, I bid, P . 225 .

(٢) التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص١٣٣ ، أحمد محمد حسن ، مرجع سابق .

١٩٩٢م ، وتضم قسم الدراسات اللاهوتية والفلسفية والعلوم الاجتماعية ، وفي عام ١٩٧٤م تأسست جامعة كوكب الصباح أو كوكب النهار (Day star University) في نيروبي[١] .

ويعود اسم هذه الجامعة إلى منشورات مطبعة كوكب الصباح التي أسست في زمبابوي سنة ١٩٦٤م ، بمساعدة بعض النصارى الأمريكان ، وتطورت هذه المطبعة التنصيرية إلى محطة للاتصالات النصرانية باسم "اتصالات كوكب الصباح" ، وكان ذلك في عام ١٩٦٧م ، وفي عام ١٩٧٤م ، انتقلت رئاسة كوكب الصباح من زمبابوي إلى نيروبي في كينيا، ثم تحولت إلى جامعة كوكب الصباح . وهي جامعة تنصيرية عالمية ، تمولها الهيئات التنصيرية الأمريكية بقصد رفع مستوى الطلاب البروتستانت في أفريقيا . وقد افتتحت الجامعة مؤخراً قسماً للبحوث والدراسات الاستراتيجية وبرنامجاً للماجستير والدراسات المسائية . وقد حاولت الدخول إلى هذه الجامعة وزيارة مكتبتها أثناء قيامي بالرحلة العلمية إلى كينيا إلا أنه قد أعتذر لنا بحجة أن هذه الأيام عطلة في الجامعة، ولكن إذا رغبنا في الموضوع مستقبلاً علينا إحضار خطابات تعريفية من الجهات التي ننتمي لها توضح الغرض من الزيارة ، ووقتها يمكن النظر في الموضوع . وقد حدثني مرافقي الشيخ هارون بأنه حاول ذلك عدة مرات سابقاً ولم يستطع لمعرفتهم بأنه مسلم ، كما أوضح لي أنها لا تفتح أبوابها إلا للطلاب النصارى فقط ، وقد تقدم التفصيل حول دور الجامعة في التنصير في المبحث الثاني من الفصل السابق .

وبالإضافة إلى الأقسام الدينية التابعة للجامعات الوطنية الثلاث "نيروبي - كنياتا - والدوريت" فقد وصل عدد الجامعات التي تؤهل الطلاب في الدراسات اللاهوتية إلى أكثر من ١٢ جامعة ومعهداً .

وبهذه الطريقة تم تنصير القبائل الوثنية التي وافقت على تعليم أبنائها في مدارس المؤسسات والإرساليات التنصيرية ، بينما نجد أن القبائل التي

---

(١) التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص٨١ ، أحمد محمد حسن ، مرجع سابق .

لم تسمح لأولادها بالانخراط في سلك التعليم الكنسي حافظت على هويتها سواء كانت وثنية أو مسلمة .

وقد نجحت الكنائس في هذا المجال أيما نجاح سواء كان ذلك في مناطق الوثنيين - وهو الأكثر - أو مناطق المسلمين ، ومن المناطق الإسلامية التي حققت فيها الإرساليات والكنائس نجاحاً ملحوظاً ، منطقة شمال وشمال شرق كينيا ، فكثير من أبناء المسلمين هناك تنصروا ، حيث أخذوا وهم صغار إلى مدارس الكنيسة وتلقوا تعليمهم من الابتدائي إلى الجامعات عن طريق دعم ورعاية الكنيسة المباشرة ، فتخرجوا وهم نصارى. ومن هؤلاء الذين تنصروا وهو خير شاهد على ذلك، – وزير الخارجية الحالي لكينيا الدكتور بُنيًا قودانا - الذي يتولى هذا المنصب منذ ثلاث سنوات ، وهو من أسرة مسلمة ، أبوه وجده مسلمان ، أخذته الكنيسة وهو صغير ، ودرس على يدي النصارى حتى حصل على درجة الدكتوراه ولكنه فقد دينه . وقد حكى لي الداعية هارون أودندو أنه قابله في البرلمان الكيني ودعاه للإسلام ولكنه اعتذر(١) .

ومن الذين تنصروا عن طريق التعليم ، منصر صومالي مشهور من أسرة مسلمة ، اسمه "شافع" وبعد أن تنصر سمى نفسه "باو" وله جهود كبيرة في التنصير كما سبق بيان ذلك في هذا المبحث من خلال الحديث عن الإذاعة .

التعليم المهني :

ومن الأنشطة التعليمية التي يركز عليها المنصرون كذلك معاهد التدريب أو مراكز التأهيل والتدريب المهني ، ويستغلونها ستاراً يستترون من ورائه وتحت مظلته . وقد ذكر الدكتور ناصر التويم عن تلك المراكز الكنسية أنهم كانوا في جولة في جنوب أفريقيا وزاروا مركزاً للتدريب

---

(١) كان ذلك خلال زيارتي لكينيا أثناء الرحلة العلمية التي قمت بها في يناير ٢٠٠١م/شوال ١٤٢١هـ ، والشيخ هارون من القساوسة الذين هداهم الله للإسلام وله نشاط كبير في الدعوة الإسلامية هناك .

مهمته جمع الطلاب وتدريبهم على المهن المختلفة وكان يشرف عليه أربعة من البيض . يقول الدكتور التويم : " إن الداخل للمركز لا يلحظ أي نشاط كنسي أو تنصيري في المركز ، كما لا توجد كنيسة قائمة فيه ، ولكنني عندما سألت أحد المسؤولين ؛ هل لكم أنشطة أخرى؟ أجاب قائلاً : "ليس لنا أنشطة أخرى ولكن بعض الطلاب أصروا علينا أن نقوم بصلاة صباحية" يقول الدكتور فعلمنا أنه معهد تنصيري ولكنه يتخفى في مظلة التدريب والتأهيل"(١) .

أما التعليم المهني في كينيا فقد اهتمت به الكنائس منذ فترة مبكرة يرجع تاريخها إلى عام (١٩٠٩ - ١٩١٠م) ، حينما زودت الإدارة البريطانية الإرساليات بالمعدات واحتياجات المشاغل الصناعية والمدرسين، ومن ثم فتحت إرسالية اسكتلند الكنسية (CSM) مدرسة مهنية في توتو كما أنشأت إرسالية أبا كونسولاتا مدرسة مهنية في نييري . ثم توالت البعثات التنصيرية في افتتاح وإنشاء العديد من المدارس المهنية حتى وصل عددها في عام ١٩٧٠م ، ما يقارب الستين مدرسة إضافة إلى ١٩معهداً تقنياً حكومياً(٢) .

أما حالياً فقد ازداد هذا الكم من المدارس بصورة كبيرة ، وأدخلت فيه التقنيات الحديثة وتعليم الحاسب الآلي ونحو ذلك .

وقد كانت الكنيسة تهدف من التركيز على هذا النوع من التعليم - بجانب الهدف التنصيري - إلى الظهور أمام الشعب بأنها تعمل على ترقية المجتمع في المجال التعليمي والتقني لكسب ثقته ، وبالتالي الحصول على مزيدٍ من التأييد وتوسيع قاعدتها الشعبية .

ومن هنا يتبين لنا مدى استغلال النصارى لمهنة التعليم في نشر معتقدهم ، وأن مجال التعليم عندهم ليس سوى وسيلة لغاية محددة كما

---

(١) جاء ذلك في محاضرة بجامعة الإمام بتاريخ ١٤٢١/١/٤هـ ، ألقاها الدكتور ناصر التويم أستاذ الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة - جامعة الإمام عقب عودته من جولة أفريقية .

(٢) انظر: التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص١٣٨/١٣٧ ، مرجع سابق .

صرح بذلك دهاقنتهم ، وهي نقل الناس إلى المسيح . فالحذر من تلك المدارس والجامعات ذات المباني الشاهقة والمناظر الجميلة والرسوم المخفضة ، التي تنتشر في كثير من بلاد أفريقيا وعالمنا الإسلامي وفي حقيقتها مصيدة لأبناء المسلمين لتغيير مفاهيمهم ، وإبعادهم عن دينهم ، وسلخهم عن هويتهم في أقل الأحوال ، هذا إذا لم يتنصروا تماماً .

المبحث السادس
الأساليب الأخرى

المبحث السادس
الأساليب الأخرى

تمهيد :

بعد أن تحدثنا في المباحث السابقة عن أساليب المنصرين غير المباشرة والتي شملت الخدمات الطبية ، ونشر الانحلال والتفسخ ، ومحاربة اللغة العربية ، والإغاثة ، ومؤسسات التعليم والإعلام ، سنتحدث في هذا المبحث عن شكل آخر من الأساليب غير المباشرة وهي أساليب متفرقة لا تندرج تحت باب واحد ، بعضها استحدث قريباً في الفترة الماضية ، ويستخدمها النصارى في مناطق متفرقة من العالم من بينها أفريقيا على وجه الخصوص ، وقد فضلنا ذكرها هنا بشيء من التفصيل وفي مبحث مستقل لما لها من الأهمية في العصر الحاضر إضافة إلى كونها قد تخفى على البعض من المسلمين .

ومن تلك الأساليب ما يلي :-

أولاً : الحوار :

يغير المنصرون من خططهم وأهدافهم وأساليبهم على مر العصور وفقاً للظروف والمعطيات الاجتماعية والسياسية ففي القرن السادس عشر كانت عملية التنصير تتم تحت زعم (إنقاذ أرواح البشر من الجحيم) ، كما جاء في رسالة (جون دون) أسقف كنيسة القديس بولس بلندن إلى جماعة من التجار المسافرين للاستيطان في العالم الجديد (أمريكا) ، وكان ذلك عام ١٦٦٢م ، والتي أوضح فيها للمنصرين أن يكونوا رسلاً لانقاذ البشرية من الجحيم - على حد زعمه - وهي الخطة التي تركز على مفهوم إنقاذ البشر بواسطة الإنجيل(١) .

---

(١) انظر : التنصير في أفريقيا ، ص١٢ ، حقار محمد أحمد ، بحث غير منشور ، مصدر سابق .

وفي مجمع الفاتيكان المسكوني الثاني الذي اختتم أعماله عام ١٩٦٥م، اتخذ المجمع تركيبة لغوية أكثر التواءً لتصحيح "توصيل الإنجيل لكافة البشر" ، مع تغيير الشكل المباشر القهري للتنصير إلى نمط جديد قائم على المعايشة، واللجوء إلى الحوار ، لتتم عملية التنصير بأقل تكلفه ، وبأقل قدر ممكن من المقاومة ، أي اللجوء إلى طعم جديد يستخدم كغطاء ، أو على حد تعبير (أوليفيه كليمون) إن هذا الحوار -التنصيري- عبارة عن عملية تغليف لحبة قديمة كانوا يفرضونها قهراً على الشعوب فيما مضى[1].

تقول الدكتورة زينب عبدالعزيز[2]: ولكي نفهم حقيقة هذا الحوار يجب أن نتأمل التقرير الذي أعده أحد الباحثين النصارى وهو البروفيسور (ديون كراوفورد) الأستاذ بجامعة برتوريا ونشرته مجلة "الحوادث الأفريقية" التي تصدر بلندن . يقول التقرير: "إن المسلمين يسيئون فهم النصرانية كما أن النصارى جهلة بعقيدة المسلمين ، ولا ينبغي أن نواجه المسلمين بتحاملات غير موثقة ، بل بمعرفة عميقة بحقائق دينهم ،ولذلك يجب تعليم القساوسة وغيرهم حتى يتمكنوا من العمل في مناطق المسلمين. ويتعين على النصارى أن يدخلوا مع المسلمين في حوار لا يؤدي إلى مواجهة وجدل وإنما على فهم كل منهم لدين الآخر ، وعن طريق هذا الحوار يمكن تصحيح هذا الفهم غير الصحيح الذي تعلمه المسلمون فيما يتعلق بالكتاب المقدس ورسالة عيسى ، وعقيدة الثالوث التي يفهمها المسلمون خطأ ويعتبرونها شركا. وكذلك طبيعة الكنيسة باعتبارها تمثل جسد المسيح ، وينبغي أن تتحول بين المسلمين والنصارى من علاقة المواجهة السابقة إلى علاقة الحوار ، على ألا يؤدي هذا الحوار إلى المساومة على النصوص الإنجيلية من أجل تنمية الحوار وهذا مالايجوز. فالحوار لا ينبغي أن يكون بديلاً للتبشير بالإنجيل ، وأن يسعى المنصرون إلى كسب المسلمين بطريقة أو بأخرى إلى صف النصارى ، وينبغي على

---

(١) انظر: تنصير العالم ، ص٩٧ ، زينب عبدالعزيز ، مرجع سابق .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٠٧ .

النصارى أن يخالطوا المسلمين ويصادقونهم ، وأن يستغلوا ذلك في إزالة سوء الفهم الراسخ في أذهانهم تجاه الإنجيل والمسيح" .

والمتأمل في هذا التقرير يتبين له مقصد هذا البروفسير النصراني ومقصود الحوار بالمفهوم الكنسي، فالكاتب يطلب من المسلمين أن يتخلوا عن القرآن الكريم أو على الأقل النصوص التي تتعلق بالإنجيل ورسالة عيسى عليه السلام وعقيدة الثالوث ، فيعدلوا أو يضيفوا حتى لا يفهمونها خطأ، وحتى يكون الحوار مستمراً . وهذا هو الكفر بالقرآن عينه والإيمان بالنصرانية والاعتراف بها ، بل وبتعاليمها المشوهة كعقيدة الثالوث ، وهذا هو مفهوم الحوار لدى الكنيسة أي الإيمان بالنصرانية .

وهذا الأسلوب الذي يؤكد على أهمية الحوار لجذب المسلمين إلى النصرانية ليس رأياً فردياً بل هو اتجاه عام أكده البابا وممثل الكنيسة العالمية في أكثر من موطن . وبذات المفهوم يقول البابا يوحنا بولس الثاني في خطابه الذي ألقاه في مدينة الدار البيضاء بالمغرب يوم ١٩/٨/١٩٨٥م "إن الحوار بين المسيحيين والمسلمين يعد اليوم ضرورة أكثر من أي وقت مضى ... فالكنيسة الكاثوليكية تنظر باحترام إلى مسيرتكم الدينية ، وتعترف بقيمها وبثراء تراثكم الروحي[١] ، ونحن المسيحيين أيضاً نفخر بتراثنا الديني ... والأمانة تقتضي أن نعترف أيضاً بخلافاتنا وأن نحترمها ، والخلاف الأساسي هو بالطبع نظرتنا إلى شخص يسوع وعمله في الناصرة. فأنتم تعلمون أن يسوع هذا بالنسبة للمسيحيين يدخلهم في معرفة حميمية بأسرار الله ، ويدخلهم في تداخل بنيني بهباته لدرجة أنهم يعتبرونه ويطلقون عليه الرب والمخلص ... إنها خلافات مهمة يمكننا تقبلها بخشوع واحترام في تسامح متبادل"[٢] .

---

(١) يتضح لنا من ألفاظ البابا المنتقاة في خطابه أنه لا يريد الاعتراف بالإسلام كدين صراحة ولكن يعترف بالقيم الروحية والمسيرة الدينية ، وإلى يومنا هذا لم تعترف الكنيسة بالإسلام بينما تعترف باليهودية ، وهذا هو الحوار غير المتكافئ وفي نظر الكنيسة يعني إلغاء الإسلام وسيادة النصرانية .

(٢) تنصير العالم ، ص٩٩ ، زينب عبدالعزيز ، مرجع سابق .

وكما تقول الدكتورة زينب عبدالعزيز : " فـإن التلاعب بالألفاظ والمراوغة في العبارات ليست بحاجة إلى توضيح ، إن مطالب البابا للمسلمين بأن يتقبلوا "الخلافات المهمة" تعني مطالبته لهم بالخروج عن دينهم ، والقيام بتحريف أكيد للقرآن الكريم الذي أدان التجسيد والتثليث بصريح العبارة في العديد من آياته ، وهذا يعني الاعتراف بعقيدة النصارى والتصديق بها وبافتراءات الكنيسة عبر الخداع والغش تحت زعم الحوار "(١).

كما شدد البابا على أهمية الحوار والحوار بين الأديان في زيارته الأخيرة لمصر ، وأيده في ذلك بطريرك الأقباط الكاثوليك في مصر اسطفانوس الثاني ، الذي وصف زيارة البابا بأنها تساهم في تعميق روح الحوار بين الأديان . الأمر الذي استنكرته جبهة علماء الأزهر في بيان لها، طالبت فيه البابا والفاتيكان باعتراف متبادل على مستوى اعتراف الإسلام نفسه بالمسيحية ، وحذر البيان من أن الحوار إذا لم يكن متكافئاً فسيكون حوار من جانب واحد يعبر عن الرؤية المسيحية الغربية(٢).

بل إن البابا يذهب ابعد من ذلك ويذكر صراحة في أكثر من خطبة أن الحوار بالنسبة للكنيسة هو نوعاً ما - أداة - وعلى الأخص ، طريقة للقيام بعملها في عالم اليوم ... وهو إنارة للكون كله ببشارة الإنجيل(٣) . فهل ينتبه المسلمون لذلك وخاصة من انساقوا وراء فكرة حوار الأديان وأصبحوا ينادون بها؟

---

(١) تنصير العالم ، ص ٩٩ ، مرجع سابق .
(٢) جريدة الشرق الأوسط ، عدد ٧٧٦٠ ، والحياة : عدد ١٣٥٠٠ ، السبت ٢٦/٢/٢٠٠٠م.
(٣) المصدر السابق ، ص١٠٩ .

ثانياً : عرض النصرانية في ثياب إسلامية :

من الأساليب التي استخدمها المنصرون ضد الإسلام عرض النصرانية في ثياب إسلامية ؛ ففي سبيل تنصير المسلمين أينما كانوا استعرض المنصرون كل أساليبهم القديمة التي قد تستفز مشاعر المسلمين، وحاولوا الوصول إلى معادلة جديدة يتعاملون بها مع المسلمين .

وقد تدارسوا هذه المسألة في مؤتمر الإنجيل والإسلام الذي عقد بمدينة حلين ايرى بولاية كلورادو بأمريكا الشمالية في عام ١٩٧٨م ، وأولوها عناية خاصة(١) .

ومما جاء في ذلك المؤتمر في كلام أحد المسلمين الذين تحولوا إلى النصرانية في الهند ما يلي : إذا تقبل المسلم المسيح - كمخلص ورب - ، يُنظر إليه كمرتد وشخص يجب أن يُنبذ أخلاقياً ، وفي العديد من البلدان ينظر إليه كخائن سياسي. هذا المثال أورده المنصر د.ستانلي في الخطاب الرئيس للمؤتمر ، ثم أردف قائلاً : فهل يمكننا عدم إلقاء عبء زخارفنا الحضارية والثقافية على أعناق أولئك المتحولين حديثاً عن الإسلام، وهل من تعاليم الإنجيل أن نفرض أساليب عبادتنا على ثقافة أخرى؟ ألا توجد هناك بعض التقاليد والصيغ الإسلامية التي يمكن استخدامها بمحتوى نصراني؟ هل سعينا إلى إيجاد مؤلفين للترانيم بين صفوف المسلمين المتحولين إلى النصرانية؟ أو طلبنا منهم تأليف ترانيم تناسب ثقافتهم؟"(٢) .

ثم يقول : وإليكم نموذجاً ناجحاً في هذا المجال . لقد حدثنا أحد باحثي مؤتمرنا عن كاهن قبطي يعمل في مجالات التنصير ويؤدي الصلاة والطقوس الدينية بطريقة تشابه ما يجري في مساجد المسلمين ، فاكتشف أن صلواته قد أصبحت أكثر شعبية ويحضرها الكثير من الناس ، وفي بنجلاديش ، توجد حركة بين الشباب المسلم المتنصر ، لمتابعة لقائهم في الجامع كل يوم جمعة ، لممارسة عبادتهم النصرانية حيث يستعملون أشكالاً

---

(١) التنصير والتغلغل الاستعماري ، ص١٨٥ ، جامعة أفريقيا ، مرجع سابق .
(٢) انظر: جريدة العالم الإسلامي ، عدد ٢١ - ٢٧ ، ربيع أول ١٤٢٠هـ ، نقلاً عن دراسة لمجلة نيوزويك الأمريكية .

إسلامية في محتوى نصراني . أ.هـ

وهذه الأشكال التي أشار إليها المنصر د. ستانلى ، قد نوقشت في أكثر من موضع في المؤتمر ، وأكد عليها المنصر آرثر . ف. كلاسر ، بضرورة تدريب وتأهيل القساوسة والأتباع من أجل إدراك جديد للإسلام ، لمحاولة تطوير وابتكار طرق جديدة في التنصير أكثر ملائمة لتقديم الكتاب المقدس للمسلمين ، كما سنعطي اهتماماً خاصاً إلى استخدام الموضوعات القرآنية ذات الصلة بالموضوع في المراحل الأولى لعلمية التنصير[1].

وهذه الأشكال والأساليب تشمل الآتي:-

١ - إنشاء مساجد تسمى المساجد العيسوية، وبناء الكنائس على شكل مساجد.

٢ - تسمية المتنصرين الجدد باسم المسلمين العيسويين .

٣ - وضع صلوات وترانيم باسم الصلوات العيسوية .

٤ - محاكاة الأناشيد الإسلامية .

٥ - محاكاة مجالس الذكر الصوفي .

٦ - الوعظ العام بين المسلمين .

٧ - استعمال آلات الطبل وغيرها .

٨ - أعمال الدجل والشعوذة من السحر وطرد الشياطين واستخدام الأرواح ، وهذا الأسلوب يسمى أسلوب الفريسة .

كما أن أسلوب عرض النصرانية في ثياب إسلامية يسمى أسلوب الفريسة ، حيث يقوم المنصر بدعوة المسلمين إلى أفكار نصرانية ، ولكن بشكل إسلامي ، فتتسرب إلى عقل المسلم من حيث لا يشعر .

ولقد بدأ تطبيق هذه الخطة بالفعل في أماكن كثيرة من أفريقيا ، حتى في بلدان عربية ، فقد شوهد أحد القساوسة في الخرطوم يلقي وعظاً نصرانياً يشبه دروس الوعظ الإسلامي والجماهير المسلمة تحيط به وتستمع إليه[2] .

---

(١) انظر: جريدة العالم الإسلامي ، بتاريخ ٢١ - ٢٧ ربيع أول ١٤٢٠هـ ، نقلا عن دراسة لمجلة نيوزويك الأمريكية .

(٢) التنصير والتغلغل الاستعماري ، ص ١٨٦ ، جامعة أفريقيا العالمية ، مرجع سابق .

ثالثاً : إلصاق الافتراءات بالإسلام وتشويه صورته :

ومن الأساليب الأخرى التي استخدمها المنصرون : إلصاق الافتراءات والتهم بالإسلام وتشويه صورته حيث بذلت الكنائس النصرانية في كينيا مجهوداً دعائياً ضخماً يصور العرب المسلمين بأنهم وحدهم المسؤولون عن تجارة الرقيق ، بينما جاءت الكنيسة لتخلصهم من ويلات الرق والعبودية التي قام بها التجار العرب . حيث يرى الزائر الآن إلى البلدان الأفريقية في المتاحف المخصصة لحفظ التراث - كذبا - صور الإنسانية الرائعة التي قام بها البريطانيون ضد العبودية وتجارة الرقيق والعدالة الفائقة التي لا تعرف الظلم. فقد انطبعت هذه الصورة في أذهان الأفارقة والزوار لتلك المتاحف ، وفي المقابل تجد المقررات الدراسية حتى الآن ممن وضعت مناهجه الإرساليات في المدارس الكينية تتحدث باستفاضة عن أعمال العرب حول الرق وتجارتهم بالعبيد حتى تتوارث الأجيال الأفريقية كراهية العرب والدين الإسلامي الذي أتى به إليهم العرب - كما يقولون - والذي يبيح الرق والعبودية في تعاليمه .

وفي الجانب الآخر فقد نجحت الكنيسة في إخفاء الدور الأوروبي الكبير في تجارة الرقيق بكل فظاعته وبشاعته وألصقت تلك التهم بالتجار المسلمين ، من خلال إعلامها المكثف في التلفزيون وما يعرض فيه من مسلسلات وأفلام وأغاني تسئ إلى الإسلام والمسلمين ، وتغرس الكراهية ضدهم ، وتحبب الناس إلى الأوروبيين المنقذين وبالتالي تقودهم إلى اعتناق دينهم[١] .

ولذلك مما يؤسف له أن تجد الطلاب في جميع المراحل الدراسية يعتقدون أن العرب وحدهم هم المسؤولون عن تجارة الرقيق ، بل انطلى ذلك حتى على الزعماء والقادة الذين رضعوا التعليم من ثدي الكنيسة ، ومن هولاء أكبر مسؤول في الدولة ، وهو ابن بار للكنيسة ، حاولت الكنيسة أن تجعل منه نصرانياً مؤمناً بالنصرانية ومتعصباً لها ، وقد

---

(١) انظر: رحلة خير في أفريقيا ، ص ٩ ، عبدالرحمن السميط ، مرجع سابق .

نجحت في ذلك ، ففي كل أسبوع لا يترك هذا الشخص صلاة الأحد في الكنيسة على الإطلاق ، ويحتقر الإسلام والمسلمين كثيراً ، حتى أنه وقف يخطب في مكان عام في يوم الحرية والاستقلال ، ليهاجم الإسلام والمسلمين حيث قال : "إن المسلمين يكرهون غيرهم وأن الإسلام كان وراء تجارة العبيد"(١) .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ما إذا كانت لدى فخامة الرئيس والكنيسة من ورائه أي إحصائيات عن الملايين من الأفارقة الذين اختطفهم الأوروبيون إلى أمريكا وأوروبا؟ . وهل لديهم إحصائيات عن عدد الذين ماتوا بسبب المعاملة السيئة أثناء النقل من أفريقيا؟ وإذا كان هذا هو كلام أكبر مسؤول في البلد عن الإسلام فكيف يعتنق رعاياه هذا الدين؟ إن الصورة المشوهة عن الإسلام التي رسمتها الكنيسة في أذهان الأفارقة البسطاء أدت إلى قبول عام بالنصرانية لدى الوثنيين منهم ، وحجبتهم عن العقيدة الصافية المتمثلة في الإسلام .

---

(١) رحلة خير في أفريقيا ، ص١٠ ، السميط ، المرجع السابق .

رابعاً : التخويف من انتشار الإسلام والأصولية الإسلامية :

يتضح لنا هذا الأسلوب من خلال المقال الذي نشره الكاتب النصراني "أوسمان جوقانا" في صحيفة ديلي نيشن (Daly Nation) الكينية الصادرة في يوم السبت ٤ أكتوبر ١٩٩٢م ، يستنجد فيه كاتبه لنصرة الدين المسيحي في أفريقيا حيث ينتشر الإسلام بقوة وبسرعة فائقة . وكان ذلك على إثر افتتاح المكتب الرئيسي الجديد للمؤتمر الأفريقي للكنائس في العاصمة الكينية نيروبي مؤخراً .

وينقل الكاتب في مقاله هذا عن المسؤولين في المؤتمر ما يخوف النصارى وينبههم لانتشار الإسلام في القارة الأفريقية ، ويدعوهم فيه لمواجهة ذلك التحدي والتهديد الذي يواجه الكنيسة على حد تعبيره .

ويقول السكرتير العام للمؤتمر الأفريقي للكنائس "جوز جيبندا" إنه في حين تدرك الكنيسة الأفريقية تطور المسيحية في القارة ، فإن عليها أن تعالج الأصولية الدينية . ويضيف قائلاً: إن التحدي الذي يواجهونه لا ينحصر فقط في الإسلام ، بل يوجد تحدٍ من الديانات الأخرى أيضاً .

ويتفق رئيس الكنيسة الانجلكانية في كينيا (منا سيس كوريا) مع السكرتير العام للمؤتمر في رأيه ، ويؤكد على أن الأصولية الإسلامية تشكل تهديداً لوجود المسيحية ونموها في كينا ، وفي القارة كلها ، وأن المسلمين ينفقون ملايين الدولارات البترولية لتحويل المسيحيين إلى الإسلام.

ويضيف الكاتب أن اهتمام القسيس كوريا لم يكن الوحيد ولا الفردي بهذا الموضوع ، فهناك كثيرون من القادة الكنسيين وغيرهم لهم الرأي نفسه . إن الذين لهم ذات المعتقد يعجبون - من بين أشياء أخرى - من التزايد المضطرد في أعداد المساجد والمدارس (وهي مدارس إسلامية دينية) ، وفي الأصوات الإسلامية حول الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تواجه المسلمين .

ففي نيجيريا مثلاً ظهرت حالات مواجهة بين المسيحيين والمسلمين قادت إلى فقدان الأرواح والممتلكات ، وشمل ذلك الكنائس والمساجد ، وعلى الرغم من أن الأسباب لم تكن واضحة إلا أن كثيراً من المسيحيين يتهمون الأصولية الإسلامية بأنها وراء تلك الإحداث ، وكذلك الحكومة النيجيرية ، لأنها أصبحت عضواً في منظمة المؤتمر الإسلامي ، وقد شكى أحد القساوسة النيجيريين الذي فضل عدم ذكر اسمه ، من التصريحات التي يدلي بها بعض الشخصيات المرموقة في الدين الإسلامي، ولها تأثير على التشدد عند الأصوليين الإسلاميين .

وفي السودان كانت الكنيسة ومنظمات حقوق الإنسان تتهم القيادة السياسية دائماً بالتعاون مع الأصولية الإسلامية على فرض الشريعة (القوانين الإسلامية) على الأغلبية المسيحية بالذات في الجنوب .

وفي تنزانيا عندما اصطدم المسلمون بالمسيحيين في نهاية هذا العام أفاد تقرير الكنيسة بأن الخلافات الحادة كان سببها حركة من المسلمين تحقر المسيحيين ، وكان خطباء المسلمين في بعض المدن الرئيسية مثل دار السلام . وأودوبا يستخدمون آيات من القرآن تنتقد التعاليم المسيحية ، وأضاف التقرير أنه كانت الخطب المسجلة على شرائط الكاسيت والتي تنتقد وتحقر المسيحية تذاع على حافلات الركاب ، وبالأخص من دار السلام .

ويعتقد المختصون بمتابعة الموضوعات السياسية والدينية إن تغيير رئاسة الجمهورية من جوليوس نايريرى - المسيحي - إلى علي حسن معيني - المسلم - قد يكون هو السبب في هذه الصحوة عند المسلمين في البلاد .

ويستدل الكاتب على ذلك بقول رئيس الكنيسة التنزانية البيشوب شارلس موايقوقا ، الوارد في التقرير المذكور " لقد بدأت القناعات الموجهة سياسياً عند المسلمين في تنزانيا قبل تنحي الرئيس السابق للبلاد جوليوس نايريرى ، وقد ازدادت هذه القناعات بوجود الرئيس المسلم علي حسن معيني" .

ويضيف الكاتب قائلا : ولم تنج كينيا من الحركة الإسلامية في القارة، فقد طالب المسلمون وعددهم (٦) ملايين نسمة ، ويوجدون بصفة رئيسية في المدن الساحلية ، طالبوا بتسجيل حزبهم السياسي "الحزب الإسلامي الكيني" ، ولم يتم التسجيل حتى الآن ولكن الحزب يمارس ضغوطاً للاعتراف به ، وحتى الدوائر الكنسية تعارض تسجيله بدعوى أن الأحزاب السياسية الدينية تؤثر على وحدة البلاد .

ويذكر الكاتب أن تقريراً لمنظمة حقوق الإنسان في مصر يقول : إن هناك وثائق تؤكد اعتقال المواطنين واحتجازهم بسبب معتقداتهم الدينية . وهناك عددٌ من المواطنين المسيحيين تم توقيفهم إدارياً ، وتعرضوا للتعذيب والإهانة ، ولا يزالون قيد الاحتجاز ، والسبب أنهم متهمون بتحويل أحد المسلمين لاعتناق المسيحية. ويضيف الكاتب: على الرغم من أن التقرير لم يتهم أحداً بعينه إلا أن المتابعين للشأن الديني في البلاد يعتقدون أن الأصوليين الإسلاميين هم وراء الأمر سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، وهم يذكرون بأن لهم علاقة قوية باغتيال الرؤساء السابقين جمال عبدالناصر وأنور السادات .

وختاماً يذكر الكاتب قول الأرشيبيشوب نوتو : الموضوع الحقيقي أن نأخذ الأصولية الإسلامية كمسألة تحدٍ وأفضل أسلوب لمحاربتها هو تعميق الإيمان عند الشعوب . أ.هـ

إن أسلوب الصراخ والعويل من جراء انتشار الإسلام والأصولية الإسلامية في أفريقيا تضخمه الكنيسة وتطرق عليه باستمرار لإثارة الحمية الدينية لدى النصارى والكنائس العالمية من أجل الاستنفار ودعم الأعمال التنصيرية في أفريقيا .

فهم يذكرون أن الإسلام والديانات الأخرى تهدد الوجود النصراني أي لا يريدون ديناً يسود أو يتبع غير النصرانية. ويقولون إن المسلمين ينفقون الدولارات البترولية وكأنهم نسوا المليارات ومئات الملايين التي ترصد لميزانيات الإرساليات والكنائس العالمية . ويذكرون أن المسلمين مدارسهم ومساجدهم في ازدياد ، وكأنهم يريدون أن يقف المسلمون

مكتوفي الأيدي ليخلو لهم الجو وحدهم فيشيدوا آلاف الكنائس والمدارس والجامعات في أفريقيا . ويريدون أن يتجمد المسلمون فلا يكون لهم صوت ولا رأي حيال ما يواجهون من قضايا اقتصادية واجتماعية وسياسية ، فيكون الرأي والصوت صوتهم وحدهم الذي يمثل الكنيسة الغربية.

ويتباكون على الصحوة الإسلامية في تنزانيا لأن الرئيس الحالي مسلم ، وكان سلفه نصراني ، في بلد يمثل المسلمون فيه أكثر من ٨٠% وله تاريخ وجذور عريقة في الإسلام . وفي مثل هذا الكلام ما لا يخفى من التحريض للنصارى ولأحبارهم كي ينقضوا على الدولة وتغيير الرئيس المسلم لكي يوقفوا الصحوة الإسلامية ، كما أنهم يعمدون إلى تشويه صورة الإسلام ودعاته واستعداء الحكام عليه ، بتصويرهم للمسلمين بأنهم أصوليون متطرفون لا يأتي من قبلهم إلا الفتن والاغتيالات ، حيث يذكر الكاتب بأنهم قتلوا الرؤساء السابقين لمصر جمال عبدالناصر ، والسادات . وإن المرء ليعجب من جهل هذا الكاتب بأبسط الحقائق السياسية والتاريخية حيث إنه من المعلوم أن الرئيس جمال عبدالناصر لم يمت مقتولاً ، ولكنه الدس الرخيص والحقد النصراني الأعمى .

وبغض النظر عما إذا كانت هذه الصورة التي رسمها الغرب النصراني للإسلام صادقة تماماً أو اتسمت بقدر من التهويل والمبالغة ، وبغض النظر عما إذا كان هذا "الخوف" من الإسلام خوفاً حقيقياً أو مفتعلاً. فإن هذه المتابعة المستمرة لأمور الإسلام والمسلمين ،والتحذير المستمر من خطر قائم وأخطار قادمة ، كان أحد أهم الأساليب التي اتخذها الغرب من أجل الدعاية النصرانية ، بل كان من أحد أهم الأسباب والعوامل التي زادت النشاط التنصيري ومنحته دفعات قوية مستمرة فأصبح نشاطاً ترعله وتسانده حكومات ودول ، وتقوم به مؤسسات وهيئات ومنظمات ، كما أصبح نشاطاً مخططاً تخدمه مراكز للبحوث والدراسات ، وأصبح فرعاً من علوم اللاهوت يدرس في المعاهد والجامعات .

خامساً : إعداد الزعماء والقادة :

ومن الأساليب غير المباشرة التي يعمل المنصرون من خلالها على نشر النصرانية في أفريقيا ، ما يسمى بخطة إعداد الزعماء والقادة ، فلكي تنجح عمليات التحول الحضاري والعقائدي ، لابد من توفير القيادات التي تسير بالشعوب نحو الأهداف المنشودة ، والتحولات المطلوبة في إقامة النصرانية على أنقاض القاعدة الإسلامية التي يجب أن تزول من الوجود - على حد زعمهم - .

ولبيان هذا المخطط ننظر في قول سارتر - أحد دهاقنة التنصير - في مقدمته التي صدر بها كتاب المفكر الأفريقي فرانس فانون "المعذبون في الأرض" موضحاً أسلوب صناعة الزعماء والقادة(١) .

"كنا نُحضر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء من أفريقيا وآسيا ونطوف بهم بضعة أيام في امستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس ، فتتغير ملابسهم ، ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة ، ويتعلمون مِنّا طريقة جديدة في الرواح والغدو ، ويتعلمون لغاتنا، وأساليب رقصاتنا وركوب سياراتنا . إلى أن يقول : وكنا ندبر لبعضهم زيجات أوروبية ثم نلقنهم أسلوب الحياة الغربية . كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أوروبا ، ثم نرسلهم إلى بلادهم ، وأي بلاد؟ بلاد كانت أبوابها دائماً مغلقة في وجوهنا ولم نكن نجد منفذاً إليها ، كنا بالنسبة لهم رجساً ونجساً . لكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلى بلادهم كنا نصيح من أمستردام ، أو برلين ، أو باريس : الإخاء البشري - فيرتد إلينا رجع أصواتنا من أقاصي أفريقيا أو شمالها . كنا نقول ليحل مذهب الإنسان أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة وكانوا يرددون . هذه أصواتنا من أفواههم ، وحين نصمت يصمتون . إلا أننا كنا واثقين من

(١) التنصير والتغلغل الاستعماري في أفريقيا ، ص١٨٣ ، جامعة أفريقيا العالمية ، مرجع سابق .

أن هؤلاء المفكرين لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعنا في أفواههم وفي هذه الجامعات وتلك المعاهد والكليات تخرج زعماء وقادة العالم العربي والأفريقي الذين نفذوا تعليمات ساداتهم من وراء البحار. أ.هـ

والأمثلة على ذلك كثيرة ممن خرجتهم المدارس الكنسية والأوروبية مثل : ليوبولد سنفور في السنغال ، وجوليوس نايريرى في تنزانيا ، ويورى موسيفينى في أوغندا ، وأسياس أفورقى في أرتيريا وغيرهم ، ومنهم الرئيس الحالي لكينيا دانيال أرب موى الكاثوليكي المتعصب ابن الكنيسة البار بها ، الذي لم يؤثر عنه أنه ترك صلاة الأحد في الكنيسة رغم مشاغل الرئاسة ، بعكس سلفه السابق الذي كان محباً للإسلام والمسلمين وقاد البلاد إلى الاستقلال .

وقد تلجأ الكنيسة أحياناً من أجل صناعة الزعماء الذين تريدهم إلى أسلوب الانقلابات العسكرية في بعض الدول والتصفيات الجسدية وتزويد المغامرين بالسلاح كما حدث في بعض الدول مثل نيجيريا والصومال وجنوب السودان وارتريا والكنغو ، وتحت مظلة أمثال هؤلاء الزعماء تستطيع الكنيسة أن تمارس التنصير الظاهر والخفي وسط المسلمين وغيرهم .

سادساً : دراسة المجتمعات :

ومن الأساليب غير المباشرة التي يستخدمها النصارى كذلك ما يسمى بدراسة المجتمعات ، ويشمل هذا الأسلوب القيام بدراسة شاملة للمجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية لتحديد أفضل المداخل والطرق لتنصير تلك المجتمعات ، مستغلين بعض نقاط الضعف في الحياة الدينية لبعض الطوائف الإسلامية .

فمثلاً يقول المنصر سوانك في ورقته التي قدمها إلى مؤتمر كلورادو التنصيري عام ١٩٧٨م ، تحت عنوان "الوضع المقارن بين الإسلام والمسيحية في أفريقيا جنوب الصحراء" عن طائفة العيساويين المسلمة بشمالي نيجيريا ، "... ظهرت عام ١٩٤٣م ، وبسبب تقديسهم للمسيح اعتبروا من قبل المسلمين المتطرفين خارجين عن الإسلام . وبسبب اعتقادهم وممارستهم اللاإسلامية نبذهم المسلمون ، كما أن المسيحيين لم يقبلوهم . ولكن في السنوات الثلاث الأخيرة أبدوا استجابة واضحة للمنصرين ، وقبل عدة شهور مضت منذ عام ١٩٧٨م ، صرح زعيمهم وأتباعه الثمانمائة برغبتهم في دخول النصرانية . هذا في رأينا ورغم أنهم مجرد مجموعة صغيرة إلا أنه يشكل شقاً آخر في جدار الإسلام له إمكانية بأن يكبر كثيراً"(١) .

ومن ذلك أيضاً التركيز على الموظفين الحكوميين من النصارى في كل مجتمع والذين يتولون بعض المناصب الهامة . وفي هذا الصدد يقول المنصر سوانك في ورقته المذكورة : " ... ما هي التغيرات التي تحدث عندما يكون هناك عدد من المسيحيين في وظائف حكومية؟ مثلاً تأثير المسيحيين في أواسط نيجيريا كان ذا أهمية استراتيجية ، فهناك عدد من حكام الأقاليم مسيحيون ، وآخرون في وضع يمكنهم من التأثير على صناعة القرار ، وزعيم قبيلة الكاكور الذي يتبعه ثلاثون ألف شخص

---

(١) انظر: التنصير: خطة لغز العالم الإسلامي ، ص٣٣٣/٣٣٤ ، الترجمة الكاملة لأعمال مؤتمر كلوراد التنصيري ، مقارنة بين الإسلام والنصرانية في وسط وجنوب أفريقيا ، جيرالد . و . سوانك .

يتولى منصب رئاسة مجلس زعماء القبائل ، فهو وآخرون مسيحيون يشكلون تأثيراً عظيماً على ذلك المجلس الهام ... "[١] .

وصور ذلك أيضاً اختراق ثقافة المجتمع المستهدف لإزالة الحاجز النفسي ضد أفكارهم النصرانية ، ومن ثم تغيير مفاهيم الناس وعاداتهم وتقاليدهم من خلال دس القصص والحكايات التنصيرية في ثنايا الموروث الشعبي للقبيلة أو الطائفة أو الطبقة الاجتماعية المستهدفة ، فيتناقلها الناس في أسمارهم وأمثالهم دون أن ينتبهوا إلى ما تحمله من أفكار معادية . ومثال ذلك القول المشهور "أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله" أو "الدين لله والوطن للجميع" . وهي تعابير تقوم عليها نظريات سياسية واجتماعية تعني أول ما تعني الفصل بين الدين والدولة ، وقد شاعت في كتابات بعض المسلمين . وكذلك الأساطير التي تزعم ظهور مريم العذراء وإقامة ما يسمى باحتفالات رأس السنة ، وإطفاء الشموع في المناسبات ، وأعياد ميلاد المسيح وشم النسيم وغير ذلك . وأيضاً الاهتمام بإيجاد نوع من الألفة لرموزهم النصرانية بين المسلمين ، مثل الصلبان التي تنحت أو تطبع على الملابس ولعب الأطفال والفرش والسجاد والمصوغات الذهبية والمعدنية.

وبعد فهذه أبرز ما يمكن ذكره عن الأساليب غير المباشرة على سبيل المثال لا الحصر ، وإلا فإن النصارى خلال عملهم الدؤوب من أجل تنصير المسلمين في كل يوم يبتكرون أسلوباً جديداً وحيلة جديدة[٢] من أجل تحقيق أهدافهم التي يسعون إليها ولكن خاب فألهم ، والله غالب على أمره .

---

(١) التنصير خطة لغزو العالم ، ص٣٣٩ ، مرجع سابق .

(٢) ذكر بعض العلماء أكثر من (٩٠) أسلوباً وسيلة للمنصرين استخدموها في بلاد المسلمين ، انظر: أساليب المنصرين ووسائلهم ، بحث غير منشور ، للدكتور مهدي رزق الله أحمد .

الفصل الثالث
كيفية مواجهة أساليب المنصرين والجهود المبذولة في ذلك

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : جهود الهيئات والمنظمات الإسلامية الخارجية .

المبحث الثاني: جهود المنظمات والهيئات والمؤسسات الإسلامية الداخلية .

المبحث الثالث : الجهود الفردية للعلماء والدعاة .

المبحث الرابع: الجهود المقترحة .

تمهيد :

عندما وصلت أولى البعثات التنصيرية إلى كينيا أخذت في بادئ أمرها بسياسة مراعاة شعور المسلمين ، حتى قويت شوكتها بوصول الأسطول الانجليزي وشركة شرق أفريقيا الملكية ، التي تولت حماية المنصرين بالتعاون مع القناصل الأوروبيين والأمريكيين الموجودين في زنجبار . وبعد دخول كينيا مرحلة الاستعمار ، وتوطدت أقدام المنصرين فيها ، بدأت الإرساليات محاولات تنصير المسلمين في الساحل وخاصة الأرقاء لاستقطابهم وتشغيلهم في مصالحها الاقتصادية ، وآخذت في تشويه صورة الإسلام بإطلاق الدعايات المضادة له . أدت هذه الحملات الصليبية الدعائية ضد الإسلام والمسلمين إلى علاقات عدائية بين النصارى والمسلمين ، وخاصة في أماكن الكثرة الإسلامية كمناطق الساحل حيث قاوم المسلمون بشدة نشاط المنصرين المعادي للإسلام . وكاد الأمر أن يؤدي إلى مواجهات مباشرة بين الجانبين لولا حماية الإدارة الاستعمارية للمنصرين ، فكتب "آرثر هاردنج" أول مفوض بريطاني لمحمية شرق أفريقيا البريطانية ما ترجمته : " كان كثير من المسلمين يشعرون عند مرورهم بالسوق ، وسماعهم لخطب المنصرين ومواعظهم ، إن أولئك المنصرين ما كانوا ليجرؤوا على مهاجمة دينهم الإسلامي في مثل تلك الأماكن العامة ، لولا السند الذي يجدونه من حكامهم الإنجليز"(١) .

من جهة أخرى دخل علماء المسلمين في منطقة الساحل في حرب مع البعثات التنصيرية عندما بدأت جمعية التبشير الكنسي عملها التنصيري وسط المسلمين ، حيث بنت مركزاً تنصيرياً داخل مدينة ممباسا ، تحت رعاية الأب "تكر" أول أسقف لعموم شرق أفريقيا ، ونظمت وأعدت عدداً من الاجتماعات التنصيرية وحلقات للوعظ في وسط السوق ، وقامت بتقديم

---

(١) الأقلية المسلمة في كينيا ، ص٢٥٦ ، تاج السر حران ، وحدة بحوث التاريخ بعمادة البحث العلمي بجامعة الإمام ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

عروض سينمائية لجذب الشباب . هنا قام العلماء بدورهم بالتصدي لـهذا التحدي التنصيري السافر ومواجهته[١] .

وظهر ذلك جلياً في أحداث لامو حينما تمكنت البعثة الألمانية التنصيرية من تنصير ثلاثة شبان مسلمين ، وعملت على إغراء الرابع بالارتداد عن دينه ، فهب العلماء والشعب في كل المدينة ضد المنصرين ، وقاموا بجهود كبيرة لمواجهة تلك الأحداث وإخراج الإرسالية من المدينة[٢].

وقد زاد من علاقات الجانبين العدائية أيام الإدارة البريطانية التباين الثقافي بين الديانتين ، إذ كان المسلمون يرون في بعض جوانب السلوك الغربي أمراً منافياً لأخلاقياتهم ، وعقبة في سبيل التعايش السلمي بين الإسلام والنصرانية . ومن ذلك اعتراض علماء المسلمين وقادتهم في مدينة ممباسا في عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ، لدى مفتش المنطقة على بعض الرقصات الغربية بحسبانها غير أخلاقية وغير مناسبة للمسلمين . وقد قامت السلطات في ممباسا وغيرها من أماكن تجمع المسلمين بإصدار القوانين المنظمة لمثل تلك النشاطات الترفيهية . كما كان المسلمون ينظرون بكثير من الاحتقار لبعض الممارسات النصرانية ، مثل طريقتهم في الملبس ، وتعاطيهم للمسكرات ، والموسيقى والرقص وغيرها من الأعمال . وقد أدى كل ذلك إلى تزايد النفور وعدم الثقة بين الطرفين في فترة ما قبل الاستقلال ، وإلى تحيز كل من الجانبيين ضد الآخر[٣] .

وبزوال الاستعمار البريطاني عن كينيا ، ومجيء الوطنيين الذين أعدهم الاستعمار في مدارسه النصرانية لخلافته ، لم تختف مظاهر التميز ضد المسلمين ، والشك فيهم ، التي غرسها المستعمر في نفوس خلفائه . واستمر الأمر على ذلك إلى الثمانينيات من القرن الماضي فأخذت الكنيسة تفعل ما تشاء ، بينما اقتصر دور العلماء على الجهود الفردية ، سواءً كان

---

(١) التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص١٨٤ ، مرجع سابق .
(٢) الأقلية المسلمة في كينيا ، ص٢٥٦ ، ٢٥٧ ، تاج السرحران ، مرجع سابق .
(٣) المصدر نفسه ، ص٢٥٧ .

ذلك في نشر الإسلام أم في الدفاع عنه ، أم في منع المسلمين من التأثر بالمنصرين ، حيث قام العلماء بحملة ضد التعاون مع الإرساليات والحكومة ، ومنعوا الأولاد من أبناء المسلمين من الالتحاق بمدارسها ، وتأسست بعض الجمعيات والمدارس الخاصة بالمسلمين كانت تهتم باستقطاب أبناء المسلمين وتزويدهم بالعلم الشرعي وقاد هذه الحركة عدد من العلماء والمشايخ ستتطرق إلى جهودهم في هذا الفصل - إن شاء الله تعالى - .

ومازال الوضع كذلك حتى دخلت المؤسسات والمنظمات الإسلامية الدعوية الحديثة إلى البلاد مؤخراً فأسهمت إسهاماً كبيراً في تحسين أوضاع المسلمين ، وشدت من أزر المؤسسات الإسلامية القائمة وبرز نوع من المنافسة للمنصرين وحماية المسلمين وتحصينهم من تلك الهجمات التنصيرية .

ومن ثم فإني قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول : جهود الهيئات والمنظمات الإسلامية الخارجية .

المبحث الثاني: جهود المنظمات والهيئات والمؤسسات الإسلامية الداخلية .

المبحث الثالث : الجهود الفردية للعلماء والدعاة .

المبحث الرابع: الجهود المقترحة .

المبحث الأول
جهــود الهيئــات
والمنظمات الإسلامية الخارجية

المبحث الأول

جهود الهيئات والمنظمات الإسلامية الخارجية

في هذا المبحث سيكون الحديث عن أبرز المنظمات والهيئات الإسلامية التي دخلت كينيا مؤخراً ، وكان لها دور وإسهام في حركة الدعوة الإسلامية والإغاثية في كينيا خلال فترات وجودها هناك . وتشمل هذه الهيئات والمنظمات تلك المؤسسات الدعوية الإقليمية التي تأسست بجهود المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية مثل رابطة العالم الإسلامي، ومنظمة الدعوة الإسلامية ونحوها ، أو مؤسسات ومكاتب تدعمها بعض الأقطار الإسلامية وتسهم فيها حكومات تلك الدول ، مثل الملحق الديني السعودي، ولجنة مسلمي أفريقيا الكويتية ونحو ذلك .

وأبرز هذه الهيئات والمنظمات هي :-

أولاً : الملحق الديني السعودي "مكتب الدعوة" :

أفتتح هذا المكتب في نيروبي عام ١٩٧٨م[١] ، ويعد هذا المكتب من أبرز المؤسسات الإسلامية في كينيا وأشهرها ، وأكثرها تعاملاً مع المسلمين هناك . إلا أن دوره أقل مما ينبغي أن يكون عليه ، إذ يعول عليه المسلمون كثيراً[٢] .

والمكتب قدم خدمات كثيرة مازالت قائمة ، كما يشرف المكتب على الدعاة المبتعثين من قبل دار الإفتاء ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية . ومن الأنشطة التي نفذها وينفذها المكتب[٣] :

١ - القيام بدور الملحق الثقافي والتعليمي بين الجامعات والمؤسسات التعليمية في المملكة .

---

(١) العلاقات السعودية الكينية ، ص٤٠ ، السفير إبراهيم السلوم ، معهد الدراسات الدبلوماسية ، الرياض ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

(٢) الدعوة الإسلامية في كينا ، ص٦٠/٦٢ ، حسن برالة ، مرجع سابق .

(٣) المصدر السابق ، ص٤٠ .

٢ - توزيع الدعاة على المناطق والمدارس الإسلامية .
٣ - توزيع المقررات الدراسية على المدارس الإسلامية الأهلية .
٤ - توزيع المصاحف والكتيبات على الأفراد والجمعيات .
٥ - القيام بجولات تفقدية لأحوال الدعاة والمسلمين هناك وكتابة التقارير عنها.
٦ - تسهيل قبول الطلاب المسلمين في الجامعات السعودية حيث تخرج بمساعدة المكتب ١٢٠ طالباً وطالبة تقريباً من أبناء كينيا حتى عام ١٤١٧هـ .
٧ - دفع رواتب المدرسين الذين يقومون بتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية في المدارس والمعاهد الحكومية والأهلية ، وقد بلغ عدد المدرسين الذين تكفل المكتب برواتبهم نحو "١٠٠٠" مدرس يبلغ مجموع رواتبهم الشهرية نحو (١٣٥) ألف ريال سعودي .
٨ - المساهمة في تقديم المساعدات المختلفة لبناء المدارس والمعاهد والمساجد بملايين الدولارات منذ افتتاحه .
٩ - توزيع ترجمات معاني القرآن الكريم باللغات المختلفة كالسواحيلية والإنجليزية والصومالية على المساجد والمدارس والمعاهد الإسلامية في كينا وبقية دول شرق أفريقيا .
١٠- توزيع الكتب والمراجع الإسلامية باللغة العربية واللغات المحلية الأخرى .

والجدول أدناه يوضح ما تم توزيعه من مصاحف ، ومراجع إسلامية، وكتب مترجمة باللغات المحلية والإنجليزية مع بيان أنواعها وكمياتها ، وذلك ما بين عام (١٤٠٠ - ١٤١٦هـ) (١٩٨٠ - ١٩٩٦م) ، بتكلفة ملايين الدولارات[١] .

البيـــان	الكمية بالأرقام
مصاحف بمختلف الأحجام والترجمات.	٠٠٠ر٠٠٠ر٢ نسخة
كتب ومراجع إسلامية مختلفة .	٠٠٠ر٠٠٠ر١ نسخة
الكتب التي طبعها المكتب باللغة السواحيلية.	٠٠٠ر٣٠٠ نسخة

(١) العلاقات السعودية الكينية ، ص٤١ ، مرجع سابق .

ثانياً : لجنة مسلمي أفريقيا :

كانت بداية عمل اللجنة في كينيا من خلال مكتب ملحق بالسفارة الكويتية في كينيا تم افتتاحه عام ١٩٨٦م ، ١٤٠٦هـ . ثم بدأ المكتب يتوسع في أنشطته إلى أن أنشئت إدارة منفصلة للمكتب في مدينة ثيكا بالقرب من نيروبي . وبعد توسعها أصبحت اللجنة الآن من أنشط المؤسسات الإسلامية والإغاثية في كينيا ، حيث تتنوع مجالات خدماتها في شتى الميادين ؛ للنهوض بمستوى المسلمين الكينيين الديني والثقافي والاجتماعي والاقتصادي ، ومواجهة خطط التنصير وحملاته التي تستهدفهم[١] .

وقد التقيت بأمين عام اللجنة الدكتور عبدالرحمن السميط في نيروبي، وقد كان متوجهاً لشمال شرق كينيا للإشراف على بعض أعمال اللجنة هناك ، ثم زرت مكتب اللجنة في ثيكا والتقيت بالأخ حسن إسماعيل مسؤول الدعوة والتعليم الذي تحدث عن أبرز أنشطة اللجنة على كافة الأصعدة والمستويات . وهي على النحو التالي[٢]:

١ - إنشاء المراكز الإسلامية المتكاملة "مسجد - مدرسة - عيادة طبية - تغذية) حيث بلغ عدد المراكز التي أنشأتها اللجنة حتى الآن (١٨) مركزاً ، كما تعمل هذه المراكز على توظيف الشباب المسلم في مرافقها ، إضافة إلى برامج تشغيل النساء الأرامل والمتأثرات بالحرب والمجاعة في الأعمال اليدوية مثل صنع الحصير والسلال والمفارش وغيرها .

---

(١) دخلت اللجنة في مواجهات متعددة مع الكنائس والبعثات التنصيرية في كينيا بسبب منافستها لهم في ميدان العمل والخدمات التي صرفت المسلمين عما تقدمه الكنائس من خدمات كانت تستغلها في تقديم دعوة الصليب لهم ، وكم ورثت اللجنة مركزاً أو مدرسة كان يديرها النصارى بعد أن تركوها إما نكاية بالمسلمين أو بسبب خلافهم مع الأهالي أو الحكومة نتيجة ممارساتهم اللاأخلاقية وغير المسؤولة ، انظر: رحلة خير في أفريقيا ، الصفحات: ٧٠ ، ٨٥ ، ٨٨ ، عبدالرحمن السميط .

(٢) كان ذلك أثناء الزيارة العلمية التي قمت بها إلى كينيا ، شوال ١٤٢١هـ ، يناير ٢٠٠١م .

٢ – المعاهد الشرعية لتدريس العلوم الإسلامية ، وللجنة الآن أربعة معاهد .

٣ – تأسيس (١٢) مدرسة ابتدائية في مختلف مناطق كينيا .

٤ – إنشاء ثلاثة مراكز للتدريب المهني لرفع مستوى الشباب المسلم ، وتأهيلهم لمختلف المهن التي تعينهم على كسب لقمة العيش، والاستقرار ومساعدة أسرهم ، لكي لا يقعوا فريسة للكنيسة بسبب الحوجة والبطالة . وتشمل هذه المراكز مركزاً للنجارة وآخر في مجال الحدادة والثالث في الحاسب الآلي .

٥ – إنشاء مدرسة واحدة ثانوية .

٦ – إنشاء كلية للدراسات الإسلامية في ثيكا ، وستتخرج أول دفعة في العام القادم - بإذن الله تعالى - حيث وصلت الدراسة الآن إلى المستوى الثالث .

٧ – كفالة أكثر من ١٢٢٦ يتيماً .

٨ – تأسيس أكثر من (٧) دور للمؤمنات (مراكز نسائية) ، ويشمل البرنامج اليومي لهذه الدور ؛ تعليم القرآن الكريم ، والعقيدة الإسلامية ، ومبادئ الإسلام ومحو الأمية ، والخياطة والتطريز ، والأعمال اليدوية ، وتغذية الأطفال ، كما يتم تزويد النسوة من مرتادات الدار ببعض الأطعمة في نهاية اليوم .

٩ – إنشاء دار واحدة للمهتدين ، وهي بمثابة مركز لاستقبال المسلمين الجدد ، تعقد لهم فيه دورات تعليمية في مبادئ الإسلام والعقيدة ، ويتم تحفيظهم بعض السور والأجزاء من القرآن الكريم . وتستمر هذه الدورة ثلاثة أشهر توفر فيها للدارس كل الاحتياجات الضرورية من سكن وإعاشة وملابس ونحوها .

١٠–توزيع الكتب والمراجع الإسلامية .

١١–عقد دورات في اللغة الإنجليزية لبعض الشباب الجامعيين الذين لا يعرفون اللغة الإنجليزية ، الأمر الذي يتيح لهم فرص العمل

والتوظيف في كافة المرافق الحكومية ، والتدريس في الجامعات والمدارس الحكومية حيث يشترط معرفة اللغة الإنجليزية لذلك .

١٢- القيام بالدراسات الميدانية المسحية لبعض مناطق المسلمين الفقيرة لتلمس حاجاتهم .

١٣- المشاركة في أعمال الإغاثة والطوارئ في بعض المناطق المنكوبة والمتأثرة بالجفاف .

١٤- الإشراف على عدد كبير من خلاوي تحفيظ القرآن الكريم ، وكفالة الدعاة والمدرسين .

والجدول التالي يوضح الخلاوي التي يشرف عليها المكتب الفرعي للجنة بمنطقة مرسبيت[١] .

اسم الخلوة	الموقع	عدد الطلاب	عدد الذكور	عدد الإناث	اسم المدرس	مؤهلات المدرس
عبدالرحمن بن عوف	مركزمرسبيت	٢٠	١٥	٥	عثمان جرها	متخرج من المعهد الشرعي
عبدالله بن مسعود	مركزمرسبيت	١٧	١٣	٤	علي تمنارتا	رر رر رر رر
أبو هريرة	كوانجا	٤٠	٣١	٩	إبراهيم بونيه	رر رر رر رر
بلال بن رباح	إسـلى	١٥	١٠	٥	إبراهيم أبرين	رر رر رر رر
سعد بن أبي وقاص	إسـلى	١٤	١٠	٤	إبراهيم حسين	رر رر رر رر
سلمان الفارسي	تكتكو	٣٥	٢٥	١٠	عمر محمد علي	رر رر رر رر
مصعب بن عمير	أولى أولي	٣٠	٢٠	١٠	عبده إسكون	رر رر رر رر
عمار بن ياسر	بداسا	٦٠	٤٥	١٥	علي غيو	رر رر رر رر
الزبير بن العوام	ديقوبا	٣٥	٢٢	١٣	حسين سليسا	رر رر رر رر
أبو الدرداء	دريبغومبو	٥٠	٣٦	١٤	محمود آدم	رر رر رر رر
زيد بن حارثة	غبرا سكيم	٢٧	١٩	٨	محمد علي شرامو	رر رر رر رر
سعيد بن جبير	تكنكو	٣٠	٢٣	٧	جمال محمد	رر رر رر رر
موسى بن نصير	مجينغو	٤٥	٣٠	١٥	عبدالله حسين	متخرج من مدرسة الفتح
موسى بن نصير	مجينغو	٥٠	٣٣	١٧	علي حسين	رر رر رر رر
مالك بن أنس	بوبيسا	١١	٦	٥	محمد سوار دبيلا	متخرج من المعهد الشرعي
جعفر بن أبي طالب	كلتشا	٥٤	٣٧	١٧	إبراهيم معلم	رر رر رر رر
الحسن البصري	ميكونا	٤٠	٢٥	١٥	عبدالله قلادنيلا	رر رر رر رر
عمر بن عبدالعزيز	دايا	٣٠	٢١	٩	عبده حسين راتشو	رر رر رر رر

(١) تقرير عن عمل المكتب ومكاتبه الفرعية التابعة للجنة ، ١٤٢١هـ عن مكتب فرعي شمال كينيا - مرسبيت .

ثالثاً : هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية :

من المؤسسات الإسلامية التي لها نشاط إغاثي ودعوي في كينيا هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية التابعة لرابطة العالم الإسلامي. حيث تقوم الهيئة بمساعدة أكثر من (٣٠٠) طالب وطالبة في دفع الرسوم المدرسية سنوياً ، كما تدفع رواتب (٤٠) مدرساً ، وتكفل (١٢) مدرساً آخرين في مخيمات اللاجئين في ممباسا[١] .

وقامت الهيئة ببناء مركز تعليمي يتكون من المراحل الابتدائية في مدينة برا ، كما أن للهيئة برامج لإنشاء بعض المراكز المهنية في النجارة، والخياطة ، والحاسب الآلي والطباعة ونحو ذلك ، حتى يستفيد أبناء المسلمين في كينيا ، ويعدون أنفسهم إعداداً جيداً مهنياً ونفسياً ، الأمر الذي يقطع الطريق على الإرساليات التنصيرية والكنائس من الولوج من هذا الباب - التدريب وتأهيل الشباب - لمخاطبة الشباب المسلم ومحاولة تنصيره من خلال إغرائه بهذه الخدمات .

أما من ناحية توفير الكتب والمراجع الإسلامية للشباب الكيني المسلم، فقد وزعت الهيئة (٧) أطنان من الكتب الإسلامية والمقررات المدرسية في الساحل وشمال شرق وغرب كينيا ، كما تولت الهيئة في عام ١٤١٦هـ ، تشغيل وإدارة مدرسة الصداقة العربية ومستوصف جمعية الصداقة العربية الكينية بموجب اتفاقية لمدة خمس سنوات . ومن أهداف هذه المدرسة تدريس العلوم العربية والإسلامية يومي السبت والأحد "العطلة الأسبوعية في كينيا" لأبناء البعثات الدبلوماسية العربية ، وأبناء الجالية العربية في كينيا وغيرهم . كذلك بدأت الهيئة مشروع تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في مناطق متعددة من كينيا ، وذلك بتعيين عدد خمسين مدرساً من خريجي الجامعات السعودية والمؤهلين في علوم القرآن الكريم .

---

(١) انظر: العلاقات السعودية الكينية ، ص٤٦ ، السلوم ، مرجع سابق .

إضافة إلى أعمال الهيئة المتفرقة في الإغاثة ومساعدة الفقراء حتى لا يمدوا أيديهم إلى المؤسسات التنصيرية والكنسية طلباً للمساعدة فتساومهم على عقيدتهم(١) .

رابعاً المنتدى الإسلامي :

تأسست مؤسسة المنتدى الإسلامي في بريطانيا عام ١٩٨٦م ، وبدأ اتصالها الدعوي بكينيا عام ١٩٩١م ، وتم تسجيلها كمؤسسة طوعية في كينيا ضمن قانون عمل المؤسسات الطوعية في البلاد في شهر يونيو ١٩٩٣م(٢) .

ولمكتب المنتدى في كينيا أنشطة متعددة تشمل الجوانب الدعوية والتعليمية والإغاثية ومواجهة خطة الكنائس والمنصرين . وأهم هذه الجهود والأنشطة تتمثل في الآتي :

١ - النشاط الدعوي :

- إنشاء المساجد وتفعيل دورها الدعوي بتعيين الأئمة والدعاة فيها ، وإلزامهم ببرامج دعوية وحلقات تعليمية ، وقد أنشأت المؤسسة حتى الآن ٢٧ مسجداً جامعاً في مختلف مناطق كينيا .
- تنظيم حلقات تحفيظ القرآن الكريم ، إذ تشرف المؤسسة على أكثر من ١٤ حلقة تحفيظ يدرس فيها نحو ألف طالب .
- عقد الملتقيات الدعوية والدورات الشرعية للدعاة ، وتنظيم المخيمات الطلابية لطلاب الجامعات والثانويات وخريجي حلقات التحفيظ .
- تسيير القوافل الدعوية المصحوبة بالبرامج الطبية للمناطق الفقيرة والقرى .
- تنظيم دورات تأهيلية وتعليمية في اللغة الإنجليزية للدعاة من خريجي الجامعات الإسلامية ولحفظة القرآن الكريم لتفعيل دورهم في الدعوة.

(١) العلاقات السعودية الكينية ، ص٤٦/٤٧ ، مرجع سابق .
(٢) أفاد بذلك الأستاذ د/ الأمين أبو طلحة مدير مكتبة المنتدى في نيروبي أثناء مقابلتي معه هناك بتاريخ ١٤٢١/١٠/٢٣هـ /١٩/١/٢٠٠١م .

٢ - النشاط التعليمي :

- انشاء وتسيير المدارس الإعدادية الإسلامية ، والمدارس الثانوية الحكومية التي تدرس فيها مادتي التربية الإسلامية واللغة العربية ، حيث للمؤسسة (٦) مدارس إعدادية إسلامية في منطقة مرتى ، ومدرسة ثانوية حكومية واحدة للبنين وأخرى للبنات في المنطقة نفسها .
- توفير الكتاب والمناهج الدراسية للمدارس الإسلامية الابتدائية والمتوسطة في كينيا .
- تأهيل مدرسي المدارس الحكومية في الدعوة والتعليم وذلك بعقد الدورات الشرعية والتدريبية للمسلمين منهم لرفع حسهم الإسلامي وتنشيط اهتمامهم بالدعوة .
- المساعدة في إنشاء وتأثيث المدارس الإسلامية في بعض المناطق ، وذلك من خلال توفير الأدراج والكراسي وبناء الفصول .
- إنشاء ودعم المراكز الإسلامية التعليمية للمسلمين الجدد حيث تشرف المؤسسة على ثلاثة مراكز ، واحد للنساء واثنان للرجال . وذلك بتوفير جميع ما تحتاجه هذه المراكز بعد إنشائها من دعا ومدرسين وكتب وأشرطة ونحو ذلك .
- إنشاء المراكز الثقافية "ثلاثة مراكز" يضم كل مركز مكتبة كبيرة للاطلاع وأخرى سمعية وبصرية ، إضافة إلى فصول لتعليم اللغة العربية ، وقسم لتأهيل النساء في مجال الخياطة والتدبير المنزلي والأنشطة الدعوية .
- توزيع مكتبة طالب العلم باللغة العربية على الدعاة وأخرى باللغة الإنجليزية للطلاب المسلمين في بعض المدارس الحكومية الثانوية والجامعات .
- ترجمة الكتيبات والمطويات التي تعرف بالإسلام إلى اللغة السواحيلية وتوزيعها مجاناً .

- التعاون مع الجمعيات والمؤسسات الإسلامية المحلية ودعمها بالبرامج الدعوية ، إضافة للدعم المادي لتمكينها من تحقيق أهدافها الدعوية .

٣ - الأعمال الإغاثية والطبية :

لمكتب المنتدى في نيروبي مشاركات جيدة في أعمال الإغاثة والتطبيب خاصة في أوقات الطوارئ ، رغم أن المكتب يركز في أعماله على الدعوة والتعليم بالدرجة الأولى . وقام المكتب بافتتاح (٦) مراكز تغذية للأطفال في مرتى أيام حرب الصومال يستفيد منها ١٢٠٠ طفل . أما في المجال الطبي فقد درج المكتب على تسيير قوافل طبية مصاحبة للقوافل الدعوية من وقت لآخر . كما يقيم المكتب مخيمات لمرضى العيون لمحاربة العمى بالتعاون مع المؤسسات الإسلامية الخيرية المتخصصة في هذا المجال كمؤسسة البصر العالمية .

٤ - دور المكتب في صد الأنشطة التنصيرية .

لمؤسسة المنتدى الإسلامي دور كبير في عملية الأسلمة والتأصيل لمختلف القضايا ، ونشر الإسلام والدعوة إليه وهذا ما يمتاز به على سائر المؤسسات الإسلامية العاملة في كينيا ، ومن هنا كان له دور بارز في عملية مواجهة خطط المنصرين وكشف مخططاتهم ورصد أنشطتهم ، ومما قام به المكتب في هذا الجانب نذكر الآتي :

- كفالة بعض الدعاة المتخصصين في مقارنة الأديان وتزويدهم بما يحتاجونه من كتب ولوازم تعينهم على ذلك .
- دعم الجمعيات المحلية العاملة في تعليم المهتدين الجدد .
- طباعة المطويات التي تعرف بالإسلام وتوضحه وتخاطب غير المسلمين باللغات المختلفة .
- احتضان المسلمين الجدد في مراكز تأهيلية وتعليمية وفقاً لمناهج خاصة معدة لذلك ، مثل مركز كيسومو الذي يخرج (٥٠) دارساً كل ثلاثة أشهر لضمان عدم ردتهم ما أمكن .

- تخصيص برامج تعليمية وبثها في إذاعة اقرأ(١) .
- تسيير القوافل الدعوية لمناطق الوثنيين التي تعتبر ميدان سباق بين الإسلام والنصرانية ، حيث حققت الكنيسة في تلك المناطق نجاحاً كبيراً .
- توفير الخدمات المماثلة في المناطق التي يستغل التنصير فيها تلك الخدمات للتنصير ، مثل حفر الآبار ، ودفع رسوم الدراسة للطلاب الفقراء ، ومراكز التغذية المباشرة وتوزيع الغذاء ، وانتشار المدارس، كما هو الحال في بعض المناطق مثل منطقة مرتى التي أسس فيها المكتب ستة مراكز لتغذية الأطفال الفقراء .
- دعم وتشجيع البحوث المتخصصة في مجال تعليم المهتدين الجدد وكشف شبهات التنصير .
- توعية المسلمين بأهداف المنصرين وخطط أعداء الإسلام بصفة عامة، وتنبيههم لذلك من خلال إصدار مجلتي "البيان" باللغة العربية و "الجمعة" باللغة الإنجليزية ، وتوزيعهما على نطاق واسع ، يشمل المؤسسات الإسلامية الخارجية ، والمحلية ، والأعيان والأفراد ، والسفارات العربية وغيرها .

خامساً : مؤسسة الحرمين الخيرية :

تم تأسيس مكتب الحرمين فرع كينيا ، في عاصمتها نيروبي سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، على خلفية الحرب الأهلية الصومالية بعد تفجر الأوضاع هناك ؛ ونزوح أعداد كبيرة من اللاجئين الصوماليين إلى الأراضي الكينية . وقد زرت المكتب أثناء وجودي في العاصمة نيروبي ، خلال زيارتي العلمية إلى كينيا ، والتقيت نائب مدير المكتب الأخ / طارق الخير ، الذي تحدث عن أبرز أعمال المكتب ودوره في صد الهجمات التنصيرية التي تعرض لها المسلمون الصوماليون من قبل المؤسسات

(١) إذاعة اقرأ ، إذاعة أنشأها المسلمون في كينيا حديثاً تهتم بالبرامج الدعوية والتعليمية وتعتبر لسان حال المسلمين هناك ، سيأتي الحديث عنها لاحقاً .

الإغاثية التنصيرية عند نزوحهم إلى كينيا ، بعد أن تركوا ديارهم ، وفقدوا أموالهم ، جراء الحرب الطاحنة في الصومال .

ومن أبرز أعمال المكتب :

- المشاركة في إغاثة اللاجئين الصوماليين النازحين إلى كينيا بعد اندلاع الحرب الصومالية في عدد من المخيمات .
- إقامة مشغل خياطة في مدينة قاريسا يحوي (٢٠) ماكينة خياطة لتعليم النساء المسلمات الفقيرات والأرامل فن الخياطة .
- تقديم الكسوة مجاناً للفقراء ، حيث وزعت المؤسسة في هذا المجال أكثر من عشرة آلاف كسوة .
- تأسيس عدد من مدارس تحفيظ القرآن الكريم للطلاب المسلمين موزعة في مدن : وجير ، قاريسا ، وإيسيلو يدرس فيها مئات الطلاب .
- كفالة عدد من المراكز الإسلامية والإشراف عليها ، منها مركز التوحيد في ممباسا ، ومركز نمانغا الإسلامي في مدينة نمانغا .

وحيث تقوم هذه المراكز بجهود دعوية وتوعوية مباركة يحتاج إليها المسلمون هناك ، نتطرق فيما يلي لأنشطة وجهود أحد هذه المراكز ، وهو مركز التوحيد الإسلامي في ممباسا .

مركز التوحيد الإسلامي - ممباسا :

يقع هذا المركز في قرية مغانيا كولو بمقاطعة مكوالي جنوب غرب ممباسا ، وتكمن أهميته في وقوعه على الطريق الرئيس الرابط بين كينيا وتنزانيا ، في منطقة معظم سكانها من المسلمين ، ويقدر عددهم بنحو عشرة آلاف مسلم ومسلمة تتهددهم الأخطار التنصيرية ؛ فجاء هذا المركز لينير الطريق لأهل المنطقة ، ويزودهم بالعلوم الإسلامية النافعة ، ويحصنهم ضد الأخطار التي تهدد عقيدتهم وهويتهم ، والمركز يقوم بدور كبير في نشر الإسلام وحماية المسلمين الذين يكثر فيهم الجهل والفقر من التأثر بالدعاية التنصيرية التي تستهدف المنطقة ، وقد قمت بزيارة المركز واطلعت على أنشطته وجهوده كما التقيت مديره الأخ/أحمد الحاج ، وبعض

المدرسين العاملين فيه من الذين تخرجوا في الجامعات العربية والإسلامية[١] .

أما بداية أنشطة المركز فقد انطلقت في عام ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م ، تحت اسم "مدرسة التوحيد الإسلامية" ثم بعد ذلك غير الاسم إلى مركز التوحيد الإسلامي ، وتخرجت منه أول دفعة في عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، والآن يضم المركز ثلاثة أقسام : ابتدائي ، ومتوسط ، وثانوي ، إضافة إلى الروضة ، وتضم أقسام الروضة والابتدائي طلاباً من الجنسين "بنين وبنات" .

أهداف المركز :

يهدف المركز إلى غرس العقيدة الإسلامية الصحيحة وتعاليم السنة في نفوس أبناء المنطقة ، وتخريج الدعاة والخطباء والمدرسين ، إضافة إلى القيام بواجب الدعوة إلى الله في المنطقة من خلال أنشطة الطلاب في نهاية كل أسبوع .

ومما يجدر ذكره أن المركز يضم طلاباً من مختلف دول شرق أفريقيا مثل تنزانيا ، وجزر القمر ، وبورندي ، وزامبيا ، بجانب الطلاب الكينيين ، ويقدر عدد الطلاب والطالبات بالمركز أكثر من "٥٠٠" طالب وطالبة ، يوفر المركز لمعظمهم السكن والإعاشة بالمجان .

سادساً : منظمة الدعوة الإسلامية لأفريقيا :

تأسست منظمة الدعوة الإسلامية لأفريقيا سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، للنهوض بمستوى المسلمين الأفارقة الديني والثقافي والاجتماعي والاقتصادي ، وذلك في مجالات تدريس العلوم الإسلامية ، وفتح المدارس والمعاهد وخلاوى تحفيظ القرآن الكريم وإنشاء المستوصفات والمراكز

(١) كان ذلك خلال زيارتي لمدينة ممباسا ، أثناء الرحلة العلمية التي قمت بها إلى كينيا ، في يوم ١٤٢١/١٠/٢٠هـ ، الموافق ٢٠٠١/١/١٦م .

الصحية ، وتقديم الإغاثة والمساعدة في مجال الدورات التدريبية والتأهيلية وحفر الآبار ، وإقامة السدود والمشروعات المختلفة ، ونحو ذلك(١) .

تم افتتاح مكتب المنظمة في كينيا في عام ١٩٨٤م ، ويقع المكتب في حي ساوث سي (South.c) في العاصمة نيروبي ، وقد قمت بزيارة للمكتب وقابلت مديره الأستاذ/ عصام محي الدين الذي أطلعني على أبرز أنشطة المكتب ، وهي على النحو التالي :

- كفالة الدعاة : حيث يقوم مكتب المنظمة هناك بكفالة عدد من الدعاة ، موزعين في مختلف أنحاء كينيا ، وقد قابلت بعضاً منهم ، وهم : الشيخ الداعية/ آدم ديو ، الذي يعمل في منطقة مويالي ، والشيخ/ أحمد شيكوكو في منطقة شمال كينيا ، كما يكفل المكتب ويدعم بعض الدعاة المتجولين ، ويسهل لهم مهامهم الدعوية ، مثل تزويد بعضهم بوسائل الاتصال الحديثة كالهواتف النقالة ونحوها .
- برامج تفطير الصائمين : ينفذ المكتب عدداً من البرامج لتفطير الصائمين في مناطق كينيا بالتعاون مع بعض المؤسسات الدعوية الأخرى منها مؤسسة الشيخ زايد بن سلطان الخيرية .
- برنامج الكسوة : وهذا البرنامج يتم تنفيذه في مناسبات الأعياد لصالح الفقراء والمساكين ، وكذلك في بعض الأوقات الأخرى .
- كفالة الطلاب : يكفل المكتب عدداً من الطلاب الكينيين المسلمين ويسهل التحاقهم بالجامعات الإسلامية في بعض البلاد العربية والإسلامية مثل : جامعة أفريقيا العالمية ، وجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان ، وجامعة الأزهر بمصر ، وجامعة أبوبكر الصديق بباكستان .
- كفالة وتسيير بعض المدارس ، ودعم بعضها بالمستلزمات المدرسية، ومن تلك المدارس المدرسة الثانوية بحي كرمك في نيروبي .

---

(١) انظر: دليل منظمة الدعوة الإسلامية في أفريقيا ، ص٤/٥/٦ ، الخرطوم ١٤٠٩هـ .

سابعاً : الجامع الأزهر الشريف :

ظل الجامع الأزهر الشريف ومنذ فترة طويلة يسهم في حركة الدعوة الإسلامية في أفريقيا ، حيث كان دوماً يستقبل أبناء القارة الأفريقية ، ويرعاهم ويلقنهم مبادئ الإسلام والشريعة ، حتى إذا عادوا إلى بلادهم استطاعوا أن يكونوا دعاة هداية لأقوامهم ، وأن يغرسوا فيهم ما تلقوه من عقيدة وعلم .

وعندما تدافعت الإرساليات الكنسية نحو أفريقيا في القرن الماضي ، ودخل على أثرها رجال المذاهب النصرانية المختلفة من بروتستانت وكاثوليك وغيرهما اتجه الأزهر إلى إرسال البعوث الإسلامية والدعاة من بنيه إلى مختلف أقطار القارة خاصة منطقة شرق أفريقيا التي شملت إرتريا، والصومال ، وكينيا ، والسودان ، كما قام الأزهر بتزويد الجمعيات والمؤسسات الإسلامية والهيئات في كثير من الأقطار بما تحتاجه من مصاحف ، وكتب ، وبحوث مما يشرف على طبعه وإصداره[1] .

وبعد ، فهذه لمحة مختصرة لجهود المنظمات والهيئات الإسلامية الخارجية في تدعيم الوجود الإسلامي في كينيا ، ومواجهة الزحف التنصيري الموجه نحو المسلمين هناك ، ورغم بساطة هذه الجهود - إذا ما قورنت بالجهود الكنسية وجيوشها - فإنها ولله الحمد غطت جانباً مهماً من احتياجات المسلمين ، وسدت ثغرة كبيرة كانت تمثل فراغاً وفرجة تتسلل منها شياطين الكنائس لتوسوس في صدور الأفارقة بدعاية الأناجيل المحرفة والمحبة المزعومة .

ولكي تتضح هذه الجهود أكثر ، وتنافس الجهود الأوربية والأمريكية في أفريقيا ، لابد لها أن تتنوع وتتكامل وتتوسع في الاعتماد على أبناء القارة في حمل مشعل العلم والدين إلى أهليهم ، وكذلك عليها أن تستفيد من تجارب الإرساليات في إعداد الكوادر المؤهلة والدعاة ، ودراسة مختلف المشكلات المحلية التي يعاني منها المسلمون هناك من نفسية واجتماعية

(١) انظر: نهضة أفريقيا ، ص١٣٧ ، محمد عبدالعزيز إسحاق ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

واقتصادية ودينية ، وتطوير مسائل التنظيم والتمويل وغير ذلك من ضروريات "العمل الجماعي" المعقد والمتشعب الأطراف .

إن هذه المؤسسات والمنظمات الإسلامية هي المقابل الأكبر لجهود الفاتيكان والصليبية العالمية في هذا الميدان ، وبحمد الله قد حققت نجاحاً ملموساً ، لمسه أولئك المسلمون في كينيا ودعاتهم ، ويلمسه حتى الزائر إلى تلك البلاد من أول وهلة .

وقد أشاد ونوه بذلك الدعاة هناك ، منهم الشيخ الدكتور عبدالغفور البوسعيدي رئيس المجلس الأعلى لمسلمي كينيا في إحدى تصريحاته لصحيفة العالم الإسلامي ، حيث أثنى على جهود هذه المنظمات ودورها الكبير في مساعدة مسلمي كينيا ومواجهة زحف المنظمات التنصيرية ، وأنه يقع عليها وعلى أثريا المسلمين العبء الأكبر في النهوض بمستوى المسلمين هناك[1] .

(١) جاء ذلك في صحيفة العالم الإسلامي ، العدد ٩٣٦٦ ، الجمعة ١٩/شوال ١٤١٩هـ/ ٥ فبراير ١٩٩٩م ، الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي .

المبحث الثاني
جهود المنظمات والهيئات والمؤسسات الإسلامية الداخلية

المبحث الثاني

جهود المنظمات والهيئات والمؤسسات الإسلامية الداخلية

توطئة :

يتوزع وجود المسلمين في كينيا في أنحاء البلاد ومناطقها ، رغم أن أغلبيتهم تتركز في الساحل ومناطق شمال وشمال شرق كينيا ، وهناك أعداد كبيرة منهم تعيش في مناطق نيانزا وغربي كينيا ، كما أن قطاعات كبيرة من المسلمين الآسيويين تعيش في المدن الكبرى مثل نيروبي ، وكيسومو ، وألدوريت ونحوها ، وهذا الكيان الإسلامي الشتات ، كان أحد عوامل ضعف المسلمين وتخلفهم ، حيث إنهم كانوا يفتقرون إلى تخطيط مركزي منظم يدير ويرعى مصالحهم ، وإلى قيادة تنظم أمورهم ، لأن شتاتهم بهذه الطريقة هو الذي أفقدهم التأثير في شؤون الدولة ومجريات الأمور وأحداثها - رغم أن المسلمين يمثلون أكبر تجمع ديني في البلاد - ٣٥% من السكان - وبالتالي أصبحت الدولة لا تهتم بهم وبشؤونهم وحقوقهم إلا بالقدر الذي يخدم أغراضها .

وإدراكاً من المسلمين لأهمية مبدأ الاعتماد على الذات ، واستشعاراً لمسؤولية الفرد نحو الجماعة ، ومسؤولية الجماعة نحو الفرد ، فقد اتجهوا إلى تكوين تنظيمات وجمعيات واتحادات وروابط بهدف تحسين مستوياتهم الدينية ، والمعيشية ، والتعليمية ، والصحية ، وكل احتياجاتهم ومتطلباتهم التنموية التي من شأنها الرقي والنهوض بأحوالهم عامة . فاجتهدوا في ذلك، وقامت عدة جمعيات ومؤسسات إسلامية ، وكثرت أعدادها حتى فاقت الاثنين وخمسين جمعية ومؤسسة[١] . حتى أصبحت بكثرتها تلك واحدة من المشكلات التي تواجه المسلمين هناك ، فبدل من أن تُوحد جهود

---

(١) انظر : الأقلية المسلمة في كينيا ، ص٢٢ ، حران ، مرجع سابق .

المسلمين في مجالات العمل الدعوي ، والعمل الثقافي والاجتماعي توزعتها هذه الجمعيات التي شلت حركتها كثير من المشكلات فأصبحت - في معظمها - غير نشطة وليست ذات فاعلية تذكر ، باستثناء البعض منها ممن كان له حضور بارز في مجالات العمل الإسلامي والدعوي .

وفي هذا المبحث سنقدم دراسة ووصفاً لبعض تلك المؤسسات التي لها نشاط بارز في مجال الدعوة ، والعمل الاجتماعي والثقافي ، ولها حضور في الساحة كان له أثره الإيجابي على المسلمين هناك ، ومن تلك المؤسسات ما يلي :-

١ - المجلس الأعلى لمسلمي كينيا .
٢ - المؤسسة الإسلامية .
٣ - جمعية الشبان المسلمين .
٤ - جمعية الرعاية الإسلامية لمسلمي شمال شرق كينيا .
٥ - مجلس المعارف الإسلامية .

أولاً المجلس الأعلى لمسلمي كينيا (Supreme Council of Kenya Muslims)

تأسس المجلس الأعلى لمسلمي كينيا عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، ليشرف على النشاط الإسلامي في البلاد ، وتعمل كل الجمعيات والهيئات الإسلامية في كينيا تحت مظلته بل إن دستوره يحوي مادة تمنع تسجيل المؤسسات الخيرية الإسلامية غير المنضوية تحت لوائه ، وتعتبر جمعيات غير قانونية ولا تعترف بها الدولة ، وهو بذلك يعتبر القيادة الوحيدة للمسلمين في كينيا المعترف بها من قبل الدولة والتي تمثل مصالح المسلمين وآلامهم وآمالهم لدى الجهات الرسمية ومؤسساتها(١) .

أهداف المجلس :

للمجلس الأعلى لمسلمي كينيا عدة أهداف يسعى لتحقيقها من أجل النهوض بمصالح المسلمين هناك ، نختصرها في الآتي :-

---

(١) انظر: الأقلية المسلمة في كينيا ، ص٢٢٣ ، مرجع سابق .

- نشر التعليم الإسلامي بين المسلمين على ضوء الكتاب والسنة .
- تنسيق العمل الإسلامي بين الجمعيات وتمثيلها محلياً ودولياً .
- إيجاد الحلول اللازمة لمشكلات المسلمين التعليمية والثقافية والاجتماعية ، والاهتمام بأمرهم والتحدث باسمهم(١) .

وقد تعرض المجلس لانتقادات عدة من قبل بعض المسلمين لكونه لم يقم بالدور المطلوب منه على الوجه الأكمل والنهوض بمصالح المسلمين وهمومهم وحل مشكلاتهم والدفاع عنهم وعن حقوقهم المشروعة ، بل ارتبط المجلس في أذهان البعض بأنه أداة في يد الحكومة التي ظلت إلى عهد قريب تسيطر على تعيين قيادته ، وتوجه نشاطه الوجهة التي تريد .

أنشطة المجلس :

- كان المجلس يتلقى المنح الدراسية التي تقدم من الدول العربية والإسلامية للمسلمين هناك ، كما يتلقى المساعدات الأخرى من عدة جهات ودول إسلامية ، منها البنك الإسلامي للتنمية بجدة ، ودار الإفتاء وغيرها ، وبالتالي فهو يقوم ببعض الأنشطة الدعوية والتعليمية مثل بناء المساجد والمعاهد العلمية .
- كما يقوم المجلس بدفع الرسوم الدراسية عن بعض الطلبة العاجزين عن دفعها لكي يواصلوا دراستهم ، إضافة إلى أن المجلس له مدارس أسسها ويشرف عليها حالياً ، وأغلبها مدارس ثانوية .
- ومن أنشطة المجلس كذلك إجراء المسابقات المحلية في تحفيظ القرآن الكريم وترشيح الطلاب الفائزين للاشتراك في المسابقات الدولية . إضافة إلى مهمته الرسمية في التنسيق بين الدولة والجمعيات والمؤسسات الإسلامية الأخرى(٢) .

ولكن في العامين الأخيرين بعد ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، بدأ دور المجلس ينشط بصورة كبيرة ، وأصبحت له فروع في المدن الأخرى ،

---

(١) انظر : الدعوة الإسلامية في كينيا ، حسين برالة ص٥١ ، مرجع سابق .
(٢) الشيخ حسين برالة ، رئيس المجلس في المنطقة الشرقية ، في مقابلة معه في قاريسا بتاريخ ١٦/١٠/١٤٢١هـ/ ١١/١/٢٠٠١م .

ومكاتب تشرف على الدعوة والتعليم ، وكافة الأنشطة الإسلامية في البلاد.

كما أصبح المجلس يضم في عضويته بالإضافة إلى المؤسسات والجمعيات الإسلامية العلماء والشباب والشيوخ وغيرهم ، وفي أثناء الدراسة الميدانية في كينيا قمت بزيارة إلى مدينة قاريسا والتقيت برئيس المجلس في المنطقة الشمالية الشرقية الشيخ الداعية/ حسين إبراهيم برالة - أحد خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - وقمت بزيارة لبعض المؤسسات والمدارس التي يشرف عليها المجلس ، منها : مدرسة السلام ، ومدرسة النجاح ، وبعض الكتاتيب .

وفي مدرسة السلام التقيت بمدير المدرسة الشيخ/ حسن عبده[1] . الذي تحدث عن المدرسة وأنشطتها ، قائلاً : مدرسة السلام مدرسة كبيرة تضم أكثر من ٩٠٠ طالب في مراحلها الثلاث - الابتدائي والمتوسط والثانوي - ويُدَرِّس فيها (٢٥) مدرساً بعضهم من خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، والبعض تخرج من جامعات إسلامية أخرى ومعاهد علمية مثل معهد النجاح ومعهد كسونى ، وتدرس المدرسة العلوم الشرعية بمختلف فروعها ، أما طلاب الابتدائي فيدرسون في هذه المدرسة مساءً ويلتحقون بالمدارس الحكومية صباحاً ، الأمر الذي يزودهم بالعلوم العصرية بجانب العلوم الشرعية ويمكنهم من دخول الجامعات الحكومية في البلاد . أ.هـ

كما توجد بجانب هاتين المدرستين مدرسة كتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم تعتبر من أضخم الكتاتيب في المنطقة تضم مجموعات كبيرة من الطلاب ، وهذه المدارس والكتاتيب هي التي حفظت للناس دينهم بعد فضل الله عز وجل ، ولذلك فهي دائماً تجد العراقيل من النصارى ، حيث إن وجودها يغيظهم كثيراً ، فلم يجدوا بداً من أن يسخروا منها تارة ويصفونها بالعجز تارة أخرى .

---

(١) تم اللقاء في المدرسة ، بتاريخ ١٦/١٠/١٤٢١هـ ، واستمرت الجولة في المنطقة مدة ثلاثة أيام ، ابتداءً من ١٥/١٦/١٧/١٠/١٤٢١هـ .

وبعد هذه التحركات الأخيرة للمجلس بدأ المسلمون يحسنون من وضعهم في مواجهة التيارات الأخرى نسبياً حيث تم افتتاح إذاعة اقرأ في أول شهر نوفمبر عام ٢٠٠٠م ، وتبث إرسالها من مدينة نيروبي من مقر المسجد الكبير "Gaamia Mosque" التابع للمجلس الإسلامي الأعلى .

وتبث إذاعة اقرأ إرسالها لمدة ٢٤ ساعة يومياً باللغات التالية :

١ ـ السواحيلية .
٢ ـ الإنجليزية .
٣ ـ العربية .
٤ ـ الهندية .
٥ ـ الأوردية .
٦ ـ الصومالية .

وقد استمعت لبعض برامجها ، أثناء قيامي بالزيارة العلمية إلى كينيا، وهي برامج جيدة وشاملة تبدأ بالقرآن الكريم وبرامج التلاوة ، ودروس في الفقه والتوحيد ، والتفسير ، والحديث ، وقضايا اجتماعية أخرى ، ومحاضرات عامة ، ويتابع برامجها كثيرٌ من المسلمين ، ومتوقع أن تسهم بدور كبير في رفع الوعي الإسلامي لدى المسلمين وتعريفهم بدينهم ، وتكون سبباً لهداية البعض من الوثنيين والنصارى .

كذلك للمسلمين الآن برامج لا بأس بها في الإذاعة الكينية الرسمية "Kenya Brodocasting Corpration" منها ساعة كل يوم جمعة عبارة عن أسئلة وأجوبة - وهو برنامج مفتوح لكل الناس - يجيب فيه أحد المشايخ المسلمين عن الاستفسارات والأسئلة التي تلقى عليه . كذلك لهم برنامجان آخران يومي الاثنين والثلاثاء ، وهذه البرامج تقدم باللغة السواحيلية ، إضافة إلى ثلاث ساعات أخرى باللغة الصومالية - موزعة على ثلاثة أيام - يتحدثون فيها عن الإسلام وتاريخ دخوله وانتشاره وغير ذلك .

أما في جانب التلفزيون فليس للمسلمين أية برامج سوى ساعة واحدة في الأسبوع ، بينما للنصارى برامج كثيرة في التلفزيون الكيني الرسمي ،

إضافة إلى قناة تلفزيونية أخرى خاصة بهم "Familly Chanal" التي سبقت الإشارة إليها في الفصل السابق .

لكن هناك محاولات لإنشاء قناة تلفزيونية خاصة بالمسلمين لخدمة مسلمي كينيا وأفريقيا ، من المتوقع أن تبدأ إرسالها في مطلع عام ٢٠٠٢م، من صحراء جنوب السودان ، حيث يقوم المجلس الأعلى لمسلمي كينيا بالتعاون مع بعض المراكز الإسلامية التي تعمل في القارة بوضع الترتيبات اللازمة لإنشاء هذه المحطة ، التي أوضح الشيخ عبدالغفور البوسعيدي رئيس المجلس الأعلى لمسلمي كينيا بأنه سيتبعها إنشاء محطات أخرى تقدم حقائق الإسلام الصحيحة الصافية لتحصين عقول المسلمين من أي غزو تنصيري في أفريقيا ، وتتيح لمسلمي أفريقيا فرصة كبيرة لمعرفة أمور دينهم وسوف تقدم القناة برامجها بعدة لغات منها السواحيلية والإنجليزية وبعض اللغات المحلية الأخرى في كافة علوم الإسلام ومعارفه(١) .

ثانياً : المؤسسة الإسلامية : Islamic Founation

أنشئت هذه المؤسسة عام ١٩٦٣م ، من قبل بعض الغيورين على الإسلام ، وذلك لنشر الدعوة الإسلامية والتعليم الإسلامي في كينيا ، ويقع مكتبها الرئيس في نيروبي ، وتعتبر المؤسسة الإسلامية من أنشط الجمعيات والمنظمات الإسلامية المحلية وأكثرها تطرقاً للمجالات التي يحتاج إليها المسلمون(٢) .

أهداف المؤسسة :

تنحصر أبرز أهداف المؤسسة الإسلامية في الآتي :

- تشجيع المسلمين لدراسة القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، والعلوم الإسلامية .

---

(١) انظر: جريدة الشرق الأوسط : عدد (٨٢٣) ص١٦ ، الأحد ٢٠٠١/٦/١٠م ، مقابلة مع الشيخ عبدالغفور البوسعيدي .

(٢) الدعوة الإسلامية في كينيا ، ص٥٢ ، مرجع سابق .

- إصدار الصحف والمجالات ، وتأليف وترجمة الكتب الإسلامية إلى اللغة السواحيلية من أجل النهوض بالفكر الإسلامي لدى الناطقين بهذه اللغة في شرق أفريقيا .
- إقامة وإرسال بعثات الدعوة في الأرياف الكينية ، وإنشاء مكتبات للمطالعة ، ومستوصفات طبية ، ودور للأيتام في أنحاء البلاد .
- إنشاء المعاهد الدينية لتعليم الناشئة وتربيتهم تربية إسلامية(١) .

أهم أنشطة المؤسسة :

- قامت المؤسسة الإسلامية بتنفيذ عدد من الأنشطة الإسلامية التي من شأنها تحقيق الأهداف المذكورة والوقوف في وجه الهجمات التنصيرية المتتابعة وتحصين الشباب المسلم . نذكر منها الآتي :-
- أنشأت المؤسسة عدداً من المراكز الإسلامية في مختلف أنحاء البلاد.
- تمكنت المؤسسة من إصدار ثلاث طبعات من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة السواحيلية ، طبعت منها (٨٢٥٠٠) نسخة ، إضافة إلى طبع (٢٨) كتاباً إسلامياً باللغة السواحيلية .
- أصدرت المؤسسة مجلة "الإسلام" باللغة الإنجليزية كل ثلاثة أشهر .
- للمؤسسة نشاط إذاعي من خلال إذاعة كينيا يشمل تقديم الأحاديث الدينية بمختلف اللغات .
- تأسيس وإنشاء مركز أسيولو الإسلامي في مدينة أسيولو على بعد مائة وسبعين ميلاً شمال شرق نيروبي ، وهو مركز مؤثر ضخم يضم عدداً من الفعاليات الإسلامية ، منها :-
  ١ - مسجد أسيولو الذي تم افتتاحه رسمياً في محرم ١٤٠١هـ .
  ٢ - معهداً لتحفيظ القرآن الكريم .
  ٣ - داراً للأطفال الأيتام .

(١) الأقلية المسلمة في كينيا ، ص٢٣٣ ، مرجع سابق .

٤ – مدرسة الفلاح الإسلامية ، التي تضم ٩٠٠ طالب في قسميها الابتدائي والإعدادي ، تتولى المؤسسة فيها إسكان وتغذية الطلاب ورواتب المدرسين .
٥ – مستشفى صغيراً ، ومركزاً زراعياً وآخر مهنياً .
٦ – مدرسة ثانوية للبنين وأخرى للبنات .
٧ – نادياً للشباب المسلم ، وفصولاً مسائية لتعليم كبار السن من المسلمين .

- كما أنشأت المؤسسة معهد ماجاكوس الإسلامي ، بمدينة ماجاكوس على بعد أربعين ميلاً جنوب شرق العاصمة نيروبي ، ويضم المعهد مدرسة ابتدائية ، وقسماً داخلياً للطلاب ، لإعداد المعلمين لتدريس مادة الدين الإسلامي في المدارس المنتشرة في المنطقة[١] .

- معهد كسونى :

معهد كسونى أو "كيساؤنى" الإسلامي في ممباسا ، أحد المشاريع التعليمية البارزة للمؤسسة الإسلامية ، وهو أول معهد ثانوي إسلامي من نوعه في كينيا ، تم افتتاحه في محرم ١٤٠١هـ ، ومنهجه الدراسي مطابق لمناهج المعاهد العلمية السعودية بجامعة الإمام ، لكنه يزيد عنها بتدريس اللغتين الإنجليزية والسواحلية ضمن مناهجه ، ويُدرس في المعهد عدد من مبعوثي الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء . وقد اعترفت وزارة المعارف السعودية بشهادة المعهد ، وكذلك فعلت وزارة التعليم السودانية ، وبناءً على هذه الاعترافات يقبل طلاب المعهد في كثير من الجامعات والكليات الإسلامية في مختلف دول العالم الإسلامي ، مثل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية بالرياض، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة أفريقيا العالمية

(١) انظر : الأقلية المسلمة في كينيا ، ص٢٣٣ ، المرجع السابق .
التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص١٩٤ ، مرجع سابق .

بالخرطوم ، وكلية التربية قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود ، والجامعة الإسلامية العالمية بالباكستان ، والأزهر الشريف بمصر ، وغير ذلك ، ولهذا يعتبر للمعهد دور كبير في تأهيل الطلاب المسلمين الكينيين للالتحاق بالجامعات الإسلامية[١] .

ولطلاب المعهد نشاط دعوي بارز في المنطقة ، إذ يخرجون إلى القرى المجاورة يوم الجمعة ويعودون يوم الأحد ، وهناك يقومون بتعليم مبادئ الإسلام ، واللغة العربية ، وإلقاء الخطب خاصة خطبة الجمعة في بعض المساجد . ومن أنشطة المعهد كذلك القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة ، حيث إن لطلاب المعهد مجلساً يسمى مجلس الإصلاح يُنتخب أعضاؤه من الطلبة كل عام ، إضافة إلى أمين شؤون الدعوة والإرشاد بالمعهد ، وهو الذي يقوم بتنظيم الأنشطة الدعوية ، ونتيجة لهذه الحملات الدعوية أسلم كثير من الوثنيين في المنطقة، وعاد للإسلام - بحمد الله - بعض ممن ارتد عنه بسبب الهجمات التنصيرية . كما أن لطلاب المعهد دوراً كبيراً في مناقشة القساوسة ومناظرتهم وتحجيم نشاطهم[٢] .

وعموماً يمكن القول : بأن جهود المؤسسة الإسلامية في خدمة المسلمين ، ونشر التعليم الإسلامي ، وجدت القبول والتقدير من معظم المسلمين في كينيا ، حيث غطت جوانب كثيرة مهمة كان يفتقدها المسلمون في المجالات الثقافية والتعليمية ، كما أن جهود المؤسسة لم تقف عند المجالات التعليمية فقط ، وإنما تعدتها إلى الأعمال الخيرية والاجتماعية الأخرى كدفع الرسوم الدراسية عن الطلبة المسلمين الفقراء ، وكفالة الأيتام، ومساعدة الأرامل والمنكوبين بالجفاف ، وتدريب النساء على بعض المهن مثل الحياكة والتطريز ، وتدريب الأسر الفقيرة على الاقتصاد

---

(١) تقرير عن المسلمين ومؤسساتهم ومدارسهم في ممباسا ، ص٣ ، إعداد سراج الرحمن الندوي ، مدير المعهد ومدير الكلية الإسلامية في ممباسا ، ١٤١٦هـ .

(٢) معهد كسوني ، تقرير عن أنشطة الطلبة في حقل الدعوة ، إعداد الشيخ/ سراج الرحمن الندوي ، ١٤٠٧هـ .

الزراعي سداً لحاجاتها المعيشية وإيقافاً للمد التنصيري المنظم ، هذا بجانب جهودها في بناء المراكز الإسلامية والمساجد .

ثالثاً : جمعية الشبان المسلمين : "Young Muslim Association"

تأسست جمعية الشبان المسلمين كهيئة إسلامية وسجلت لدى الحكومة الكينية عام ١٩٦٤م ، وتهدف الجمعية بصفة عامة إلى رفع مستويات المسلمين الثقافية والاجتماعية ، والاقتصادية ، والمعنوية ، وذلك بالاهتمام بأطفال المسلمين وإنقاذهم من براثن التنصير ، وبتنفيذ المشروعات والبرامج التي تحقق هذه الأهداف(١) .

ومن ضمن مشروعات الجمعية التي تم تنفيذها الآتي :

١ – دار أيتام المسلمين بقاريسا .

٢ – مدرسة جمعية الشبان المسلمين الابتدائية .

٣ – الدعوة وبرامج الشباب ، حيث بنت الجمعية (٢٣) مسجداً وزودتها بالدعاة والأئمة .

٤ – مستوصف شباب المسلمين .

٥ – دورات تدريبية لمدرسي التربية الإسلامية .

٦ – برامج المدارس الإسلامية حيث تكفل الجمعية حالياً (٦٥) مدرسة بمختلف المراحل .

٧ – مدرسة تحفيظ القرآن الكريم .

٨ – خدمات نقل أموات المسلمين .

٩ – مساعدة الفقراء والمساكين .

١٠– برامج دفع الرسوم الدراسة عن أبناء فقراء المسلمين .

وسنلقي الضوء على مشروع واحد من هذه المشروعات كنموذج لنشاط هذه الجمعية ، وهو :

---

(١) انظر: تقرير جمعية الشبان المسلمين ، لعام ١٩٩٩/٢٠٠٠م ، موجود بدار الأيتام بقاريسا، إعداد : فاروق أحمد - رئيس الجمعية .

دار الأيتام بقاريسا :

تعتبر دار أيتام المسلمين بقاريسا من أكبر مشروعات الجمعية وأهمها حيث أسهمت إلى حدٍ كبير في إنقاذ كثير من الأطفال المسلمين الأيتام من أيدي المنصرين . فحينما افتتحت جمعية الشبان المسلمين مركزها في قاريسا لإيواء أيتام المسلمين الذين فقدوا آباءهم في الحرب التي نشبت بين الحكومة والمقاطعات الصومالية ، كان في المدينة مركز كاثوليكي يضم أكثر من (٨٠٠) طفل مسلم تحت رعاية القسيس الكاثوليكي المعروف بـ"بابا جون" (Father Jon) . فلم تمض بضع سنوات حتى تحول كل الأطفال في المركز الكاثوليكي إلى مركز الجمعية ، الأمر الذي تسبب في انهيار تلك الدار تماماً وغادرها (Father Jon) متحسراً إلى غير رجعة ، وهو يرى الجهد الذي بذله في سنوات ينهار أمام عينيه في لحظات . وقد زرت مركز (Father Jon) أثناء زيارتي للمنطقة ، فإذا هو أطلال خربة تسكنها الغربان ، وأورث الله أرضها للمسلمين ، حيث أقتسمت أرض المزرعة الكبيرة التي كانت توفر المواد الغذائية لأطفال المركز بين المدرسة المتوسطة للبنات وبين جمعية الرعاية الإسلامية - التي نتحدث عنها فيما بعد إن – شاء الله تعالى[١] .

وعندما زرت دار أيتام المسلمين ، فإذا هي مركز كبير يعج بالحركة والنشاط والحيوية ، به مسجد ، ومزرعة ، ومستوصف يقدم خدماته للأهالي بالإضافة إلى طلاب وعمال وموظفي المركز ، وقسم لتصفية المياه ، وقسم داخلي يضم "٣٠٠" يتيم ، بجانب "٤٠٠" طالب في المدرسة الإسلامية بشقيها الابتدائي والمتوسط ، و "٦٠٠" طالب وطالبة آخرون بالمدرسة الحكومية الشاملة ، كما التقيت بالأستاذ/ عبدالسلام شيخ محمد مدير المركز وقمنا بجولة حول مرافق الدار ومنشآتها وتعرفنا على أنشطتها[٢] .

---

(١) كان ذلك أثناء الدراسة الميدانية في منطقة قاريسا ، شوال ١٤٢١هـ يناير ٢٠٠١م .
(٢) الدراسة الميدانية ، المصدر نفسه .

وتقوم الدار بتدريس المنهج الإسلامي بجانب المنهج الأكاديمي العصري ، لتمكين المتخرجين منها من خوض معركة الحياة العامة بنجاح، وهم ينطلقون من أساس إسلامي قوي ، عقيدة وعملاً وثقافة ، وقد أكمل عدد كبير من أبناء الدار تعليميهم بنجاح(١) ، وانخرطوا في مهن مختلفة كالتدريس ، والطب ، والزراعة ، وأصبح بعضهم من كبار الضباط في القوات المسلحة ، ومسؤولين حكوميين ، يخدمون المسلمين في مجالات اختصاصاتهم .

رابعاً : جمعية الرعاية الإسلامية لمسلمي شمال شرق كينيا :

North Eastern Muslim Welfare Society :

تأسست هذه الجمعية عام ١٩٦٤م ، على يد بعض المحسنين المحليين من أهل المنطقة الشرقية لكينيا ، ومقرها مدينة قاريسا عاصمة الإقليم الشمالي الشرقي بكينيا ونظراً للظروف والأوضاع السياسية في المنطقة آنذاك(٢) ، لم تستطع الجمعية القيام بنشاطها على الوجه المطلوب ، فظلت على وضعها حتى تم إحياؤها عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، على أيدي نخبة من الشباب المسلم المهتم بالدعوة ، عقب سنوات الجفاف التي ضربت المنطقة وازدياد خطورة النشاط التنصيري فيها(٣) .

أهداف الجمعية :

١ - دعوة الناس إلى الالتزام بنصوص الشريعة عقيدة وعملاً وأخلاقاً ومعاملات .

---

(١) مما يجدر ذكره أن الدار تكفل الطالب اليتيم لديها من الابتدائي وحتى تخريجه من الجامعة.

(٢) مرت المنطقة في تلك الفترة بحرب طاحنة بين الحكومة والأهالي استمرت من ١٩٦٣م إلى ١٩٦٨م ، بسبب طلبهم الانفصال انظر: الدعوة الإسلامية في كينيا ، حسين برالة ، ص٥٧.

(٣) تقرير عن الجمعية ، إعداد حسين مهد نور ، ١٤٠٤/١٢/٢٩هـ/١٩٨٤/٩/٢٤م .

٢ – نشر الوعي الإسلامي بين المسلمين ، وتشجيع التعاون والاتحاد بين مسلمي المنطقة والمناطق الأخرى .
٣ – رعاية وتطوير مصالح المسلمين الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية ، وكافة نواحي الحياة .
٤ – تجنب النعرات القبلية والسياسات الدخيلة المخالفة لتعاليم الكتاب والسنة .
٥ – إنشاء المكاتب الفرعية ومراكز العمل الإسلامي في جميع مناطق كينيا[١] .

وانطلاقاً من تلك الأهداف قامت الجمعية وقدمت للمسلمين خدمات جليلة في مجالات عديدة ، وتصدت لكثير من المحاولات التنصيرية خصوصاً في مجالي الإغاثة والدعوة .

وفيما يلي ابرز أنشطة هذه الجمعية :

- إنشاء مركز أيتام المسلمين في قاريسا يضم (٣٠٠) يتيم ، مائتان وخمسون منهم ذكوراً والبقية من الإناث .
- كما يضم المركز مسجداً ، ومدرسة عصرية بجميع مراحلها ابتدائي ، متوسط ، وثانوي ، وتجمع هذه المدرسة في مناهجها بين العلوم الشرعية والعلوم العصرية التي تمثل منهج الدولة الرسمي ، ويضم المركز كذلك مكتبتين ، الأولى للمطالعة ، والثانية لبيع الكتب بأسعار مخفضة هدفها توفير الكتاب الإسلامي للشباب . وهذا المركز قام على أنقاض مركز "بابا جون" المنصر الكاثوليكي الشهير في المنطقة الذي سبق ذكره[٢] .
- ومن أنشطة الجمعية كذلك بناء أكثر من (٦٠) مسجداً في مختلف أنحاء كينيا .

(١) تقرير الجمعية ، ١٤٠٤هـ ، مصدر سابق .
(٢) الدراسة الميدانية ، المرجع السابق .

- كفالة أكثر من (٥٥) داعية بمختلف مناطق البلاد .
- بناء خمسة مراكز إسلامية موزعة في المنطقة وغيرها .
- بناء وإشراف لـ (١٥) مدرسة موزعة في مختلف أنحاء كينيا .
- يضاف إلى ذلك المحاضرات ، والندوات ، والدروس العلمية ، وغيرها من الأنشطة التي تقوم بها الجمعية وتدفع بمسيرة الدعوة الإسلامية إلى الأمام ، وتستقطب الشباب في صفوفها .

خامساً : مجلس المعارف الإسلامية - ممباسا :

يعد مجلس المعارف الإسلامية من المؤسسات الإسلامية الحديثة التكوين ، إذ تم الإعلان عنه في عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، وهو عبارة عن تطوير لمدرسة تجويد القرآن الكريم التي أسسها الشيخ الحاج علي محمد عثمان عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ويقع مقره في مدينة ممباسا شرقي كينيا ، وأعضاء المجلس مجموعة من العلماء والدعاة وطلبة العلم ، ويرأس مجلسه حالياً الشيخ سراج الرحمن الندوي الذي نظم لي زيارة للمركز الإسلامي الذي أنشأه المجلس بقرية أمكينى على بعد عشرين كيلو متراً شمال ممباسا على الطريق العام بين ممباسا ولامو .

ويتكون المركز من الأقسام التالية :-

أ - دار أبي بن كعب -رضي الله عنه- لتحفيظ القرآن الكريم ، ويدرس فيها حالياً نحو (١٥٠) طالباً .

ب - دار الأرقم للتربية الإسلامية ، وتشتمل هذه الدار على قسمين :-

١ - قسم المهتدين الجدد وفيه حالياً (١٢٠) دارساً ، وقد زرت هذه القسم أثناء زيارتي لمدينة ممباسا خلال رحلتي العلمية إلى كينيا، والتقيت بعدد من أساتذة القسم والدارسين فيه ، وكان من ضمنهم بعض القساوسة الذين اهتدوا للإسلام[١] ، والمركز أو الدار تهتم

---

(١) كان من أولئك المهتدين المنصر السابق موسى كايبيني عضو لجنة بناء والإشراف على الكنائس في (Refomly Church of East Africa) والذي أجريت معه حواراً حول أساليبهم في التنصير كما مر ذكره في الفصل السابق .

بتربية المسلمين الجدد وتعليمهم مبادئ وشعائر الإسلام حتى إذا عادوا إلى مناطقهم قاموا بدورهم بواجب الدعوة إلى الله هناك .

٢ - قسم إعداد الأئمة ومعلمي القرآن الكريم ويضم (٥٨) دارساً .

جـ- المعهد العلمي للدعوة الإسلامية ، وهذا المعهد كان الغرض منه استيعاب خريجي دار أبي بن كعب لتحفيظ القرآن الكريم بالدرجة الأولى ، لذلك يشترط لمن يلتحق به أن يكون حافظاً للقرآن الكريم ، ومدة الدراسة فيه سنة كاملة يتعلم فيها الطالب التفسير والحديث والفقه والتوحيد وغيرها من العلوم الإسلامية ليتخرج بعدها داعية في المنطقة .

د - دار عروة بن مسعود للتدريب المهني ، وتشتمل على ثلاثة أقسام هي: قسم الكمبيوتر - قسم الخياطة والتطريز - قسم النجارة .

ويقدم المركز الدراسة والإعاشة والعلاج للطلاب مجاناً على نفقة المحسنين الذين يدعمونه .

وللمجلس نشاط دعوي كبير في المنطقة ، حيث يوجد حوالي مائة داعية منتشرين في مختلف القرى حول الساحل ومنطقة غرب كينيا مثل مدن كيسومو ، والدوريت وما جاورها من القرى ، وهؤلاء الدعاة يتولون الإمامة في المساجد ، والتدريس في المدارس ، وبعضهم دعاة متجولون بين المدن والقرى ، يدعون الناس للإسلام ، وقد اسلم على أيديهم الكثير - والحمد لله - من الوثنيين والنصارى من بينهم قساوسة وأصحاب امتيازات رفيعة في المجالس الكنسية .

وبعد ، فهذا ما يمكن قوله باختصار عن نشاط الجمعيات والمؤسسات الإسلامية الداخلية وعن جهودها في مواجهة خطط تنصير المسلمين في كينيا ، وفي المقابل نشر الإسلام والوعي الإسلامي في أوساط المسلمين هناك .

ورغم ما قيل عن هذه الجمعيات والمؤسسات ، أو الانتقادات التي وجهت إليها من قبل بعض الباحثين والمقيّمين لجهود تلك المنظمات في كونها لم تحقق آمال المسلمين وطموحاتهم بسبب مشكلاتها الداخلية ، أو

طريقة تكوينها وإدارتها(١) - ولسنا نحن هنا بصدد دراسة نقدية لتلك المنظمات والمؤسسات - إلا أنها حافظت على هوية المسلمين من الضياع في كثير من الأحيان ، واهتمت بالجوانب الدينية والتعليمية للمسلمين ، ووفرت لهم ما يحتاجونه في هذا المجال رغم أنها أهملت النواحي الاقتصادية والسياسية للمسلمين ، وربما كان ذلك عائد إلى طبيعة نظام الدولة العلماني الذي يمنع قيام الأحزاب السياسية الدينية والذي يوالي في جملته الاتجاه النصراني للدولة .

كما أن كل جمعية من هذه الجمعيات لها دور في نشر الإسلام ، والدفاع عنه ضد أعدائه ، من خلال الخدمات الاجتماعية ، مثل كفالة الأيتام ، ودفع الرسوم المدرسية عن الطلاب الفقراء ، وتوفير الزي المدرسي ، ونحو ذلك من الأعمال التي ينتفع بها المسلمون ، وتسد الطريق أمام جهود المنصرين الذين اتخذوا من حاجة المسلمين إلى الخدمات الاجتماعية مدخلاً لتنصيرهم .

---

(١) انظر : الأقلية المسلمة في كينيا ، ص٢٢٦ ، ٢٢٧ ، للدكتور/ تاج السرحران ، مرجع سابق . "حيث ذكر الكاتب أن نقداً وجه لتلك المؤسسات والمنظمات بسبب قصورها وكونها لا تمثل الأمة الإسلامية هناك ، وهذا القصور موجود فعلا في كثير منها إلا أن بعضها كانت له جهود كبيرة ومميزة كالتي ذكرناها هنا وما شابهها

المبحث الثالث

الجهود الفردية للعلماء والدعاة

المبحث الثالث

الجهود الفردية للعلماء والدعاة

تمهيد :

لنشاط العلماء والدعاة في كينيا أثر كبير في مواجهة الحركة التنصيرية التي تعرض لها المسلمون هناك ، ومنعهم من التأثر بتلك الحركة خاصة في مناطق الساحل مثل لامو ، ومالندى ، وممباسا وغيرها، حيث حفظ العلماء لهؤلاء المسلمين دينهم - إلى حد ما - وسط موجة المنصرين والسياح التي تجتاح المنطقة كل عام ، إضافة إلى الموجات الاستيطانية النصرانية التي استقرت في المنطقة بتشجيع ودعم من الرئيس السابق جومو كنياتا ، تحت مسمى "مشروع بحيرة كنياتا الاستيطاني(١)" وما صحب ذلك من بناء للكنائس وتدفق للمنصرين .

كما أسهم في مواجهة تلك الحركة العلماء الحضارمة الذين توغلوا إلى أعماق كينيا بعد زوال خطر قبائل "الماساى" نظراً لوجود الأمن النسبي بعد فتح البلاد أمام المستعمرين(٢) .

ومن اشهر من تصدى للحركات الهدامة والمناوئة للمسلمين في كينيا أفراد الأسرة المزروعية العمانية ، وكان من أجلّ علمائها الشيخ الأمين بن علي بن نافع المزروعي المتوفى ١٩٤٧م ، ومن بعده تلميذه الشيخ عبدالله ناصر الفارسي ، وقد تقدمت الإشارة إلى جهود الشيخ الأمين المزروعي

---

(١) هو مشروع تنصيري دعمه الرئيس السابق لتوطين أبناء قبيلته "الكوكويو" في المناطق الخصبة ، ودعمته المنظمات التنصيرية بهدف تكثيف الوجود النصراني في مناطق المسلمين خاصة منطقة لامو الإسلامية العريقة . وقد وصل عدد سكان المستوطنة اليوم أكثر من (٣٥) ألف نصراني ، يمارسون نشاطهم عبر (٦٤) كنيسة . ، انظر: التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص١٨٦ ، مرجع سابق .

(٢) انظر: الإسلام في شرق أفريقيا ، ص١٩٤ ، سبنسر ترمنجهام ، مرجع سابق .

ودوره في الدفاع عن الإسلام والمسلمين في الباب الأول - الفصل الثاني من هذا البحث[١] .

وفي هذا المبحث سنستعرض - بإذن الله تعالى - جهود بعض العلماء والدعاة المعاصرين الذين اسهموا بدور فاعل في مواجهة الزحف التنصيري ونشر الإسلام في كينيا ، والمقصود بالعلماء المعاصرين هم العلماء الحديثون أو "المُحْدَثون" لأن في كينيا نوعين من العلماء :-

النوع الأول : علماء تقليديون تلقوا تعليماً إسلامياً تقليدياً في الكتاب والمدارس وحلقات المساجد على أيدي علماء آخرين ، وانحصر تعليمهم في تعلم مبادئ اللغة العربية ، وحفظ وتلاوة القرآن الكريم ، ودراسة الفقه الشافعي وحفظ متونه ، ودراسة الحديث الشريف .

أما النوع الثاني من العلماء : فهم العلماء الذين درسوا على النظام الحديث وهؤلاء تلقوا تعليماً تقليدياً - أو بعضاً منه - في مراحل دراستهم الأولى، ثم انتقلوا عن طريق بعثات دراسية وغيرها للدراسة في جامعات بلدان عربية وإسلامية أخرى ، فتقلوا تعليماً إسلامياً حديثاً ، ودراسة عربية مكثفة ، مما ترتب عليه اتساع معارفهم التقليدية ، وتطور دراستهم الإسلامية تلك .

كما أن هناك طائفة من العلماء "المُحْدَثين" تلقت تعليماً دينياً تقليدياً وآخر غربياً حديثاً ؛ وأهمية هذا النوع من العلماء نابعة من إلمامهم بكلا النوعين من المعرفة - الدينية والعلمية الحديثة - وكذلك من تأثرهم بالمعارف الغربية الحديثة وبقائهم على إخلاصهم لدينهم موضحين بذلك أنه لا تعارض بين المعرفتين ، وأن العلم الحديث لا يؤدي بالضرورة إلى فقدان الهوية الدينية والثقافية ، وأنه من ثم لا خوف على أبناء المسلمين من تعلم ذلك العلم ، ولا معنى لإحجامهم عن التعليم الغربي الحديث وبخاصة إذا زُود المتعلمون بأساسيات المعرفة الإسلامية - من

---

(١) لمزيد من أخبار الشيخ الأمين المزروعي ، انظر: مجلة دراسات أفريقية ، الشيخ الأمين بن علي المزروعي والإسلام في شرق أفريقيا ، العدد ، ١٩ يوليو ١٩٩٣م ، محاسن حاج الصافي .

توحيد وقرآن وحديث وفقه ولغة عربية - حتى لا يكونوا مسخاً - وحتى لا تتعرض هويتهم للاهتزاز.

ولعل الأهمية الكبرى لأولئك العلماء الذين جمعوا بين "القديم والحديث" هو أن الكثير ممن درسوا ظاهرة التخلف التعليمي عند المسلمين في شرق أفريقيا وجدوا أن الخروج من ذلك التخلف هو التعليم مع الحفاظ على الدين والهوية ، ووجدوا أن ذلك لا يتأتى إلا بالجمع بين تعلم العلم الشرعي والعلم المدني ، فهو في رأيهم الحل الأمثل لمشكلات المسلمين التعليمية ، والعلاج الناجح لتخلفهم التعليمي الذي هو سبب أساسي وراء تخلفهم في كافة مناحي الحياة[١] .

وفيما يلي نماذج من أولئك العلماء والدعاة الذين أسهموا في حركة الدعوة الإسلامية في كينيا ، واهتموا بمحاربة التيارات المناوئة للإسلام ، سواءً كان ذلك في مجال الفرق الضالة كالشيعة والقاديانية ، وجهلة الصوفية ونحوهم ، أو اهتموا بمقارعة النصارى ، ومناظرتهم ودعوتهم للإسلام وكشف مؤامرتهم .

ومن هؤلاء العلماء :

١ - الشيخ الدكتور / محمد سالم بادامانا :

بدأ الدكتور محمد سالم بادامانا تعليمه الأول في المدارس الإسلامية على النمط التقليدي المعروف ، واستطاع وهو في ذلك الطور الالتحاق بالمدرسة الأولية ، وتابع تعليمه التقليدي والمدني في آن واحد ، حتى إذا ما أتم المرحلة الثانوية ونال شهادتها كان قد أكمل تعليمه الديني التقليدي أيضاً . ثم التحق بكلية الزراعة جامعة أفرتون ، ومنها وجد طريقه إلى جامعة الموصل في العراق حيث درس فيها الطب البيطري ، وكان لإقامته تلك بالعراق أثر بالغ عليه ، إذ إن الظروف التي عاصرها في العراق أقنعته بضرورة التركيز على دراسة الإسلام وفهمه بطريقة أعمق ، كما عرضته لمؤثرات إسلامية أخرى ، منها أفكار بعض المصلحين والمفكرين

(١) انظر: الأقلية المسلمة في كينيا ، ص١٨ ، مرجع سابق .

الإسلاميين التي استقاها من كتبهم ، ومن المجلات والجرايد العربية ، ثم عاد بادامانا إلى كينيا ليلتحق بجامعة نيروبي ، ثم غادرها إلى جامعة ردنق بإنجلترا حيث نال منها شهادة الدكتوراه عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ، وعاد مرة أخرى أستاذاً في جامعة نيروبي كلية العلوم البيطرية ، ثم ترك العمل بالجامعة عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، ليتفرغ لإدارة فرع الندوة العالمية للشباب الإسلامي في نيروبي حتى عام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، حيث انتهت فترة عمله بالندوة ، وهو الآن متفرغ للتدريس والدعوة وإدارة أعماله الخاصة ، كما يدير مدرسة تضم روضة أطفال كبيرة[١] .

ظل الدكتور بادامانا منذ عودته إلى كينيا مشغولاً بنشاطه الإسلامي متعدد الجوانب ، من ذلك برنامجه الديني الأسبوعي المذاع من إذاعة صوت كينيا ، ومحاضراته العامة ، واشتراكه في لجان تقويم منهج التعليم الإسلامي ، وتنظيمه لدورات دراسية للشباب المسلم بالاشتراك مع المنظمات والجمعيات الإسلامية المحلية مثل جمعية الشبان المسلمين ، والمؤسسة الإسلامية ، وكل ذلك بغرض تشجيع المسلمين لتعليم أبنائهم وجعلهم من ثم أعضاء فاعلين في جسم أمة الإسلام في كينيا . ولعل من أكثر نشاطاته أهمية هي حربة ومقاومته للنفوذ الشيعي في كينيا ، بحسبان أن ذلك النفوذ أمر ضار بعقيدة المسلمين حيث يمس أساسيات الدين ، فيطعن في القرآن الكريم ، ويشكك في السنة الصحيحة ، ويسب الصحابة ، وبالتالي لابد من مواجهته فكرياً وتنبيه المسلمين إلى خطره ، فقام الشيخ بجولات في بعض أجزاء البلاد بغرض إلقاء المحاضرات وإقامة الندوات لمعارضة النفوذ الشيعي في كينيا وتحذير المسلمين منه .

وهذه الجهود كان لها أثر كبير ، خاصة وسط الشباب المسلم ، المتطلع إلى المعرفة الإسلامية الصحيحة ، حيث يعتبر اليوم نفوذ مذهب أهل السنة في كينيا هو النفوذ السائد ، بينما يقل بدرجة كبيرة تأثير ونفوذ المذاهب الأخرى على الشارع الإسلامي .

(١) الدكتور محمد سالم بادامانا أول الشخصيات التي التقيت بها عند زيارتي إلى كينيا ، حيث كنت أحمل له رسالة من مكتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض .

٣ - الشيخ/ حمد محمد قاسم المزروعي :

تلقى الشيخ حمد تعليمه الديني على يد والده الشيخ محمد قاسم الـذي كان قاضياً لقضاة كينيا[١] ، بعد وفاة الشيخ الأمين بن علي المزروعي . ثم التحق بالمدرسة الثانوية العليا ، وبعد أن نال شهادتها التحق بجامعة بغـداد بالعراق لدراسة علم الفيزياء ، وكان ذلك في أواخر الستينيات ، فتعـرض الشيخ حمد لكل المؤثرات الإسلامية التي كانت سائدة آنذاك فـي العـراق والدول العربية المجاورة له ، فاهتم بدراسة الإسلام وعلومـه ، ودراسـة الفيزياء ، واستمر كذلك حتى اندلاع الحرب العراقية - الإيرانية ، فتحـول إلى جامعة الملك سعود بالرياض مواصلاً لدراسته في علم الفيزياء . وقـد أفاد الشيخ حمد كثيراً من الجو الدراسي في الرياض حيـث اسـتطاع أن يوسع اطلاعه على علوم الفقه والتفسير ، والتوحيد ، وأن يختلط بغيره من الطلاب المسلمين في الجامعة[٢] .

وللشيخ حمد رؤية حول نظام التعليم التقليدي في شـرق أفريقيـا ، حيث يرى أن نظام التعليم الحالي الذي يعتمد حفظ المتون الفقهيـة علـى حساب العلوم الإسلامية الأخرى كالتوحيد والحديث والتفسير نظام جـامد ، كما يرى أن الاهتمام باللغة العربية وإجادتها أمر ضروري لاتساع معارف الطلاب والعلماء وتنوعها وتطورها ، وقد حاول الشيخ حمد بث ما تعلمـه من علوم إسلامية إلى طلاب العلم الذين كانوا يرتادون حلقات علمه فـي مسجد المزروعي بممباسا ، بجانب عمله مدرسـاً للفيزيـاء والدراسـات الإسلامية في مدرسة الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان الثانوية فـي مدينـة ممباسا ، كما أنه اهتم بتعليم النساء فخصص لـهن جانبـاً مـن دروسـه ومحاضراته ، يعلمهن فيها أمور دينهن . ولم يهتم الشيخ حمـد بـالأمور

---

(١) منصب قاضي القضاة من المناصب المهمة عند المسلمين في كينيا حيـث يعنـي - شـيخ الإسلام في البلاد - أو أعلى سلطة دينية ، وكان هذا المنصب متداولاً غالباً بيـن عـائلتي المزارعة والأشراف ، وعادة يتولاه العلماء التقليديون ، انظر: دراسات أفريقية ، عـدد ١٩ يوليو ١٩٩٣ .

(٢) الأقلية المسلمة في كينيا ، ص١١٠ ، مرجع سابق .

الخلافية وبالأمور التي يدور حولها جدل ونقاش ، وإنما بقي بمعزل عن ذلك لاعتقاده أن الأمر الأساسي والمهم هو محاربة جهل المسلمين وتعليمهم مبادئ الإسلام الصحيحة ، وأن ذلك هو الطريق الأمثل لإزالة كل الأمراض الاجتماعية والثقافة التي يعاني منها المسلمون ، ولذلك كان اهتمامه بالتعليم كبيراً ، وقد التحق الشيخ بجامعة أبادان في نيجيريا وحصل منها على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية وهو الآن قاضٍ في مدينة لامو(١) .

٣ - الشيخ : عبدالله صالح الفارسي : (١٩١٢ - ١٩٨٢م) :

نشأ الشيخ عبدالله فارسي وتعلم في زنجبار - وهو أحد تلامذة الشيخ الأمين بن علي المزروعي النجباء - وقد اضطرته أحداث زنجبار التي اندلعت عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م(٢) ، وراح ضحيتها عشرات الآلاف من العناصر الإسلامية والعربية إلى ترك وطنه والهجرة إلى ممباسا ، حيث بقي فيها يعلم ويتعلم حتى اصبح قاضياً لقضاتها - أو قاضيها الأول .. وللشيخ الفارسي جهود كبيرة في خدمة الإسلام هناك منها ترجمته المشهورة للقرآن الكريم إلى اللغة السواحيلية التي وزعت منها عام ١٩٥٣م ، عشرة آلاف نسخة ، أعطيت نسخة منها للزعيم الكيني جومو كنياتا عام ١٩٥٨ ، والذي أصبح رئيساً للبلاد فيما بعد ، ومن تلك الجهود أيضاً مؤلفاته الكثيرة باللغة السواحيلية مثل "الشيعة والسنة" و "الشيعة والقرآن" "وحياة النبي محمد ﷺ " ، إضافة إلى محاضراته ودروسه التي كان يلقيها في المسجد، وإمامته في الجامع الكبير في نيروبي. وهو عالم مشهور ومشهود له ، عرفه الناس من خلال تلامذته المنتشرين في

---

(١) الأقلية المسلمة في كينيا ، ص١١١ ، مرجع سابق .
(٢) أحداث زنجبار التي اندلعت في تلك الفترة كانت أحداث عنصرية موجهة ضد الوجود العربي الإسلامي في الجزيرة غذاها الاستعمار والتنصير كما سبقت الإشارة إلى ذلك في ثنايا هذا البحث .

المنطقة، ومن خلال جهوده الإصلاحية وحدبه الشديد على مصلحة وحدة المسلمين، كما ظهر ذلك في كتبه ومقالاته(١) .

وكان الشيخ الفارسي على إلمام نسبي بالمعرفة الغربية حيث درس في المدارس الرسمية حتى أكمل تعليمه الثانوي وحصل على الشهادة الثانوية ، أما تعلميه الأساسي فكان في مجال العلوم الشرعية فهو خريج زنجبار التي كانت مركز إشعاع علمي في كل منطقة شرق أفريقيا يؤمها الطلاب من كل حدب وصوب .

وارتبط اسمه بجهابذة العلم آنذاك من أمثال الشيخ عبدالله ابن سميط ، والشيخ باروانى ، والشيخ عبدالله باكثير وآخرين غيرهم ، حيث درس على يديهم اللغة العربية ، والفقه ، والتفسير ، والحديث .

وقد توطدت الصلة والعلاقة بين الفارسي وشيخه وأستاذه الشيخ الأمين بن علي المزروعي أثناء الرحلات التي يقوم بها إلى ممباسا طلباً للعلم على يد أستاذه ، وكانت الرحلة من أجل العلم أمراً معروفاً بين العلماء وطلبة العلم في شرق أفريقيا ، والشيخ الفارسي نتاج لذلك التقليد ، وثمرة لجهود رحلات علمية عديدة ، ولعل اثر تلك الرحلات هو الكتاب الذي كتبه في عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م ، باللغة السواحيلية وأسماه "الإمام الشافعي وتاريخ علماء شرق أفريقيا" والمتضمن لنبذة قصيرة عن حياة عدد من علماء القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين ، وهو سفر قيم ظل حتى اليوم مصدراً أساسياً لكل من يريد أن يكتب عن علماء شرق أفريقيا(٢) .

وقد ورث الشيخ الفارسي عن أستاذه وشيخه الأمين المزروعي منهجه الفكري والإصلاحي والدعوي حيث كان متأثراً به لدرجة كبيرة ، وقد تمثل ذلك في مناوأته الشديدة للأفكار الدخيلة على المجتمع الكيني المسلم ، الذي عملت على نشره بعض الجماعات المنحرفة كالقاديانية وغيرها ، وكذلك حرصه الكبير على إصلاح أمر المجتمع المسلم في

(١) انظر: Islam In Kenya (Procedings of The national Seminar on Contenporary Islam in Kenya) MEWA Publishers, Nairobi, 1995, Mohamed Bakari and Saad . S . yahya PP . 177 – 182.

(٢) انظر: الأقلية المسلمة في كينيا ، ص١١٢/١١٣ ، مرجع سابق .

كينيا، مقتفياً في ذلك أثر شيخه المزروعي الذي كان هذا شغله الشاغل وهمه الأول . وكانت محاضرات الشيخ الفارسي ذات اثر عميق على الشباب الذين التفوا حوله ، وهم معظمهم من طلبة العلم الذين وجد بعضهم الفرصة للدراسة في الجامعات الإسلامية في البلاد العربية ، وعادوا ليكونوا من طبقة العلماء الجدد في كينيا ، تلك الطبقة التي جاءت تحمل معها أفكاراً وأساليب في الدعوة استقتها أثناء دراستها من الكتب والمقالات التي كانت تحمل فكراً إسلامياً جديداً قال به بعض المفكرين المسلمين المحدثين ، والفضل في كل ذلك راجع بعد الله سبحانه وتعالى إلى الشيخ الفارسي الذي عرفهم في محاضراته بأفكار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وقد كان الشيخ حريصاً في محاضراته تلك على تركيز مفهوم أن القرآن الكريم والسنة المطهرة هما أساس الدين ، كما كان حريصاً على توضيح مسلك وطريق أهل السنة والجماعة ، وعلى شجب تقديس الأولياء، والتبعية العمياء لأرباب الطرق وأدعياء التصوف[١].

٤ – الشيخ علي شي Shee :

يعتبر الشيخ علي شي أحد ثمار غرس الشيخ عبدالله فارسي حيث كان تلميذاً نشطاً عند الشيخ الفارسي وتلقى تعليمه الأولى على يديه . ثم التحق بجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان ، وتخرج في كلية الشريعة ، ولدى عودته إلى كينيا في منتصف السبعينات عمل موظفاً في المجلس الأعلى لمسلمي كينيا ، ولكن شيخه عبدالله فارسي أراد الاستفادة منه فعينه قاضياً في مدينة قاريسا عاصمة الإقليم الشمالي الشرقي ، وهناك بدأ يعمل بجانب عمله الرسمي بصورة جادة لإصلاح أحوال المسلمين الصوماليين القاطنين لذلك الإقليم ، وذلك عن طريق الدروس

(١) المصدر السابق ، ص١١٤ .

والمحاضرات ، وكان شغله الشاغل هو زيـادة الوعـي الإسـلامي فـي أوساط المسلمين، كما واصل الشيخ نشاطه في مدينة مالندي على السـاحل الكيني عندما نقل إليها قاضياً، وهناك اشتد على أهل البدع وانحـاز إلـى جانب أهل السنة والجماعة ووجد نشاطاً معارضاً لـه مـن قبـل بعـض المشايخ التقليديين تسبب في نقله مرة أخرى إلى ممباسا ليكون تحت رقابـة قاضي القضاة الشيخ ناصر نهدي ، ولكن الشـيخ واصـل فـي نشـاطه التوعوي ، كما بدأ يهاجم بعض سياسات الحكومة تجـاه المسـلمين فـي محاضراته ودروسه ، مما عرضه لأكثر من مرة لمساءلة أجهزة الأمـن ، ولكن نشاطه ازداد وتفاقم ، الأمر الذي دعا السلطات فـي النهايـة إلـى إحالته للتقاعد في عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، من أجـل الصـالح العـام ، فانتقل إلى نيروبي للعمل في إمامة مسجد الجمعية "Jamia Mosaue" وهـو المسجد الذي يعتبر عند الكثيرين قاعدة لدعوة أهل السنة والجماعة(١).

ويعتبر الشيخ علي شي وزملاؤه الذين تخرجـوا فـي الجامعـات الإسلامية العربية ، وتتلمذوا على يد الشيخ عبدالله فارسي ، مـن أمثـال الشيخ أحمد مسلم ، والشيخ عبدالله ناصر خميس ، وغـيرهم ، أدوا دوراً مهماً في محاولة إصلاح أمر الإسلام والمسلمين في كينيا، وكان لنشـاطهم الأثر العظيم من خلال المحاضرات والندوات والأحاديث المسـجلة علـى الكاسيت وأشرطة الفيديو ، حيث تطرقت إلى القضايا التي تهم المسـلمين وأوضاعهم المباشرة مثل القضايـا الاقتصاديـة والاجتماعيـة الخاصـة بالمسلمين بجانب التوعية الإسـلامية والعمـل علـى وحـدة المسـلمين وتماسكهم.

وهناك مجموعة من العلماء والدعاة أبلو بلاءً حسناً في نشر الدعـوة الإسلامية ، والتصدي للمنصرين والقساوسة ومناظرتهم في وضح النهار ؛ انتصاراً للإسلام ، وإحقاقاً للحق ، ودفعاً للباطل . نذكر جهود بعضهم فـي هذه الأسطر استكمالاً لجهود من سبقهم من العلماء والدعاة ، ومن هؤلاء :

---

(١) المصدر السابق ، ص١١٦ .

٥ - الشيخ هارون أودندو :

الشيخ هارون أودندو داعية معروف في أوساط المسلمين والنصارى على حد سواء في العاصمة الكينية نيروبي وغيرها يعمل داعية متجول في كينيا وأوغندا وتنزانيا ، ولد ونشأ لأب قسيس في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، فأصبح هو الآخر قسيساً ، ثم محاضراً ومعلماً للإنجيل. تنقل الشيخ هارون بين عدة كنائس ومذاهب نصرانية قبل أن يهديه الله للإسلام منذ عشر سنوات ، التقيت به في نيروبي وأجريت معه حواراً مطولاً حول أساليب النصارى في دعوتهم ، وحول نشاطه بعد إسلامه ومناظراته للنصارى والقساوسة على وجه التحديد(١) .

وبعد أن أسلم الشيخ هارون بدأ في تعلم القرآن الكريم والسنة ، والتفسير في مسجد حي كبرا بنيروبي على يد شيخه محمود . وهو يعتبر أول شخص قام في حديقة نيروبي العامة ودعا الناس للإسلام ، حتى أن حاكم نيروبي النصراني احتج عليه وهدده بالسجن إن لم يرجع إلى المسجد ويكف عن دعوة الناس في الشوارع . فقال له الشيخ : "إن سجنتني فهناك أناس في السجن يحتاجون إلى الدعوة سأدعوهم ." فذهل الحاكم من هذه الإجابة وجن جنونه فترك الشيخ وانصرف .

ومن هنا بدأ الشيخ ينشر الإسلام في مختلف ربوع كينيا ، يقيم الدروس والمحاضرات والمناظرات عن الإسلام والتعريف به ، ويدعو الناس إليه .

وفيما يلي نتطرق لأهم المناظرات التي أجراها مع المنصرين والقساوسة وغيرهم كما حكاها بنفسه .

- المناظرة الأولى :

جرت هذه المناظرة عام ١٩٩٧م ، في جامعة نيروبي ، وكان يناظره فيها البروفسور روبن كيجامي ، أستاذ النصرانية في الجامعة .

---

(١) كان ذلك في نيروبي أثناء قيامي بالرحلة العلمية إلى كينيا ، وبتاريخ ١٣/١٠/١٤٢١هـ الموافق ١٨/١/٢٠٠١م .

وكان عنوان المناظرة "وما قتلوه وما صلبوه" فوجه الشيخ هـــارون فيـــها للبروفسور "٢٧" سؤالاً لم يستطيع الإجابة على واحد منها ، فانهار وســقط في أعين الطلاب وقد اسلم اثنان من طلاب الجامعة عقب هذه المناظرة .

- **المناظرة الثانية :**

جرت هذه المناظرة في حي إسلي بنيروبي بين الشيخ وبين قســـيس نصراني يسمى "أوسندي" ، وكان عنوان المناظرة "محمد في الإنجيل" أسلم فيها اثنان وعشرون شخصاً .

- **المناظرة الثالثة :**

وهذه المناظرة تمت في المدرسة الابتدائية بحي كبرا بيــــن الشــيخ والقسيس "كوكو نمي" وكان عنوانها "الإسلام والمسيحية أيهما ديـــن لله" ، وما استطاع القسيس مناظرة الشيخ حيث عجز عن الرد على أسئلته ، وفي هذه المناظرة أسلمْ أخو الشيخ هارون الذي كان تلميذاً للقسيس مع أكثر من ثلاثين شخصاً آخرين من الذين حضروا المناظرة بعضهم مـــن الطـــلاب وبعضهم من خارج المدرسة .

- **المناظرة الرابعة :**

جرت هذه المناظرة في حديقة نيروبي العامة بيـــن الشــيخ وبيــن القسيس (تويا) ، وكانت بعنوان "القرآن والإنجيل أيهما منزل من عند الله" . اسلم فيها أناس كثيرون لم يعرف عددهم في تلك اللحظة .

- **المناظرة الخامسة :**

جرت هذه المناظرة مع القسيس (تويا) نفسه مرة أخرى في منطقـــة "كريوبانجي" وكان عنونها "عيسى على أي دين" وكانت مناظرة قوية جداً ، وتردد القسيس في قبول الإسلام بعد مقارعته بالحجة ، ولكن أسلم أخـــوه واثنان وسبعون شخصاً آخرين . وفي هذه المناظرة اعترف القسيس تويـــا

بأن عيسى على دين الإسلام ، لذلك اسلم أخوه ، وهذا العدد الكبير من الحضور .

- **المناظرة السادسة :**

كانت هذه المناظرة بين الشيخ وأحد المسلمين المرتدين اسمه "عمر مولندي" من أوغندا ، وتمت المناظرة في منطقة "بوسيًا" على الحدود الأوغندية - الكينية ، وحدثت في هذه المناظرة مشاجرة بين المسلمين والنصارى انتهت بتدخل الشرطة ، وأسلم فيها ستة أشخاص . وقد سجل الشيخ هارون وقائع هذه المناظرة في مذكراته ، وهي الآن تحت الطبع .

وقال الشيخ هارون إنه لا يزال يطارد هذا الشخص حتى يرده للإسلام ؛ لأنه كان مسلماً ونشيطا ، ولكن الكنيسة أغرته بالمال وابتعثته مع مجموعة آخرين من زملائه لدراسة اللغة العربية في مصر لكي يتدربوا على اللغة العربية والقرآن حتى يناظر المسلمين ، وبعد رجوع هذه المجموعة إلى أوغندا أسلم أكثرهم وعادوا إلى حظيرة الدين القويم ، وبقي هو على نصرانيته وسط إغراءات الكنيسة التي بنت له بيتاً ولأسرته ومنحته كثيراً من الامتيازات .

٦ - الشيخ نصيب خميس - ممباسا :

تخرج الشيخ نصيب في معهد كسوني الإسلامي ، وكان ذا نشاط دعوي بارز منذ أيام طلبه للعلم في المعهد ، كما كان حافظاً للقرآن الكريم. وهو الآن داعية معروف لكل من يمر بساحة محطة الأتوبيس "النقل الجماعي" في ممباسا كل مساء ما بين العصر والمغرب من خلال درسه الذي يلقيه هناك كل يوم .

التقيت به في ممباسا في معهد كسوني وكلية الدراسات الإسلامية .

درج الشيخ نصيب على الخروج مع طلاب المعهد في جولاتهم الدعوية - التي سبق ذكرها - منذ أيام الدراسة وحتى الآن . وكان من أشهر الجولات التي قام بها الشيخ نصيب مع طلاب المعهد خروجهم إلى

قريتي "ربائي وكواراندو" . حيث أعلن الطلاب لجميع النـــاس - مســلمين ونصارى ولادينيين - أنه سيقام احتفال يوم الأحد ١٤١٧/١٢/١هـــ ، فـــي مسجد ربائي القديم ، يتحدث فيه مجموعة من العلمـــاء والدعـــاة ، وأقيـــم الاحتفال في الزمان والمكان المحددين ، وحضر الناس ، وتكلم عدد مـــن العلماء والمشايخ من بينهم الشيخ نصيب ، وكان موضوع حديثه بعنـــوان "عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام " فتكلم وأجاد وجاء بحجج قاطعـــة مـــن الأناجيل الأربعة[١] ، وكان يحملها معه في يده . ثم بعد ذلك ترك المجـــال للأسئلة ، فقام القسيس مايسون "MYSONE" رئيس مجلـــس إدارة كنيســة كرافت الشهيرة في المنطقة ، وألقى ثلاثة أسئلة ، فرد عليها الشيخ نصيـب بنصوص من الأناجيل الأربعة ، ثم أورد لما يؤيده في ذلك آيات من القرآن الكريم ، يذكر كل ذلك برقم السورة والآية[٢] .

ثم قامت زوجة مايسون ووجهت ثلاثة أسئلة أخرى وكـــانت تتكلـم بحماس والإنجيل في يدها . فرد عليها الشـــيخ نصيـب وطالبـــها بفتـح الإنجيل صفحة وفقرة كذا ، آية كذا - ثم قرأها وهي تنظر في إنجيلها ، ثـم ذكر في تأييدها آيات من القرآن الكريم وسط دهشة الجميع وإعجابهم . وقد استسلم مايسون وزوجته في الظاهر أمام تلك الحجج والبراهين القاطعـــة التي رد بها على أسئلتهم حتى ظن بعض الناس أنهما سيســـلمان وفعـــلاً أظهر مايسون رغبته في الإسلام قائلاً : " لقد عرفت الآن أن الإسلام هـــو الدين الحق" ولكن زوجته رفضت ذلك حتى صارت سبباً في منع زوجـــها من قبول الإسلام[٣] .

واستمر الشيخ نصيب في دعوته للنصارى ومناقشتهم ومحاورتـــهم في عدة مواطن حتى يدخلوا في دين الله ، كان من بينها المناظرة الشـــهيرة التي جرت بينه وبين القسيس جوزيف نديلو ، أحد القساوسة النشطين جـداً

---

(١) الأناجيل الأربعة المعترف بها عند الكنيسة هي إنجيل متى ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل لوقـــا، وإنجيل يوحنا .

(٢) تقرير عن أنشـــطة طلبـــة معـــهد كســـوني فـــي حقـــل الدعـــوة إلـــى الله ، ص٥ لعـــام ١٤٠٧هـــ/١٩٨٧م ، إعداد سراج الرحمن القاضي الندوي .

(٣) المصدر السابق . ص٦ .

والمشرف الأعلى لكنائس منطقة مالندى ، وكان القسيس نديلو كلمــا قــام داعية في المنطقة يدعو إلى الإسلام انبرى له وشوش عليه . وقد اعــترف كثير من دعاة الإسلام بغزارة علمه وتعمقه في النصرانية ، وكان يجــادل الشيخ نصيب منذ سبع سنوات ويستسلم في آخر الأمر ولكنه لا يسلم ، كما جادل كذلك بعثة الدعوة التنزانية حين قدمت إلى المنطقة وأيضاً لم يسـلم ، حتى ذهب إلى زنجبار في شهر جمادى الأول مــن عــام ١٤١٥هــــ ، واشترك في اجتماع كبير عقد للدعوة في ميدان عام قدر عدد الحضور فيه بثلاثمائة ألف شخص ، وهناك انبرى له الشيخ نصيب مع مجموعــة مــن طلاب المعهد ، واستمرت المناظرة معه مدة ساعتين أعلن بعدها القســيس جوزيف إسلامه . فسماه الشيخ نصيب "يوسف نديلو"(١) .

وما زال الشيخ نصيب يواصل دعوته للإسلام ، ومناظراته للمناوئين له ، وهو الشاب المتواضع ذو المظهر البسيط إذا رأيته لا تفرق بينه وبين عامة المسلمين ، يذكرك بقول الشاعر :

ترى الرجل النحيل فتزدريه ... وفي أثوابه أسد هصور

٧ - الشيخ عبدالله غوليجا - مرتي :

بدأ الشيخ عبدالله غوليجا نشاطه في الدعوة خلال اشــهر العطــلات الصيفية أثناء دراسته في جامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم ، وبعد تخرجــه من الجامعة وجه كل نشاطه إلى إعادة الأسر التي تنصرت بسبب نشــاط الكنيسة الكاثوليكية في منطقة مرتى(٢). - الذي سبق الحديث عنه من قبل-.

واشتد الصراع بين الشيخ والقسيس الكاثوليكي في المنطقة ، إذ كــان القسيس يخطط لتنصير منطقة مرتى بأسرها حيث بلغ عدد المتنصرين فيها نحو ألفين وخمسمائة شخص . وقد كان لمؤسسة المنتدى الإسلامي جــهود مشكورة في المنطقة ، منها تعيين الشيخ عبدالله غوليجا داعية في المنطقــة ودعمه في مقاومة التوسع التنصيري ، وفي عام ١٩٩٢م ، أخذت الكنيســة

(١) تقرير معهد كسونى الإسلامي ، لعام ١٤١٦هــ ، عن إسلام مسؤولي الكنائس .
(٢) التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص١٨٩ ، مرجع سابق .

أرضاً من مقبرة المسلمين ، كما منعت بناء مسجد أراد المسلمون بناءه في مكان قريب من مركز القسيس ، فثار المسلمون ضد الكنيسة وقاموا بخلع الأعمدة التي وضعها القسيس في أرض المقبرة ، فقام القسيس بتقديم شكوى لدى الدوائر الحكومية المختصة – المتعاونة معه - فقامت السلطة بدورها بضرب المسلمين وتشتيت جموعهم ، كما تم إلقاء القبض على الشيخ غوليجا وأودع السجن . ولم يتمكن من الخروج منه إلا بعد جهود ووساطات من البعض . وتصاعدت وتيرة الأحداث بعد ذلك ، ورفعت القضية إلى المحكمة العليا بسعي من القسيس نفسه الذي ظن أن الحكم سيكون في صالحه ، لا سيما أن القاضي كان نصرانيا ، ولكن بفضل الله ثم بجهود أحد الشباب المسلمين الذي تولى المرافعة في القضية من جانب المسلمين ، استطاع المسلمون كسب القضية لصالحهم ، وسمح لهم ببناء المسجد ولكن في مكان آخر يبعد قليلاً عن المركز التنصيري(١) .

ولما شعر القسيس بنجاح المسلمين وانتصارهم عليه قام باستفزازهم حيث طلب من كل أولياء أمور الطلاب الذين نصرتهم الكنيسة ويدرسون في مدارسها أن يتنصروا تبعاً لأولادهم أو يتم طرد الأولاد من المدرسة وتمنع عنهم الكفالة . غير أن هذا التشديد جاء بنتائج عكسية ليست في صالح القسيس ، فقد انصرف المسلمون بأبنائهم عنه واحتضنتهم مؤسسة المنتدى الإسلامي في مراكزها(٢) .

ونتيجة لانتصار المسلمين في هذه الأحداث تأثر كثير ممن تنصر من المسلمين ، وعادت خمس وعشرون أسرة إلى الإسلام من جديد ، كما وصل عدد الطلاب المتنصرين الذين تركوا المدرسة النصرانية وانحازوا إلى المسلمين (١٢٠) طالباً ، وبدأ الشيخ عبدالله غوليجا يرسل طلاب العلم إلى القرى المحيطة لنشر الإسلام ، والتحذير من كيد المنصرين وعواقب الاستجابة لهم . .

---

(١) انظر: التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص١٠٩ ، مرجع سابق .
(٢) تقرير عن أعمال المنتدى الإسلامي في مرتى ، مكتب المنتدى بنيروبي .

ولقد بارك الله في هذه الجهود وأثمرت ما يلي(١) :-

- قيام أهل منطقة "بليقو" بمنع بناء كنيسة كان من المقرر بناءها في المنطقة .
- ذهاب جهود المنصرين ادراج الرياح حيث لم تكن هناك استجابة لهم من قبل الأهالي ، وتوقف دخول المسلمين في النصرانية منذ عام ١٩٩٦م ، بل ورجع كثير ممن تنصر إلى الإسلام ، ولا تزال هذه الظاهرة مستمرة .
- تحطمت آمال القسيس في تنصير المسلمين وبلغ به الأمر إلى الخوف على حياته ووجوده هو شخصياً .

ومن ثمار جهود أولئك العلماء كذلك زيادة الوعي بين أفراد الأمة المسلمة في كينيا ، وولوجهم باب التعليم المعاصر ، والانتباه لما يحاك ضدهم ، وسعيهم لنيل حقوقهم وأداء ما عليهم من واجبات ، وإبراز وجودهم في المجتمع ، وفيما يلي إيضاح أكثر لهذا الجانب :

انتشار الوعي الإسلامي :

لقد انتشر الوعي بين المسلمين الكينيين اليوم ، وازدادت مداركهم لما يجرى من حولهم بفضل تلك الجهود المباركة التي بذلها أولئك العلماء وأمثالهم من الدعاة ، فقد اجتهد المسلمون في الالتحاق بركب التعليم المدني بعد إدخال المناهج الإسلامية في المدارس الحكومية ومحاولة حكومة الرئيس السابق جومو كنيانا إصلاح أمر التعليم وفتحه أمام جميع الكينيين . وبالتالي فقد زالت المخاوف والعقبات التي وقفت أمام تلقي المسلمين للتعليم الغربي ، واصبح النظام التعليمي في البلاد لا يتولى أمر دين على حساب الآخر ، فأقبل المسلمون على ذلك التعليم دون خوف أو وجل ، حتى ولو كان ذلك التعليم في مدارس تشرف عليها الكنيسة ، ولكنهم لا يقبلون أي

---

(١) انظر: التبشير في كينيا ، المرجع السابق ، ص١٩٠ .

مس أو جرح لدينهم مهما كان نوعه وكثيراً ما يرفعون أصواتهم اعتراضاً على أي تجريح أو أمر يمس دينهم .

وفيما يلي نذكر بعض الحوادث التي تدل على ذلك :

الحادثة الأولى :

احتجاج المسلمين واعتراضهم على المدارس التي منعت الطالبات المسلمات من ارتداء ولبس الزي الإسلامي "الحجاب"داخل المدرسة وفصلت الطالبات اللاتي أصررن على لبسه . وقد حدث ذلك في مدرستين من مدارس ممباسا ، هما مدرسة نجم البحر الثانوية للبنات "Star of the sea qirls High school" ، و"مدرسة شانقا موى" وكلاهما تحت إشراف الكنيسة الكاثوليكية . كما حدث الشيء نفسه في مدرسة "خالسا" الابتدائية في نيروبي وهي تحت إشراف جماعة "السيخ" الهندية . وقد حكمت المحكمة في الحالات الثلاث لصالح المسلمين ، وانتهى الأمر عندما تدخل الرئيس دانيال أرب موى ووجه بعدم إجبار الطالبات المسلمات بارتداء زي يخالف مبادئ دينهن(١) .

الحادثة الثانية :

ومن المواطن التي يتجلى فيها حرص المسلمين الشديد على عدم المساس بحقوقهم ، ما حدث في مدرسة أسيولو الثانوية للبنات من خلاف حول بناء المسلمين لمسجد في المدرسة المذكورة والتي تقع تحت إشراف الكنيسة الكاثوليكية ، وبالرغم من أن منطقة أسيولو تعتبر منطقة إسلامية معظم سكانها من المسلمين ، إلا أن سلطات المدرسة اعترضت على بناء المسجد داخل المدرسة ، باعتبار أن المسلمين لم يستشيروها ، ولأنه لا يحق للمسلمين بناء مسجد في مدرسة لا يشرفون عليها إدارياً ومالياً، كما أن في بناء المسجد مساس وتقويض للدين النصراني الذي تشرف إحدى كنائسه الكاثوليكية على أمر المدرسة، ولكن عند النظر القانوني في الأمر

---

(١) انظر: الأقلية المسلمة في كينيا ، ص٢٧٢ .

اتضح أن قانون التعليم في صالح المسلمين ، إذ إنه يجيز للآباء المسلمين وغيرهم الطلب من إدارة المدرسة توفير أماكن للعبادة ، وتوفير التعليم الديني لأبنائهم داخل المدرسة(١) .

الحادثة الثالثة :

وهي فصل سبع طالبات مسلمات يدرسن في "مدرسة كونسولاتا الثانوية للبنات" في مدينة "ميرو" شرق كينيا وهي منطقة ذات أغلبية نصرانية ، والمدرسة تابعة لجمعية آباء كونسولاتا الكاثوليكية . وقد فصلت الطالبات بحجة أنهن تغيبن عن الدراسة المسائية ، وقد بررت الطالبات غيابهن على أنه كان رغماً عنهن ، إذ إن الزحام في المسجد الذي ذهبن إليه لتأدية الصلاة بعد إفطار شهر رمضان منعهن من الحضور للمدرسة في الميعاد المحدد للدروس المسائية . ولم يكن هذا العذر مقبولاً لدى سلطات المدرسة النصرانية التي كانت قد منعت الطالبات من الصوم أثناء وجودهن في المدرسة ، فثار مسلمو "ميرو" على كلا القرارين ، قرار الفصل ، وقرار منع الصوم واحتد الخلاف وتأزم حتى كاد أن يؤدي إلى صدام بين المسلمين والنصارى ، ولكنه في نهاية المطاف حسم داخل المحكمة التي لجأ إليها الطرفان - المسلمون وإدارة المدرسة - وقضت المحكمة ببطلان قرار الفصل ، وعدم التدخل في ممارسة الطالبات لشعائر دينهن حسب مقتضيات الشريعة الإسلامية(٢) .

ومن هنا يتضح لنا حرص المسلمين في الحفاظ على حقوقهم الدينية حتى في المدارس التي تشرف عليها هيئات نصرانية ، أو هيئات ومنظمات غير إسلامية ، وهذا يعتبر نجاحاً لا بأس به ، خاصة وأن غالبية المدارس في كينيا هي مدارس تحت إشراف الكنيسة أو تحت إشراف جماعات ومنظمات نصرانية . والأمثلة على الوعي الإسلامي في كينيا

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٧١ .
(٢) المصدر السابق ، ص٢٧١ ، ٢٧٢ .

اليوم عديدة[١]، والذي جعل المسلمين يعترضون على كل تصريح أو فعل ضد الإسلام ، وقد أصبحوا مدركين لخطورة أعمال التنصير في أوساطهم.

وهكذا استمرت جهود المسلمين وجهود العلماء والدعاة ومنافحتهم عن دين الله ، ودفاعهم عنه ضد افتراءات النصارى وغيرهم ، على هذا الشكل ، حتى ظهرت الصحوة الإسلامية الحديثة ، ومن ثم بدأت المدارس الحكومية نفسها بعد هذه الصحوة المباركة تخرج شباباً يحملون هم الإسلام - بعد أن كانت تخرجهم نصارى أو لا دين لهم - وتقلدوا وظائف حكومية مختلفة . بعد أن كان مثل هذه الوظائف إلى عهد قريب قاصرة على النصارى وحدهم . كما انتشر الوعي الإسلامي ، وحوربت الأمية ، وكثر عدد القادرين على القراءة والكتابة ، وبدأوا يكتشفون المؤامرات التنصيرية التي تحاك ضدهم ، فيتحركون لاحباطها بالطريقة المناسبة كما أشرنا إلى ذلك في أكثر من حادثة .

وعموماً يمكن القول بأن العلماء والدعاة أحرزوا نجاحاً باهراً في قضايا عديدة كان لها أثرها في مسيرة النهضة الإسلامية ، من بينها توفير مقررات المناهج الدينية لجميع المراحل التعليمية بدءاً بالمدارس الابتدائية وحتى الجامعات ، وبالتالي دخولهم في هذه المدارس وهم مطمئنون ، وقد أثار هذا النجاح حفيظة البعثات الكنسية خوفاً من انتشار الإسلام عبر هذه المقررات . وبالرغم من وجود هذه الفرصة بالسماح للمسلمين بتدريس مناهجهم الدينية في المدارس الحكومية ، إلا أن الساحة لا تزال تحتاج إلى عدد كبير ممن لديهم أهلية لتدريس هذه المقررات ، خاصة في المناطق التي يقل فيها عدد المسلمين ، حيث يضطر كثير من الطلاب المسلمين إلى دراسة مادة الدين المسيحي النصراني "CHRISTIAN RELIGION EDUCATION" لعدم وجود مدرس لتدريس مادة الدين الإسلامي "ISLAMIC RELIGION EDUCATION" إذ إن دراسة مادة الدين أيًا كانت

---

(١) تناولت وسائل الإعلام الكينية في الفترة ما بين (١٩٨٩ - ١٩٩٤م) ما يقارب من عشر قضايا كل منها تمثل مؤامرة تنصيرية ضد المسلمين وقف المسلمون في وجهها واعترضوا عليها ، انظر: التبشير في كينيا في القرن العشرين ، ص١٨٧ ، مرجع سابق .

من المواد الإجبارية في المدارس الحكومية والتي لابد من النجاح فيها . وحتى لا يرسب الطالب المسلم فإنه يقوم بدراسة الدين المسيحي من أجل النجاح في الامتحان .

وقد بدأ المسلمون حالياً يشرفون على بعض المدارس التي تدرس فيها المناهج الحكومية ، بل إن في بعض المناطق مثل منطقة قاريسا يشرف المسلمون على المدارس الحكومية إشرافاً كاملاً بما فيها من مقررات . وقد زرت إحدى هذه المدارس برفقة الشيخ حسين برالة رئيس المجلس الأعلى لمسلمي كينيا في المنطقة ، وهي مدرسة البنات الثانوية الأكاديمية في قاريسا ، ونظراً لإشراف المسلمين على مثل هذه المدارس يلاحظ أن جميع الطالبات يرتدين الزي الإسلامي الساتر "الحجاب" بل إن المظهر الإسلامي واضح للعيان في كل مرافق المدينة . هذا بالإضافة إلى المدارس الإسلامية الخاصة التي أقامها المسلمون وتجمع بين المناهج العصرية والدينية ، كما كثرت ظاهرة خريجي الجامعات خاصة بعد تخرج عدد كبير من الشباب المسلم في الجامعات الإسلامية في البلاد الإسلامية الأخرى ، كالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم ، والجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد ، والأزهر الشريف بمصر ، وغيرها . وقد رأيت ذلك الشباب في مختلف المواقع التي زرتها مثل التدريس ، والإمامة ، ومكاتب المنظمات الإسلامية والجمعيات ، وموظفين حكوميين - بفضل الله تعالى أولاً ثم تعليمهم الحديث ومعرفتهم باللغات الأفريقية والأجنبية - وغير ذلك من المواقع ، كل يسهم بالقدر الذي يستطيعه وحسب إمكانياته .

ومما يبشر بخير كثير لمسلمي كينيا بخاصة ، ومسلمي شرق أفريقيا بعامة ، أن أولئك العلماء الجدد أصبحوا - بفضل الله تعالى أولاً ثم تعليمهم وتجاربهم في الجامعات الخارجية واحتكاكهم بغيرهم - أقل إحساساً وتمسكاً بالفوارق العرقية والقبلية التي كانت سائدة في مجتمع المسلمين الكينيين ، والتي كثيراً ما كانت تفرق بين علماء وأفراد ذلك المجتمع ، كما أنهم

أصبحوا أكثر إدراكاً لحاجات أمتهم في الإصلاح الاجتماعي والديني والاقتصادي ، ومحاولة النهوض بها من مدارج التخلف إلى المطالبة بحقوقها كافة ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، فقد أضر التخلف وأضرت الفرقة بالمسلمين هناك ، وقعدت بهم عن نيل حقوقهم ، والأمل معقود الآن في أن علماء المسلمين الجدد في كينيا سيكونون القيادة الحكيمة لأمتهم التي ستنتشلها من براثن الجهل والتخلف والفرقة .

المبحث الرابع
الجهـود المقترحة

المبحث الرابع
الجهود المقترحة

تمهيد :

أكدت الحقائق والدلالات للباحث من خلال الدراسة التي قام بها أن هناك غزواً نصرانياً حقيقياً تعرضت له دولة كينيا بصفة عامة ، وتعرض له المسلمون هناك بصف خاصة لاسيما أولئك المتأثرين بالحروب والجفاف والكوارث الطبيعية الأخرى ، الأمر الذي أدى إلى تحول بعض المسلمين عن دينهم ، كما أن هناك آلافاً من المسلمين الآخرين يعتمدون في حياتهم اليومية على الهيئات التنصيرية المنتشرة في المناطق الإسلامية والمجهزة بمختلف الإمكانيات المادية الكبيرة ، مثل المدارس والمستشفيات الحديثة ،ودور الفقراء وملاجئ الأيتام ، إضافة إلى مئات المنصرين المدربين على عمليات التنصير مما يجعل جهودهم هذه خطراً على المسلمين وعقيدتهم ، خاصة مع ضعف الجهود الإسلامية الموجود وتواضعها مقارنة بجهود المنصرين وإمكانياتهم . وهذا وضع لاشك أنه يستحق الوقوف عنده ، والبحث عن الحلول والعلاج المناسب له - أو على الأقل محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه - وهذا ما سنتطرق إليه في هذا المبحث - إن شاء الله تعالى - بالنظر في الجهود المقترحة لمواجهة هذا الغزو المدمر. لعلها تجد من يضعها موضع التنفيذ ، أو يأخذها بعين الاعتبار ، وذلك على النحو التالي :-

- التحصين الذاتي .
- إعادة التخطيط للدعوة الإسلامية .
- عدم التعامل بردود الأفعال .
- تعاون العالم الإسلامي .
- نقد وإظهار بطلان عقائد النصارى .

- الاهتمام بالدراسات التنصيرية .
- تفعيل مشاريع البر والإحسان الخيرية .

أولاً : التحصين الذاتي :

لاشك أن الغزو الصليبي والهجوم التنصيري الذي تتعرض له كينيا سم زعاف ، يقذف في أرضنا الإسلامية الكفر والانحراف العقدي ، والفساد الخلقي ، والبلبلة الفكرية . ولكن هذه الموجة الغازية والفكرة المنحرفة لن تجد لها قبولاً عند الناس إلا عندما تصادف في نفوسهم فراغاً روحياً وفكرياً ، وعندما تجد لديهم ضعفاً عقدياً وإيمانياً ؛ يجعلهم يتشربونها بسهولة . ومن هنا تأتي أهمية "التحصين الذاتي" لأفراد المجتمع المسلم ، وحسن توجيههم وتربيتهم ، وتثقيفهم ، وتوعيتهم بما يجعلهم أصحاء ، أقوياء في إيمانهم وفكرهم وسلوكهم ؛ وعندما يتحصن المجتمع المسلم ذاتيا فلن تجد التيارات الهدامة إليه سبيلا .

والمتتبع لجهود النصارى في كينيا يجدهم قد نجحوا في تنصير الوثنيين ، ولكن جهودهم وسط المسلمين من أجل تنصيرهم ولتغيير عقيدتهم لم تكلل بالنجاح المطلوب - رغم أن هناك بعض الحالات التي تنصر فيها مسلمون - ولكنها قليلة مقارنة بجهود القوم وبما بذلوه[١] . ولكن يمكن القول بأنه قد تحققت لهم نجاحات في مجالات أخر منها :

- إغراق كثير من أبناء المسلمين وبناتهم في بحر الشهوات والملذات ، وجعل الواحد منهم "مخلوقاً لا صلة له بالله ، ومن ثم لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها[٢] " يحب الراحة والكسل ولا يهتم بعظائم الأمور .

---

(١) أكثر المناطق التي حدثت فيها حالات لتنصير المسلمين كانت في منطقة "مرتي" شمالي كينيا حيث تنصر بسبب جهود الكنيسة الكاثوليكية وفقر المسلمين وظروفهم حوالي ٢٥٠٠ شخص، ولكن بحمد الله بدأ بعضهم يعود للإسلام كنتيجة لجهود الدعاة والمؤسسات الإسلامي كما سبق ذكره .

(٢) وهذه خطة تنصيرية ماكرة نص عليها واعتمدها كبار المنصرين أمثال المنصر الأمريكي صمويل زويمر وغيره ، انظر : حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، ص١٦٠ - ١٦١، أحمد عبدالوهاب ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨١م .

- إزالة روح الكراهية من نفوس كثير من المسلمين تجاه النصارى، حتى أصبحت طوائف كثيرة من المسلمين تعتقد بأن النصارى ليسوا بأعداء لهم ، ومما ضللهم في ذلك إظهار المنصرين لروح التسامح، وتقديمهم لبعض المساعدات الإغاثية لمناطق المسلمين المنكوبة، وممارستهم لكثير من أنشطتهم تحت غطاء وستار شعارات براقة ظاهرها خدمة الإنسانية .

ولا شك أن هذه النجاحات المتحققة للمنصرين في بعض الجوانب تمثل خطوة كبيرة على طريق إضعاف مقاومة التنصير لدى كثير من المسلمين .

وهذا يتطلب من الأمة المسلمة في كينيا بكل فئاتها المسارعة إلى رفع شعار "التربية أولاً" لكي يتحصن الشباب المسلم ويستطيع مواجهة هذه الموجة الجارفة دون أن يخدع أو تنطلي عليه أفكار القوم المسمومة .

ثانياً : إعادة التخطيط للدعوة الإسلامية :

وهذا الأمر يتطلب من الدعاة والمرشدين ومؤسسات الدعوة والعمل الإسلامي في كينيا ، أن يسعوا جميعاً إلى تطوير وسائل الدعوة وأساليبها بما يتوافق مع تحديات المرحلة ، وما نعيشه في هذا العصر من تغيرات وتطورات .

وعليه لابد من النظر إلى تنمية الأمة الإسلامية في كينيا على أنها تنمية متكاملة تشمل تحسين وترقية الأوضاع الدينية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية ونحوها ، بما يتماشى مع مبادئ ومثل الدين الإسلامي الحنيف ، وتجمع بين حاجات الفرد والمجتمع الروحية والمادية، عن طريق برامج تهدف إلى تحسين أوضاع الفقراء ، وترقية نوع الحياة لكل المسلمين ، حيث اقتصرت معظم برامج المنظمات الإسلامية حتى عهد قريب على الاهتمام بالجوانب الروحية للأمة الإسلامية ، فاهتمت بالتعليم، وبإنشاء المدارس الإسلامية ، وببناء المساجد الأنيقة لتكون وسائل لسد النقص التعليمي الذي ظل المسلمون يعانون منه منذ أيام الحكم الاستعماري

وهيمنة البعثات التنصيرية على التعليم . ولكن تلك الجهود التعليمية لم تثمر عن تطوير الأمة وسد حاجاتها الاقتصادية والاجتماعية ، فالمهنيون المسلمون من أطباء ومهندسين وغيرهم هم اليوم قلة حتى بعد انقضاء أكثر من ثلاثين عاماً على نيل الاستقلال. بل إن الأمة الإسلامية في كينيا ظلت عاجزة عن مد مدارس الحكومة بمدرسين مؤهلين يقومون بتدريس اللغة والدين الإسلامي[١] .

وهكذا ظلت برامج المنظمات الإسلامية تركز على حاجات الأمة الروحية دونما اعتبار لحاجاتها المستقبلية والمرتبطة بالمجتمع الكيني الكبير ، فاهتمامهم بالتعليم الديني في المدارس وحلقات المساجد مكن المسلمين من معرفة دينهم ، ولكنه لم يُعد المسلم الكيني لتبوء مكانه الطبيعي في المجتمع ، ذلك أنه لم يهتم بالتعليم المدني الحديث ، الذي يعتبر الوسيلة الوحيدة لولوج أبواب الحياة العامة في كينيا ، والمشاركة في شتى مجالات الحياة في البلاد . وحتى التعليم الديني ظل مفتقراً إلى عوامل عدة، مثل افتقاره للمنهج والمقرر الموحد والمدروس ، وافتقاره للمعلمين المؤهلين الفاعلين ، وافتقاره للتنسيق والتخطيط والمراقبة ، والتعديل والتبديل، فظل جامداً واقفاً على حالة لا يتغير ولا يتبدل ، ولا يتفاعل مع حاجات الأمة ، وضرورات الحياة . بل إن المدارس ذاتها التي صرف عليها الكثير ظلت غير مستغلة الاستغلال الأمثل حيث ظلت مباني بعضها شبه فارغة في الوقت الذي كان فيه أبناء المسلمين يدرسون في مدارس حكومية متواضعة البناء ، ومزدحمة الفصول .

ولهذا لابد من وضع برامج لهذه الجمعيات والمنظمات الدعوية تتسم بالواقعية والفاعلية التي تلبي طموحات وحاجات المسلمين الكينيين ، وتنفيذ المشروعات المدروسة علمياً التي تعود بالنفع المضمون - بإذن الله تعالى.

ولابد من وضع دراسات جادة لأولويات حاجات الأمة وكيفية تحقيقها، ولا ينبغي التركيز على جانب دون آخر ، فمشكلات الأمة متداخلة

---

(١) ذكرنا في المبحث السابق أن مدارس الحكومة في المناطق التي يقل فيها المسلمون يقوم بتدريس مادة الدين الإسلامي فيها أساتذة نصارى .

يأخذ بعضها برقاب بعض ، فمثلاً عند بناء المساجد في أماكن الكثرة الإسلامية، يجب ربطه بحاجات الأمة الاجتماعية الأخرى ، ولابد من تفعيل المسجد ليكون مركزاً للنشاط الاجتماعي ، وليقوم بالدور المنوط به في المجتمع المسلم ، كما ينبغي أن يكون إمامه فعالاً قادراً على المشاركة في المشروعات التنموية ولا تقتصر مهمته على إمامة الناس في الصلاة فقط وتعليم أبنائهم شيئاً من سور القرآن الكريم .

وحتى لا يبقى المسلمون بمعزل عن حركة التغيير والتحرير التي تشهدها كينيا حالياً ، وحتى يدخلوا القرن الحادي والعشرين وهم أكثر قوة وتطورا ، وفاعلية وأثرا ، عليهم تنظيم أنفسهم على أسس جديدة ، تقوم على مبدأ الالتزام بالمسؤولية تجاه الأمة ، وعلى مبدأ إشراك إفرادها في كل المستويات ، وحفزهم على الإسهام والمشاركة بدلاً من استئثار القلة بأمر القيادة ، حيث توجد في الأمة طاقات عديدة لابد من تفعيلها والاستفادة منها ، خاصة طبقة العلماء الجدد . وإيجاد القيادة الواعية القادرة ، ليتم تنظيم الأمة من جديد ، فتقوم فيها تنظيمات قليلة ، متعاونة ، متناغمة قادرة على تفهم حاجات الأمة والعمل على تحقيقها من أجل تطوير وتنمية أمتها الإسلامية .

ثالثاً : عدم التعامل بردود الأفعال :

في كثير من بلاد المسلمين يقوم النصارى بأعمال استفزازية من شأنها إثارة غضب للمسلمين ، وجرح مشاعرهم أفراداً ومؤسسات ، وخاصة الدعاة منهم ، مما يوجد لديهم دافعاً لمواجهة تلك الأعمال التي أثارتهم ، فيقومون بردة فعل معاكسة ، غالباً ما تكون غير مدروسة ، وتتحكم العاطفة في أغلبها .

وخطورة هذا السلوك تتمثل في أمرين :

الأول : إبانته عن جهل المسلمين ودعاتهم بحقيقة العملية التنصيرية المعاصرة ، وعدم إدراكهم لتطوراتها ، حيث تحولت من عمل اجتهادي لفرد أو مجموعة إلى عمل مؤسسي ذي كفاءة إدارية

عالية، في التخطيط والتنفيذ ، والتنظيم والرقابة ، والإمكانيات المادية والبشرية الهائلة ، ومن دعوة مباشرة إلى الدخول في النصرانية واعتناقها إلى جهد متكامل يتناول كافة جوانب الحياة المختلفة التي تؤثر في بني البشر من سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية وثقافية ، وإعلامية ، ورياضية ، وفنية ، ومن دعوة تركز على شريحة معينة إلى عمل يستهدف كافة شرائح المجتمع .

الثاني: كشفه عن قدرة المنصرين وإمكانياتهم في توجيه الدعاة الوجهة التي يريدون ، من خلال القيام بأعمال تستفزهم ، تنتج عنها ردود أفعال تستهلك طاقتهم ، وتستنفد قواهم ، وفي المقابل يقوم النصارى بالاستفادة من هذه الانفعالات ، واستغلالها لصالحهم مباشرة وتنفيذ أعمالهم بكل هدوء ، أو بطريقة غير مباشرة كإظهار الدعاة في مظهر المتطرف الذي يتصف بالعنف والإرهاب ويمارسه ، وبالتالي تأليب السلطات عليهم . وهنا يكون النصارى قد حققوا أهدافهم بكبح جماح الدعوة الإسلامية وإعاقة انتشارها بإعاقة حركة الدعاة وتعطيل طاقات المسلمين .

وقد حدثت بعض الوقائع من هذا النوع في كينيا ، منها ما قامت به كنيسة أفريقيا الداخلية الأمريكية (A.I.C) في مدينة "وجير" شمالي شرق كينيا عام ١٩٩٣م ، حيث فوجئ المسلمون في الصباح بوجود مئات المصاحف في بيوت الخلاء . ولما وقعت هذه الحادثة شعر المسلمون بالتحدي والاستفزاز الذي وقع عليهم من قبل النصارى ، والمتمثل في إهانة دينهم وكتابهم ، فثارت المدينة ، وتعرض بعض المنصرين للضرب، وهنا تدخلت الشرطة والحكومة النصرانية في الموقف ، وبدأت تقتل الأبرياء من المسلمين ، وعلى رأس أولئك الدعاة إلى الله تعالى كما اعتقلت نحو عشرة آلاف آخرين(١) .

ففي ردة الفعل على هذه الحادثة حققت الكنيسة مكسباً كبيراً بتعطيل حركة الدعوة وإذكاء روح العداء بين المسلمين والسلطة وتصويرهم

---

(١) انظر صحيفة "ديلى نيشن الكينية Daily Nation, No, 10185 وتاريخ ٦/ سبتمبر ١٩٩٣م .

بمثيري الشغب والاضطرابات وأظهرت المنصرين في ثياب الحمائم الضعيفة التي عادة ما تكون ضحية لعنف المسلمين ، وغير ذلك كثير من مثل هذه الأمور .

والحل الأمثل لتجاوز هذه المعضلة يكمن في تحويل جهود الدعاة في مقاومة التنصير إلى جهد مؤسسي منظم يستشعر الخطر ويدرك ضخامته ، ويدرس الواقع دراسة جيدة ، يتعرف من خلالها عناصر القوة والضعف لدى الفريقين ، وعلى ضوء ذلك يتم تحديد رؤية المواجهة ورسالتها ، والأدوار التي تقوم بها ، وأهداف كل دور ،والوسائل المحققة لتلك الأهداف، والمدد الزمنية التي ستحقق فيها تلك الأهداف في ضوء الإمكانات المادية والبشرية المتاحة .

رابعاً : تعاون الدول والشعوب الإسلامية :

لقد استطاع الاستعمار عزل مسلمي كينيا عن بقية إخوانهم في الدول الإسلامية الأخرى ، فانفرد بهم ، وهضم حقوقهم واستولى عليها ، وغصبهم أمرهم ، وأمر عليهم النصارى بعد أن كانوا هم الأمراء والحكام في المنطقة. وفي الآونة الأخيرة وبعد نيل البلاد لاستقلالها بدا المسلمون هناك يتلمسون طرق الاتصال بإخوانهم المسلمين في الخارج - فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه - كما بدأ المسلمون في البلدان الأخرى الالتفات إلى إخوانهم هناك ، واطلعوا على أحوالهم ، وعرفوا مآسيهم وحاجاتهم للعون والمساعدة المادية منها والمعنوية .

ومن هنا وجب على الدول والشعوب الإسلامية الأخرى مد يد العون لهؤلاء المسلمين الذين وقعوا تحت رحمة المنصرين المستغلين لظروفهم القاسية والعاملين تحت شعارات براقة تشعر الضحايا بأنهم جاءوا رحمة بهم ، ولإنقاذهم من الضياع ، وهذا الشعور هو الذي يوقع بعض أولئك الضحايا في الفتنة ، وربما الردة في نهاية المطاف . فالمعركة بين التنصير والدعوة الإسلامية في كينيا غير متكافئة على الإطلاق ، فالمنصرون قادمون من شتى بقاع أوروبا وأمريكا ، ومدعومون دعماً قوياً

من قبل تلك الدول ، ومن الهيئات الغربية على اختلاف مشاربها الكنسية والإنسانية والإغاثية ، وغيرها ، وأنهم يوظفون ذلك الدعم في شتى المجالات التعليمية ، والثقافية ، والصحية ، والاقتصادية وغير ذلك ، ولذا فالتنصير يأتي عن طريق الخدمات اللازمة للمجتمع ، بينما الدعوة الإسلامية عاجزة عن عون المحتاجين ، بل إن الدعاة أنفسهم كثيراً ما يعجزون عن إعالة أنفسهم وأسرهم ، والجهود المبذولة اليوم في أوساط المسلمين الكينيين قليلة وسط هذا البحر المتلاطم الذي يعج بسفن المنصرين، وهي جهود فردية يقوم بها بعض الأهالي وبعض المنظمات الإسلامية ، وهي جهود تفتقر إلى كثير من الدراسة والتخطيط والتنسيق . ومن ثم لا تقارن مع جهود المنصرين وإمكاناتهم الضخمة ، كما تفتقر إلى التنظيم والتعاون فيما بينها ، وإلى عدم تقدير حجم الخطر الذي يتهدد المسلمين في كينيا، ولذلك لابد من دعم تلك الجهود ، ومن تصحيح مسارها ، حتى تتمكن من صد هذه التيارات والهجمات العدائية التي تتعرض لها الأمة المسلمة في كينيا .

خامساً : نقد وإظهار بطلان عقائد النصارى :

الإسلام دين الفطرة ، والدين الذي تكفل الله بحفظه ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ (١) . بينما تعرضت الديانات الأخرى ومنها النصرانية ، إلى التحريف والتبديل ، وعملت فيها أيدي القساوسة والأحبار والرهبان تغييراً وتبديلاً . وبناءً على ذلك ؛ فإن النصارى لا يملكون ما يهاجمون به الإسلام ، سوى الاتهام غير الموضوعي ، وطرح الشبهات المغرضة حول بعض القضايا الجزئية . وفي المقابل نجد أمام الداعية المسلم فرصاً كبيرة لنقد التعاليم النصرانية وبيان ما طرأ عليها من التحريف والتبديل ، وإظهار ما تحويه من عقائد فلسفية لا تُفهم ولا تقنع

---

(١) سورة الحجر ، آية [٩] .

أحداً ، والتناقضات الكثيرة التي تزخر بها أناجيلهم ، وبالتالي تنفير الناس عنها بإظهار بطلانها .

فإذا قام دعاة المسلمين في كينيا بهذا فإنهم يكونون قد نقلوا المعركة إلى داخل معسكر النصارى وشغلوا القوم بأنفسهم ، وحولوهم من موقف الهجوم إلى الدفاع ، وأصبحوا هم في موقف المهاجم . خاصة وأن في كينيا عدداً كبيراً من القساوسة وكبار المنصرين ورجال الكنائس الذين أسلموا، وتركوا النصرانية ، بعد اقتناع تام بالإسلام ، وكفر صريح بتلك المبادئ المحرفة ، يمكن الاستفادة منهم في هذا المجال ، لخبرتهم ومعلوماتهم السابقة عن النصرانية وخفاياها ، ولاطلاعهم على أسرارها ، وما كان يمارسه قساوستها من فساد خلقي وأخلاقي ومالي وشذوذ وغير ذلك[١] .

كما يمكن الاستفادة أيضاً في هذا المجال من جهود الباحثين النصارى ذوي الشخصيات المستقلة والمنصفة قديماً وحديثاً ، الذين توصلوا عبر البحث العلمي المتجرد إلى بطلان عقائد النصرانية المحرفة، واثبتوا وقوع التحريف المتعمد للكتاب المقدس ، ووجود تناقضات صارخة بين نسخه ، ومن جهة أخرى جزموا بصدق نبينا محمد ﷺ وصحة رسالته لما تضمنته من معجزات وبراهين لا يمكن جحدها وتكذيبها ، وشهدوا بسلامة القرآن الكريم من التحريف وخلوه من التناقض .

وبهذه الطريقة يمكن تشتيت جهود النصارى ، وجعلهم يوجهون جهدهم الأكبر لمعالجة اشكالات الذات ، الأمر الذي سيخفف من حدة نشاطهم التنصيري في أوساط المسلمين .

---

(١) ومثال ذلك ما مر ذكره في المبحث السابق عن جهد الشيخ هارون اودندو القسيس السابق بعد إسلامه ، وعن مقارعته للنصارى والقساوسة والجامهم الحجة ، الأمر الذي يخفف كثيراً من نشاطهم وجهودهم .

سادساً : الاهتمام بالدراسات التنصيرية :

المؤسسات العاملة في مجال الدعوة في كينيا كثيرة ، بعضها مؤسسات محلية ، والبعض الآخر مؤسسات إقليمية وخارجية تدعمها بعض الدول الإسلامية ، ولكنها لا توجد بينها مؤسسة واحدة متخصصة في مجال مكافحة التنصير ، أو أخذت على عاتقها فقط مجابهة مخططاته ، وبالتالي فإن مجابهة التنصير في كينيا تقع في جزئية ضمن عمل المؤسسات الإسلامية بجانب المهام الأخرى ، وهذا الشيء الموجود بالتأكيد أفضل من لا شيء ، لأن ما لا يدرك كله لا يترك جله .

ولكن معالجة الأمر بهذه الطريقة قد تؤدي إلى الإتكالية أحياناً ، وإلى الإهمال أحياناً أخرى . خاصة إذا كان الأمر يتعلق بمجال مهم كالتنصير الذي تنوء مواجهته بعدة مؤسسات مجتمعة ، فكيف يكون الحال حين تكون مقاومته جزءاً من جهد مؤسسة تعتني به حيناً وتهمله في أحيان أخرى مع كثرة مشكلات المسلمين هناك .

وعليه فإن الحل الأمثل في هذا المجال إنشاء مؤسسات ومراكز متخصصة ومستقلة تهتم بالدراسات التنصيرية ومتابعة نشاط القوم بدقة تركيزاً للجهود ومنعاً لتشتيتها وحتى تؤدى العملية بإتقان .

وإن كان هذا الحل قد لا يتأتى في القريب العاجل ، ويحتاج لإمكانيات مادية وبشرية ، فلا يعني أننا نظل مكتوفي الأيدي ننتظر ذلك اليوم وقيام تلك المؤسسات والمراكز . ففي كينيا الآن - كما سبق ذكره - عدد من المؤسسات الإسلامية وإمكانيات بعضها لا بأس بها ، فلا أقل من أن تقوم كل مؤسسة إسلامية تحمل هم الدعوة إلى الله وإنقاذ المجتمع الكيني ، بإنشاء وحدة ضمن مرافقها ، أو مركز بحث متخصص لرصد الجهد التنصيري في نطاق عملها الجغرافي أو النوعي ، دعوياً كان نشاطها أو تعليمياً أو صحياً أو اجتماعياً أو إغاثياً ، واختيار مجموعة من الدعاة التابعين لها للقيام بهذه المهمة ، بعد أن يتم تأهيلهم ، وتوفير المتطلبات اللازمة لنجاح عملهم . وعندها يمكن القول بأننا قد أدركنا خطورة المد التنصيري ، وخطونا خطوة جادة في مواجهته .

سابعاً : تنشيط مشروعات البر الخيرية :

قد أصاب الجفاف والقحط معظم أراضي المسلمين في كينيا ، خاصة مناطق الشمال الشرقي ، ولم تنزل عندهم أمطار منذ أكثر من سنتين ، فأصابهم الفقر نتيجة لتعطل الزراعة وموت الماشية ، ولهذا فقد ازدادت حاجتهم إلى أوجه البر والمساعدات المختلفة في مجال الإغاثة، والصحة، والتعليم ، والرعاية الاجتماعية وغيرها . وكان فقر المسلمين في هذه الجوانب مدخلاً كبيراً إلى النصارى وأصحاب الأفكار الهدامة كي يصلوا إلى قلوب فقراء المسلمين وضعاف الإيمان فيغرونهم بالمال والمساعدات المادية والتعليم المجاني وغير ذلك .

وهذا الواقع يتطلب من الميسورين من أهل الإسلام في داخل كينيا وخارجها أن يبادروا بدفع شبح الصليب عن إخوانهم بمساعدتهم في هذه المجالات ، وذلك بإقامة المشروعات التي تتولى رعاية فقراء المسلمين ، ودعم المنظمات القائمة التي تعمل في ذات المجال ، لكي توفر لهم الدواء والكساء والطعام والتعليم وما يحتاجونه من أمور حياتهم . حتى لا يضطروا إلى الذهاب للمؤسسات الكنسية سواء كانت علاجية أو تعليمية ، والتي تترصدهم وتطمع في ردتهم بما تقدمه لهم من الفتات ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : " اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر . فقال رجل: أو يتعادلان؟ قال : نعم "[١] .

ولأن مساعدة المسلم لأخيه المسلم مبدأ أصيل من المبادئ التي حثت عليها شريعة الإسلام وتعاليمه ، وأهل الإسلام ، أولى بذلك من غيرهم وليس النصارى .

وبعد : فهذه جملة من الجهود المقترحة لكبح جماح التنصير في جزء عزيز من أجزاء العالم الإسلامي رمى فيها بثقله ؛ والتي إن وجدت التنفيذ - بإذن الله تعالى - ستكون عوناً لإخواننا هناك على الثبات على دينهم وتحسين مستوياتهم على كافة الأصعدة .

---

(١) رواه النسائي : جـ٨/٢٦٧ ، كتاب الاستعاذة ، باب الاستعاذة . من شر الكفر ، حديث رقم ٥٤٨٥ ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

ثامناً : النهوض بالمستوى السياسي والاقتصادي :

رغم أن المسلمين في كينيا يشكلون أغلبية في ثلاث مديريات من مديريات البلاد الثمان ، إلا أنهم ظلوا أقل الفئات في البلاد تمثيلاً في النظام السياسي. فمنذ استقلال البلاد عام ١٩٦٣م ، شغل غير المسلمين معظم المناصب العليا والمرموقة في الدولة ، وربما يعود ذلك لافتقار المسلمين إلى الوحدة والتعاون فيما بينهم ، وكذلك افتقارهم لزعيم سياسي محنك مقبول من الجميع يقودهم إلى وضع أفضل .

ومن هنا وجب على مسلمي كينيا التركيز على جانب الوحدة والتعاون حتى يثبت وجودهم السياسي في البلاد .

فمثلاً حالياً تمثل نسبة الأعضاء المسلمين في البرلمان حوالي ١٤% من عدد الأعضاء ، وبمزيد من الوحدة والتعاون وعدم الغفلة يمكن زيادة هذا العدد بكل سهولة ، وبالتالي ارتفاع صوتهم بكثرة من يمثلونهم داخل أروقة الحكومة ، ويمكن تنشيط هذا العمل من خلال الجمعيات ، وليس بالضرورة أن تكون هناك أحزاب ذات صبغة دينية واضحة – على الأقل في الوقت الحاضر – لأن دستور الدولة العلماني يعارض فكرة قيام أحزاب دينية .

ومن ناحية تولي المناصب العامة في الدولة فإن معظم من يشغلونها هم خريجوا الجامعات الذين تبلغ نسبة الطلاب المسلمين منهم نسبة ضئيلة جداً مقارنة بزملائهم من الفئات الأخرى ، وهذا يتطلب ضخ المزيد من الشباب المسلم في الجامعات .

وأقصد بالشباب المسلم ذلك الشباب صاحب العقيدة الذي جمع بين التعليم الديني والمدني فاجتمعت لديه المعرفة بعلوم الشريعة وعلوم الطبيعة، وتحصن ضد التيارات الفكرية المعادية للإسلام . فهؤلاء خير من يمثل الأمة المسلمة في كينيا ويسعون لخدمتها ، ذلك لأن أبناء المسلمين الأوائل الذين تلقوا تعليماً علمانياً في مدارس الكنيسة والبعثات التنصيرية تشربوا بمبادئ وأفكار الثقافة الغربية إضافة إلى جهلهم بالإسلام ومبادئه ، ومن ثم لم يتحمسوا للعمل من أجل أن ينال المسلمون حقوقهم بل وقفوا

موقف الحياد من معظم مشكلات المسلمين رغم مشاركتهم في السلطة والإدارة ومواقع النفوذ ، ولكن نظرتهم اللبرالية الغربية تجعلهم دائماً بمعزل عن هموم أمتهم الإسلامية فهم كغيرهم من أبناء النصارى لا يخلطون السياسة بالدين كما يقولون .

أما في الجانب الاقتصادي فالمسلمون في كينيا يعدون من أفقر الطبقات ، هذا باستثناء بعض التجار العرب ، والتجار من أصحاب رؤوس الأموال الضخمة من العرقيات الأسيوية كالهنود والإسماعيلية الأغاخانية ، فهؤلاء لهم أموال طائلة ولكن للأسف لم تسخر لخدمة المسلمين .

وعليه لابد للمسلمين من السعي إلى تأسيس بيت مال إسلامي خلص بهم من أجل تعزيز قدراتهم المالية والاقتصادية . كما يمكن تفعيل دور المنظمات والمؤسسات الإسلامية هناك بأن تقوم بجمع الزكاة من أغنياء المسلمين وإقامة مراكز تجارية واقتصادية تخدم المسلمين ويتم توزيع ريعها على الفقراء والمساكين منهم .

هذا وبالله التوفيق .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الخاتمة :

وتشمل خلاصة نتائج البحث :

وفي ختام هذه الدراسة ملخص لأهم نتائج البحث التي توصل إليـــها الباحث على النحو التالي:

أولاً : ارتبط دخول النصرانية إلى أفريقيـــا ودولــها المختلفــة جنــوب الصحراء ارتباطاً مباشراً بما يسمى بحركة الكشوف الجغرافية التي بدأتها أوربا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادييــن . ابتداءً برحلة البرتغالي فاسكودى جاما وانتــهاء برحلتــي ســتانلى ولفنجستون في القرن التاسع عشر .

ثانياً : تقوى الوجود النصراني في كينيا وأفريقيا بدرجة كبـــيرة بدخــول المستعمرين إلى تلك البلاد حيث فتحت الحكومـــات الاســتعمارية الباب على مصراعيه للإرساليات التنصيرية ووفرت لـــها الأمــن والأمان والحماية ، كما أطلقت يدها لممارسة أنشطتها في مختلــف ميادين ومجالات الحياة كالصحة والتعليــم والزراعــة وغيرهــا ، الأمر الذي مكنها من الوصول إلى فئات عديدة من النـــاس ونشــر معتقدها بينهم . وذلك بعكس الدين الإسلامي الذي انتشر بين الناس من خلال الدعوة السلمية والمخالطة للجماعات الإســـلامية التــي استقرت هناك بعد هجرتها لتلك المناطق .

ثالثاً : التقت أهداف المستعمرين مع أهداف المنصرين فـــي كينيــا فـــي محاربة الدين الإسلامي وحضارته المتمثلة فـــي الثقافــة العربيــة والإسلامية التي كانت سائدة في المنطقة لعدة قـــرون ، والتمــهيد لإحلال الثقافة الكنسية الغربية مكانها . وقد ظهر ذلك من خـــلال التعاون الكبير والمنظم بيـــن الإرســاليات التنصيريــة وكنائســها المختلفة .

رابعاً : استغلت البعثات والمؤسسات التنصيرية والكنسية في كينيا ظـروف الجفاف والفقر التي ضربت البلاد خاصة مناطق المسـلمين لتقـدم لهم خدماتها المختلفة وسط طقوسها وبرامجها التنصيريـة ، كمـا حدث ذلك في شمال شرق كينيا .

خامساً: مازالت الكنائس والبعثات التنصيرية تعمل بجد ونشاط في كينيـا عبر مختلف الأساليب التنصيرية ومن خـلال إمكانيـات ضخمـة تسندها مؤسسات وحكومات خارجية وذلك من أجل نشر النصرانية في جميع أنحاء أفريقيا . ويظهر ذلك جلياً من خلال دعم الفاتيكـان القوي للنصارى في أفريقيا والزيارات المتكررة للـدول الأفريقيـة التي يقوم بها البابا من وقت لآخر .

سادساً: النشاط التنصيري المتزايد في منـاطق المسـلمين لا يمكـن درء خطره وتفادي شروره إلا بتكثيف الجهود الدعوية من قبل المسلمين خاصة المؤسسات الإسلامية والدعوية والإغاثية التي يقـع علـى عاتقها العبء الكبير. لاسيما وأن الإسلام يحظى بالقبول السـريع وسط الأفارقة إذا وجدوا من يقدمه لهم بطريقة مناسبة مع بعـض الاحتياجات الضرورية التي تجعلهم لا يلتفتون إلـى المؤسسـات الكنسية .

الفهـــارس

وتشتمل على الآتي :

- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الأعلام .
- فهرس الأماكن والبلدان .
- فهرس الموضوعات .

فهرس المصادر والمراجع

- أولاً : القرآن الكريم .

- ثانياً : المصادر والمراجع العربية .

١ - الأحباش بين مأرب وأكسوم . ممتاز العارف ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت - صيدا .

٢ - إنجيل مرقس .

٣ - إنجيل متى .

٤ - الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب ، كرم شلبي ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

٥ - أساليب المنصرين ووسائلهم ، مهدي رزق الله أحمد ، بحث غير منشور .

٦ - استعمار القارة الأفريقية واستغلالها ، زاهر رياض ، طبع دار المعرفة ١٩٦٦م.

٧ - الاستعمار البرتغالي في أفريقيا ، جيمس ديفنى ، ترجمة الدسوقي حسين ، طبع مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٣م .

٨ - الإسلام في مواجهة أعدائه ، توفيق علي وهبة ، طبع دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ١٤١٣هـ/١٩٨٣م .

٩ - الإسلام في شرق أفريقيا ، سبنسر ترمنجهام ، ترجمة محمد عاطف النواوي، طبع مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٣م .

١٠ - الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا ، عمر سالم عمر بابكور ، من منشورات جامعة أم القرى ١٤١٧هـ .

١١ - الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، حسن أحمد محمود ، طبع دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

١٢ - الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ، مصطفى مسعد ، طبع مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ١٩٦٠م .

١٣- أصول البحث العلمي ومناهجه ، أحمد بدر ، الطبعة الخامسة وكالة المطبوعات الكويتية .
١٤- الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، من منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ، مطبعة الجبلاوي ١٩٧٥م .
١٥- الإعلام الغربي والمؤامرة على الإسلام في أفريقيا ، عبدالعليم عبدالرحمن خضر ، من إصدارات رابطة العالم الإسلامي ، العدد ١٨٢ .
١٦- أفريقيا - دراسة شخصية الأقاليم ، محمد عبدالغني سعودي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة .
١٧- أفريقيا دراسة عامة وإقليمية ، أحمد فليجة .
١٨- الأقاليات الإسلامية في أفريقيا ، سيد عبدالمجيد بكر .
١٩- الأقلية المسلمة في كينيا ، تاج السر خران ، وحدة بحوث التاريخ بعمادة البحث العلمي بجامعة الإمام ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م .
٢٠- الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، أحمد بن علي المقريزي، مطبعة التأليف بمصر ، ١٨٩٥م .
٢١- إمبراطورية البرنو الإسلامية ، إبراهيم علي طرخان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .
٢٢- إمبراطورية غانا الإسلامية ، إبراهيم علي طرخان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
٢٣- انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ومناهضة الغرب له ، محمد عبدالله النقيرة ، نشر دار المريخ - الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
٢٤- انتشار الإسلام في السودان الغربي حتى الفتح المرابطي لغانا ، عبدالعزيز الهويمل ، بحث غير منشور، كلية العلوم الاجتماعية قسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
٢٥- البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، لابن عِذاري المراكشي - تحقيق ومراجعة ج . س . كولان ، و إ . ليفي بروفنسال ، طبع دار الثقافة - بيروت - لبنان ، دون ذكر سنة الطبع .
٢٦- البداية والنهاية لابن كثير .

٢٧- تاريخ أفريقيا - وثائق تاريخية وجغرافية عن أفريقيا الشرقية شارل جوليـــان، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة - ١٩٦٨م .
٢٨- تاريخ الأقليات افسلامية في العالم - الجزء الأول أفريقيا - الســـر العراقـــي وغيثان بن جريس ، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .
٢٩- تاريخ الأمة القبطية وكنيستها ، تادرس شنودة .
٣٠- تاريخ الرسل والملوك ، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، بتحقيق محمـــد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف بمصر ١٩٦١م .
٣١- تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والســـودان الحديـــث ، جونتـــاني فانتتي ، الخرطوم ١٩٧٨م .
٣٢- تاريخ وحضارات السودان ، الشاطر بصيلي عبدالجليل ، الهيئـــة المصريـــة العامة للكتاب ، ١٩٧٢م .
٣٣- تاريخ خليفة بن خياط ، لخليفة بن خياط ، الطبعة الثانية ، دار طيبة للنشـــر والتوزيع ، الرياض -١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
٣٤- التبشير في الغاصمة المثلثة ، حسن مكي محمد أحمد الخرطـــوم - ديســـمبر ١٩٨٣م .
٣٥- التبشير في كينيا في القرن العشرين ، أحمد محمد حسن ، بحث غير منشور.
٣٦- التبشير في أفريقيا ، عبدالجليل ريفا ، المطبعـــة العســـكرية - الخرطـــوم ، ١٩٨٣م .
٣٧- التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، إبراهيم عكاشة طبعـــة دار العلوم - الرياض ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
٣٨- التبشير والاستشراق - أحقاد وحملات على النبي محمد صلى الله عليه وســـلم وبلاد الإسلام - محمد عـــزت الطـــهطاوي ، الزهـــراء للإعـــلام العربـــي ١٤١١هـ/١٩٩١م .
٣٩- التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى الخالدي وعمر فروخ ، طبع المكتبة العصرية ، بيروت - صيدا ، ١٩٨٢م .
٤٠- تقويم البلدان ، لأبي الفداء عماد الديـــن بـــن محمـــد بـــن عمـــر المتوفـــى ٧٣٢هـ/١٣٣٢م ، باريس ١٨٤٠م .

٤١- التنصير - حقيقته وطرق مواجهته ، حسين محمد محمود عبدالمطلب ، طبع دار الهلال بأسيوط ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

٤٢- التنصير - خطة لغز العالم الإسلامي ، الترجمة الكاملة لأعمال مؤتمر كلورادو التنصيري بأمريكا ، المنعقد في عام ١٩٧٨م ، ونشرته دار مارك للنشر .

٤٣- تنصير العالم - مناقشة لخطاب البابا بولس الثاني ، زينب عبدالعزيز ، طبع دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

٤٤- التنصير في أفريقيا - حقار محمد أحمد ، بحث غير منشور ، وأصله محاضرة قدمت في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

٤٥- التنصير في القرن الأفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، نشر دار العمير للثقافة والنشر ، جدة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٤٦- التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله ، علي النملة ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٣هـ /١٩٩٣م .

٤٧- تنصير المسلمين - بحث في أخطر خطة استراتيجية طرحها مؤتمر كلورادو التنصيري - طبع دار النفائس ، الرياض ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .

٤٨- التنصير والتغلغل الاستعماري في أفريقيا - مجموعة بحوث من إصدارات مركز البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة أفريقيا العالمية ، الخرطوم .

٤٩- التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي ، عبدالعزيز العسكر، نشر مكتبة العبيكان - الرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

٥٠- تهذيب سيرة ابن هشام ، عبدالسلام هارون ، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان .

٥١- الجغرافيا الاجتماعية لأفريقيا ، أنتونى سيرالي ، دار النهضة .

٥٢- جغرافية أفريقيا ، فتحي محمد أو عيانة ، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٨٧م .

٥٣- جغرافية أفريقيا الإقليمية، جودة حسنين جودة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨١م .

٥٤- جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، سعيد بن المغيري ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، طبع عيسى البابي الحلبي ، بدون ذكر سنة الطبع .
٥٥- حركة التجارة والتعليم الإسلامي في غربي أفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية - مهدي رزق الله أحمد ، طبع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .
٥٦- حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في أفريقيا الشرقية ، محمد أحمد مشهور الحداد ، طبع دار الفتح ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .
٥٧- حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبدالوهاب طبع مكتبة وهبة بالقاهرة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
٥٨- حقائق ووثائق - دراسة ميدانية عن حركات التنصير في العالم الإسلامي - عبدالودود شلبي ، طبع الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .
٥٩- داخل أفريقيا ، جون جنتر ، مكتبة الأنجلو المصرية .
٦٠- الدعوة الإسلامية في أفريقيا وقيام دولة الفولانيين في القرن الثاني عشر الهجري ، حسن عيسى عبدالظاهر ، من منشورات إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
٦١- الدعوة الإسلامية في كينيا - ١٩٦٠ - ١٩٩٠م ، حسين إبراهيم برالة .
٦٢- الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي ، علي الشيخ أبوبكر ، طبع دار أمية للنشر والتوزيع ، الرياض ١٤٠٥هـ .
٦٣- الدعوة إلى الإسلام - بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية - توماس . و . آرنولد ، الطبعة الثالثة ، ترجمة مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٧٣م .
٦٤- دليل منظمة الدعوة الإسلامية لأفريقيا ، الخرطوم ١٤٠٩هـ .
٦٥- رحلاتي إلى الديار الإسلامية ، الجزء الأول أفريقيا المسلمة ، محمد محمد الصواف ، طبع دار القرآن الكريم ، بيروت - لبنان ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
٦٦- رحلة خير في أفريقيا - رسالة إلى ولدي - عبدالرحمن بن حمود السميط . مطابع الفيصل ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
٦٧- سنن النسائي ، طبع دار البشائر الإسلامية ، بيروت - لبنان ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٦٨- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القلقشندي ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية .
٦٩- صحيح الإمام البخاري ، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري مع الفتح ، طبع دار الفكر .
٧٠- صورة الأرض ، أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل ، من منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .
٧١- العالم الإسلامي - رضا كحالة ، الطبعة الثانية ، الهاشمية - دمشق .
٧٢- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، عبدالرحمن بن خلدون ، طبع دار الكتاب اللبناني ١٩٦٨م .
٧٣- العرب وأفريقيا ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي .
٧٤- العلاقات السعودية الكينية ، السفير إبراهيم السلوم ، معهد الدراسات الدبلوماسية - الرياض ١٣١٨هـ/١٩٩٧م .
٧٥- الغارة على العالم الإسلامي ، أ . ل . شاتليه ، ترجمة مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
٧٦- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، بحوث المجلس العلمي لجامعة الإمام من مطبوعات الجامعة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
٧٧- الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع الرئاسة العامة لشؤون الحرمين .
٧٨- فتح العرب للمغرب ، حسن مؤنس ، نشر مكتبة الآداب بالجماميز - مصر .
٧٩- فتوح مصر وأخبارها ، لابن عبدالحكم ، طبع مكتبة المثنى ببغداد دون ذكر سنة الطبع .
٨٠- فتوح البلدان ، أبو الحسن البلاذري ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
٨١- فضائح الكنائس والقسس والبابوات ، مصطفى فوزي غزال ، نشر مكتبة دار القضاء للنشر والتوزيع - جدة .

٨٢- في الغزو الفكري ، نذير حمدان ، مكتبة الهنديق ، الطائف ، بدون ذكر سنة الطبع .

٨٣- لسان العرب ، لابن منظور الأفريقي المصري ، طبع دار صادر - بيروت .

٨٤- لمحات عن التنصير في أفريقيا ، عبدالرحمن السميط ، طبع في الكويت .

٨٥- لوامع الأنوار البهية وسواطع الدرر المضيئة ، أحمد السفاريني ، الطبعة الثانية المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٨٦- محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، طبع دار الفكر العربي ، القاهرة .

٨٧- مختار الصحاح ، أبو بكر الرازي ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

٨٨- المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية ، صالح بن حمد العساف ، نشر مكتبة العبيكان ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

٨٩- مذكرات أميرة عربية ، السيدة سالمة بن السلطان سعيد أو أميلي روث ، ترجمة عبدالمجيد حسين القيسي ، دار الكتب الوطنية - أبوظبي .

٩٠- مستقبل كينيا واتحاد أفريقيا الشرقية ، راشد البداوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦١م .

٩١- المشروع التنصيري في السودان ، حسن مكي محمد أحمد ، من منشورات المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .

٩٢- معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، بيروت - لبنان ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م .

٩٣- معجم الطبراني ، نشر دار الحرمين للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

٩٤- المعلومات ١٩٩٤/١٩٩٥م ، إصدار مكتب الآفاق المتحدة ، الرياض .

٩٥- المعلومات ١٩٩٧/١٩٩٨م ، إصدار مكتب الآفاق المتحدة ، الرياض .

٩٦- المغرب في ذكر البلاد أفريقيا والمغرب ، عبدالله بن عبدالعزيز البكري ، باريس ، ١٩١١م .

٩٧- ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ، طبع جامعة الإمام ١٤٠٧هـ .

٩٨- مهذب رحلة ابن بطوطة ، تهذيب أحمد العوامري ومحمد جاد المولى ، طبعة بولاق .
٩٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، لأحمد بن علي المقريزي ، طبع دار صادر .
١٠٠- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، صادرة عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .
١٠١- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، محمد بن أبي طالب الدمشقي ، بطربورغ ١٢٨١هـ/١٨٦٥م .
١٠٢- نهضة أفريقيا ، محمد عبدالعزيز إسحاق ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩١هـ/١٩٧١م .
١٠٣- وصف أفريقيا، الحسن بن محمد الوزان (ليون الأفريقي) ترجمة عبدالرحمن حميدة ، نشر جامعة الإمام ١٣٩٩هـ .
١٠٤- وقائع مؤتمر الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الدعوة الإسلامية - الوسائل والخطط ، نيروبي ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

- ثالثاً : الدوريات والمجلات والصحف السيارة :

١٠٥- مجلة الأزهر ، الأزهر الشريف مصر .
١٠٦- مجلة الأسرة ، صادرة عن مؤسسة الوقف الإسلامي - هولندا .
١٠٧- مجلة الأمة القطرية .
١٠٨- مجلة البعث الإسلامي ، صادرة عن ندوة العلماء في الهند ، لكناو .
١٠٩- مجلة البيان ، الصادرة عن المنتدى الإسلامي لندن .
١١٠- مجلة التوعية الإسلامية ، صادرة عن وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية .
١١١- مجلة التضامن الإسلامي ، الصادرة عن وزارة الحج السعودية .
١١٢- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .
١١٣- مجلة دراسات أفريقية ، صادرة عن جامعة أفريقيا العالمية - الخرطوم .

١١٤- مجلة الدعوة السعودية ، صادرة عن دار الإفتاء بالسعودية .
١١٥- مجلة الشقائق ، صادرة عن المركز العربي للكتاب والنشر - الشارقة .
١١٦- مجلة المجتمع الكويتية .
١١٧- مجلة المختار الإسلامي .
١١٨- مجلة منبر الإسلام .
١١٩- مجلة هذه سبيلي ، صادرة عن المعهد العالي للدعوة الإسلامية - جامعة الإمام .
١٢٠- صحيفة الحياة اللندنية .
١٢١- صحيفة الشرق الأوسط .
١٢٢- صحيفة ديلي نيشن الكينية (Daily Nation) .

- رابعاً: التقارير والوثائق :

١٢٣- تقرير عن أعمال المنتدى الإسلامي في مرتى ، مكتب المنتدى - نيروبي .
١٢٤- تقرير جمعية الشبان المسلمين لعام ١٩٩٩/٢٠٠٠م ، دار الأيتام بقاريسا ، إعداد / فاروق أحمد رئيس الجمعية .
١٢٥- تقرير جمعية الرعاية الاجتماعية الإسلامية لمسلمي شمال شرق كينيا ، إعداد حسين مهد نور ، ١٤٠٤/١٢/٢٩هـ / ١٩٨٤/٩/٢٤م
١٢٦- تقرير عن التبشير المسيحي في منطقة شرق كينيا ، إعداد عبدالرحمن حمود السميط ، مكتب لجنة مسلمي أفريقيا .
١٢٧- تقرير عن عمل المنصرين في كينيا ، إعداد الشيخ علي محمد صالح مبعوث رابطة العالم الإسلامي إلى نيروبي .
١٢٨- تقرير مكتب منظمة الدعوة الإسلامية بنيروبي ، إعداد عوض الكريم سليمان، ١٩٩٨/٨/١٧م .
١٢٩- تقرير المكتب الفرعي للجنة مسلمة أفريقيا - مرسبيت - إعداد لجان المسح الميداني لعام ١٤٢١هـ . مكتب اللجنة بمدينة ثيكا .

١٣٠- تقرير معهد كسونى ، الإسلامي بممباسا عن أنشطة الطلبة في حقل الدعـوة ، إعداد سراج الرحمن الندوي ١٤٠٧هـ .
١٣١- تقرير معهد كسونى عن إسلام مسؤولي الكنائس في المنطقة لعام ١٤١٦هـ.

- خامساً: المراجع الأجنبية :

132- The Eeast Africa Protectorate, Charel. Ne. Eliot london, 1955 .

133- Amecea Catholic Dictionary, 1991 – 1993.

134- The Constitution of Kenya, Government printer Nairobi . Revised edition 1992 .

135- Islam in Kenga (Procedings of The National Seminar on Contenporary Islam Kenya) MEWA Publishers, Nairobi, 1995, Mohamed Bakari and . S . Yahya .

136- Kenya Churches Hand Book, David . B . Barrett, (The developnent of Kenya christianity 1498 – 1973) Nairobi 1982 .

137- Statistical Abstract, Central Burea of Statistical office of The Vice Presedent and Ministry of Planning and Nationol Development, Nairabi, 1995 .

138- 150 years of Bible Translation, Aloo osotsi Mojoln, Kenya Bible Society, Nairobi .

فهرس الأعلام

(غ)

(ف)

(ن)

فهرس الأماكن والبلدان

(ق)

(ك)

(ن)

فهرس الموضوعات